



برنامج التربية

رقم المقرر
5426

مقارنة أديان



حقوق الطبع محفوظة

2010

جامعة

القدس

المتوحة



برنامج التربية

رقم المقرر
5426

مقارنة أديان

إعداد

د. محمد نبيل ظاهر العمري د. محمد أحمد الحاج

حقوق الطبع محفوظة

2010

جامعة القدس المفتوحة

مقرر : مقارنة الأديان / رقم (5426)

د. محمد نبيل طاهر العمري / د. محمد أحمد الحاج

أ. د. فضل حسن عباس

أ. ابراهيم محمود حمدان

أ. صابر س. أبو طالب

أ. محمد ج. الطيطي

أ. عيسى الهندي

.....

إعداد المادة العلمية

التحضير

التحرير اللغوي

التصميم التعليمي

التصميم الفني

التنفيذ الطباعي

ضبط النوعية

منشورات جامعة القدس المفتوحة



الطبعة الأولى 1998

حقوق النشر والطبع محفوظة لجامعة القدس المفتوحة، لا يجوز إنتاج أي جزء من هذا الكتاب أو تخزينه على جهاز حاسوب أو نقله بأي شكل أو وسيلة سواءً أكانت إلكترونية أم ميكانيكية (اليدوية) أو بالنسخ أو التصوير أو بالتسجيل أو بأي طريقة أخرى إلا بموافقة خطية مسبقة من الجامعة.

يطلب هذا الكتاب والوسائط المساندة له من جامعة القدس المفتوحة

☒ (77) أم السماق ☎ (5522561) عمان - الأردن

رقم التصنييف :

المؤلف ومن هو في حكمه :

عنوان المصنف :

رؤوس الموضوعات :

رقم الإيداع :

الملاحظات :

* تم اعداد بيانات الفهرسة الاولى من قبل المكتبة الوطنية *

مقدمة المقرر

أخي الدارس ، أختي الدارسة الاصل في الدين انه من عند الله ، ولما كان منشأ الأديان واحدا فلا بد ان تكون متحدة في اصولها ومرتكزاتها ، ومع ذلك نجد تشعبا واضحا ومفارقة كبيرة بين كثير منها ، الأمر الذي يستدعي اجراء مقارنة نوعية بينها بهدف الوصول إلى الحقيقة .

وتحقيقا لهذا الهدف كان هذا المقرر (5426 مقارنة أديان) .

وبدايةً يتناول المقرر مدخلاً إلى دراسة الأديان ، وفيه توضيح لمفهوم الدين وبيان علاقته بالفطرة ، وآراء علماء الاجتماع والنفس في تفسير ظاهرة التدين والرد عليها ، مع بيان أهمية هذا الموضوع . وبعد هذه الدراسة المدخلية ، للأديان نتقل بك أخي الدارس ، أختي الدارسة إلى دراسة الأديان الوضعية وتشمل ثلاثة من أديان الهند وبلاد فارس ، وهي الهندوسية والبوذية والزرادشتية .

بالاضافة إلى ذلك فقد تركز البحث في الديانات السماوية حيث تم بيان الديانتين اليهودية والنصرانية ، وذلك بالتعريف بكتبهما المقدسة وأصولهما الاعتقادية وبعض شرائعها ، هذا إلى التعريف بعدد من فرقهما الرئيسة . وانسجاماً مع مفهوم المقارنة ، فقد عرضت العقائد الاساسية بخاصة في الديانتين النصرانية واليهودية على أسس الاسلام لتبين مدى الالتقاء والاختلاف بينها ، مما يثري ويعزز التوجهات الاعتقادية الصحيحة التي تنسجم مع العقل والفطرة الاسانية السليمة .

الأهداف العامة للمقرر

يتوقع منك ، أخي الدارس ، أختي الدارسة ، بعد دراستك لهذا المقرر والقيام بانشطته وتدريباته ، أن تكون قادراً على أن :

1. تستوعب مفهوم الدين ونشأته من وجهة نظر اسلامية .
2. تتبين مواقف علماء الاجتماع والنفس من نشأة الأديان والرد عليها .
3. تتعرف الديانات الهندوسية والبوذية والزرادشتية . من حيث نشأتها وكتبها المقدسة وعقائدها وبعض شرائعها .
4. توضح مفهوم كل من النصرانية واليهودية .

5. تتبين الكتب المقدسة والاصول الاعتقادية وأهم الشرائع لدى كل من النصرانية واليهودية .
6. تتعرف الفرق المشهورة لدى كل من النصرانية واليهودية .
7. تتبين رأي الاسلام في عقائد النصرانية .
8. تزداد اقتناعا بالدين الاسلامي من خلال الوقوف على مواطن التجربة في الديانات الاخرى .

ولتحقيق الأهداف المشار إليها فقد احتوى المقرر على الوحدات الدراسية الآتية :

الوحدة الأولى : مدخل إلى دراسة الأديان .

الوحدة الثانية : الهندوسية والبوذية والزرادشتية .

الوحدة الثالثة : الديانة اليهودية .

الوحدة الرابعة : الديانة النصرانية .

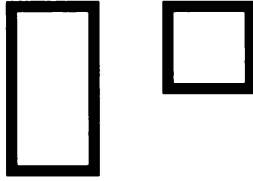
بالاضافة إلى المادة العلمية فقد تضمنت كل وحدة من الوحدات السابقة مجموعة من القراءات المساعدة والتدريبات والأنشطة وأسئلة التقويم الذاتي التي تمكنك - أخي الدارس ، أختي الدارسة - من إثراء تعلمك للمادة الدراسية ومن الوقوف على مدى نجاحك في تحقيق أهدافها التعليمية .

نرجو أن نكون قد وفقنا في تقديم ما يحقق لك الفائدة والخير في الدنيا والآخرة آملمين تزويد الجامعة بالملاحظات التي تراها مناسبة حول هذا المقرر .

والله ولي التوفيق

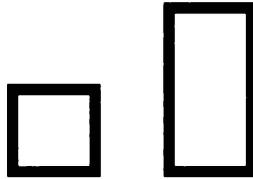
محتويات المقرر

الصفحة	عنوان الوحدة	رقم الوحدة
1	مدخل إلى دراسة الأديان	(01)
77	الهندوسية والبوذية، والزرادشتية	(02)
149	الديانة اليهودية	(03)
243	الديانة النصرانية	(04)



الوحدة الأولى

مدخل إلى دراسة الأديان



محتويات الوحدة

الصفحة	الموضوع
5	1. المقدمة
5	1.1 تمهيد
6	2.1 أهداف الوحدة
6	3.1 أقسام الوحدة
7	4.1 القراءات المساعدة
8	5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة
9	2. مفهوم الدين
9	1.2 مفهوم الدين لغة
10	2.2 المعنى الاصطلاحي لكلمة الدين
14	3.2 الفرق بين الدين من جهة العلم والأخلاق والفلسفة من جهة أخرى
14	1.3.2 الفرق بين الدين والعلم
18	2.3.2 الفرق بين الدين والأخلاق
22	3.3.2 الفرق بين الدين والفلسفة
26	3. الدين والفطرة
26	1.3 مفهوم الفطرة
27	2.3 نزعة التدين وأصالتها
31	4. آراء علماء الاجتماع والنفس في نشأة الدين ونقدها
31	1.4 توطئة
33	2.4 رأي علم الاجتماع في نشأة الدين
36	3.4 رأي علم النفس في نشأة الدين
39	4.4 الانتقادات الموجهة لعلماء الاجتماع والنفس في نشأة الدين
43	5. أهمية دراسة مقارنة الأديان

45 6. لمحة عن الديانات الكبرى في العالم
45 1.6 توطئة
46 2.6 ديانة قوم عاد
47 3.6 ديانة قوم ثمود
48 4.6 ديانة قدماء المصريين
50 5.6 الصابئة
52 6.6 مشركو العرب
53 7.6 المجوسية
55 8.6 المانوية
56 9.6 المزدكية
57 10.6 الكونفوشيوسية
58 11.6 الديانات الهندية
58 1.11.6 الفيدية
59 2.11.6 البرهمية
59 3.11.6 البوذية
60 4.11.6 الهندوسية
61 12.6 الإسلام
64 7. الخلاصة
66 8. لمحة مسبقة عن الوحدة الدراسية التالية
67 9. إجابات التدريبات
72 10. مسرد المصطلحات
74 11. المراجع

1.1 تمهيد

أخي الدارس، أختي الدارسة: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
هذه هي الوحدة الأولى من مقرر مقارنة الأديان في برنامج التربية تخصص
التربية الإسلامية وموضوعها " مدخل إلى دراسة الأديان " وتلك مقدمة للحديث
عن بعض الديانات الوضعية، وعن الديانات السماوية كما سيرد في الوحدات الثانية
والثالثة والرابعة إن شاء الله تعالى.

وقد اعتمدت في كتابة هذه الوحدة على ما أبدعته عقول الأوائل من علماء
التاريخ والاجتماع والنفس والأديان من أفكار حول نشأة الدين وعلاقته بالإنسان من
جهة، وعلاقته بالفطرة من جهة ثانية، وعلاقته بالعلم والخلق والفلسفة من جهة ثالثة
وقسمت هذه الوحدة إلى قسمين رئيسيين هما: -

الأول: مفهوم الدين ونشأته والفرق بينه وبين العلم والخلق والفلسفة وعلاقته
بالفطرة الإنسانية.

الثاني: آراء علماء الاجتماع والنفس في نشأة الدين، ونقدها، وأهمية دراسة
مقارنة الأديان، ولمحة عن الديانات المختلفة، منها ماورد ذكره في القرآن الكريم
وأخرى لم يرد ذكرها.

وقد أوردنا لك في ثنايا هذه الوحدة مجموعة تدريبات تهدف إلى إثارة
العقل لاكتساب مجموعة من المهارات التعليمية والقضايا العلمية التي يتحتم عليك
استخراجها من المادة المطروحة في هذا الكتاب بالرجوع إلى المصادر والمراجع اللازمة
لاستكمال موضوع هذه الوحدة.

كما وضعنا لك أخي الدارس، أختي الدارسة، مجموعة أسئلة تقويمية عليك
الإجابة عنها من خلال معلوماتك التي ستحصل عليها من قراءتك المتأنية لموضوع هذه
الوحدة.

متمنياً لك قراءة موفقة وتحصيلاً جيداً ونجاحاً باهراً.

2.1 أهداف الوحدة

نهدف أخي الدارس ، أختي الدارسة : من هذه الوحدة أن نطلعك على مفهوم الدين وعلاقته بالإنسان وبالعلوم الأخرى وأن يكون لديك إلمام بالنظريات التي فسرت نشأة الدين . كما نتوقع منك ، بعد اطلاعك على هذه الوحدة وفهمك إياها وإجابتك عن تدريباتها وأنشطتها أن تكون قادراً على أن :

- 1 . توضح مفهوم الدين .
- 2 . تبين علاقة الدين بالإنسان .
- 3 . تبيين علاقة الدين بالعلم والأخلاق والفلسفة .
- 4 . تبيين علاقة الدين بالفطرة .
- 5 . تحدد آراء علماء الاجتماع والنفس في نشأة الدين ونقدها .
- 6 . تبيين أهمية دراسة مقارنة الأديان .
- 7 . تعطي لمحة عن الديانات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم والتي لم يرد .
- 8 . تستطيع الرد على المشككين في الدين وأن تضحد حججهم .
- 9 . تعزز علاقتك بالدين الإسلامي من خلال مقارنة عقائد الأديان الأخرى بعقيدة الإسلام .

3.1 أقسام الوحدة

أخي الدارس ، أختي الدارسة : تشتمل هذه الوحدة على الأقسام التالية :
القسم الأول : مدخل بينا لك فيه معنى الدين في اللغة والاصطلاح عند علماء الاجتماع والدين ، وقارنا لك بين كل من الدين من جهة والعلم والأخلاق والفلسفة من جهة أخرى ، لتبين الأثر الذي تركه الدين في كل العلوم والآثار التي تركتها تلك العلوم في مفهوم الدين ، كل ذلك من أجل الوصول إلى حقيقة الدين وحاجة الإنسان إليه . ودراستك هذا القسم تحقق (1) .

القسم الثاني : تعرضنا فيه للدين والفطرة حيث شرحن معنى الفطرة لغة واصطلاحاً ، وعرضنا لنزعة التدين التي هي فطرية في الإنسان منذ خلقه ، وأصالة هذه النزعة إذ لا يكمل الإنسان إلا بها مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ (الذاريات: 56) أي لا تكتمل الحياة الإنسانية بوجهها الصحيح إلا بالتدين ، ودراستك هذا القسم تحقق الأهداف (2 ، 3 ، 4) .

القسم الثالث: قمنا في هذا القسم بدراسة آراء علماء الاجتماع والنفس في نشأة الدين، ولا يتسنى لنا ذلك إلا بنظرة موجزة عن تاريخ نشأة الدين عند المذاهب الروحية والمادية والطوطمية، وبيان آرائها المختلفة، باختلاف العقول والمناهج، فالتائج مختلفة بالضرورة. وقمنا أخيراً بتقييم آراء علماء الاجتماع والنفس في نشأة الدين. ودراسك هذا القسم تحقق الهدف (5).

القسم الرابع: عرضنا في هذا القسم أهمية دراسة مقارنة الأديان وذلك لتعزيز الاقتناع بالدين الإسلامي من خلال مقارنته بالأديان الأخرى وبيان عقائدها وشرائعها، وتثبيت عقائده في نفوس النشء وعدم السماح للأفكار الغربية أن تتسرب إلى عقولهم ونفوسهم. ودراسك هذا القسم تحقق الهدف (6).

القسم الخامس: تحدثنا فيه عن أهم الديانات الكبرى في العالم حيث قدمنا عرضاً موجزاً لكل من الديانات التالية: ديانة قوم عاد، وقوم صالح، والصابئة، ومشركي العرب، والديانات المصرية القديمة، والكونفوشيوسية، والفيدية، والمناوية، والبرهمية، والبوذية، والهندوسية، والمجوسية، والمزدكية، والإسلام ودراسك هذا القسم تحقق الهدفين (8-9).

أما الديانات الهندوسية والبوذية والزرادشتية فهي موضوع الوحدة الثانية من هذا المقرر، وكذلك النصرانية واليهودية فهما موضوع الوحدتين الثالثة والرابعة.



4.1 القراءات المساعدة

أخي الدارس، أختي الدارسة: إذا أردت أن تفهم هذه المادة جيداً فلا تقتصر على ما بين يديك من معلومات، وعليك أن ترجع إلى الكتب التالية للاستزادة من المعلومات التي فيها

1. قواميس اللغة، والمعجمات الفلسفية، والموسوعات الميسرة، ودائرة معارف القرن العشرين، ودائرة المعارف الإسلامية، لتحديد معاني الكلمات والمصطلحات التي وردت في هذا المقرر.
2. د. محمد عبدالله دراز، الدين بحوث ممهدة لدراسة الأديان.
3. عبد الرزاق محمد أسود، المدخل إلى دراسة المذاهب، المجلد الأول، الباب الأول.

4. طه الهاشمي، تاريخ مقارنة الأديان.
5. الشهرستاني، الملل والنحل - الباب الثالث من القسم الأول، المجلد والفصل الأول من الباب الثاني.
6. د. وهبة الزحيلي و د. يوسف العث، تاريخ الأديان.
7. عباس محمود العقاد، الله، من ص 100-13.

5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة

أخي الدارس، أختي الدارسة: أقرأ الموضوع بتمعن، وإذا صعب عليك مفهوم ما فارجع إلى أحد المعجمات أو الموسوعات المختصة لاستخراج المعنى وشرحه، ولا بد لك من دراسة الموضوعات أولاً فأولاً، وحل التمارين والنشاطات التي نقدمها لك. وإذا استعصى عليك أمر ما فارجع إلى الحلول المثبتة في آخر الوحدة، وإن لم تجد فاتصل بمشرفك الأكاديمي.

2. مفهوم الدين

أخي الدارس ، أختي الدارسة :

من المؤكد أنك تعتقد مجموعة مبادئ وأفكار ، وأنتك تدين بدين ما ، ولا شك أنك تساءلت يوماً عن معنى الدين وعن مكوناته ، وقارنت بين ما تؤمن به وينكره غيرك من مبادئ وأفكار تشكل عموم معتقداتك ويطلق عليهما " دين " . . . وإذا لم تحاول معرفة ما توحيه لفظه " دين " من معنى ؛ فتعال معنا نتعرف هذه الكلمة في قواميس ومعجمات اللغة .

1.2 مفهوم الدين لغة

بالرجوع إلى قواميس اللغة العربية نجد أن كلمة الدين تؤخذ من فعل متعد بنفسه " دانه يدينه " ومن فعل متعد باللام " دان له " ومن فعل متعد بالباء " دان به " ولكل حالة من تلك الحالات معان خاصة بها يمكن تلخيصها كالتالي :

الأولى : دانه يدينه وتعني ملكه وحكمه وساسه ودبره وحاسبه وقضى في شأنه وجازاه وكافأه وأذله ، وقد جاء في الحديث " الكيس من دان نفسه " (أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده ج 4 ص 124) أي حكمها وضبطها وحاسبها والديان الحاكم القاضي .
الثانية : دان له وتعني أنه أطاعه وخضع له فالدين هنا بمعنى الخضوع والطاعة والاستسلام والعبادة والورع ، وكلمة الدين لله يصح أن يفهم منها كلا المعنيين الحكم لله والخضوع لله .

الثالثة : دان بالشيء وتعني أنه اتخذه ديناً ومذهباً ، أي اعتقده أو اعتاد عليه أو تخلق به فالدين هو المذهب أو الطريقة التي يسير عليها المرء نظرياً أو عملياً ، فالمذهب العملي للمرء هو عاداته وسيرته فيقال " هذا ديني وديني " أي طريقي ومنهجني في الحياة . والمذهب النظري عنده هو عقيدته ورأيه الذي يعتنقه ، ومن ذلك قولهم " دينت الرجل " أي وكلته إلى دينه ولم اعترض عليه فيما يراه سائغاً في اعتقاده .

وبهذا فكلما الدين تشير إلى علاقة بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له ، فإذا وصف بها الطرف الأول كان خضوعاً وانقياداً ، وإذا وصف بها الطرف الثاني كانت أمراً وسلطاناً وحكماً ، وإذا نظر بها إلى الرباط الجامع بين الطرفين كانت هي الدستور المنظم لتلك العلاقة أو المظهر الذي يعبر عنه " المبدأ الذي يلتزم الانقياد له

" والفرق بين كلمة دين بفتح الدال وكسرها هو أن أحدهما وهو بفتح الدال يتضمن في الأصل التزاماً مالياً والآخر بكسر الدال يقتضي إلزاماً أدبياً. (ابن منظور، لسان العرب مادة دي ن، وكذلك محمد مرتضى الزبيدي/ تاج العروس).
 وجمع دين أديان وجمع ديانة ديانات .
 ولا يخفى أن هذه المعاني جميعها متلازمة، فإن المعنى الثاني لازم للمعنى الأول والمعنى الثالث لازم للمعنيين الأولين فكلمة ((دين)) تشير إلى علاقة ما بين طرفين يعظم أحدهما الآخر ويخضع له بمجموعة من الأفكار والمبادئ والشعائر الموحية بهذا التعظيم وهذا الخضوع .
 على أن هناك معان أخرى لكلمة دين تتضمنها هذه الحالات منها: المكافأة والحساب والداء والخدمة والقضاء والسياسة والحال والقرض والملك والسلطان . . الخ .

2.2 المعنى الاصطلاحي لكلمة الدين

أخي الدارس، أختي الدارسة :

من الواضح أننا لو أضفنا كلمة " الدين " إلى أية أمة أو شعب لأصبح المعنى الناتج من الجمع بين الدين والأمة هو ((مجموعة المعتقدات والمبادئ التي تدين بها تلك الأمة أو الشعب)) وما يترتب على اعتناق هذه المعتقدات من قضايا عملية درج العلماء على تسميتها " شريعة " .
 فإذا أضفنا كلمة الدين إلى الإسلام يصبح معنى الدين الإسلامي علماً على جميع ما جاء به محمد، [من قضايا نظرية وعملية . وكذلك لو أضفنا هذه الكلمة إلى اليهود أو إلى النصرى أو إلى أي أمة من الأمم لأصبح المعنى يختلف عن معنى الدين الإسلامي، وأعطى مجموعة من المبادئ والمعتقدات والأمر العملية التي تميز من آمن بهذا الدين أو ذاك .
 وقد تضاف كلمة الدين إلى شخص جاء بأفكار ومعتقدات، أو أظهر هذه الأفكار والمعتقدات وأصبح لها أتباع كثيرون انتسبوا إليها وآمنوا بها وأصبحت هذه المعتقدات ديناً لهم فنسبوا إليها وإلى منشئها أو مُظهرها .

وعلى هذا فإن كل دين يختلف عن أي دين آخر ولا يعطي نفس مفاهيم ما تعطي الأديان الأخرى . وباختلاف هذه المفاهيم تختلف تعريفات الدين حسب معتقدات معرفتها وأهوائهم، ومن الصعب إيجاد تعريف شامل يجمع كل الأديان، ولذا قد وجدنا تعريفات كثيرة للدين تنجح في الغالب إلى وضع مفهوم أولي لهذا المصطلح، ولا تهدف إلا إلى رسم الاطار العام له دون تحديده بمعنى عام شامل يجمع كل الأديان معاً .

يقول جيمس فريز وهو عالم انثروبولوجي بريطاني ((إن صياغة تعريف واحد من شأنه إرضاء كل الآراء المتصارعة حول الدين هو أمر غير ممكن التحقيق، ومن هنا فإن كل ما يستطيعه الباحث هو أن يحدد بدقة ما يعنيه بكلمة الدين، ثم يعمل على استخدام هذه الكلمة عبر مؤلفه بالمعنى الذي حدده لها منذ البداية . . .)).

وهو عند اميل دوركايم وهو عالم اجتماع وفيلسوف فرنسي ((نظام متسق من المعتقدات والممارسات التي تدور حول موضوعات مقدسة يجري عزلها عن الوسط الدنيوي، وتحاط بشتى أنواع التحريم، وهذه المعتقدات والممارسات تجمع كل المؤمنين والعاملين بها في معنوية واحدة تدعى كنيسة)).

وهو عند ماكس مولر: السعي إلى إدراك ما لا يدركه الإدراك، والتعبير عما لا سبيل للتعبير عنه، والجنوح إلى اللامتناهي . . . وهو حب الله تعالى .

وعرفه روبرت تيلور بأنه الاعتقاد بعالم الأرواح أو الإيمان بكائنات روحية . وهو عند فريزر: استرضاء القوى التي يعتقد أنها تتعالى على الإنسان، والتي يعتقد أنها تدبر مجرى الطبيعة وتوجه حياة البشر .

وعند سالون ريناك: مجموعة التورعات التي تقف حاجزاً أمام الحرية المطلقة لتصرفاتنا فوق البشرية التي يؤمن بها لأنه يشعر بأنه خاضع لها وتظهر هذه العلاقة بأحاسيس خاضعة (الرجاء والخوف) وبأفكار (معتقدات) .

هذا عند علماء الغرب، أما علماء المسلمين فقد نظروا إلى مفهوم الدين من خلال الدين نفسه ومعطياته، فلم يجعلوا للعقل أو للهوى مجالاً في تصورهم للدين، ولا نظروا إليه من منطلق شخصي ذاتي، بل عرفوه من خلال معرفتهم بالمبادئ والمعتقدات والشرائع التي جاء بها محمد، [، من عنده،]، ولذا فقد نجد قيد (وضع إلهي) في معظم تعريفاتهم، فقد عرفه د. محمد عبدالله دراز بأنه: الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة أو هو الاعتقاد بوجود ذات أو ذوات غيبية علوية لها شعور واختبار ولها تصرف وتدبير للشؤون التي تعني الإنسان اعتقاداً من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات في رغبة ورهبة وفي خضوع وتمجيد (دراز، الدين، ص 49) وعرفه بعض العلماء المسلمين بأنه (وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات وإلى الخير في السلوك والمعاملات) أو (هو وضع إلهي يحسن الله تعالى به إلى البشر على لسان واحد منهم لا كسب له فيه ولا صنع ولا يصل إليه بتلق ولا تعلم: وإنما هو وحي وتعلم من الله تعالى يلقيه الله إلى عبده) أو (هو: جملة التكليف

الشرعية والمعاملات المالية والسياسية والأخلاقية التي يوحىها الله جل شأنه إلى رسول من رسله الذين يختارهم لتبليغ رسالته وتوصيل تعاليمه وهداياته) أو (هو: الخضوع لله تعالى والتذلل لهو الإيمان بوحديته جل شأنه، والسجود له جل شأنه، واختصاصه جل شأنه بهذا السجود يسجد المرء إلا لله، ولا يذبح إلا له، ولا يدعو إلا إياه) (د. حجازي، مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص 10-11، ويمكن الرجوع إلى هذه التعريفات وغيرها في كتاب أسود، الأديان، ص 20-21 وكتاب الهاشمي، تاريخ الأديان وفلسفتها وكتاب دراز، الدين، ص 28-31).

وتكاد تجمع التعريفات التي أوردناها لمصطلح الدين على ثلاث قواعد مشتركة هي:
أولاً: شعور الناس بوجود قوة أعظم منهم شأنًا وغير مسخره لهم.
ثانياً: اعتقاد الناس بأن لهم صلة بهذه القوة.

ثالثاً: سعي الناس إلى إيجاد واسطة لتوثيق هذه الصلة (الهاشمي، تاريخ الأديان وفلسفتها ص 30).

اتضح إذاً الفرق في مفهوم الدين بين العلماء الغربيين وبين علماء الإسلام؛ فهو عند علماء الغرب خاضع لنظرة الشخص إلى ما يعتقد، بينما هو عند علماء المسلمين نابع من مفهوم الدين نفسه، ومن هنا حار علماء الغرب في إعطاء تعريف شامل للدين بينما اتفق علماء المسلمين على إعطاء مفهوم للدين وإن اختلفت التعبيرات اللفظية أحياناً.

ثم إن الملاحظ في تعريفات الغربيين أنهم أبهموا فكرة الإلوهية لأنها تترك كثيراً من المعتقدات خارج دائرة تعريف الدين، فلم يهتموا بوضع تصور دقيق للإله، بل جعلوه ضمن عالم الغيب الخفي المقدس الذي شملته نظرتهم إليه، بينما فكرة الإلوهية عند علماء المسلمين واضحة، ووضوحها جاء من خلال ما جاء به رسول الأمة.

ثم إن تعريف المسلمين للدين أخرج كل ما عدا الدين السماوي غير المحرف من مفهوم الدين الحق، فتعريفهم قاصر على الدين المنزل فقط وليس على أي دين، وبذا فقد خرج بتعريفهم كل الأديان الوضعية، وسموا الأمم التي تدين بالدين الصحيح (أهل الملل)، كما سموا معتققي الأديان الباطلة (أهل النحل).

ولذا فإن الدين إن أريد به معناه العام فهو كل دين يدين به الإنسان وإن أريد به معناه الخاص فهو الإسلام فقط.



نشاط (1)

أخي الدارس، أختي الدارسة:
ارجع إلى القرآن الكريم واحصر الآيات التي وردت فيها كلمة الدين وتعرف على
المعنى من أي تفسير للقرآن الكريم، وحاول أن تصوغ تعريفاً خاصاً للدين.



تدريب (1)

اذكر تعريف د. محمد عبد الله دراز وتعريف علماء المسلمين للدين وبين عناصر
الدين وقواعده من خلالها، واطهر الفرق في مفهوم الدين بين علماء الغرب
وعلماء المسلمين.

3.2 الفرق بين الدين من جهة والعلم والأخلاق والفلسفة من جهة أخرى

1.3.2 الفرق بين الدين والعلم

منذ أن وجد الإنسان على وجه البسيطة وهو يحاول تفسير كل شيء من حوله بوساطة العقل الذي منحه الله إياه ويميزه به عن غيره من الكائنات .

وتتمثل طريقة عمل العقل البشري في إطار المعرفة في واحد من المنهجين التاليين :
الأول : يتجه فيه العقل إلى التعاون مع الحواس حيث تعطيه الحواس ما يقع تحت سيطرتها، فيصوغ هذه المدركات الحسية علماً تجريبياً قائماً على معطيات الحس اليقيني كالطب والهندسة والفلك ومختلف العلوم التي توصل إليها العقل عن طريق الملاحظة والتجربة والاستنتاج .

الثاني : ينفرد فيه العقل بالنظر والتأمل المجرد دون أن يترتب على هذا التأمل أي نتيجة عملية بل مجرد أفكار وقضايا تنتج عقائداً أو مبادئ .

فإذا لاحظ العقل وجرب وتوصل إلى مجموعة من المعارف التي أدرك بها -حسب فهمه وإدراكه على مر العصور- وجوده منذ القدم وأدرك كيفية التعامل مع الأمور المادية من حوله ؛ أطلق على مجموعة المعارف هذه علوماً، وإذا توصل بما أوتي من قدرة على التأمل و التفكير إلى مجموعة من المبادئ والأسس أطلق على هذه الأسس والمبادئ فلسفة أو ديناً .
ومع تقدم الزمن وكثرة المعارف ظهرت الحاجة إلى التخصص فأصبح كل علم يبحث في ظواهر وأمور معينة تجمعها مبادئ مشتركة وتؤدي إلى نتائج ذات إطار واحد وتختلف عن غيرها من النتائج .

وإذا نظرنا إلى القضايا الدنيوية فقد قطع العلم شوطاً كبيراً فيها إذ استطاع الإنسان بالعلم أن يكيف كثيراً من الأشياء ويسخرها لصالحه، ففجر الصخر وحول مسير النهر وغاص في أعماق البحار وحلق في أعالي الجو وحطم الذرة وغزا الفضاء ولكن ما تزال هناك الكثير من المسائل والقضايا المعلقة التي حار العلم بها ولم يجد لها جواباً شافياً مادية كانت أم غيبية، وهي بهذا تتزك المجال للدين ليقول كلمة الفصل فيها، ذلك أن العقل في كثير من القضايا التي يتعرض لها - الغيبية منها على الأخص - يقف إما عاجز عن ادراك حقيقة هذه القضايا ويسلم ببعجزه ويترك معرفتها لغيره، وإما أن يخوض فيها غير عابيء بنتيجة ما يصل إليه، وهذا ما أدى إلى التجرؤ على عالم الغيب بعامة وعلى الذات الإلهية بخاصة، وقياس حقائقها على مدركاته المأخوذة من الحواس فيُضِل بعد ذلك ويُضِل،

ويعود الإنسان إلى الحيرة والقلق والاضطراب والصراع العقلي والنفسي معاً. والعلم الذي نتحدث عنه هنا هو: المعرفة التي تؤخذ عن طريق الملاحظة والتجربة والاستنتاج والقائمة على تعاون الحواس والعقل، فالحواس تعطي العقل ما يقع تحت سلطانها، والعقل بما فيه من مبادئ أولية وبما اكتسبه من خبرات وتجارب يصل بالإنسان إلى مرحلة إعمار هذا الكون من خلال ما توصل إليه من قوانين واكتشافات واختراعات.

وسنلقي الضوء على الفرق بين العلم والدين - إن كان ثمة فرق - فنرى أن التعارض بين العلم والدين على إحدى الصور التالية كما يقول الدكتور دراز:

الأولى: أن الصلة بين العلم الإلهي (الدين) وسائر العلوم ليست صلة في وحدة الموضوع ولا اشتراكاً في الأهداف؛ إذ أن العلوم كلها تبحث في الكائنات وليس شيء منها يبحث عن مبدئها الأول وغايتها القصوى.

ولا يعقل أن يكون هناك تعارضاً وتناقضاً بين أمرين لا اشتراك بينهما في موضوع واحد. الثانية: أن مجال العلم في الماديات والمحسوسات فهو منهج صحيح لمعرفة المادة ولكنه ليس منهجاً صحيحاً لمعرفة ما وراء الطبيعة.

الثالثة: العلم لا يستطيع تفسير الأسئلة الأولى وهي:

ما العلة الأولى للخلق؟ من الذي بعث الحياة في الخلية الأولى؟ هل يوجد حياة أخرى؟ ما مصير الإنسان بعد الموت؟ وقد أجاب الدين عن كل هذه التساؤلات واطفأ إليها مما لا يتوقعه الإنسان.

الرابعة: أن كثيراً من نتائج العلم غير يقينية، فإن قابلية الشك والاحتمال قائمة في كثير من نتائجه، لأن أساس العلم التجربة، والتجربة أساسها الحس، والحواس كثيراً ما تخدع - كالخداع البصري في السراب - وتاريخ العلم شاهد على ذلك، إذ تتغير المفاهيم العلمية من حين لآخر.

الخامسة: أن العلم ليس خصماً للإيمان ولا ضداً له بل هو يهدي إليه، إذ أن كثيراً من العلماء أسلموا نتيجة أبحاثهم التي توصلوا إليها ووجدوا أنها متفقة تمام الاتفاق مع معطيات القرآن الكريم وإشارته العلمية. وبإمكانك أن تتحقق من ذلك بالرجوع كتاب العلم يدعو للإيمان لكريس موريسون ترجمة الأستاذ محمود صالح الفلكي، وكتاب الله يتجلى في عصر العلم ترجمة الدكتور الدمرداش سرحان، وغيرها من الكتب التي تشير إلى العلاقة الوثيقة بين العلم والإيمان وأن العلم السليم يؤدي قطعاً إلى الإيمان الوثيق.

كما سبق نلاحظ أنه لا فرق بين العلم والدين، فكل واحد منهما له مجاله الخاص به، وإنما يرجع الخلاف الصوري بينهما إلى الحجج التي تدرج بها الملحدون، وأوجدوا هذا الصراع الذي استغلوا فيه اسم العلم أو الدين أحياناً ليكون ستاراً للمقاصد الخفية والمطامح المختلفة من الثروة والنفوذ والجاه وسائر المصالح الشخصية، أو ربما يكون ناتجاً عن جهل منهم بحقيقة العلاقة بين العلم والإيمان، أو أنه ناشئ عن الصراع الحقيقي القائم بين النزعات الروحية السامية التي تدفع إلى التضحية وضبط النفس والاعتدال وبين النزعات المادية المضادة التي تهدف إلى الفوضى والإباحية.

ومن الخطأ البين أن نظهر أن في نشر العلوم والثقافات وحدها ضماناً للسلام والرخاء عوضاً عن التربية والتهذيب الخلقي الناشئين عن الدين، ذلك أن العلم سلاح ذو حدين يصلح للهدم والتدمير كما يصلح للبناء والتعمير، ولا بد في حسن استخدامه من رقيب أخلاقي يوجهه لخير الإنسانية وعمارة الأرض، لا إلى نشر الشر والفساد، ذلكم الرقيب هو العقيدة والإيمان النابعان من الدين.

والواضح أنه إذا تعاون الإثنان معاً (العلم والدين) فإن الشخصية الإنسانية تكتمل، والنفس البشرية تحقق الاطمئنان في جانبيها الروحي والمادي، ولا أدل على ذلك من ما نراه في الحضارة الإسلامية التي قدمت للإنسانية أنظمة وقوانين سامية وازنت فيها بين متطلبات الروح والجسد والعقل فعاشت الإنسانية فترة من الزمان في أرغد عيش وأهنأ وأسعد حياة وأرقاها. فهي الحضارة الوحيدة التي تشتمل أسسها الفكرية والنفسية على حاجات الحياة كلها من مختلف جوانبها الفكرية والروحية والنفسية والجسدية والمادية والفردية والاجتماعية والمجالات العلمية والعملية جميعها.

وإذا كان من واجب الأديان أن تحض على طلب العلم، وكان من الخير لها أن تستثمر المعارف البشرية كافة وتسلح بنتائجها، فإن من الخير للعلوم كذلك أن تدع الأديان تكمل ما بها من نقص، وتملأ ما تركه في النفوس من فراغ بما تملؤه من الحقائق الروحية فيحدث بالتكامل بين الدين والعلم تكامل في النفس البشرية، وسعادة وهناء في الكون بأسره. وإذا كان العلم حقاً والدين حقاً وجب أن يلتقيا ويتناصرا، وإذا اختلفا في مسألة ما فالسبب يرجع ليس إلى العلم أو الدين بل إلى الشخص الذي يطبق هذا العلم أو الدين.

وقد تجد أخي الدارس، أختي الدارسة: من يثير في عقلك من بعض دعاة العلمانية أو اللادينييين عموماً أن الدين يحجر على العقل ويؤخر التقدم العلمي، وأن العلم وحده

كفيل بسعادة البشرية، ويمكن الاستغناء عن الدين مع تقدم العلوم والحضارة والمدنية، وأن العلم يجب أن يحل محل الدين بما يقدم من معارف وعلوم تساعد في خدمة البشرية وتسهم في إنقاذهم من الجهل والتخلف بمعناه الأوسع. فقل لهؤلاء نعم، يمكن ان يكون الدين سبباً في الجهل والتخلف والعودة إلى الوراء إذا كان يحارب العلم لأي سبب من الأسباب ويقف حائلاً أمام سعادة البشرية، ورفاهيتها وهذا ما دعا إلى الثورة على الكنيسة في القرون الوسطى ومحاولة فصل الدين عن الدولة ورفع شعار " دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله " ولكن هذا الواقع لا ينطبق على العلاقة بين العلم والدين الاسلامي، فمن بدهيات الأمور أن أول آيه في القرآن الكريم نزلت على محمد [كانت (اقرأ) وهذه الكلمة أمر من الله سبحانه لمحمد] ولكل إنسان على وجه الأرض يطلب فيه الله سبحانه أن يقرأ، والقراءة لا تكون إلا بالتعلم، والتعلم لا يكون إلا باستعمال حواس القراءة من سمع وبصر وعقل، علاوة على الآيات والأحاديث الكثيرة التي تحض على العلم والتعلم وإعمال العقل في هذا الكون من أجل غايتين مهمتين، أولهما: إدراك أن لهذا الكون موجداً، وثانيهما: إعمار هذا الكون إعماراً سليماً ليعيش الناس بقية حياتهم في سعادة وأمن وأمانة وذلك لا يتم إلا بالعلم.

ثم إن مجال العلم يختلف عن مجال الدين، فدائرة العلم محصورة في العلوم التجريبية التي تقع تحت سلطان الحس، فهي إذاً أمور مادية محضة والعلم قائم عليها ولا يمكن أن يتجاوزها، بينما اجاب الدين عن أمور لا يستطيع العلم أن يجيب عنها ولا أن يصل إليها، فالدين يساعد على اكتشاف كنه هذا الكون، كما يدل على حقائق الكون المجهول للعقل، ولو ترك العقل يبحث في المجهول لما اهتدى ولما وصل إلى حقيقة ما فالدين مجاله أرحب من مجال العلم، إذ يشمل بيان عالم الغيب كله سواء ما مضى منه أم ما خفي ولم يحن بعد، كما يشمل كل ما يتعلق بحياة الإنسان على هذا الكوكب والحض على توفير الرفاهية والسعادة له. والخلاصة في هذا أنه لا تعارض بين الدين وبين العلم، ويحق للمسلم أن يفخر أن دينه يحضه على العلم وطلبه باستمرار دون حصر هذا العلم على أمر بعينه.



نشاط (2)

ارجع إلى كتاب " العلم يدعو للإيمان " لمؤلفه كريس موريسون ترجمة الأستاذ محمود صالح الفلكي وقف على ما به من معان علمية تدعو الإنسان إلى الإيمان بالله سبحانه وتعالى . ولخصها في دفترك وناقشها مع زملائك ومشرفك الأكاديمي .

2.3.2 الفرق بين الدين والأخلاق

أخي الدارس، أختي الدارسة :

قلنا إن الله سبحانه وتعالى ميز بني البشر عن غيرهم من الكائنات بالعقل ، وجعله أساس تكريمهم والمهيء لهم لأن يكونوا صالحين لإعمار هذا الكون المستخلفين فيه ، وقد حاول الإنسان منذ القدم أن يضع قواعد للسلوك السوي والسليم ، وأن يبيّن علاقاته المتعددة على أسس محكمة ومبادئ ثابتة تتفق مع المبادئ الفعلية التي رآها على مر العصور والأزمان صالحة لإعمار الكون إعماراً بعيداً عن الفوضى والوحشية والتخلف المؤدي إلى دمار الإنسان ثم إلى دمار الكون . وقد وضع العلماء هذه القواعد والتصورات لبناء الإنسان الفاضل والمجتمع الفاضل والأمة الفاضلة ، ودرسوا سلوك الناس وتصرفاتهم فأظهروا علوماً تتحدث عن باطن الإنسان ومشاعره وأحاسيسه ، وسمّوا العلم الذي يدرس سلوك الناس وتصرفاتهم ويقوم بالحكم عليها بالخير والشر وبتوجيه سلوكهم الإنساني إلى فعل الخير وانتهاجه (علم الأخلاق) وهو علم معرفة الفضائل لتزكو بها النفس ، ومعرفة الرذائل لتتنزه عنها النفس (صليبا، المعجم الفلسفي ص 49-50) وأطلق على هؤلاء العلماء علماء الأخلاق .

وإذا أردت أن تعرف شيئاً أكثر عن علم الأخلاق فإن التاريخ يحدثك بأن كل الشعوب التي عمرت الأرض كان لها أخلاق تنظم حياتهم وتحكم علاقاتهم بعضها ببعض ، فقدماء المصريين عنوا بالأخلاق العملية وكانوا أصحاب سلوك منظم وأخلاق عملية سامية ، ونزعوها إلى تحقيق أسس المبادئ الأخلاقية ، بل كانت الأخلاق أهم ما يميز حياتهم ، ونرى ذلك أيضاً عند قدماء الهنود حيث اعتنت الديانة البرهمنية بالدعوة إلى طاعة براهما واحتقار الحياة الدنيا ، وحفلت بالمبادئ التي تعنى بتقوية الروابط الاجتماعية وتحقيق الإخاء العام ضمن مبادئها " من يسامح شاتميه ولاعنيه فهو مشرف في السماء ، ومن يحمل لمن يسيء إليه حقداً فهو من أهل الجحيم " .

وكذلك الديانة البوذية ، فقد نزعته إلى تمجيد الخير بكل صورته والدعوة إلى الانعتاق من أغلال الدنيا وقيود الشر .

" أنا لأعرف برهماً إلا الفقير الذي لايشتهي شيئاً في حياته والمسامح الذي بكل براءة وطهارة ووداعة يتحمل السب واللعن والضرب وعذاب السلاسل الحديدية بكل صبر

ولطافة، والرحيم الذي لا يصرع حيواناً ضعيفاً ولا قوياً، والمستكين الذي إذا هوجم يظهر لهاجمه كل لطف ولا يقابله بالمثل والذي لا يحسد حاسديه يوماً على شيء " .

وكذلك أخي الدارس، أختي الدارسة، نرى البحث وراء الخير والشر جزءاً من عقيدة زرادشت - وأن الصراع دائم بين إله الخير وإله الشر - وأن الخير هو سلوك سبل الفضيلة لمساعدة إله الخير لينتصر على إله الشر .

وحسب ما ورد في تعاليم كونفوشيوس، فقد كان الصينيون من أول الشعوب التي بحثت في الأخلاق بحثاً فلسفياً نظرياً مجرداً:

وكانت تعاليم كونفوشيوس تنادي إلى تقديس الواجب وجعله مقياس السلوك، وأن الخير في اتباعه والشر في إهماله، ويرى أن الفضيلة العليا في انتشار المحبة بين الناس وسيادة العدل والمساواة بينهم .

أما عند الإغريق، فحسبنا أن نشير إلى أن سقراط فيلسوف اليونان وحكيماها قدس المعرفة وجعلها هي الفضيلة، وقد مهد له أتباعه الهرب من سجنه بعد أن حكم عليه بالموت، فأجابهم في كبرياء بأن لا سبيل إلى ذلك وأنه ليس من الأخلاق أن يفر من قوانين أثينا . وأما أفلاطون فهو صاحب المدينة الفاضلة الذي يرى أن الفضيلة العليا هي فضيلة العدالة التي يعنى بها توازن القوى النفسية وتعادلها بحيث تكون القوى الغضبية والشهوية وقوة العقل في تعادل، تام فينشأ عن اعتدال العقل الحكمة وعن اعتدال قوة الغضب الشجاعة وعن اتزان القوة الشهوية العفة ومجموع التوازن الحاصل هو العدالة المؤدية إلى السعادة المتمثلة بمعرفة عالم المثل وثقيف النفس بشتى الفنون والمعارف . بينما ركز أرسطو على جعل مقياس السلوك هو التزام الوسط في كل شيء فنأدى بنظرية " الفضيلة الوسط بين رذيلتين " ورفض الفضيلة الحزينة المحرومة من طيبات الحياة، وقرر أن الخيرات الدنيوية جديرة أن تكمل الفضيلة المجردة وتزيدها كمالاً على كمال، وقد ألف كتاباً شهيراً في الأخلاق أسماه " علم الأخلاق إلى نيقوماخوس " وقام بترجمته إلى العربية الأستاذ " أحمد لطفي السيد " . وكانت بعد هؤلاء مدارس ذهبت في الأخلاق مذاهب شتى، حتى وصل الأمر إلى القرون الوسطى حيث كانت تعاليم الأخلاق فيها خاضعة للقاعدة الأساسية القائلة: " إن تعاليم الأخلاق وما بعد الطبيعة قد جاءت كاملة من عند الله بالوحي والكتب المقدسة وليس وراء ذلك مجال للبحث العقلي " فالأخلاق في ذلك العصر مستمدة من تعاليم الدين فقط .

إن وظيفة علم الأخلاق هي وضع المثل العليا للسلوك الإنساني، وإيجاد مقياس للحكم العقلي يمكن الإنسان من التمييز بين الخير والشر، ولا يدخل في بحثه إلا السلوك الذي يصدر عن العقلاء من الأحياء بمحض إرادتهم ووحى تفكيرهم، ويتناول أفعالهم الإرادية من حيث هم بشر لا من حيث إنهم يعيشون في بيئة معينة أو يخضعون لظروف خاصة أو يعتقدون ديناً بعينه، بل يدرس السلوك الإنساني حسب القواعد التي وضعها دون تقييدها بزمان ولا مكان ولا إنسان بعينه. علماً بأنه مما تجدر الإشارة إليه أن المعايير والمثل العليا التي صاغها علماء الأخلاق تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والمعتقدات التي يلتزم بها الإنسان والأمم، فنجد أن بعض ما كان من المثل العليا قبل الميلاد يختلف تمام الاختلاف عما هو بعد الميلاد وعما هو عليه الآن، وكذلك فإن معايير ومقاييس الأخلاق في الجاهلية تختلف عن معايير ومقاييس الأخلاق في الإسلام. علماً بأن الإسلام أبقى على بعض أخلاق الجاهلية وألغى ما لا يتفق والدين الإسلامي. ولما كان للإنسان غرائز متضاربة إذ هو جسد وروح، وشهوة وعقل فقد تتعارض مطالبه ومطالب المجتمع، ترى ما الذي يضع للإنسان القواعد الأخلاقية السليمة؟ وما الذي يحدد له سلوكه السليم؟

أهو القانون؟ أم الفلسفة الأخلاقية؟ أم الدين؟

إن القانون وحده لا يكفي لضبط السلوك الإنساني، إذ كثيراً ما يلجأ الإنسان إلى التحايل على نصوصه ويطوعها لأهوائه الشخصية (القرضاي، الإيمان والحياة ص 206).
كما أن الفلسفة الأخلاقية لا تغني فهي متضاربة حيث إن كل فيلسوف له مذهب وكل مذهب فلسفي له مقياس.

أما الدين السماوي فللأخلاق منزلة رفيعة فيه، ذلك أنه من المحال أن تعمر الحياة ويطمئن الناس إذا كانت الأوامر الإلهية تدعو إلى الشرور والآثام، فإن بدهة العقل تقضي أن الشرور تؤدي إلى المفسد، والمفاسد لا يمكن أن تؤدي إلى قيام مجتمع فاضل فضلاً عن إظهار الفرد السوي الفاضل، فإن الفساد والفضيلة ضدان لا يجتمعان بحال.

ومادامت الرسائل السماوية واحدة في أصلها، ومرسلها واحد هو الله سبحانه، فمن المحال أن تختلف رسالة عن أخرى، ومادام القرآن الكريم هو آخر الرسائل السماوية وجماعها، وفيه ذكر الرسائل السابقة، فإننا يمكن أن نقبض منه المبادئ الأخلاقية التي

أرادها الله للناس جميعاً دون تمييز بين أمة وأمة ولا بين زمان وزمان، ويكفي أن نشير هنا إلى الوصايا التي ذكرها القرآن الكريم يوصي فيها لقمان ابنه بجماع الفضائل كلها، كما أن الأنبياء جميعهم بعد أن أمروا أقوامهم بتوحيد الله سبحانه وعدم الإشراك به، نبهوهم إلى أسباب الحياة الرغدة السعيدة الآمنة المطمئنة، وأنها تكمن في الفضائل والأخلاق الحميدة، وأن الفساد في الكون نابع من الرذيلة والفجور بجميع صورهما، وأن الأقوام السابقة كانت تتعرض للهلاك بسبب ارتكابها رذيلة واحدة.

والدين الإلهي يدعو إلى مكارم الأخلاق ويرسي قواعدها ويحدد معالمها ويضبط مقاييسها الكلية ويضع الأمثلة للكثير من جزئيات السلوك ويغري بالاستقامة ويحذر من الانحراف ويضع الأجرية مثوبة وعقوبة. فالدين يغذي الأخلاق وينميتها وينعشها كما يغذي الماء الزرع، فهو المصدر الفذ المعصوم الذي يعرف حسن الأخلاق من قبحها، وهو الذي يحد من أنانية الفرد ويكفكف من طغيان غرائزه وسيطرة عاداته ويخضعها لأهدافه ومثله ويربي فيه الضمير الحي الذي على أساسه يرتفع صرح الأخلاق، فهذا دور كايم يعدّ الأخلاق مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالدين، وأن الدين يقوم بوظيفة اجتماعية متممة للأخلاق تتمثل في إحلال الطمأنينة بين أفراد المجتمع والحيلولة دون تشتت ذلك التماسك بين أفرادهِ. ويؤكد هذا الكلام الأثر الذي تركته قواعد الدين في صياغة الحياة الأخلاقية في بلاد اليونان في القالب الذي وجدت فيه (الخطيب، عمر عوده، المسألة الاجتماعية ص6) ويرى الدكتور دراز أن الدين والأخلاق في أصلهما حقيقتان منفصلتان النزعة والموضوع، ولكنهما يلتقيان في النهاية ذلك أن الدين من حيث هو معرفة الحق الأعلى وتوقيره والخلق من حيث هو قوة النزوع إلى فعل الخير وضبط النفس عن الهوى.

فأمامنا حقيقتان مستقلتان، تختص الأولى بالفضيلة النظرية والأخرى بالفضيلة العملية. وقوة الإلزام في القانون الديني أقوى من إلزام قواعد الأخلاق بل أقوى من سائر القوانين المنظمة لعلاقات الأفراد والشعوب، حيث اتباع الفضائل صورة من الطاعة لأوامر الدين وباب من أبواب القربات والعبادات الإلهية، فضلاً عن كونه تحقيقاً لمبدأ العدالة الإنسانية وتلبية لداعي الفطرة السليمة. (دراز، الدين، ص65) وإذا نظرنا إليها من الناحية الواقعية فإننا لا نرى الصلة بين الدين والأخلاق تبلغ هذا الحد من التشابك والتعاقب لا في مبدأ نشأتها في نفس الفرد ولا في دور تكونها في قوانين وقواعد مقررة في المجتمع.

ففي الفرد نجد أن الشعور الأخلاقي أقوى في نفسه من الشعور الديني وأما في المجتمع فإن امتزاج القوانين الدينية بالقوانين الأخلاقية تراه لا يجري على سنن واحدة في العصور والبيئات المختلفة؛ إذ ظهرت في التاريخ مذاهب دينية لا تعنى بالناحية العملية الاجتماعية بل كثيراً ما تجعل الفرد ينطوي على نفسه .

على أنه ولا بد من الإشارة هنا إلى، أن الأخلاق المستمدة من الكتاب السماوي هي أخلاق ثابتة لا تتغير ولا تتبدل ولا تتأثر بمؤثرات المجتمع في أي زمان وأي مكان، وهي خاضعة لأوامر الدين فقط وليس للعقل أو العادة أي تأثير فيهما، ولذا فقد حفلت الكتب السماوية وأحاديث الرسول محمد [بمجموعة من المبادئ والقوانين الأخلاقية الثابتة المنظمة للفرد والمجتمع على السواء .



تدريب (2)

العلم سلاح ذو حدين فهو يستعمل للبناء والتعمير وقد يستعمل للهدم والتدمير . من الذي يوجه العلم برأيك الدين . . . أم الأخلاق . . . ولماذا ؟

3.3.2 الفرق بين الدين والفلسفة

أخي الدارس، أختي الدارسة :

كلمة فلسفة من الألفاظ اليونانية وتعني (محببة الحكمة) وهي تطلق على العلم بحقائق الأشياء وكنهها . وكانت تشمل العلوم بمجالاتها المتعددة، غير أن هذه العلوم انفصلت عن الفلسفة واحداً تلو الآخر .

عرفها هنتر ميد بأنها: " محاولة دقيقة منظمة للربط بين الكون والحياة البشرية " وهدفها كشف طبيعة هذا الكون وعلاقتها به وما ينتظرنا فيه وذلك لغرض مزدوج هو إرضاء عقولنا في سعيها لإشباع حب استطلاعها وقلوبنا في سعيها إلى إضفاء أكبر قدر ممكن من الدلالة والقيمة على الحياة البشرية (هنتر ميد، الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ترجمة زكريا، د. فؤاد ط3 ص21) فمطلب الفلسفة هو معرفة أصل الوجود وغاياته ومعرفة سبل السعادة الإنسانية في العاجل والآجل، وهذان الموضوعان هما موضوعا الفلسفة بقسميها العلمي والعملية .

لقد حيرت الإنسان الأسئلة التالية: وحاول الإجابة عنها ووضع لها الحلول التي اعتقد أنها من أفضل الحلول مهما كانت جيدة أو رديئة أو مقبولة، ثابتة أو متحولة، هذه الأسئلة هي: ما العالم؟ ما الإنسان؟ من أين جاء؟ من صنعهما؟ من يدبرهما؟ ما هدفهما؟ كيف بدأ؟ كيف ينتهيان؟ ما الحياة؟ ما الموت؟ ما القانون الذي يجب أن يقود عقولنا في أثناء عبورنا في هذه الحياة الدنيا؟ أي مستقبل ينتظرنا بعد هذه الحياة؟

السؤال الذي يتبادر إلى الذهن هو: أليس موضوع الفلسفة هو نفسه موضوع الدين؟ بلى، فكما أن معرفة أصل الوجود وغايته ومعرفة سبيل السعادة الإنسانية في العاجل والآجل هما موضوعا الفلسفة، فهما أيضاً موضوعا الدين بمعناه الشامل للأصول والفروع (دراز، الدين، ص 59).

لكنهما إن اتحدا في الغاية - الإجابة على تلك الأسئلة - فليس بالضرورة أن يتفقا في النتائج، غير أن المذاهب الفلسفية اختلفت فيما بينها في إعطاء الحلول لمسائل موضوعاتها، وإن أدى هذا الاختلاف إلى نتائج متقاربة أحياناً وأحياناً متباعدة، فمثلاً نجد أن هذا التباعد بلغ أشده بين الفلسفات المادية الإلحادية والفلسفات الإيمانية الروحية.

ولقد بحث علماء الاجتماع في نشأة الفلسفة وعلاقتها بالدين حيث انقسم هؤلاء العلماء إلى فريقين: -

الأول: يرى أن نشوء الفلسفة كان بداية التدين.

الثاني: يرى أن الدين سابق على الفلسفة.

ومهما يكن من أمر نشأة الدين و الفلسفة وأيهما أسبق من الآخر فإن الفلسفة منذ ظهورها ظلت تتبع الدين، بل إن بعض العلماء جعلها توأم الدين الذي لا ينفصل عنه نظراً لتداخل موضوعاتهما.

ويرى بعضهم أن الفلسفة تستلهم مادتها الأساسية من الموروث الديني وأنها استعارت الكثير من المصطلحات الدينية مما أدى إلى صعوبة الفصل بينها وبين الدين، غير أننا نرى أن هناك فروقاً بين الدين والفلسفة، وإليك بعض الفروقات بينها على مستويات أربعة هي: الموضوع، المنهج، الأسلوب، الهدف.

أ. الموضوع: تشترك الفلسفة مع الدين في كثير من موضوعاتها وتلتقي معه في أغلب المصطلحات مثل: أصل الإنسان، والعلم، والخلق، وعلاقته بالكون، والألوهية، وخلود النفس، وحرية الإرادة.

وتنفرد الفلسفة ببعض الموضوعات مثل موضوع المعرفة وكيفية تحصيلها، والنظر العقلي، مدى كفاءة العقل البشري في تحليل العلاقات الكونية.

بينما يستقل الدين ببعض الموضوعات العملية كالشعائر والعبادات والمعارف النقلية كالعلم بالذات الإلهية واليوم الآخر.

ب. المنهج: تعتمد الفلسفة التحليل العقلي والنظر العلمي الفاحص المدقق لتصل إلى الاستنتاج وفق قواعد منطقية دقيقة.

بينما يعتمد الدين على الإيمان المسبق بموضوعاته لأنها تصدر عن الوحي والإلهام، على أن الدين يستعمل العقل في حدود وإذا تعارض العقل والنقل معاً نرجح النقل والنص الديني مع العلم أن الدين الحق لا يختلف مع العقل السليم ولا يهمله بل يحض على استعماله.

ج. الأسلوب: تتخذ الفلسفة جانب الحذر والشك تجاه أي فكرة مهما كانت بديهية، ويتجنب الفيلسوف التسليم بصدق أي مسلمة إلا بعد الفحص والتمحيص، بينما يبدأ الدين بالتسليم بمسلمات عقائدية وحقائق إيمانية مصدرها الوحي ولا سبيل للشك فيها، مما يطمئن الإنسان ويقيه من الصراعات النفسية.

د. الهدف: الهدف الرئيس للفلسفة هو المعرفة والنظر العقلي البحث ولن يتوقف العقل عن النظر عند حد معين؛ بل يجعل الكون الظاهر بما فيه وما وراءه مجال بحثه وموضوع التأمل والتدبر، بينما يريح الدين العقل من البحث فيما وراء الكون ويوجب عليه البحث في هذا الكون الظاهر.

والفلسفة لا تحتوي على الجانب العملي الموجود في الدين الذي هدفه الإيمان والعمل بناءً عليه حتى يصل الإنسان إلى الطمأنينة والسكينة والرضا.

ذلك أن غاية الفلسفة نظرية حتى في قسمها العملي، وغاية الدين عملية حتى في جانبها العلمي، فأقصى مطالب الفلسفة أن تعرفنا الحق والخير معاً ماهما وأين هما؟ أما الدين فيعرفنا الحق لا نعرفه فحسب بل لنؤمن به ونحبه ونمجده، ويعرفنا الواجب لنؤديه ونوفيه وتكمل نفوسنا بتحقيقه.

ولا يغيب عن بالنا أن الفلسفة في كل صورها عمل إنساني يتحكم فيه كل ما في طبيعة الإنسان من قيود وحدود وتدرج بطيء في الوصول إلى المجهول وقابلية للتغير والتحول وتقلب بين الهدى والضلال، واقتراب أو ابتعاد عن درجة الكمال.

أما الأديان السماوية فإن لها كل ما للإلهيات من ثبات الحق الذي لا تبديل لكلماته وصرامة الصدق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ثم هي تصل إلى حاملها من غير كد ولا تعب عقليين .

والآن أخي الدارس، أختي الدارسة :

بعد أن تعرفتم مفهوم الدين والفرق بينه وبين العلم والأخلاق والفلسفة حاولوا أن تقوموا معرفتكم هذه بالإجابة عن الآتي :



نشاط (3)

ارجع إلى كتاب الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي لمؤلفه الدكتور محمد البهي وقرأ فيه من ص 287-304 ولخص علاقة الدين بالفلسفة بأسلوبك الخاص وناقشه مع زملائك ومشرفك الأكاديمي .



أسئلة التقويم الذاتي (1)

السؤال الأول : ضع علامة صح أو خطأ إزاء كل جملة من الجمل التالية :

أ . يختلف تعريف " الدين " في الاصطلاح باختلاف معتقدات الناس وأهوائهم ، ولذا فمن الصعب إيجاد تعريف شامل يجمع كل الأديان .

ب . من الحقائق الثابتة عند العلماء أن العلم وحده كفيلاً بسعادة البشرية ، ويمكن الاستغناء عن الدين بتقديم العلوم والحضارة والمدنية .

ج . يمكن القول إن معايير الأخلاق والمثل العليا واحدة بين الأمم وعند كل الشعوب .

د . ذهب العلماء إلى أن مواضيع الفلسفة الرئيسة هي عينها مواضيع الدين بمعناه الشامل غير أنهما إن اتحدا في الغاية فليس بالضرورة أن يتفقا في النتائج .

السؤال الثاني : بما لا يزيد عن بضعة أسطر تحدث عن المعنى الاصطلاحي لكلمة " دين " وافرّق بين معناه عند علماء الغرب ومعناه عند علماء المسلمين .

السؤال الثالث : اضرب أمثلة للحقيقة القائلة بأن كل الأمم والشعوب لها أخلاق تنظم حياتها وتحكم علاقاتها بعضها ببعض .

السؤال الرابع : فرّق بين الدين والفلسفة من حيث : الموضوع ، والمنهج ، والأسلوب ، والهدف .

3. الدين والفضرة

أخي الدارس ، أختي الدارسة :

نتناول في هذا القسم من الوحدة مفهوم الفطرة لغة وأصطلاحاً ونزعة التدين وأصالتها .

1.3 مفهوم الفطرة

أ. المعنى اللغوي/ جاء في لسان العرب لابن منظور مادة (فَطَرَ) ما يلي :

فطر الشيء : شقه

تفطر الشيء : تشقق

الفطر : الشق

قال تعالى : ﴿ إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴾ أي تشققت (الانفطار : 1)

وفطر الله الخلق يفطرهم : خلقهم وبدأهم .

الفِطْرَة : الابتداء والاختراع

الفِطْرَة : هي الخلقة أي ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به . وفي التنزيل العزيز :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (فاطر : 35) قال ابن عباس - رضي الله عنهما - :

ماكنت أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى أتاني أعريبان يختصمان على بئر فقال

أحدهما أنا فطرتها أي أنا الذي ابتدأت حفرها (ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص57، مادة فطر)

وقال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ

اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (الروم: 30) وقال رسول الله [" كل

مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه " (ابن كثير القرشي، تفسير القرآن

الكريم، ج1 ط1 مكتبة النهضة الحديثة ص45 متفق عليه) .

ب. المعنى الاصطلاحي

لقد فطر الله الإنسان وخلقه وزوده بصفات كثيرة، فهو المميز بالعقل وبالنطق عن

سائر الحيوانات، وله حاجات عضوية وله دوافع توجه سلوكه، وله غرائز فطرية ولد وهو

محبوب عليها، وله ميول . ولقد فسّر ابن عطية كلمة الفطرة في الآية الكريمة أن الله سبحانه

وتعال خلق قلوب بني آدم مؤهلة لقبول الحق كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلة للمرئيات

والمسموعات (القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم، ص29) وقال ابن الأثير في تفسير الفطرة أيضاً

بأنها الحالة كالجلسة والركبة ، والمعنى أن الإنسان يولد على الجبلية والطبع المهيب لقبول الدين فلو ترك عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها ، وقيل معناها أن كل مولود يولد على معرفة الله والإقرار به فلا تجدد أحداً إلا وهو يقر بأن له صانعاً وإن سماه بغير اسمه . (ابن الأثير ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ص 457) .

والفطرة نوعان :

الأولى : فطرة المولود : فإذا ولد الولد لأبوين يهوديين هوّده في حكم الدنيا أو نصرانيين نصرّاه في حكم الدنيا أو مجوسيين مجسّاه في حكم الدنيا وكان حكمه حكم أبويه حتى يعبر عنه بلسانه فإن مات قبل بلوغه مات على ما سبق له من الفطرة التي فطر عليها فهذه فطرة المولود (ابن منظور ، لسان العرب ، ص 58) .

الثانية : فطرة الدين : وأما الكلمة التي يصير بها العبد مسلماً وهي الشهاداتان فتلك الفطرة للدين .

2.3 نزعة التدين وأصالتها

أخي الدارس ، أختي الدارسة :

إذاً لو ترك الإنسان على حاله لتاقت نفسه (بالفطرة) إلى معرفة خالقها أي بالغريزة وهي غريزة التدين التي ينشأ عنها ميل أو شعور بالحاجة إلى قوة أقوى من الإنسان ، وهذا الشعور ينشأ عنه فعل هو التعلق بشيء تتمثل فيه القوة سواء كانت هذه القوة خيرة أم شريرة . (الخطاط ، المجتمع المتكافل في الإسلام ، ص 35) وهذا ما يفسر تدين الإنسان عبر العصور المتتالية حيث عبد النجوم والحيوانات ، وعبد الآلهة التي صنعها بيديه وقرب لها القرابين . فالتدين فطرة في الإنسان ، بل هو جزء من كيانه ووجوده مثل بقية الغرائز . التي تتكون فيها النفس كغريزة الجنس وحب البقاء والطعام والشراب (الزحيلي ، تاريخ الأديان ، ص 28) .

لقد ظن البعض أن فكرة التدين من اختراع أفراد لهم مصالح خاصة في السيطرة على الأرض أو على الناس . وبعد الدراسات المستفيضة من قبل علماء التاريخ والآثار والاجتماع ثبت أن هذه الفكرة أقدم في المجتمعات من كل حضارة مادية وأنها لم تقم على خداع الرؤساء وتضليلهم للشعوب أو من اختراع الدهاة . ولم تركز على أسباب طارئة أو ظروف خاصة بل كانت تعبر عن نزعة أصيلة مشتركة بين الناس عامة ، إذ استحسّن بعضهم أن يسميها غريزة دينية ، فهذا لاروس يقول عنها : إن الغريزة الدينية مشتركة بين

كل الأجناس البشرية حتى أشدها همجية وأقربها إلى الحياة الحيوانية، وإن الاهتمام بالمعنى الإلهي بما فوق الطبيعة هو إحدى النزعات العالمية الخالدة للإنسانية (دراز، الدين، ص 84) وليس أدل على ذلك أنه لم تخل أمة على وجه الأرض ومنذ عهد الإنسان بالحياة من عقيدة أو دين (الجزائري، عقيدة المؤمن، ص 25) بل وجدت أمم كثيرة من غير فنون ولا مصانع ولكنها لم تخل من نظرات دينية أو عبادات راقية أو بدائية. كما يستحيل أن تتلاشى فكرة الدين لأنها أرقى ميول النفس وأكرم عواطفها، ففطرة التدين ستلاحق الإنسان ما دام ذا عقل يعقل به الحسن والقبح، وستزداد فيه هذه الفطرة على نسبة علو مدركاته ونمو معارفه (وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، مادة فطر).

ولكن لماذا هذا الميل كله؟

للإجابة عن هذا السؤال عزيزي الطالب دعنا نتفحص النفس الإنسانية التي خلقها الله سبحانه وتعالى مع الأستاذ محمد قطب في كتابه دراسات في النفس الإنسانية إذ يقول: الدين من صميم الفطرة فمن صميم الفطرة أن تحس بالله على نحو من الانحاء (قطب، دراسات في النفس الإنسانية، ص 211).

ولنأخذ مثلاً على ما أوردناه من حوار دار بين رجل من العامة وبين الإمام جعفر الصادق، حيث سأل الرجل جعفر الصادق عن الله، فأجابه الإمام: ألم تتركب البحر؟ قال السائل: بلى، قال جعفر: فهل حدث لك مرة أن هاجت بكم ريح عاصفة؟ قال السائل: نعم، قال جعفر: وانقطع أملك من الملاحين ووسائل النجاة؟ قال السائل: نعم، قال جعفر: فهل خطر في بالك وانقذ في نفسك أن هناك من يستطيع أن ينجيك إن شاء؟ قال: نعم، قال: فذلك هو الله. (الزحيلي، تاريخ الأديان، ص 29).

هذا يؤكد أن التدين والتوجه إلى الله فطري في الإنسان، وأن التخلي عنه هو انحراف عن الفطرة وشذوذ في التصرف والتفكير، فإن من الثابت تاريخياً أن فكرة التدين لم تخل منها أمة من الأمم قديمها وحديثها، وإن الإنسان ينزع بما هيء فيه من إحساس بالعجز والرغبة من المجهول، وعدم وصوله إلى حل الأسئلة التي تلح عليه إلى البحث عن قوة خارقة أقوى منه ليأمنس بها ويطمئن بالركون إليها فيهدأ روعه ويذهب خوفه بالتقرب إلى هذه القوة وتقديم فروض الطاعة والولاء لها.

وللفطرة طريق خفيه في إدراك وجود الله والإيمان بوجوده والاتصال به والاستعانة به والتزود من زاده، إننا لا نتحدث عن تلك الطريق الخفية وإنما نتحدث عن بعض المسائل

المدركة التي توقظ الفطرة الكامنة وتوجهها إلى الله .

إن القدرة على النطق كامنة في كيان الطفل ولكنها تحتاج إلى معرفة خارجية لإيقاظها وكذلك فقدرة الفطرة على الاهتمام لوجود الخالق كامنة في داخلها ولكن أموراً خارجية توقظها وتحركها وتنميتها .

إن احساس الانسان بالعجز أزاء الكيان الكوني من حوله من لحظة ولادته إلى مماته سواء أكان العجز عن تحقيق كل ما يريد تحقيقه أو معرفة كل ما يريد معرفته أو العجز أمام رغبة الخلود أو معرفة الغيب الذي لم يحدث له . أضف إلى ذلك الإحساس بالرهبة إزاء روعة الكون الواسع الفسيح الأبعاد، إذ مهما بلغ الإنسان من العلم والثقافة والمدنية والترقي فالكون يوقع على حسه توقعات شتى تناسب مداركه ومعلوماته . وفي كل حالة يروعه ويهزه من الأعماق، ذلك الكون وذلك العجز والموت فيبحث عن خالق، وبهذا يدرك بالفطرة أن كل شيء له صانع . وقد يهتدي وقد يضل وفي كلتا حالتيه تكون هذه الروعة لديه عنصراً من عناصر الدين (قطب، دراسات في النفس الإنسانية، ص 220).

تلك العوامل توقظ العقيدة الكامنة في صميم الفطرة، توقظها ولكنها لا تنشئها إنشاءً من لاشيء، كما أن الأصوات التي تحدث في الكون ليست هي التي تنشئ القدرة على السمع فهي موجودة سواء سمعها الإنسان أم لا فهي موجودة ومع ذلك لا تسمعها الكائنات غير ذوات الأذان .

إن إحساس الإنسان الفطري بضالته إزاء قوة الخالق وإحساسه بالروعة والجلال وإحساسه بأنه مأخوذ بمظاهر القدرة المختلفة هو الذي يجعله يختر ساجداً فيتعبد (قطب، دراسات في النفس الإنسانية ص 225) وبذلك يعيش في طمأنينة نفسية لا مثيل لها فهو لا يتحسر على الماضي ولا يلقي الحاضر جازعاً ولا يواجه المستقبل خائفاً من غموضه قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾ (الانعام: 82) .

فالمؤمن آمن على رزقه وعلى أجله ولا يخاف من الموت، يحيى على الأمل ذي القوة الدافعة التي تشرح صدره للعمل وتبعده عن اليأس والقنوط الذي يركن به إلى صراعات النفس التي تهوي به إلى مغبة الضلال .

ولما ابتعد الإنسان عن الدين ازدادت مصائبه ومحنته وعظم الخطب واشتد عليه، فأصبح في تمزق شخصي وهبوط نفسي كاد يفقد معهما طعم الحياة، فألف الكذب والغدر والخيانة وتعود الجريمة والخداع، فساءت المجتمعات البشرية وهبطت فيها الحياة حتى صار

العقلاء منددين بالكفر والإلحاد مطالبين بالرجعة إلى الدين والإيمان حيث تهذب النفوس والمشاعر (الجزائري، عقيدة المؤمن، ص25).

وبهذا نجد أن التدين يشبع نهم العقل في توفقه إلى المعرفة الحقة، وكذلك العواطف الإنسانية النبيلة التي لاتجد ضالتها ولا تدرك غايتها إلا في الدين، كما أنه ضروري لتكميل قوة الإرادة في الإنسان حيث يمدها بأعظم البواعث والدوافع ويدرعها بأكبر وسائل المقاومة لعوامل اليأس والقنوط، وبذلك نستطيع أن نقول بأن الإنسان متدين بطبعه، بل هو حيوان متدين بطبعه (دراز، الدين ص10).



نشاط (4)

أخي الدارس، أختي الدارسة: أرى من المفيد أن تقرأ كتاب تاريخ الأديان / د. محمد الزحيلي و د. يوسف العث و خاصة فيما يتعلق بالإيمان وسكينة النفس وأثر ذلك في الإيمان. من ص 44-78 وكذلك كتاب مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام للدكتور عوض الله حجازي من ص 22-53 وتلخص ما قرأته بأسلوبك وتناقشه مع زملائك والمشراف الأكاديمي.



تدريب (3)

وازن بين الدين والفلسفة من حيث أسلوب البحث وأثر ذلك على الفرد من الناحية النفسية.

4. آراء علماء الاجتماع والنفس في نشأة الدين ونقدها

1.4 توطئه

الإنسان هو ذلك الكائن الحي المكون من جسم وعقل ومشاعر، مخلوق ذو دوافع فسيولوجية - فسيولوجية تعني علم وظائف الأعضاء في الجسم - وحاجات، وله إمكانيات محدودة، ومن طبيعته القدرة على استعمال اللغة وابتكار الرموز، واستطاع بهذه القدرة أن يتعامل مع المفاهيم المجردة والمشاعر الإنسانية، وهو لا يستطيع العيش منفرداً لذلك كان لابد له من الاجتماع والعيش في جماعة أو جماعات حتى يكتمل بذلك الوجود الإنساني .

وحاول العلم دراسة هذا الإنسان من جميع جوانبه، ومن بين هذه الجوانب مسألة الدين عنده وتطورها ونشأتها وتأثيرها على الفرد والمجتمع . وقد ظهر رأيان أساسيان حول نشأة الدين عند الإنسان .

الرأي الأول يقول : إن الأديان منظمات مستحدثة وأعراض طارئة على البشرية . ولقد بينت شواهد التاريخ والدراسات النفسية والاجتماعية خطأ هذا الرأي حيث إن التدين ظاهرة عامة يشترك فيها الناس جميعها، ولم تخل منها أمة من الأمم لافي القديم ولافي الحديث (الجزائري، عقيدة المؤمن، ص25) .

الرأي الثاني يقول : إن الدين كان موجوداً منذ بدء الخليقة بأشكال مختلفة ولدوافع متعددة، وقد مر الدين - في نظرهم - بمراحل مختلفة، كل مرحلة تتميز عن سابقتها بتطور المعارف الإنسانية . على أن نشأة الدين في المراحل جميعها كانت للحماية من الظواهر الطبيعية أو الحيوانات أو لكسب منافع تعود على الفرد والمجتمع بالخير .

وقد أسهم انتشار نظرية داروين - نظرية التطور - وإيمان بعض علماء الأديان بهذه النظرية إلى ظهور نظرية التطور الدينية، ونادت بها أربع مدارس كل مدرسة منها لها رؤية خاصة في نشأة الدين وهذه المدارس هي :

1. المدرسة الفيلولوجية : (علم اشتقاق اللغة) وعلى رأس هذه المدرسة ماكس مولر حيث يرى أن عبادة الظواهر الطبيعية وتشخيصها هي منشأ الأديان فهو يقول : " إن مظاهر الطبيعة أول ما استرعى انتباه الإنسان الأول ودهشته عندما نظر إلى الكون، ولشدة نفوذها وتأثيرها في نفسه نبهت فيه فكرة التدين فعبد الطبيعة وأنشأ حولها الأساطير " (الهاشمي، تاريخ الأديان وفلسفتها، ص 56) .

2. المدرسة الأنثروبولوجية: (علم دراسة ثقافات الشعوب) وتعتمد في دراستها على تفسير معتقدات الأقوام البدائية، وترى أن عبادة الروح هي منشأ الأديان. وأحد أعلام هذه المدرسة تايلور يقول إن حالات النوم واليقظة هي التي نهت البشر للروح فالنوم هو ترك الروح للجسد لمدة مؤقتة، والموت هو ترك الروح للجسد للأبد، والأرواح التي فارقت أجسادها تظل هائمة وربما تحل في أجساد أخرى، وقد لوحظ الإنسان وهو في حالة الموت - النزاع - عندما تخرج منه الروح أن هناك قوة خفية قد فارقت، هذه الروح إما طيبة أو شريرة، وعندما تحل في جسد آخر فهي تؤثر فيه إما خيراً إن كانت طيبة أو شراً إن كانت خبيثة، لذلك حاول الإنسان إرضاءها بعبادتها وتقديم القرابين لها.

3. المدرسة الثالثة: تقول أن فكرة التآليه - وجود إله - سبقت أفكار الروحية والطبيعية وبتزعمها " لانج " وتتلخص هذه الفكرة فيما يلي:
أ. أن كل إنسان فيه فكرة العلية، وهذه الفكرة هي التي تكون العقيدة وأن هناك صانعاً لهذا الكون.

ب. أن كل الأهالي القدماء حتى المتوحشين منهم يؤمنون بسيد وخالق بجانب عقائدهم البدائية الغربية حيث أثبت لانج عقيدة الإله الأكبر عند القبائل الهمجية في استراليا، وأثبت شريدر وبروكلمان فطرية التوحيد عند السامريين قبل الإسلام، كما أثبتا بالطرق العلمية أن عقيدة الإله الأكبر هي أقدم ديانة ظهرت في البشر. (دراز، الدين ص 107).

4. المدرسة الرابعة: التي ترى أن التدين بدأ بالخرافات والأوهام ثم تدرج في مفهومه إلى الوثنية والشرك، وتطور في دينه وعقيدته على مدى الأجيال والأزمان حتى وصل إلى عقيدة التوحيد التي هي آخر مرحلة في التطور والتدرج، فقد ظهرت عقيدة التوحيد عند أصحاب هذه المدرسة - وعلى رأسهم سبنسر وفريزر ودوركايم - متأخرة بالقياس إلى ظهور الوثنية والشرك، وبعد توسع مدارك الإنسان وتقدم الناحية العلمية والصناعية والحضارية بشكل عام - هذا التطور يثبت تطور العقيدة أيضاً، بمعنى آخر فقد ربط هؤلاء بين التخلف الاجتماعي والعقائد البدائية، فإذا زال التخلف تقدمت العقائد، وكلما ساد التخلف سيطرت العقائد البدائية وهكذا.

(د. حجازي، مقارنة الأديان، ص 48-50)

2.4 رأي علم الاجتماع في نشأة الدين

يعرف علم الاجتماع بأنه العلم الذي يدرس المجتمعات وكيفية تكوينها والروابط التي تربطها والظواهر الاجتماعية بأشكاله كافة، فهو علم ينصب على دراسة الظواهر الاجتماعية ويقرر أن المجتمع حقيقة متميزة من أفرادها، وأن ظواهره خاضعة لقوانين ثابتة كالظواهر النفسية والفيزيائية والبيولوجية. (مجمع اللغة العربية- القاهرة، المعجم الفلسفي، 1979، ص124).

وإذا كان علم الاجتماع خاضعاً لقوانين نفسية وفيزيائية وبيولوجية، فإن الدين أحد المظاهر الرئيسة المشكلة للمجتمع، وقد خضع لدراسة العلماء لبيان مدى تأثيره في المجتمع أفراداً وجماعات، ومدى علاقته بالتطور الحضاري والفكري.

وهنا نريد أخي الدارس، أختي الدراسة، أن نعرض لبيان كيفية نشأة الدين في نظر هؤلاء العلماء وقد تحدثنا في التمهيد عن المدارس التي بحثت موضوع الدين وعلاقته بالمجتمع، ولكن كيف نشأ الدين؟ وما عوامل نشأته؟.

وقبل الإجابة عن هذين السؤالين، لابد من القول إن نظرة الكتب السماوية في الإجابة عن هذين السؤالين تختلف عن نظرة علماء الاجتماع، فإن الكتب السماوية - ويمثلها هنا القرآن - تشير إلى أن الأمم منذ بدء الخليقة جاءت رسل تبليغ أوامر الله ونواهيه، فقد قال الله سبحانه وتعالى معلماً عن عموم إرسال الرسل للأمم: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر: 24). ويخبرنا الله سبحانه وتعالى أن الدين فطري في النفوس، وإن كل مولود يولد مهيأ لمعرفة الله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ﴾ (الروم: 30). وعلى هذا فبواعث الدين فطرية، والإنسان كما أشرنا سابقاً متدين بطبعه، دون اللجوء إلى القول بأن نزعة التدين جاءت نتيجة الخوف أو الرهبة أو البحث عن قوة عليا يتكئ عليها الإنسان عند مداومة المصائب والمشكلات له.

أما علماء الاجتماع فقد اتخذوا موقفاً بعيداً عن موقف الكتب السماوية، وبحثوا في نشأة التدين دون ربطه بالكتب السماوية، وإذا فعلوا ذلك فقد اختلفت تصوراتهم لنشأة الدين وأسباب هذه النشأة تبعاً لاختلافهم في الأسس التي اعتمدها واستندوا إليها، فمنهم من جعل الأوضاع الاجتماعية للأقوام البدائية هي الأساس لنشوء الدين، ويرى بعضهم أن مظاهر الطبيعة هي الأساس في هذه النشأة، ومنهم من رأى أن التدين فطري في الإنسان وأن النفوس مجبولة

عليه هذا وقد تعددت آراء العلماء في نشأة الدين فكانت في ثلاث نظريات :

1.2.4 النظرية الروحية .

2.2.4 النظرية الطبيعية .

3.2.4 النظرية الطوطمية .

وستحدث الآن عن هذه النظريات بشيء من التفصيل فنقول :

1.2.4 النظرية الروحية:

أو عبادة الروح فتعني أن الإنسان البدائي تخيل أن في الحيوانات شيئاً موجوداً غير الجسد المرئي، وهذا يسمى الروح، فحاول معرفة كنه الروح هذه ولكنه عجز. ولما رأى من مظاهر مفارقة الروح للجسد في حالتي النوم والموت وإنه لا يحس بما حوله في أثناء ذلك، وأنه في حالة النوم يرى نفسه في صور مختلفة وفي أماكن مختلفة مع أنه في مكانه وفي هيئته التي كان عليها، ثم إذ مات الإنسان توقف الجسد عن الحركة والتنفس، كل ذلك جعل الإنسان البدائي يعتقد أن قوة خفية غير محسوسة تختلف عن الجسد، وتتحكم فيه، ولها من الميزات ما ليس للجسد من سرعة الحركة، ولطافة المادة، وقوة النفاذ، والتأثير في الأجساد، واسباغ الطيبة أو الخبث على الإنسان، وهي قد تسبغ عليه البركة والصحة أو تجلب له التعاسة والمرض، واعتقدوا أن من يأتي بأعمال خارقة للعادة تساعد على ذلك روح من الأرواح الطيبة، وأن من يجن أو يصاب بالصرع أو مرض فإن روحاً خبيثة قد حلت فيه وأصابته بتلك المصائب. ولما رأى الإنسان ما للأرواح من تأثير، لا بد إذاً أن يلتمس رضاها بالتقرب إليها إن كانت طيبة، واتقاء شرها إن كانت خبيثة، والوسيلة إلى كلتا الحالتين هو عبادتها وتقديم القرابين لها، وتأدية شعائر الخضوع والاستكانة إليها إرضاء لها واتقاء شرها، وهكذا نشأت عبادة الأرواح التي انتقل من خلالها إلى عبادة أرواح الموتى ثم مظاهر الطبيعة ثم انتقل إلى الوثنية، فالشرك فالتوحيد كما وضح ذلك تايلور. (د. حجازي، مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام، ص 35).

2.2.4 النظرية الطبيعية:

واضع هذه النظرية هو ماكس مولر وهي نظرية تختلف تمام الاختلاف عن سابقتها، إذ ذهب واضعوها إلى أن نظريتهم تستند إلى المادة المرئية والمحسوسة، فقد ذهب ماكس مولر إلى أن الدين نشأ من التجربة، واستلهم أحكامه ونفوذه منها. يقول في ذلك: إن الدين بوصفه العنصر المنبثق من شعورنا، فإنه لكي يمثل مقامه يبدأ بتجربة محسوسة تستند إلى الحواس.

(د. حجازي، مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام، ص38). وذهب مولر إلى أن عبادة مظاهر الطبيعة سابقة على عبادة الروح وتؤكد كذلك من دراسته لأساطير الأقوام الهندية والأوروبية. ويقول أن مظاهر الطبيعة كانت أول شيء استرعى انتباه الإنسان الأول ودهشته، ولشدة نفوذها وتأثيرها في مجرى الكون، استجلبت انتباهه فنهت فيه فكرة الدين والتقرب إليها... فالشمس والقمر والماء ينزل من السماء... الخ كل هذه المظاهر ولدت في نفسه التضاؤل أمامها والشعور بالضعف حيالها، وهي متحكمة فيه وفي حياته، فخضع لها وحاول إرضاءها وذلك لا يكون إلا بالعبادة والتقرب. وهكذا نشأت فكرة الدين والتدين.

3.2.4 النظرية الطوطمية:

وملخص هذه النظرية أن الجماعات البشرية الأولى جعلت أحد الموجودات، حيواناً أو نباتاً أو جماداً شعاراً لها، اهتمت به فاجتمعت حوله فقدسته وعبدته. وكلمة طوطمية مشتقة من الكلمة اللاتينية (Totem) أي حيوان أو نبات أو جماد اتخذته جماعة من الناس شعاراً لها تلتف حوله، وتحتمي به، وتعتقد أن ثمة رابطة مقدسة تربطهم به، بل جعلوا الصلة التي تجمع بينهم لا تقوم على أساس الأبوة أو الأمومة أو العمومة أو وحدة الجد الأعلى، وإنما تقوم القرابة والرابطة بينهم على الطوطم الذي يجمعهم، فهو الذي يميز العشيرة أو القبيلة، وهو شعارها، وهو حامياها، ومنقذها وملجؤها. غير أننا لانستطيع معرفة سر عبادة الإنسان للطوطم، وما العلاقة بين هذا الطوطم حيواناً كان أم نباتاً أم جماداً وبين تقديس الإنسان له، ولذا فقد ذهب بعض العلماء إلى أن الطوطمية هي نظام اجتماعي سائد لدى الشعوب البدائية وليست ديناً. وذهب بعضهم إلى أنها دين فج معقد، وأن العقيدة الطوطمية تتضمن الاعتقاد بأن الإنسان والحيوان والنبات نشأت كلها من جوهر واحد.

وقد تبين لدوركايم من دراسة المجتمعات أن القوة الخفية التي أثرت في تكوين الأوضاع الاجتماعية هي الطوطمية.

كما يرى أن حقيقة التدين تأتي عند هذه الجماعات في مواسم خاصة تقام فيها الحفلات الصاخبة التي يطلقون فيها العنان لحركاتهم العنيفة وصيحاتهم المنكرة على إيقاع الطبول ولحن المزامير، حيث ينتهي بهم هذا الصخب إلى الذهول والبهتان، بل قد ينتهي إلى انتهاك المحرمات الجنسية التي يحترمونها أشد الاحترام في العادة. وربما نسبوا هذا التطور العجيب

إلى حضور سر الأجداد فيهم عن طريق هذا الطوطم، وعبادتهم للروح التي يرمز لها، ظناً منهم أنها هي التي أحدثت فيهم هذا التحول الروحي الغريب (د. دراز، الدين، ص 160).
والآن أخي الدارس، أختي الدارسة : اجب عن السؤال التالي :



تدريب (4)

لخص ابرز النظريات التي قدمها علماء الاجتماع في تفسير نشأة الدين .

3.4 رأي علماء النفس في نشأة الدين

أخي الدارس، أختي الدارسة :

يعرف علم النفس بأنه هو علم دراسة السلوك الإنساني الحي ودوافعه سواء كان هذا السلوك سلوكاً حركياً أم معرفياً أم وجدانياً، ويرى كثير من علماء النفس أن ظاهرة التدين عند الإنسان ظاهرة طبيعية لا بد منها، فهم يصرحون بأن معرفة الله ووجهه والخوف منه ضرورة لا بد منها للنفس الإنسانية، وأنه لا بد من مبدأ ديني أو أخلاقي يضبط الإنسان إذا أريد له أن لا تكون نفسه مسرحاً للصراع المحتدم والفوضى النفسية .

فالدين فعل إنساني خالص، نشأ في أعماق الإنسانية الأولى، إذ يرى أو جست كونت وجيوفان آند أن جرائم الشعور الديني موجودة لدى الحيوانات فحين تحس بالموت أو تشعر بنكبة كونية تتابها نزعة دينية غريبة .

والتدين عنصر ضروري لتكميل القوة النظرية - النظر العقلي - في الإنسان ولتكميل قوة الوجدان - الناحية العاطفية - فيه، كما أنه ضروري لتكميل قوة الإرادة والعزيمة وغيرها بأعظم الدوافع والبواعث وتحصينها بأكبر وسائل المقاومة لعوامل اليأس والقنوط (دراز، الدين، ص 100).

وقد ذهب فرويد إلى أن الإحساس الديني عند الإنسان هو النتيجة النهائية لعملية ديناميكية عقلية، تكمن بدايتها في اللاشعور بدافع من غريزتي الخوف والجنس، ويرى مكودجل وفلوجيل أن غريزة الخوف وحدها هي السبب في هذا الإحساس، وليس لغريزة الجنس أي شأن يذكر في هذا الصدد. (الزغبي، الإسلام ضرورة عالمية، ص 43) كما يرى بيير بوفيه أن الخوف والحب هما الأساس الرئيس لعاطفة الدين، وإنما مركزان في النفس البشرية، ومرتبطان ارتباطاً لازماً لغريزتي البقاء والتناسل. (جيب، بنية الفكر الديني في الإسلام، ص 29).

نخلص من ذلك كله إلى القول بأن علم النفس بمدارسه جميعها ذهب إلى أن التدين نزعة إنسانية أصيلة، تنشأ مع الفرد و تكبر معه بدافع ما، سواء أكان خوفاً، أم حباً أم غريزة جنسية أم قلقاً. . . . إلخ.

وقد ذهب بيرجسون إلى أن العقيدة الإلهية وهي مصدر الدين تقوم على عوامل نفسية ناتجة عن الشعور بالواجبات الاجتماعية التي تثيرها الحياة اليومية، و تأخذ أحد شكلين: الأول: يرتبط بالقوانين الأدبية التي يفرضها المجتمع بما فيه من عادات وأعراف وتقاليد. الثاني: يتعلق بالحوادث المستقبلية التي تقع تحت باب الاحتمالات والمصادفات ولا يمكن التنبؤ بها بشكل دقيق قاطع. (دراز، الدين، ص146). والملاحظ في جميع هذه الآراء وغيرها من آراء علماء النفس أنه يجمع بينها فكرة رئيسة مهمة هي أن الإنسان بحاجة إلى الاستقرار النفسي، وهذا الاستقرار النفسي لا يتم ولا يكون إلا بذهاب الخوف والقلق وبقيّة المشاعر التي تتاب النفس الإنسانية دون أن يدري صاحبها مصدرها وخصوصاً عند المصائب والكوارث والنكبات، حيث يشعر الإنسان حينئذ بوقوفه عاجزاً أمام قوة لا يدرك كنهها ولا حقيقتها، فيحاول التقرب إليها رجاء نفعها و خشية ضررها. . . ومن هنا نشأ الإيمان بقوة عظمى، بدأ بالتقرب إلى مظاهر الطبيعة ثم تطور مع الزمان إلى الأشكال المتنوعة من الدين. . . وفي هذا النظر.

ويشير الدكتور دراز إلى أن الدين ضروري لتكميل القوة النظرية في الإنسان، وتكميل قوة الوجدان عنده و تكميل قوة الإرادة أيضاً؛ فيه يجد العقل ما يشبع نهمته. والعواطف النبيلة إذا لم يجد ما يجعلها مستمرة، فلا معنى لها ولا قيمة، وبالدين تستمر هذه العواطف وتنضبط، وإرادة تستمد دوافعها وبواعثها من الدين لدفع اليأس والقنوط عن الإنسان، فالدين إذاً معبر عن حاجات النفس الإنسانية في مختلف ملكاتها ومظاهرها. (دراز، الدين، ص100) وعلى العموم، فإن الباحثين في نشأة التدين من علماء النفس انقسموا في هذا الموضوع إلى فرقتين كبيرتين تسييران في خطين متعاكسين ذهبت الفرقة الأولى إلى أن التدين، وعلى الأخص، فكرة الله، فطري في النفوس، وانتصر لهذه الفكرة جمهور من علماء الأجناس، وعلماء الإنسان وعلماء النفس، ومن أشهر هؤلاء لانج الذي أثبت وجود عقيدة " الإله الأعلى " عند القبائل البدائية في استراليا وآسيا وأفريقيا وأمريكا، ومنهم شريدر الذي أثبت وجود هذه العقيدة عند الأجناس الآرية القديمة، ومنهم بروكلمان، ولرواه وكاترفاج وشميدت. . . الخ الذين أثبتوا نظرية الدين عند الأقوام الأوائل.

وقد استند أصحاب هذه الفكرة إلى الحقيقة الوجودية الثابتة فلسفياً " فكرة الخلق أو الصنع " وأنها فكرة غريزية في باطن البشرية لا مناص من معرفتها واعتقادها . (النشأ، نشأة الدين، ص 31-32) .
وذهبت الفرقة الثانية إلى أن التدين وجد في المجتمعات الأولى بشكل عقائد بدائية ثم أخذ يترقى على مدى الأجيال بصور متعددة حتى وصل إلى كماله بنظرية التوحيد التي زعم بعض علماء هذه الفرقة أنها حديثة جداً وأنها وليدة عقل الجنس السامي .
ومن أشهر علماء هذه الفرقة : سبنسر ، وتيلور ، وفرويد ، وغيرهم ، فالدين عند هذه الفرقة من عمل الإنسان ، بينما هو عند الأولى يستدعي وجود حقيقة خارجية عن الإنسان . وهذه الحقيقة منفصلة عن الإنسان وعن الكون ، مباينة لهما ، وهذه الحقيقة هي التي غرست فينا فكرة الإلهية .
وهو في الثانية متطور ومتدرج ومتأثر في تطوره بالمجتمع ، بينما هو في الأولى ثابت ولا علاقة للمجتمع به ، بل هو غريزة إنسانية .

ولا نريد أن نتوسع أخي الدارس ، أختي الدارسة : في هذا الباب ، وإن شئت فارجع إلى كتاب نشأة الدين للدكتور علي سامي النشار ؛ فإنه يعطيك صورة واضحة عن مذاهب الفرقتين اللتين تحدثنا عنهما آنفاً ، ولكن نعتقد أنه لا مانع من أن نثبت لك عزيزي الطالب طريقة تفكير هؤلاء العلماء بما ذهب إليه العالم أوجست ساباستيه في نشأة الدين حيث يقول : " إن العقيدة تتولد في الإنسان منذ نشأته على أثر شعوره بمناقضة جوهرية بين حساسيته وإرادته وهما القوتان اللتان تتألف منهما حياة النفس في أيسر مظاهرها ، ويستطرد قائلاً : إن الحياة النفسية قائمة في جوهرها على حركتين متعاكستين إحداهما تتجه من الخارج إلى الداخل وهي تمثل تأثير الأشياء على النفس بواسطة الحواس ، والأخرى تتجه من الداخل إلى الخارج وهي تمثل مجاوبة النفس على الأشياء بتوسط الإرادة .

إن الصدمات المتوالية والمنازعات المستمرة بين هاتين القوتين - النفس والعالم الخارجي - هي السبب الأول لكل أنواع الآلام ، ولكنها في الوقت نفسه هي منبع النور ومصدر الشعور ، ذلك أن ارتداد الموجة إلى مركزها - من الخارج إلى الداخل - يولد في هذا المركز حرارة تشبه الحرارة الناشئة من حركة العجلة على محورها ، ثم لا تلبث هذه الحرارة أن تبعث شرارة ضوئية تضيء جوانب الوجدان وذلك هو الوعي ، وتنبه البصيرة ، والذي به تعد النفس مدرّكة ومدركة وحاكمة محكومة معاً كأنها كائن مزدوج أحد شقيه هذه النفس المثالية والآخر تلك النفس المكبوتة .

من هذه الأزمة الداخلية ينشأ الدين وكأن هذه الأزمة تفتح في صخرة الطبيعة شقاً يتفجر منه ماء الحياة ، لأن الحل الذي يقدمه لنا الدين هو في الحقيقة عمل محض ويعود بنا عملياً إلى المبدأ الذي اقتبسنا منه وجودنا ويمنحنا شعور الثقة والإيمان بمبدأ الحياة ونهايتها .

إن منزلة هذه الثقة من عالم النفس كمنزلة غريزة البقاء من عالم الطبيعة المادية ولكنها صورة أسمى من تلك فإنها في عالم المادة تسير بقوة قاهرة عمياء، أما في عالم النفس فإنها تستضيء بنور الشعور والإرادة المفكرة، ومن جهة أخرى فإنها تستند إلى حقائق واقعية تقوم على شعور ملازم لكل فطرة إنسانية وهو شعور التبعية المطلق لقانون الوجود العام، وما التدين إلا الاعتراف بهذه التبعية في تسليم وخضوع.

من هذا يتبين أن المبدأ العالمي الذي يخضع له الإنسان ليس ذلك الكون المادي بل الروح العالمية التي تدبره، ذلك أن القوة العاقلة لاتخضع لسلطان قوة عاقلة تسيطر عليها وعلى العالم على السواء.

وهكذا نجد أن الحياة العقلية التي كانت قد أنتجت بالنزاع بين الشعور الذاتي والتجربة الخارجية تكتمل وتختتم بحد ثالث جامع ينتظم الحدين معاً وهو الشعور بخضوعها جميعاً لهذا السلطان الأعلى. (دراز، الدين ص142).

4.4 الانتقادات الموجهة لعلماء الاجتماع والنفس في نشأة الدين

أخي الدارس، أختي الدارسة:

لاشك أن جميع النظريات التي قال بها علماء الاجتماع وعلماء النفس لم تكن موضع قبول من فئات العلماء المتخصصين بدراسة موضوع الدين ونشأته وتاريخه، فضلاً عن رفض علماء الإسلام لكل هذه النظريات، وفرق واضح بين احتياج الناس إلى الدين، وبين نشأة الدين كما أن هناك فرقاً واضحاً بين نظرة الإسلام إلى الدين وبين نظرة غيره من الملل والنحل المختلفة.

إن علماء الاجتماع وعلماء النفس قد صاغوا نظرياتهم في الدين على أسس تعود إلى حالات نفسية معينة أو ملاحظات اجتماعية بيئية وليدة نظم اجتماعية معينة.

ولهذا فقد تعرضت جملة النظريات التي بحثت في نشأة الدين إلى ضروب كثيرة من النقد ولا نريد هنا أن نتعرض لها تفصيلاً، ولكن لا بد من الإشارة إلى مجملها.

فالطوطمية مثلاً نظرية نستطيع أن نصفها بأنها خرافية اصطنعها الإنسان الأول بلا أساس من عقل أو دين، فليس هناك أي علاقة حفظ بين الإنسان والحيوان، فالذي يحمي الإنسان هو خالقه، وليس شيئاً أدنى منه بل أرذل وأحقر منه، وهذا ما حدا بكثير من العلماء أمثال لانج وفريزر إلى القول بأن الطوطمية ليست ديناً ولكنها نظام اجتماعي يفسر كيفية نشأة المجتمع.

كما أن النظرية القائلة بأن التدين متطور حيث بدأ بالخرافة والأوهام وانتهى إلى التوحيد

استند إلى أدلة غاية في الوهن، ولا تقف أمام النقد العلمي والأدلة العقلية، فالقائلون بها يعتمدون في إثبات نظريتهم على تطور الإنسان في الناحية الاجتماعية والعقلية والصناعية تطوراً واضحاً، وإذا ثبت هذا التطور فلا بد أن يكون التطور أيضاً في العقيدة، وبمعنى آخر فإن الإنسان قد تطور من الأمور البسيطة إلى الأمور المعقدة، وهذا تطور ظاهر لا بد أن يستتبعه تطور آخر في المشاعر والمعتقدات.

وهذا دليل واضح، ذلك أنه قياس مع الفارق، فالتقدم الاجتماعي والحضاري والصناعي تقدم في أمور مادية، والدين لعللاقة له من حيث النشأة بهذه الأمور، حيث يتعلق بالأمور الروحية والمعنوية التجريدية، فالجامع إذاً بين المقيس - الدين - والمقيس عليه - التقدم الاجتماعي والحضاري والصناعي - معدوم، فيبطل هذا القياس.

ويستدلون أيضاً على نظريتهم بأن بعض القبائل المتخلفة في أفريقيا وأستراليا وبعض سكان أمريكا مازالوا يعبدون الأصنام والأوثان وهم متخلفون اجتماعياً، فدل على وجود تلازم بين التقدم الحضاري المادي وبين الدين وتطوره.

وهذا أيضاً ليس دليلاً قوياً على نظرتهم، فإن كثيراً من الدول التي ماتزال تعيش في تخلف ديني قد تقدمت حضارياً ومادياً كاليابان والصين واليابان، وبالمقابل فإن كثيراً من الدول التي تؤمن بإله واحد - أي أنها متقدمة دينياً - ماتزال متخلفة مادياً. وقد رد الدكتور دراز على النظريتين التطورية والفطرية فيبين أنهما ينطويان على خطأ مزدوج، خطأ في الغاية وخطأ في الوسيلة.

أما الخطأ في الغاية التي هي تحديد الأصل في نشأة العقيدة، فلأن المنطقة البدائية المحضنة لم يستطع العلم ولوجها والوصول إليها بأدلة صادقة، ولذا فهو يتعامل معها بصك مزيف، إذ أن مؤرخي الديانات يعترفون بأن الآثار الخاصة بديانة العصر الحجري وما قبله لاتزال مجهولة، ولا سبيل للخوض فيها إلا بضرب من التكهن.

وأما من حيث المنهج وهو الاستدلال على ديانة الإنسانية الأولى بديانات الأمم المتخلفة عن ركب المدنية، فلأنه مبني على فرض أن هذه الأمم كانت منذ بدايتها على الحالة التي وصل إليها بحثنا، وأنها لم تمر في أدوار متقلبة، وهو فرض لم يقيم عليه دليل، بل الذي حصل عليه الآثاريون هو أن الحضارة والتخلف دورات متعاقبة على البشرية بحيث يصبح من العسير ان يحكم بصفة قاطعة بأيهما بدأت دورة الزمان.

وإذا كان الأمر كذلك في موضوع التمدن والتخلف الحضاري، فكذلك في موضوع التدين، حيث من الممكن أن تكون الخرافات القديمة بداية ديانات، كما يمكن أن تكون نتيجة

تحلل وتحريف لديانة صحيحة سابقة (دراز، الدين، ص 113-114).

على أننا نجد أن ثمة جماعات متدينة كبرى لاتعترف بإله ولا بطوطم ولا بروح . . .
إلخ فالبودية مثلاً هي محاولة الخلاص من هذا العالم بالتأمل دون الصلاة إلى إله ودون
تقديم القرابين له، بل هي ديانة تأملية وجدانية سلوكية تطهيرية.

والجينية كذلك لاتعترف بإله، وتنكر وجود موجود كامل خالد، والعالم قديم
ولاحاجة للإيمان بوجود موجد له، وهذا يعني باختصار أن التمدن أو التخلف لاعلاقة
لإحدهما بالدين الأول أو بالدين التالي . . وهكذا.

وبعد هذا نقول: إن الإسلام يرفض في مبادئه كل هذه النظريات، فهو يقرر:-

أولاً: إن الأنسان مخلوق مكرم يمتاز عن بقية المخلوقات بما يجعله سيداً في هذا الكون.
ثانياً: إن أول المخلوقات البشرية هو آدم عليه السلام وهو نبي كريم، فهو الإنسان الأول
في هذه الحياة، وهو إن كان هو ومن في عصره في تأخر اجتماعي - افتراضاً - فإنه
من ناحية دينية قد جاء بدين متقدم، ليس من عنده ولكن من عند خالقه.

ثالثاً: إن كل أمة خلقها الله قد بعث فيها رسولاً يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ
رَسُولًا أَنْ اْعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل: 36).

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ (فاطر: 24).

رابعاً: إن الدين الذي ارتضاه الله سبحانه وتعالى ودل عليه العقل وارتضته النفس السليمة
هو دين التوحيد وبذا فهو الدين الأوحده الذي جاءت به الرسل والديانات ولم يأت
نتيجة تطور العقول والمجتمعات والحضارات. وهو دين فردي وجمعي معاً، وليس
دنياً فردياً فقط أو جمعياً فقط.

إن التناقض والاختلاف بين النظريات في نشأة الدين يدل على عجز وسائل العلوم
المختلفة أن تقدم لنا حلاً شافياً يطمئن إليه الإنسان عن ديانة الإنسان الأول، وأن ما ورد في
القرآن الكريم يدلنا على أن الدين السليم هو الوحدانية، وأن الدين فطري في النفوس،
والانحراف الذي ساد أمة من الأمم أو في زمان من الأزمان إنما جاء عرضياً طارئاً ﴿وَمَا كَانَ
النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ (يونس: 19).

وربما يعود السبب الرئيس في هذا الاختلاف واتساع شقته إلى الوراثة في تلقين كل جيل
عقيدة للناشئين فيه. فالأبوان لهما دور كبير في تلقين الأبناء عقيدة ما، اما أن تبقى موافقة للفطرة
أو تخالفها، فأبواه يهودانه أو مجسانه أو يدعانه على الفطرة المواتية لعقيدة التوحيد.



أخي الدارس، أختي الدارسة:
عد إلى كتاب: نشأة الدين - النظريات التطورية والمؤلهة، لمؤلفه علي سامي النشار
وأقرأه على مهل وتدبر وتمعن، واستنتج الرسالة التي يريد أن يوصلها المؤلف لك.
ودونها في دفترك واعرضها على زملائك ومشرفك الأكاديمي.



أسئلة التقويم الذاتي (2)

أخي الدارس، أختي الدارسة:
أجر تقويماً لنفسك لتعرف مدى استيعابك للمادة التي بين يديك بالإجابة عن الأسئلة التالية:
السؤال الأول: ضع علامة صح أو خطأ إزاء كل جملة من الجمل التالية:
أ. اتفق علماء الاجتماع وعلماء العقائد في تصوراتهم لنشأة الدين وأسباب هذه
النشأة على الرغم من اختلافهم في الأسس التي اعتمدها واستندوا إليها.
ب. مصطلح " الطوطمية " لفظ مشتق من الكلمة الآرامية (توتيم) التي تعني
تعويذة معينة يحملها الإنسان لتحميه من الشرور.
ج. يرى بعض علماء النفس أن ظاهرة التدين عند الإنسان ظاهرة طبيعية لا بد
منها، تنشأ مع الفرد وتكبر معه بدافع ما، سواء أكان خوفاً أو حباً أو غريزة
جنسية أو قلقاً...
د. وافق الإسلام النظريات التي وضعها علماء الاجتماع والنفس فيما ذهبوا إليه
من تطور الدين من السهل إلى الصعب ومن البسيط إلى المعقد، وبمعنى آخر
فإن تطور الدين مرتبط بتطور الإنسان حضارياً ومادياً.
السؤال الثاني: باختصار غير مخل تحدث عن المدارس التي تحدثت عن نظرية التطور الدينية.
السؤال الثالث: قارن بين النظرية الطبيعية والنظرية الطوطمية في نظرتيهما إلى نشأة الدين.
السؤال الرابع: باختصار تحدث عن آراء علماء النفس في نشأة الدين، وناقش هذه الآراء.

5. أهمية دراسة مقارنة الأديان

أخي الدارس، أختي الدارسة:

ما الذي تعنيه دراسة مقارنة الأديان؟ تعني أن نقف على جميع أشكال التجارب الدينية على مر العصور بالطرق الموضوعية التي تيسر لنا الحكم على هذه التجارب الدينية للتوصل إلى معرفة الأديان المنتشرة في العالم، وأيها أفضل للإنسانية والفرد. ومعلوم أن الإنسان لا يمكن أن يصل إلى الحقيقة إلا بعد تقليب الموضوعات المتعلقة بها على جميع وجوهها، ولذا فلا بد من دراسة الأديان المنتشرة في العالم ومقارنتها بعضها ببعض لنستطيع الحكم على واحد منها أو أكثر بأنه صادق، ولنستطيع اتخاذه ديناً ومعتقداً.

ومع انتشار الثقافة في العالم بتقدم طرق الاتصال أصبح في متناول كل فرد أن يطلع على آراء ومذاهب وأفكار المجتمعات الأخرى، ينهل مما عندها من حسن وبيتعد عما عندها من رديء، والذي ساعد على انتشار الثقافة هو الاختلاط والاتصال بين الشعوب بزيادة طرق المواصلات والفتوحات والمعارك والحملات التبشيرية، إذ أدى ذلك إلى ظهور هذا العلم وهو علم مقارنة الأديان.

فهو بالنسبة للمسلمين العلم الذي يكشف لهم مدى التناقض في العقائد غير الإسلامية، والذي يجب عليهم عدم إغفاله ليقفوا على ما يتحلى به الإسلام من قوة في أفكاره وآرائه في جميع المسائل الدينية التي لم يثبت أن ديناً يضاهي الإسلام في عرضها وبحثها. واعتقد أن من واجب المسلمين أن يدرسوا هذا العلم وأن يدرّسوه في جامعاتهم ومعاهدهم للأسباب التالية:

1. ما يتعلق بالعقيدة: حيث دعا الإسلام تعرف الأديان الأخرى حتى يتيسر للمسلم أن يعرف الحق من الباطل ليسير على هدى، ويكون معتقده يقينياً لا يتزعزع ولا تؤثر فيه شبهة أو يتطرق إليه احتمال.
2. واجب الدعوة إلى الله ونشرها، ولا يتسنى لنا ذلك إلا إذا عرفنا الحجج التي تعتمد عليها تلك الديانات لدحضها وإثبات العقيدة الإسلامية بدلاً منها، كما لا بد من معرفة الشبهات التي تثيرها تلك الديانات على الإسلام للرد عليها ودحضها.

3. ونظراً لما ظهر في المجتمع الإسلامي من فرق متعددة لها آراؤها في مجال العقيدة نجد أن بعضاً منها استمدت من الديانات القديمة أو ممن دخلوا في الإسلام من أهل تلك الديانات حتى نقف لهم بالمرصاد ونحفظ علينا ديننا الذي هو عصمة أمرنا.



تدريب (5)

هل الدين الإسلامي فردي يركز على الإنسان (الفرد) أم اجتماعي يركز على المجتمع؟
وضح ذلك مع الاستشهاد .

6. لمحة عن الديانات الكبرى في العالم

1.6 توطئة

أخي الدارس، أختي الدارسة:

انتهينا إلى أن التدين غريزة فطرية في الإنسان وأن إحساسه بضآلته إزاء قوة الخالق وإحساسه بالروعة والجلال، وإحساسه بأنه مأخوذ بمظاهر القدرة المختلفة هو الذي يجعله يختر ساجداً متعبداً، ونتيجة لجهله عبر العصور المتعاقبة فقد عبد النجوم والحيوانات والأصنام وغيرها من القوى، ولتأخذ أمثلة على تلك الديانات التي عرفها الإنسان، فمنها ما ذكر في القرآن الكريم مثل ديانة قوم عاد والصابئة ومعطلة العرب والمجوس واليهودية والنصرانية، ومنها ما لم يذكر في القرآن الكريم كالكونفوشيوسية والبوذية والمناوية والمزدكية، وكما نعلم فإن الإسلام آخر الديانات السماوية حيث لا دين بعده إذ قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (المائدة: 3).

على أنه لا بد من التفريق بين الدين الوضعي والدين السماوي، فالدين الوضعي هو ما يكون من وضع البشر أنفسهم، وهو بالتالي مجموعة من المبادئ والقوانين والإرشادات التي وضعها بعض الناس لأهمهم، يوضحون فيها علاقتهم بهذا الإله القوي المتغير ليعملوا بها، دون استناد إلى وحي سماوي كالديانات البرهمية والجينية في الهند وشرق آسيا وديانة قدماء المصريين والديانات الفارسية القديمة والصينية... إلخ.

وأما الدين السماوي، فهو تعاليم إلهية وإرشادات سماوية، تنزل إلى الناس من الله سبحانه وتعالى تنظم لهم حياتهم وعلاقتهم بعضهم ببعض وكذلك توضح لهم علاقتهم بخالقهم وكيفية عبادته وتقديسه. وثواب ذلك كله وعقاب من يعصي أو يكفر... إلخ مثل الديانة اليهودية أو الديانة المسيحية أو الديانة الإسلامية المتفقة في الأصول والمعتقد.

وهناك فروق كبيرة بين الديانات الإلهية والديانات الوضعية وأهم هذه الفروق:

أولاً: الدين السماوي دين إلهي، قائم على وحي من الله سبحانه إلى البشر بواسطة رسل يختارهم الله، أما الدين الوضعي فهو دين بشري، يضعه البشر أنفسهم ويصطلحون عليه وعلى ما فيه من مبادئ وأفكار يتمسكون بها ويعملون بما فيها.

ثانياً: الإله في الدين السماوي واحد لا يتغير ولا يتبدل، ودعوته للبشر لا تتبدل ولا تتغير فالدين السماوي ينزه الإله عن مشابهته لخلقه لا في ذاته ولا في صفاته ولا في

أفعاله فليس كمثله شيء، بينما الإله في الدين الوضعي متغير من أمة إلى أمة ومن زمان إلى زمان، وهو من وضع البشر فيمكن أن يكون إنساناً مثلهم، أو حيواناً، أو حجراً، أو كوكباً. . . أو عنصراً ما من عناصر الطبيعة.

الثالث: الدين الإلهي ثابت في أصوله وواحد في دعوته، فيلزمه الكمال والثبات لأنه من إله واحد، أما الدين الوضعي فيعتره النقص لأنه من صنع البشر والبشر غير كاملين، ولا يمكنهم أن يحيطوا بحاجات البشر جميعها ومتطلباتهم المتجددة المستمرة (د. حجازي، مقارنة الديان بين اليهودية والإسلام ص 18-21).

وإليك أخي الدارس، أختي الدارسة: لمحة موجزة عن بعض الديانات الوضعية والإلهية، علماً بأننا سنعرض بالتفصيل لكل من الديانة الهندوسية والزرادشتية والبوذية في الوحدة الثانية من هذا المقرر وإلى اليهودية والنصرانية في الوجدتين الثالثة والرابعة إن شاء الله.

2.6 ديانة قوم عاد

قال تعالى: ﴿وَالْيَ عَادِ عَادِ أَخَاهُمْ هُوْدًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللّٰهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ (٦٥) قَالَ النَّمْلَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَٰذِبِينَ (٦٦) قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٦٧) أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ (٦٨) أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ . . . الخ. (الأعراف: 65-69). وعاد قبيلة من القبائل العربية البائدة المتفرعة من أولاد سام بن نوح، وسميت كذلك نسبة إلى أحد أجدادها وهو " عاد بن عوض بن إرم بن سام بن نوح"، وكانت تعيش في أرض الأحقاف شمال حضرموت - اليمن الجنوبي - وجنوب شبه الجزيرة العربية.

وكان هؤلاء القوم رجالاً أقوياء أشداء زادهم الله بسطة في الجسم وكانوا أيضاً مترفين في حياتهم، أمدهم الله بأنعام وبنين وجنات وعيون، اتخذوا المصانع وبنوا القصور الفخمة على الروابي والمرتفعات إظهاراً لقوتهم وبأسهم في الأرض، فاغترتوا بقوتهم واستكبروا

في الأرض وعتوا عن أمر رسل الله إلى درجة أن قالوا: من أشد منا قوة؟ فأنكروا على رسلهم ماجأوا به، واستهزأوا بهم، ورفضوا عبادة الله، فعبدوا الأصنام، بل هم أول من عبد الأصنام بعد الطوفان، فكان لهم أوثان ذكرها المفسرون في كتبهم هي صدا وضمودا وهرا (ابن كثير، البداية والنهاية، ص 121) يقصدونها ويعبدونها ويقدمون لها القرابين، ولم ينفعهم تذكير النبي هود لهم، بل تبادوا في طغيانهم، وأصروا على العناد، وأنكروا البعث واليوم الآخر، فكان عاقبتهم أن أهلكهم الله جميعاً بأن سخر عليهم ريحاً صرصراً عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً، فكانت تدمر كل شيء بأمر ربها، فما جاءت على شيء إلا جعلته كالهشيم المتفتت اليابس قال تعالى في وصف عذابهم ﴿ وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوهَا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ (٦) سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أُعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (٧) فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ (٨) ﴾ (الحاقة: 6-8).

3.6 ديانة قوم ثمود

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) إِذِ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ (١٤٢) إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ (١٤٣) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٤٤) وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٤٥) أَتَتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ (١٤٦) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (١٤٧) وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ (١٤٨) وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ (١٤٩) فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا (١٥٠) وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُشْرِكِينَ (١٥١) الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴾ (الشعراء: 141-152).

وقبيلة ثمود من القبائل العربية البائدة المتفرعة من أولاد سام بن نوح - سميت كذلك نسبة إلى أحد أجدادها هو ثمود بن عامر بن إرم بن سام بن نوح. وكانت مساكن هذه القبيلة بالحجر وهي أرض بين الحجاز والشام تعرف الآن " بفتح الناقة " وآثار هؤلاء ماتزال ظاهرة وتسمى مدائن صالح. يقول المسعودي: ورمهم باقية وآثارهم بادية في طريق من ورد من الشام، وحجر ثمود في الجنوب الشرقي من أرض مدين، وهي مصاقبة لخليج العقبة - أي قريبة من خليج العقبة - (الصابوني، النبوة والأنبياء، 1980 ص 230).

وقد فصل القرآن الكريم حياة هذه القبيلة، وأن أهلها كانوا آمنين في مساكنهم، متمتعين بجنات وعيون وزروع مختلفة الأنواع والثمار، وبيوت فارحة في السهول والجبال، فاغتروا كما اغتر قوم هود، وعتوا عن أمر ربهم فعبدوا الأصنام والأوثان، ورفضوا دعوة صالح عليه السلام وكفروا بما جاء به وطالبوه بمعجزة تشهد على صدقه، فجاءهم بالناقة وطلب منهم أن لا يقتلونها وأن يتركوها ولا يمسوها بسوء، ولكن أشقى القوم - قدار بن سالف - عقرها فسقطت على الأرض فابتدرها من معه وكانوا تسعة نفر مفسدين في الأرض، فأرسل الله عليهم صيحة من السماء من فوقهم ورجفة شديدة من أسفل منهم فزهقت نفوسهم واصبحوا في دارهم جاثمين ما عدا من آمن مع صالح وكان عددهم قليلاً، قال الله تعالى في وصف القوم وعذابهم: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (فصلت: 17). وقال سبحانه: ﴿فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَّا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (٧٧) فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ (الأعراف: 77-78).

4.6 ديانة قدماء المصريين

تعد مصر من أغنى الحضارات البشرية وأقدمها، ويعد المصريون القدماء من أشد الناس تديناً، وقد ظهرت آثار هذا التدين واضحة للعيان في كل شؤون حياتهم، فالمعابد والهيكل والأهرامات كلها دليل واضح على تدين المصريين، يؤكد ذلك ول ديورانت في كتابه قصة الحضارة بقوله: " إن الدين في مصر كان فوق كل شيء ومن أسفل منه، فنحن نراه في كل مرحلة من مراحلها وفي كل شكل من أشكاله، من الطوطم حتى علم اللاهوت " . (د. حجازي، مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ص55). ولشدة تدين المصريين، فقد كانت القوة السياسية في أيدي الكهنة ورجال الدين الذين كانوا أعلى شأناً وأوسع نفوذاً من الملوك والفراعنة. على أن الصراع بين الملوك وبين الكهنة ورجال الدين كان له دوره في تعدد الأديان وتنوع الآلهة، فقد عبد المصريون القدماء الشمس والعجل والنيل وكثير من الحيوانات وكانت الآلهة من الحيوانات أكثر شيوعاً من النبات. وقد تعدد المعبود باختلاف الزمان واختلاف المكان حتى كان لكل مدينة آلهة فكان موطن " أوزيريس " في أبيدوس، و " فتاح " في ممفيس، و " آمون " في طيبة، و " هورس " في أدفو. . . وهكذا.

كما كان للآلهة عندهم مراتب ومنازل بالإضافة إلى عبادة الأرواح، وإذا كانت عبادة الطوطمية من أوائل الديانات في مصر، فإن عقيدة التوحيد قد دخلت مصر أيضاً، فيوسف عليه السلام جاء إلى مصر في عهد الهكسوس في الأسرة الرابعة عشر تقريباً، ودعا المصريين إلى عبادة الله وحده وترك عبادة غيره، كذلك جاء موسى عليه السلام ودعا فرعون والمصريين إلى عبادة الله وحده.

وتبدو ديانة التوحيد واضحة في دعوة أخناتون الذي جهر بعبادة آتون وألغى جميع الأرباب وأعوانهم، وكان لآلهة من الصفات ما هو أعلى من صفات المخلوقات، بل كانت له جميع صفات الكمال المعروفة عند المسلمين. (العقاد، الله، ص 69). ويرى بعض المؤرخين أنه كان يوجد في مصر القديمة دينان، دين للعامة، ودين للخاصة؛ أما دين العامة فيتلخص بعبادة الحيوانات وتقديسها وتقديم فروض الولاء والطاعة لها، وأما دين الخاصة فيتلخص بالإيمان بإله واحد، وأما بقية الآلهة فآمنوا بها لأنها تمثل بعض صفات ذلك الإله الخالق العظيم. (د. حجازي، مقارنة الأديان ص 61). ولكن أهم ما يميز المعتقدات المصرية القديمة:

أولاً: أن هذا العالم المتعدد الظواهر لم يوجد بنفسه، بل أوجده قوة خفية لاتدرك بالعين ولايتناولها الحس، وإنما تبدو آثارها ظاهرة في كل شيء، وأن الحيوانات التي عبدوها إنما هي رموز للآلهة التي حلت فيها.

ثانياً: إن في كل كائن روحاً استمدته من الروح العام المخفي عن الأنظار وتستمدته الكائنات الحية منه.

ثالثاً: اعتقاد رجال الدين أن الفناء مستحيل على الأشياء جميعها، فالأجسام باقية ولكنها متغيرة، وكذلك الأرواح.

رابعاً: كانوا يعتقدون بالحياة الآخرة، وأن هناك حياة أخرى بعد هذه الحياة الدنيا، ويعتقدون أنها هي الحياة الحقيقية الباقية المستمرة وأما الحياة الدنيا فهي زائلة وفانية وماهي إلا معبر وممر للحياة الخالدة. وكذلك الأمر بالنسبة للجنة التي فيها مالد وطاب من النعيم الخالد، والوصول إلى الجنة ليس سهلاً، بل على من يقضى له بالسعادة ودخول الجنة أن يتغلب على أعداء كثيرين يقطعون عليه الطريق، ويتخلص من كل العقبات الموضوعه أمامه، ولذا فقد كانوا يضعون مع الميت بعض التمام والأدعية للتسهيل عليه في النجاة من الأهوال التي يتعرض لها ويمر بها.

5.6 الصابئة

أخي الدارس، أختي الدارسة :

لم تجمع كتب اللغة ولا كتب التاريخ على معنى محدد لمعنى كلمة صابئة، فذهبت فيها الاجتهادات مذاهب شتى، كما ذهبت حول نسبتهم، وتاريخهم، ومذاهبهم، فمن الصعوبة تحديد مذهبهم أو تعريفه بدقة، وهذا يعني أنه لم يكن هناك مذهب واحد لهم، أو أن مذهبهم الأول قد تعرض للتغيير والتبديل والزيادة والنقصان، ويمكن التمييز بين عدة طوائف منهم أهمها :-

1.5.6 أصحاب الروحانيات:

الذين يقرون بمبدأ التوسط بين الله وبين المخلوقات فهم يقرون بخالق للعالم، والناس عاجزون عن الوصول إلى معرفة كنهه فيتقربون إليه بالمتوسطات الروحانية المطهرة المقدسة جوهرأ وفعالاً وحالة، هذه المتوسطات مبرأة عن القوى الجسدية، منزهة عن الحركة المكانية، والتغيرات الزمانية. (د. المغربي، الفكر الديني الشرقي القديم، ص17).

هذه المتوسطات تشفع للناس عند خالقهم، ولذا على الناس أن يطهروا أنفسهم عن الشهوات ويهذبوا أخلاقهم عن علائق القوى الشهوانية والغضبية حتى تحصل مناسبة بينهم وبين المتوسطات الروحانية فيسألون حاجتهم منها ويعرضون أحوالهم عليها فتشفع لهم عند الله . . (الشهرستاني، الملل والنحل، ص260).

والطريق الذي تسلكه الصابئة للوصول إلى رضا المتوسطات وشفاعتها يكون بالتضرع والابتهاال والدعوات وإقامة الصلوات، والصيام عن المطاعم والمشروبات، وتقريب القرابين والذبائح وتبخير البخور (الشهرستاني، الملل والنحل، ص261). وثمرة هذه الأفعال جميعها هو الاتصال بالمتوسطات الروحانية والحصول على رضاها وشفاعتها، ولذا فلا حاجة للأنبياء والنبوة.

والمتوسطات هي الأسباب في الاختراع والإيجاد وتصريف الأمور من حال إلى حال، فهي مدبرات الكون والمسيرات له والفاعلات فيه والمؤثرات في الخلق والإيجاد، ولذا فإن الله خالق عن طريق تلك المتوسطات، التي هي الكواكب والنجوم.

2.5.6 أصحاب الهياكل والأشخاص:

وهؤلاء طائفة من الذين انحدروا إلى عبادة الكواكب ذاتها وإلى عبادة الأصنام.

أما عبدة الكواكب فهم قوم يؤمنون بأن لكل متوسط روحاني هيكلًا، وهذه الهياكل هي الكواكب السيارة، حيث فزعوا إليها وسموها أرباباً آلهة، وتقربوا إليها تقرباً إلى الروحانيات تقرباً إلى الله تعالى.

وأما أصحاب الأشخاص فقد اعتقدوا أن الكواكب لاتصلح أن تكون وسائط يستشفع بها، لأن الهياكل قد ترى مرة ولا ترى مراراً، فلا بد إذاً من صور وأشخاص موجودة قائمة، يعكفون عليها ويتوسلون بها إلى الهياكل، فيتقربون بها إلى الروحانيات التي يتقربون بها إلى الله تعالى، فاتخذوا أصناماً أشخاصاً على مثال الهياكل السبعة، كل شخص في مقابل هيكل، وهؤلاء هم الصابئة المشركون، وترتب على هذه العبادة مجموعة من المعتقدات والعلوم كالدراسات الفلكية والطلسمات والسحر والكهانة والتنجيم وغير ذلك.

3.5.6 صابئة حران؛

وهؤلاء كانوا قبل ظهور الإسلام بعهد بعيد. اختلف المؤرخون في آرائهم فمنهم من يقول إنها مزيج من فلسفة اليونان والهند، ومنهم من يقول إن لهم أنبياء كثيرين أكثرهم فلاسفة اليونان. ويشير البيروني إلى أنهم يوحدون الله وينزهونه ويقولون بنفي الصفات والأسماء، ولكنهم في الوقت نفسه يعظمون الفلك ويعبدونه (البيروني، الآثار الباقية، ص205).

ويشير القاضي عبدالجبار أنهم قد سمو الكواكب ملائكة، وكثير منهم سماها آلهة وقدسوها وعبدوها وبنوا لها بيوت العبادة.

كما قالوا بحلول الآلهة في الكواكب التسعة وفي الأشخاص، وقالوا بالتناسخ فالإله يظهر في هذه الكواكب ويتشخص بأشخاصها كما يظهر في الأشخاص الخيرة الفاضلة.

4.5.6 الصابئة المندائيون؛

واختلف أيضاً في تاريخ هذه الطائفة فهناك أقوال يرجع تاريخها إلى حران، وأقوال تذكر أنهم كانوا في مصر وخرجوا منها فارين إلى بلاد فارس فقاتلهم الفرس ففروا إلى العراق وسكنوها حتى اليوم، ومنهم من يرجح قدم هذه الطائفة وأن كتبهم قد أنزلت على آدم عليه السلام ثم أضيف إليها صحف شيث وإدريس وسام وتعاليم يحيى عليه السلام. وهذه الطائفة تؤمن بتوحيد الله، ومن اعتقاداتهم أن الله تعالى علة الكائنات والوجود وأنه حي بنفسه أزلي أبدي، لاتدرکه الأبصار ولاتناله الحواس، ولكن بعد هذه المعتقدات

يقولون بأنه يلي الله في المنزلة الإلهية ثلاثمائة وستون شخصاً جاءوا إلى العالم ليفعلوا الأفعال الإلهية ولكنهم ليسوا بآلهة، وليسوا من البشر ولا من الملائكة ولم يخلقوا كسائر المخلوقات، ولهم أزواج منهم مثلهم وأولاد لم يحصلوا من النكاح بل من الكلام، وأنهم موظفون بوظائف روحانية ويعلمون الغيب (د. المغربي، الفكر الديني الشرقي القديم ص 28-29).

وهم يقولون بدور النجوم في تدبير أمر العالم، ويوكلون إليها سعادة الإنسان وشقاوته، ويقولون بنبو آدم وشيث وإدريس وسام وإبراهيم ويحيى عليهم السلام، بل يحرصون على الانتساب إلى إبراهيم عليه السلام.

6.6 مشركو العرب وهم أصناف

أخي الدارس، أختي الدارسة:

يبدو أن جزيرة العرب كانت تعج بديانات كثيرة سماوية ووضعية؛ فكانت النصرانية في ربيعة وغسان وقضاعة، واليهودية في القبائل حول يثرب حيث أقامت قبائل بني قريظة وبني قينقاع وبني النضير. غير أن عبادة الأصنام كانت هي الشكل السائد للحياة الدينية في جزيرة العرب فقد امتلأت الكعبة بالأصنام، واتخذت كل قبيلة صنماً، وأقامت له الأعياد وقربت له القرابين.

وقد ذكر القرآن الكريم بعض هذه الأصنام، ومظاهر من عقيدة العرب في الجاهلية. أما الأصنام فمنها: ود لقبيلة كلب بدومة الجندل، وسواع لهذيل، ويغوث لمراد، ويعوق لهمدان، ونسر لحمير، وهذه الأسماء كانت في الأصل لرجال صالحين ماتوا في شهر واحد، فنتحت لهم خمسة أصنام على صورهم، وكان أقرباؤهم يأتون إلى هذه الأصنام يعظمونها ويسعون حولها ومع الزمن بدأت عبادة هذه الأصنام واستمرت.

وكان أول من أدخل عبادة الأصنام إلى جزيرة العرب عمرو بن لحي بن قمعة أحد رؤساء خزاعة الذين ولوا البيت بعد جرهم، وكان أول من غير دين إبراهيم عليه السلام فأدخل الأصنام إلى الحجاز ودعا الناس إلى عبادتها والتقرب لها، وأهم هذه الأصنام: مناة وكانت مقدسة من قبائل الأوس والخزرج والأزد، واللات في الطائف وسدنتها بنو ثقيف، والعزى بالإضافة إلى هبل الذي حمله عمرو بن لحي معه من الشام، وهو على صورة إنسان وضعه في جوف الكعبة وأمامه سبعة أقداح للاستقسام بها.

بالإضافة إلى أن هناك من كفر بالله سبحانه وتعالى وأنكر البعث والإعادة وقال

بالطبع المحي والدهر المضي، حيث قال الله تعالى فيهم: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (الجاثية: 24).
 ومنهم من آمن بالله ولكنه أنكّر البعث والإعادة وأنكر بعثة الرسل، ومنهم من آمن بالله ولكنه عبد الجن والملائكة تقرباً بها إلى الله لتشفع لهم، ويزعمون أن الملائكة بنات الله.
 ومن العرب من رفض كل ما كان عليه قومهم، واحس بالفراغ الديني والعقائدي فبدأوا يتلمسون طريقهم إلى الطمأنينة النفسية والروحية في المسيحية أو اليهودية أو غيرها، فانتهوا إلى رفض كل هذه الديانات وتلمسوا دين إبراهيم عليه السلام، وأطلق عليهم الحنفاء، ومنهم من عاد فتنصر ومنهم ورقة بن نوفل وعثمان بن الحويرث، ومنهم من بقي على مفارقتة لدين قومه وهو زيد بن عمرو بن نفيل ومنهم أمية بن الصلت الذي امتلأ شعره بذكر الرسل والأنبياء والجنة والنار والحشر والملائكة والثواب والعقاب والله سبحانه.

7.6 المجوسية

المجوس طوائف من الثنوية القائلين بالإثنين، فلقد أثبتوا أصلين اثنين مدبرين، يسمى أحدهما " يزدان " وهو إله النور أو الخير والثاني يسمى " أهرمن " وهو إله الظلمة أو إله الشر، وهذان الأصلان مايزالان يتصارعان ويقتسمان الخير والشر، والمجوسية ثلاث فرق: الكيومرثية، والزروانية، والزرادشتية.

الكيومرثية: طائفة ثبتت إلهين " يزدان وأهرمن " وقالوا بأن يزدان قديم وأهرمن حديث مخلوق، وأن أهرمن خلق عندما فكر يزدان في نفسه إن كان له منازع كيف يكون، ومن هذه الفكرة حدث أهرمن، وهو مطبوع على الشر والفساد والضرر التام، فخرج على النور، وابتدأ الصراع بينه وبين يزدان، ثم توسطت الملائكة فصالحوهما على أن يكون العالم السفلي خالصاً لأهرمن مدة سبعة آلاف سنة، ثم يخلي العالم ويسلمه إلى النور، ورأى الرب أن الصلاح يكون في احتمال مكروه إبليس إلى أن ينقضي الشرط، حيث يعود المحتملون للمكروه إلى الجنة.

أما كيومرث - الذي هو آدم - فهو أول رجل بدأ به إبليس حيث قتله هو ونور، ونبت من مسقط الرجل نبات، وخرج من أصل النبات رجل وامرأة هما أصل البشر، وخرج من مسقط النور الحيوانات جميعها.

ويرى الكيومرثية أن النور قد خيّر الناس وهم أرواح بلا أجساد بين أن يرفعهم عن مواضع

أهرمن ، وبين أن تلبسهم الأجسام فيحاربوا أهرمن ، فاختاروا لبس الأجساد ومحاربة أهرمن ، على أن يكون لهم النصر من عند النور والظفر بجنود أهرمن وحسن العاقبة ، وعند هلاكه تكون القيامة (الشهرستاني، الملل والنحل ص232) . وقد ترتب على معتقداتهم هذه الامتزاج بين النور والظلمة ، كما ترتب عليها سبب الخلاص ، وهو يقوم على فكرة أخلاقية هي مقاومة الشر .

الزروانية : وهي طائفة قريبة الشبه من الكيومرثية ، إلا أن الاختلاف بينهما هو أن النور قد أبدع أشخاصاً من نور كلها روحانية نورانية وأعظمها زروان ، وأن زروان قد شك في شيء من الأشياء فحدث أهرمن من ذلك الشك ، أو أنه فكرة في نفسه أن يكون له ابن ثم لم يكن ، وحدث في نفسه لعل هذا العالم ليس بشيء ، فحدث أهرمن من ذلك الهم . وقالوا أن الله لم يزل معه شيء رديء ، إما فكرة رديئة وإما عفونة رديئة ، وذلك هو مصدر الشيطان .

وكانت الدنيا قبل ظهور أهرمن خالية من الشرور والفتن والآفات ، وكان أهلها في خير محض ، فلما ظهر أهرمن ظهرت الشرور والآفات والفتن . . .

ويصور الشهرستاني قصة الصراع بين الخير والشر فيشير إلى أن المجوس يزعمون أن إبليس كان في ظلمة منزلاً عن سلطان الله ، ولكنه ظل يزحف ويزحف بحيل مختلفة حتى رأى النور فوثب إليه فصار في سلطان الله ، وأدخل معه هذه الشرور والآفات ، فخلق الله هذا العالم شبكة له فوق فيها ، وصار لا يستطيع الخروج منه ، فهو محبوس فيه ، فبدأ يرمي بالآفات والمحن إلى المخلوقات ، ولا يزال كذلك إلى يوم القيامة ، وكل يوم ينقص سلطانه ، حتى يأتي يوم القيامة وتكون قوته قد زالت . (الشهرستاني، الملل والنحل ص236) .

الزرادشتية : نسبة إلى زرادشت بن يورشب الذي تذهب الروايات والأساطير إلى أن ولادته كانت غير طبيعية ، وإن الله قد أكرمه واختاره ليبلغ رسالته إلى الناس ، قد لاقى مقاومة عنيفة من الكهنة ورجال الدين وعانى كثيراً في سبيل دعوته ، حيث أمضى حوالي عشر سنوات دون أن يستجيب أحد لدعوته ، وكان ابن عمه أول من اعتنق دعوته .

ثم دعا زرادشت الملك كشتاسب وهو ملك قوي يحكم الجزء الشرقي من إيران ويدين بالوثنية فأمن الملك بدعوته وأرسل المبشرين بهذا الدين الجديد إلى البلاد المختلفة ، ولما دخل الإسلام بلاد فارس ، اعتنق معظم أتباع زرادشت الإسلام وبقي بعضهم على ديانتهم .

أما مبادئ هذه الديانة ، فتتلخص في الدعوة إلى عبادة الله والكفر بالشيطان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجتناب الخبائث .

وأما النور والظلمة فهما أصلان متضادان، وأما يزدان وأهر من فهما مبدأ موجودات العالم، ومن امتزاجهما حصلت التراكيب ومن التراكيب ظهرت صور الأشياء المختلفة. وأما خالق النور والظلمة ومبتدعهما فهو الله سبحانه، وهو واحد لاشريك له ولا ضد ولا ند، ولا ينسب إليه وجود الظلمة، ولكن الخير والشر والصالح والفساد والطهارة والخبث إنما حصلت من امتزاج النور والظلمة، ولو لم يمتزجا لما وجد العالم. . . . ويظل النور والظلمة والخير والشر في صراع إلى أن يغلب النور والخير، فيتخلص الخير إلى عالمه، والشر ينحط إلى عالمه وهذا هو سبب الخلاص (د. المغربي، الفكر الديني الشرقي القديم ص 46).

والإله الأعظم عند زرادشت - أهورمزدا - له كل صفات الكمال والجلال فهو واحد أزلي قديم، لم يلد ولم يولد، وهو علة العلل وليس له علة، والمصدر الأول لجميع الموجودات، يعلم الماضي والمستقبل والحاضر، وهو القادر على كل شيء، ولا يفتقر إلى شيء، وخالق كل شيء.

كما يؤمن زرادشت بالمعاد والثواب والعقاب والجنة والنار والعدل الإلهي. وللنار عندهم مكانة سامية فهي رمز للعبادة عندهم، وهي أصفى العناصر وأطهرها، لها المكان الأسمى في طقوسهم واحتفالاتهم ظناً منهم أن تعظيمها في الدنيا ينجيهم في المعاد من عذابها، وجوهرها شريف علوي.

على أن هناك طوائف من المجوس يطلق عليهم الثنوية، ويشتون اثنين أزليين قديمين بخلاف من تحدثنا عنهم من المجوس الذين قالوا بحدوث الظلام أو الشر. وقد قالوا بتساوي هذين الأزليين في القدم، ولكنهما مختلفان في الجوهر والطبع والفعل والحيز والمكان والأجناس والأبدان والأرواح. . . ومن هذه الطوائف المانوية والمزدكية.

8.6 المانوية

أصحاب مانني بن فاتك الذي تتحدث الأساطير عن ولادته ولادة أسطورية، وتضفي عليه نوعاً من القداسة، وأنه أعد إعداداً خاصاً لكي يكون نبياً بل خاتم الأنبياء، وقد نزل عليه الوحي، كما تشير الأساطير، وعمره اثنا عشر عاماً وأمره باعتزال ما عليه قومه، وترك الشهوات، والنزاهة، ولما بلغ أربعة وعشرين عاماً نزل عليه الوحي مرة أخرى يأمره بإعلان دعوته، وقد ظهر بعد عيسى عليه السلام وأقر بنبوته ولكنه أنكر نبوة موسى عليه

السلام، وقد رفض ماني الأناجيل المعروفة، وقرر أن المسيح لم يصلب واستند إلى أناجيل غير الأناجيل التي رفضها وهاجم اليهودية هجوماً عنيفاً.

وأما مبادؤه فهو يقول بأصلين قديمين مختلفين من حيث الجوهر والنفس والفعل والخير والجنس والصفات، وأنهما خالقين للخير والشر.

وأصل العالم مكون من امتزاج النور بالظلمة، وتنازعهما، ولا يكون الخلاص من الظلمة أو الشر إلا بالتسييح والتقديس وأعمال البر والكلام الطيب، كما فرض على أصحابه العشر في الأموال كلها، وصلوات أربع في اليوم والليلة، وترك المنكرات كلها وترك عبادة الأوثان، وصيام سبعة أيام أبداً في كل شهر. وكان يعتقد بأن آدم هو أول من بعثه الله ثم أرسل شيئاً بعده فنوحاً فإبراهيم فالبدة، وزرادشت، والمسيح وبولس بعد المسيح ثم يأتي خاتم النبيين إلى العرب (الشهرستاني، الملل والنحل ص 249).

كما آمن بفكرة التناسخ وفصل القول فيها وكان قد أخذها من الهند، إلا أن التناسخ عنده لا يعني إنكاره للمعاد أو الجنة والنار، كما قال بالحلول. ونهى عن ذبح كل ذي روح ودعا إلى الزهد وحرّم النكاح.

9.6 المزدكية

أخي الدارس، أختي الدارسة:

وتنسب إلى مزدك الذي ظهر في أيام قباذ والد الملك أنوشروان، وكان موبدان - قاضي قضاة - دعا إلى الأثينية ولكنه خالف زرادشت في كثير من مذهبه.

وكان أهم مآظهم في مذهبه هو أن النور يفعل بالقصد والاختيار، والظلمة تفعل على الخبط والعشوائية، والنور عالم حساس والظلام جاهل أعمى.

وذهب إلى أن أصول الموجودات ثلاثة أشياء هي الماء والأرض والنار، ولما اختلطت حدث عنها مدبر الخير ومدبر الشر، فما كان من صفوها فهو مدبر الخير وما كان من كدرها فهو مدبر الشر.

والله جالس على كرسيه في العالم الأعلى وبين يديه أربع قوى: التمييز والفهم والحفظ والسرور، كما بين يديه أربعة أشخاص يديرون أمر العالم. . . . ومن مبادئه النهي

عن المباغضة والمقاتلة والخلاف، ولما رأى أن كل هذا يحصل بسبب النساء والأموال، أشاع النساء والأموال، وجعل الناس فيها شركاء كاشتراكهم في الماء والكأ والنار، يصف الملطي

مبدأهم بقوله: " . . . وذلك أنهم زعموا أن الدنيا خلقها الله خلقاً واحداً، وخلق لها خلقاً

واحداً وهو آدم جعلها له يأكل من طعامها ويشرب من شرابها ويتلذذ بلذائذها وينكح نساءها فلما مات آدم، جعلها ميراثاً بين أولاده بالسوية، ليس لأحد فضل في أهل ولا مال، فمن قدر على ما في أيدي الناس وتناول نساءهم بسرقة أو خيانة، أو مكر أو خلافة، أو بمعنى من المعاني فهو له مباح سائغ، وفضول ما في أيدي ذوي الفضل محرم عليهم حتى يصير بالسوية بين العباد سواء " (الملطي، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، ص 92).

وقد اهتم المسلمون بتاريخ مزدك والمزدكية لما فيها من خطر مباشر على الكيان الإسلامي من حيث دعوتهم إلى إستباحة المحرمات التي كانت لها صلة قوية بالحركات المغالية التي نشأت في العهد الإسلامي، كالخرمية والمازيارية اللتين تبيحان المحرمات من النساء والمحظورات التي حرمتها الشريعة الإسلامية.

10.6 الكونفوشيوسية

نسبة الى كونفوشيوس أعظم فلاسفة الصين، المولود عام 551 ق. م الذي تقلد عدة وظائف، إلا أنه تركها واعتزل، ونذر نفسه لنشر الآداب الصينية وشرحها، وحذا حذو بوذا في التخلي عن الدنيا والانقطاع الى التأمل والعبادة.

وقد تعرف في شبابه الى مؤسس الديانة الطاوية التي هي في أصلها نظام دين وفلسفة أسسها - لاو - تزد - في القرن السادس قبل الميلاد، وتهتم بأمر ما وراء الطبيعة، وتعد عبادة الأوثان سخفاً وجهاً ولكنها قلما تشير إلى الألوهية.

والكونفوشيوسية ليست ديناً في الأصل وإنما هي مذهب سياسي استمد مبادئه من علماء العصور القديمة ومن الحكماء والعقلاء.

قلنا: أن كونفوشيوس اعتزل الحياة العامة ونذر نفسه لنشر الآداب الصينية بعد أن صقلها وهذبها وأضاف إليها، وعدت هذه الآداب هي الدليل الذي لا يخطيء في الوصول إلى الحياة الفاضلة، ولذا فقد عرفت هذه الآداب بالكتب الدينية المقدسة، وسميت بالآداب القديمة الخمسة.

ولم يهتم كونفوشيوس كثيراً بعالم ما وراء الطبيعة وإنما دعا إلى الأخذ بالمنطق، كما دعا إلى المحبة والاحترام والخير والعفو.

وأما تعاليمه فتتلخص في:

1. ضرورة التضحية بالنفس وتكوين العادات القديمة وتثقيف المرء لنفسه والثقة بالناس

والتراخي في علاقات المرء مع الآخرين.

2. الإخلاص للحاكم والأمة هو الطريق المؤدي للمملكة الفاضلة والمحقق للسعادة البشرية .
3. على الإنسان أن يطهر نفسه ويسيطر عليها ويسير وفق تقاليد آبائه وأجداده .
4. على الإنسان أن يموت في سبيل الفضيلة والحفاظ عليها وأن يكون عادلاً بلا محاباة ولا تحيز .
5. والفضائل التي نادى بها الكونفوشيوسية هي: احترام الوالدين، وإطاعة الصغير لأخوانه الذين يكبرونه، والوفاء، والإخلاص، والحشمة، والأدب، والحياء، والإحساس بالتحجّل . (أسود، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، ص 89) .

11.6 الديانات الهندية

تعد الهند من الأمم القديمة ذات التاريخ العريق وكان لها مدينة قديمة وحضارة موغلة في القدم .
ومن أهم ما يميز الديانات الهندية تعددها وتداخل بعضها ببعض في مصادرها الأولى وتشابه أربابها وآرائها، ثم اختلافها في كل مراحل تطورها (د. الزحيلي، تاريخ الأديان ص 162) .
ومن أهم الديانات القديمة والمتعددة في الهند: الديانة الفيديّة، والديانة البرهمنية، والديانة البوذية، والديانة الهندوسية .

1.11.6 الفيديّة

وهي من أقدم الديانات الهندية، حيث عرفت سنة 1200 ق . م، وتنسب إلى كتابهم المقدس " الفيديا " وتتلخص هذه الديانة بأمرين اثنين: أولهما: القول بتعدد الآلهة وتنوعها؛ فهناك إله للخير وإله للحرب وإله للسلم وإله للجمال . . . إلخ كما أن آلهتهم ليست من البشر أو من النباتات فقد تكون شجراً أو قد تكون أنهاراً وقد تكون حيواناً وقد تكون كوكباً . . . إلخ والثاني: دوام الخلق، ولا يكون الخلق دائماً إلا بتقديم القرابين والتضحية، حيث أن الآلهة لاتستطيع وحدها أن تسيّر العالم وأن تزيد فيه، والقربان هو أساس الزيادة في الخلق وتعدده ونموه، ويأخذ العالم قوته من هذه القرابين فإذا قوي أحدث خلقاً جديداً واستمر في الوجود وتطور .
وتبعاً لذلك يؤمن أصحاب هذه الديانة بتعدد الطبقات، وأن الناس ليسوا طبقة واحدة؛ بل يختلفون في الدرجة والأصل والمنزلة، وأن أعلى الطبقات هي طبقة المصلين - البراهمة .

2.11.6 البرهمية

براهما في اللغة السنسكريتية اسم الله عز وجل وهو عند البراهمة الإله الموجود بذاته الذي لاتدرکه الحواس ويدركه العقل، وهو مصدر الكائنات كلها لاحد له . وهو الأصل الأزلي المستقل الذي يستمد العالم وجوده منه . (دائرة معارف القرن العشرين، ص155) .

والديانة البرهمية هي الديانة الفيديّة المعدلة حيث دخلها التغيير والتعديل من القول بآلهة متعددة إلى القول بإله واحد هو براهما، ولكنه متصف بصفات أو عدة أسماء لاعتبارات مختلفة، فهو براهما باعتبار أنه الإله الخالق، وهو فيشنو باعتباره الإله الحافظ، وهو سينا باعتبار الآلهة المفني والمهلك .

هذا الإله " براهما " هو الذي خلق العالم، ولكنه حل فيه، بل حل في كل موجود. وبذا فهم يقولون بوحدة الوجود والحلول .

كما يؤمن البراهمة بمبدأ تناسخ الأرواح حيث تنتقل روح الإنسان إلى صورة حيوانية أو غير حيوانية بشكل راق أو منحط، وعلى الإنسان أن يبحث عن الرقي ويسعى إليه، ولا يكون ذلك إلا بعمل الخير وممارسة الفضائل التي تدفعه إلى الوحدة من خلال مراحل تدعى " الكارما " التي هي نوع من التقمص المتدرج المتعدد الذي يؤدي إلى الوحدة .

ويترتب على هذه المبادئ إنكارهم للنبوات، فقد أنكروا النبوات لأنه لا حاجة لها، فإن الصالح تنتقل روحه إلى جسد حسن جميل والفاقد تنتقل روحه إلى حيوان قبيح منحط فتدخل الروح الصالحة والفاصلة أجساداً مختلفة، وتنتقل من حياة إلى حياة دونما نهاية فالروح خالدة أبدية ولذا فلا يوجد في مبادئهم يوم آخر للحساب والثواب بل الدنيا هي دار الثواب والعقاب .

3.11.6 البوذية

نسبة إلى فيلسوف هندي اسمه بوذا ظهر في أواخر القرن السادس قبل الميلاد، حيث ترك حياة الرفاهية والبذخ التي كان قد نشأ عليها وعاش فقيراً متجولاً في المدن والقرى باحثاً عن الحقيقة وطالباً لها مكثراً من الزهد والتأمل، فتنكشف له الحقائق بعد لأي ويصل إلى المعرفة ويبدأ بالتجوال مبشراً بهذه المعرفة التي حصل عليها .

ومن أهم مبادئه :

1 . إلغاء نظام الطبقات الذي كان موجوداً في الديانة البرهمية، وتقرير أن الناس جميعاً سواسية، لافرق بين شخص وآخر لباللون ولا بالجنس وهم متساوون في الحقوق والواجبات، كما دعا إلى الإخاء والمساواة والسلام والرأفة بالضعفاء .

2. قررت هذه الديانة أن هذا العالم هو عالم الشرور والأذى، وأن على الإنسان أن يزهّد في هذه الحياة ويتعدّد عن لذائذها ومغرياتها كي يتعدّد عن الشرور ولا يقع فيها، وعليه أن يتصف بالأخلاق الفاضلة وبذا يصل إلى دار النعيم " النرفانا " وهي الدار الحقيقية التي تستقر فيها نفوس الأبرار.
 3. كما آمن أصحاب هذه الديانة بالاعتقاد بحياة أخرى غير هذه الحياة، يثاب فيها كل إنسان على ما قدم من عمل، حيث التحلي بالأخلاق الفاضلة يصل إلى هذه الدار، وأما الذي لا يتصف بالأخلاق الفاضلة الحسنة فلا يصل إليها، بل يحكم على روحه بالتناسخ، حيث تنتقل إلى جسم آخر أردأ من الجسم الذي كانت فيه سواء كان جسم إنسان أو حيوان وتبقى كذلك حتى تتطهر من ذنوبها، فتقترب بعد ذلك من الإله.
 4. لم تبحث الديانة البوذية في الإله وموضوعات ما بعد الطبيعة وما له علاقة في القضايا الكونية الدقيقة، بل كان بوذا ينهى أصحابه وزواره عن الخوض في هذه الأبحاث ويسخر ممن كان يقول بوجود الله على أن بعض أتباعه ممن جاءوا بعده فكروا في الإله، وذهب بعضهم إلى القول بحلول روح الإله فيه، بل إن بوذا نفسه كائن لاهوتي هبط إلى هذا العالم لينقذه من الشرور والآثام.
- وبمرور الزمن بدأت البوذية تتلاشى وتذوب في الديانة الهندوسية وطقوسها وألهتها ووضع البوذيين تمثال بوذا بين تماثيل آلهة الهندوس.

4.11.6 الهندوسية

- وهي مجموعة من العبادات والطقوس والآراء والعقائد التي تبدو فيها المظاهر البدائية في التفكير والعقيدة، كما فيها الآراء الفلسفية وهي ديانة الغالبية العظمى في الهند.
- ويميل بعض المؤرخين إلى عدّها امتداداً للديانة الفيديّة وتطوّراً لها، ولكن ليس لها مؤسس بعينه، بل هي دين متطور ومجموعة من الطقوس والتقاليد تمثل أسلوباً في الحياة أكثر من كونها مجموعة عقائد.
- وأهم ما يميّز هذه الطقوس والتقاليد:
1. نظام الطبقات، حيث قسم كهنة الهندوس المجتمع الهندوسي إلى أربع طبقات أعلاها طبقة البراهمة وهم رجال الدين، وتقوم بدراسة أسفار الفيديا وتعليمها وتقديم القرابين التي لا تقبل من الناس إلا عن طريقهم، وتليها طبقة الملوك والحكماء والمحاربين فتليها طبقة التجار والمزارعين فطبقة العمال والصناع.

2. احترام البقرة وتقديسها، حيث يشعر الهنود أنها مخلوق يقدم للناس نفعاً كبيراً مما تنتجه من ألبان وسماد، ومن الشعور بالجميل نحوها بادلها الفلاح الهندوسي بنوع كبير من التقدير والتعظيم، وتطور ذلك التعظيم حتى اكتسب لوناً مميزاً من ألوان الاحترام العميق لها من قبل الطبقات الهندوسية الأربع.
 3. وحدة الوجود التي تقول بأن الإله براهما والروح آتمان شيء واحد، وأن الخالق ومخلوقاته شيء واحد، وأن براهما ليس سوى مجموع الأرواح والقوى المنتشرة في الكون والتي تتمثل مظاهرها في جميع ما في الكون من كائنات.
 4. كما يؤمنون بتناسخ الأرواح مع خلودها، وأن الروح في عالمها الجديد لاتذكر شيئاً عن عالمها القديم.
 5. أما نظرتهم إلى الألوهية فتتلخص في نزعتين مختلفتين هما نزعة الوحدانية ونزعة التعدد، وهي الأغلب والأعم في المجتمع الهندي، إذا يبلغ عدد الآلهة في الهند حداً كبيراً فلكل قوة طبيعية إله يتقربون إليه ويستنصرونه ويقدمون له القرابين.
- وأما الوحدانية فقد جاءت عندما جمع الكهنة الآلهة في إله واحد، وقالوا انه هو الذي أخرج العالم من ذاته وهو الذي يحفظه إلى أن يهلكه أو يرده إليه (أسود، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، ص 66-67).

12.6 الإسلام

أخي الدارس، أختي الدارسة:

لابد أن نشير هنا إلى أن الدين عند الله الإسلام، ولذا فالإسلام ليس الدين الذي نزل على محمد صلى الله عليه وسلم فحسب؛ بل هو الدين الذي أنزله الله على الأنبياء جميعاً، فالأنبياء جميعاً دينهم واحد، وإذا كان دين الأنبياء جميعاً الإسلام فما الإسلام؟ وما أهم أركانه؟

أما الإسلام فهو بمعناه العام الدين الذي جاء به الرسل جميعاً وأما بمعناه الخاص فهو مجموعة المبادئ والعقائد التي جاء بها محمد [بوحى من ربه، وتتضمن مجموعة الأركان العملية والأركان الاعتقادية النظرية والمبادئ الأخلاقية].

وقد وضع الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب [عن الرسول] معنى الإسلام توضيحاً لالبس فيه، حيث أخبرنا عمر بن الخطاب [قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله] ذات

يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي [فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله [الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً قال: صدقت قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه قال: فأخبرني عن الإيمان قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال: صدقت قال: فأخبرني عن الإحسان قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . . . قال ثم انطلق فلبثنا ملياً ثم قال: يا عمر أتدري من السائل قلت: الله ورسوله أعلم قال: فإنه جبريل جاء يعلمكم أمور دينكم (الإمام النووي، شرح صحيح مسلم كتاب الإيمان، مجلد1، ص157) .

وقد وضح الرسول [أركان الإسلام العملية من عبادات ومعاملات واحوال شخصية . . . وسماها العلماء " الشريعة " واما المبادئ النظرية الاعتقادية فأطلقوا عليها " العقيدة " .

والآن أخي الدارس، أختي الدارسة:

على أثر دراستك هذه الوحدة . . . وتعرفك مبادئ الأديان السماوية منها والوضعية والمدارس التي بحثت في نشأة الأديان، ألا ترى معي أن الإنسان بحاجة إلى دين؟! ولكن أي دين؟



تدريب (6)

ديانة الصابئة تعتمد مبدأً أساسياً مهماً هو إدخالهم الكواكب والروحانيات في العبادة. وضح هذه الفكرة مع بيان أسبابها، وبين طوائف هذه الديانة.



أسئلة التقويم الذاتي (3)

أخي الدارس، أختي الدارسة:

بعد أن درست هذه الوحدة وهي المدخل إلى دراسة الأديان بأقسامها الخمسة، الدين ومفهومه، والدين نزعة فطرية، وآراء علماء الاجتماع والنفس في نشأة الدين، والعلاقة بين الدين والفلسفة والعلم والخلق. أرى أن تجيب عن الأسئلة التالية لتتعرف على مدى استيعابك لهذه الموضوعات. وهذه الأسئلة هي:

- السؤال الأول : ضع علامة صح أو خطأ إزاء كل جملة من الجمل التالية :
1. هناك فروق كبيرة بين الديانات الوضعية والدين السماوي أهمها أن الديانات الوضعية من وضع أفراد من البشر بينما الدين السماوي هو تعاليم إلهية تنزل إلى الناس من الله سبحانه وتعالى بوساطة الوحي .
 2. قوم ثمود من القبائل العربية البائدة المتفرعة من أولاد سام بن نوح ، كانوا يعيشون في أرض الأحقاف شمال حضرموت وجنوب شبه الجزيرة العربية .
 3. لم يكن للدين شأن في حياة قدماء المصريين ، وما المعابد والهيكل والأهرامات إلا مظاهر تدل على هذه الحقيقة .
 4. تجتمع طوائف الصابئة على الإيمان بالله ، وعلى مبدأ التوسط بينه وبين المخلوقات ، ولكنها تختلف في تحديد هذه المتوسطات ، فمنهم من يقول بأنها متوسطات روحانية مطهرة مقدسة ، ومنهم من يقول انها الكواكب ومنهم من يقول انها على مثال الأشخاص
 5. عمرو بن لحي بن قمعة أحد رؤساء خزاعة أول من غير دين إبراهيم عليه السلام وأول من أدخل عبادة الأصنام إلى جزيرة العرب .
 6. تجتمع طوائف الديانة المجوسية على مبدأ الأثنية أي ثبات أصلين اثنين مدبرين للكون ، ولكنها تختلف في نظرتها إلى بعض الجزئيات المنبثقة عن هذا المبدأ .
 7. من أهم ما دعا إليه كونفوشيوس الإيمان بعالم ما وراء الطبيعة كالיום الآخر والثواب والعقاب والجنة والنار . . إلخ .
 8. ترتب على مبدأ التناسخ في الديانة البرهمية أنكارهم للنبوات وللعقاب والثواب .
 9. يطلق الإسلام بمعناه الخاص على الدين الذي جاء به الرسل جميعاً من عند الله ، ويطلق بالمعنى العام على مجموعة المبادئ والعقائد التي جاء بها محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من عند ربه .
- السؤال الثاني : فرق بين الدين الإلهي والأديان الوضعية .

السؤال الثالث: قارن بين الديانات المجوسية وبين الديانات الهندوسية من حيث:

- أ. الألوهية ب. النبوة ج. خلق الكون
د. المعاد هـ. الأخلاق

السؤال الرابع: اهتم المسلمون بتاريخ مزدك والمزدكية. علل؟

السؤال الخامس: عرف كلاً مما يلي: الدين، والفطرة، وعلم الألاق، والطوطمية، والعقل الجمعي، ووحدية الوجود، والتناسخ، والنرفانا، والكارما.

السؤال السادس: فرق بين الدين من جهة وبين الأخلاق والعلم والفلسفة من جهة ثانية.

السؤال السابع: كيف ترد على علماء الاجتماع في آرائهم حول نشأة الدين؟
السؤال الثامن:

أ. ما أهمية دراسة مقارنة الأديان؟

ب. أين نشأت كل من الديانات التالية: المانوية، والبرهمية، والمزدكية، والمجوسية، والصابئة، والكونفوشيوسية ومن هم مؤسسوها. السؤال التاسع: " الإنسان متدين بطبعه " اشرح هذا القول بما لا يقل عن سبعة أسطر.

7. الخلاصة

- أخي الدارس، أختي الدارسة، أما وقد درست الوحدة الأولى من هذا المقرر " المدخل إلى دراسة الأديان " فأليك أهم الأفكار الواردة في هذه الوحدة:
- كلمة الدين تعني الخضوع والانقياد وهي علاقة بين طرفين.
 - يعرف الدين بأنه الإيمان بذات إلهية جديرة بالطاعة والعبادة، وهي التي تدبر وتعلم بشؤون الإنسان. ويبعث هذا الإيمان على مناجاة تلك الذات في رغبة ورهبة وخضوع.
 - الفرق بين الدين والعلم: يبحث العلم في الماديات والمحسوسات ولا يستطيع تفسير الأسئلة الأولى، وقد تكون نتائجه غير يقينية وهو يهدي إلى الإيمان. بينما مجال الدين الروحانيات ويفسر الأسئلة الأولى التي سألها الإنسان ووقف حائراً أمامها، وما ذهب إليه الدين يعد يقينياً لا رجعة عنه. ولا بد من تعاون الإثنين معاً العلم والدين لخير الإنسانية.

- الخلق هو قوة النزوع إلى فعل الخير وضبط النفس عن الهوى . يدعو الدين إلى الأخلاق الكريمة، إلا أنهما يختلفان من حيث أن قوة الإلزام لدى القانون الديني أقوى منها في علم الأخلاق بحيث يصبح أتباع الفضائل نوعاً من الطاعة لأوامر الدين وباباً من أبواب القربات، فضلاً عن كونه تحقيقاً لمبدأ العدالة الإنسانية وتلبية لداعي الفطرة .
- تختلف الفلسفة عن الدين في موضوع: الدراسة، والمنهج، والأسلوب والهدف . فغاية الفلسفة نظرية حتى في قسمها العملي بينما غاية الدين عملية حتى في قسمها النظري وعمل الفلسفة عمل إنساني يشوبه النقص بينما الدين من الله فهو الكمال .
- الدين فطري في الإنسان، وهو ضروري لتكميل القوة النظرية والوجدانية والإرادة في الإنسان، فيمده بأعظم الدوافع ووسائل المقاومة لعوامل اليأس والقنوط، ويحسم الصراع النفسي لديه، وبهذا فهو يعبر عن حاجات النفس الإنسانية في مختلف جوانبها .
- يوجد مدارس كثيرة لتفسير نشأة الدين عند الإنسان فالمدرسة الروحية رأت أن ملاحظة الروح وهي تخرج من الجسد عند الموت هي التي تبعث التدين في نفس الإنسان فعبد الإنسان تلك الروح، وهناك من قال بأن الظواهر الطبيعية هي التي بعثت التدين في نفس الإنسان فعبد مظاهر الطبيعة . وهناك من قال بأن العقل الجمعي هو مبعث التدين في نفس الإنسان (علم الاجتماع) . أما أصحاب المذهب النفسي فأروا أن الصراع القائم بين شعور الإنسان وإرادته وما ينتج عنه من آلام ورضا ونور مضادة لتلك الآلام هي التي بعثت التدين في نفس الإنسان .
- وجهت انتقادات كثيرة لتلك النظريات منها أن الطوطمية نظام اجتماعي وليست ديناً كما أن العقل الجمعي ليس هو المحرك الوحيد للدين، بل من الثابت أن للإنسان الفرد أهميته، وأن الدين نزعة فردية وليست اجتماعية . كما أن الدين عادل ولا يقبل بخرافات العقل الجمعي .

- إن دل هذا التناقض على عجز العلم عن تفسير أو وضع التفسير الأمثل لنشأة الدين عند الإنسان فقد حلت هذه المسألة في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ فَأَقَمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ (الروم: 30) أي أن نشأة الدين غريزة فطرية في الإنسان.
- حاجتنا لدراسة مقارنة الأديان تتعلق بالعميقة لفهم ما عند الآخرين من أديان ودحض حججهم وحفظ ديننا الإسلامي الحنيف من كل شائبة والرد على كل الشبهات الواردة عليه.
- وأخيراً لمحة عن الديانات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم كديانة قوم عاد، وقوم ثمود، والصابئة، والمجوس، ومشركي العرب، وديانات لم يرد ذكرها في القرآن الكريم مثل البرهمية، والبوذية، والفيدية، والمناوية، والزرادشتية والكونفوشيوسية والديانات المصرية القديمة . . . إلخ.

8. لمحة مسبقة عن الوحدة الدراسية التالية

أخي الدارس، أختي الدراسة:

بعد أن عرفت معنى الدين وأن الدين نزعة فطرية في الإنسان، وتعرفت الفروق بين الدين والعلم والفلسفة والأخلاق، وتبينت كيفية نشأة الدين عند الإنسان، باستعراض آراء العلماء وخاصة علماء الاجتماع والنفس والرد عليها، نريد أن نطوف بك في بعض بلدان العالم التي تعد مهداً للديانات السابقة وهي بلاد المشرق، فمن الهند نستعرض معك الديانة الهندوسية - وهي ديانة الغالبية العظمى من الهنود - ولهم آراء في الدين وطريقة في الحياة تلتخص في التناسخ وتكرار المولد وتقديس البقرة ونهر الكنج، لنرى ما هي أهم عقائدها وكتبها المقدسة وشرائعها ومدى انتشارها في العالم.

كذلك البوذية التي تركز على تعاليم بوذا ووصاياه العشر وأخلاقها وعقائدها ومدى انتشارها، ثم نتكلم عن الزرادشتية في بلاد فارس: أهم شرائعها وعقائدها ومدى انتشارها في العالم.

تدريب (1)

نعم، فتعريف الدكتور دراز للدين هو: الاعتقاد بذات غيبية علوية لها شعور واختيار، ولها تصرف وتديبر للشؤون التي تعنى بالإنسان اعتقاداً من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات في رغبة ورهبة وخضوع وتمجيد.

أما تعريف علماء المسلمين فهو: وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات، وإلى الخير في السلوك والمعاملات. أو هو: وضع إلهي يحسن الله تعالى به إلى البشر على لسان واحد منهم لا كسب له فيه، ولا صنع، ولا يصل إليه بتعب ولا تعلم، وإنما هو وحي وتعلم من الله تعالى يلقيه الله إلى عبده. أو هو: جملة التكاليف الشرعية والمعاملات المالية والسياسية والأخلاقية التي يوحىها الله جل شأنه إلى رسول من رسله الذين يختارهم لتبليغ رسالته وتوصيل تعاليمه وهدايته. أو هو الخضوع لله تعالى والتذلل له والإيمان بوحدانيته جل شأنه، والسجود له جل شأنه، واختصاصه جل شأنه بهذا السجود، فلا يسجد المرء إلا لله، ولا يذبح إلا لله، ولا يدعو إلا إياه. . . . وغير ذلك من التعريفات. وأما عناصره فهي:

1. شعور الناس بوجود قوة أعظم منهم شأنًا وغير مسخرة لهم
2. اعتقاد الناس بأن لهم صلة بهذه القوة
3. سعي الناس إلى إيجاد واسطة لتوثيق هذه الصلة.

والفرق بين مفهوم الدين عند علماء الغرب وبين مفهومه عند علماء الإسلام هو:

1. الدين عند علماء الغرب خاضع لنظرة الشخص إلى ما يعتقد. بينما هو عند علماء المسلمين نابع من مفهوم الدين نفسه، ومن هنا حار علماء الغرب في إعطاء تعريف شامل للدين، بينما اتفق علماء المسلمين على مفهوم الدين.
2. علماء الغرب أبهموا فكرة الألوهية في تعريفاتهم لأنها تترك كثيراً من المعتقدات خارج دائرة تعريف الدين، بينما كانت فكرة الألوهية محور مفهوم الدين، والأساس الذي قام عليه.
3. لم يهتم علماء الغرب بأوصاف الإله، بل جعلوه ضمن عالم الغيب المقدس الذي شملته نظرتهم إليه. بينما الإله في المفهوم الإسلام واضح كل الوضوح بذاته وصفاته.

4. تعريف علماء الغرب للدين أدخل الديانات الإلهية والديانات الوضعية في مفهومه، بينما تعريف الإسلام للدين أخرج كل ما عدا الدين السماوي الحق، فأخرج جميع الأديان الوضعية - وسمى معتنقيها - " أهل النحل " كما سمي معتنقي الديانة الإلهية الصحيحة " أهل الملل " .

تدريب (2)

طبعاً الدين لأن قوة الإلزام لدى القانون الديني أقوى من قوة علم الأخلاق، وأن توجيه السلوك يعد نوعاً من الطاعة لأوامر الدين، وكذلك تطبيق الدين يعد نوعاً من العدالة الإنسانية، فالدين إذا وجه العلم إنما يوجهه لصالح الفرد والمجتمع بما تقتضي العدالة الإلهية بينما علم الأخلاق مهما بلغ من الرقي فلا بد أن تظهر فيه المصلحة الفردية مقدمة على المصلحة العامة .

تدريب (3)

تتخذ الفلسفة جانب الحذر والشك تجاه أي فكرة مهما كانت بدهية، ويتجنب الفيلسوف التسليم بصدق أي مسلمة إلاّ بعد الفحص والتمحيص مستعملاً بذلك مبدأ الاتساق الذاتي بين المقدمات والنتائج حتى لو لم تتطابق مع الواقع للتيقن من صدق النتائج .

أما الدين فيبدأ بالتسليم بمسلمات عقائدية وحقائق إيمانية مصدرها الوحي ولا سبيل للشك فيها .

صحيح أن الشك في بعض الأحيان يؤدي إلى اليقين ولكن هذا يعد صحيحاً في العلوم الحسية التي في متناول أيدينا أو في حدود العقل . أما غير ذلك فعلياً أن لانستعمل العقل لإثبات (اليقينيّات التي عن طريق الوحي) أو الشك فيها إن التسليم بهذه اليقينيّات يؤدي إلى الطمأنينة النفسية فنجد أن الأعرابي لما هدته فطرته إلى الخالق بأيسر السبل استراح واطمأن ليسير عقله في البحث عن أمور في متناول هذا العقل تفيدته وتفيد الآخرين .

على أن هذه ليست دعوة لإبطال عمل العقل بل دعوة لإشغال العقل بما يفيد المجتمع والأمة فيما هو نافع ومفيد، لا فيما هو محير ومقلق وغير مفيد .

ذهب علماء الاجتماع في تفسير نشأة الدين إلى وضع ثلاث نظريات هي :

1. النظرية الروحية: والتي تعني أن الإنسان البدائي الأول تخيل أن في الحيوانات شيئاً غير مرئي يسمى الروح، فحاول معرفة كنه هذه الروح ولكنه عجز، ولما رآه من مظاهر مفارقة الروح للجسد في حالتي النوم والموت اعتقد أن الروح مع مالها من ميزات تميزها عن الجسد، ومالها من تأثير آمن بقوتها فحاول التقرب إليها سواء كانت طيبة أو شريرة، والطريقة هي العبادة وتقديم القرابين لها وتأدية شعائر الخضوع والاستكانة إليها.
 2. النظرية الطبيعية: وهذه تستند إلى المادة الميثية والمحسوسة وأن الدين نشأ من التجربة واستلهم أحكامه ونفوذه منها، فإن لمظاهر الطبيعة نفوذها وتأثيرها حيث نبهت فكرة الدين في الإنسان ووجهته إليها، وشعر بضعفه حيالها وأنها متحكمة فيه، فتقرب إليها بالعبادة والخضوع.
 3. النظرية الطوطمية: وتعني أن الجماعات الأولى من البشر اتخذت كل جماعة شعاراً لها حيواناً أو نباتاً أو جماداً، اهتمت به فاجتمعت حوله وقدسته، وجعلوا صلة القربى بينهم لا تقوم على أساس الأبوة والأمومة بل على الطوطم الذي يجمعهم.
- والطوطم مشتق من الكلمة اللاتينية (Totem) أي حيوان أو نبات أو جماد اتخذته جماعة من الناس شعاراً لها لكن لا تعرف أسرار العلاقة بين الطوطم وتقديس الإنسان له. ولذا فقد اختلفت آراء العلماء في النظرة إلى هذه العلاقة فمنهم من قال بأن الطوطمية نظام اجتماعي وليس ديناً، ومنهم من ذهب إلى أنها دين فح معقد، وأن الطوطمية تتضمن الاعتقاد بأن الإنسان والحيوان والنبات نشأت كلها من جوهر واحد.

الدين في نشأته فردي بحت وهذا ما تثبته الفطرة قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ (الروم: 30) وفي تطوره فردي واجتماعي، فيه الجانب الفردي من صلوات وعبادات وعقائد خاصة (تهدي من روعه) بينه وبين ربه وفيه الجانب الاجتماعي من نواه وأوامر وأحكام ومذاهب أخلاقية.

يؤمن الصابئة بمتوسطات بين الله وبين البشر، هذه المتوسطات ليست بشراً بل هي من غير البشر ومن غير الحيوانات، فقد تكون متوسطات روحية مطهرة مقدسة جوهراً وفعلاً وحالة، مبرأة عن القوى الجسدية، منزهة عن الحركة المكانية والتغيرات الزمانية، ووظيفتها الشفاعة للناس عند خالقهم، فيتوجه إليها الناس يسألون حاجاتهم ويعرضون أحوالهم.

وقد تكون المتوسطات كواكب سماوية، وهي هياكل المتوسطات الروحانية، حيث تقربوا إليها وقدسوها باعتبارها هياكل للروحانيات فكأنهم تقربوا إلى الروحانيات ذاتها.

وقد تكون المتوسطات صوراً أو أشخاصاً ظاهرة، يعكفون عليها بالعبادة ويتوسلون بها إلى الهياكل... ومن أجل ذلك اتخذوا أصناماً أشخاصاً على مثل الهياكل السبعة.

وقد تكون المتوسطات ملائكة قدسوها وعبدوها وسموها آلهة وبنوا لها بيوت العبادة.

أما الطوائف التي تتكون منها الصابئة فهي:

1. أصحاب الروحانيات الذين يقرون بوجود الله وبمبدأ يتوسط بين الله وبين المخلوقات، هي المتوسطات الروحانية التي يمكن أن يتصلوا بها عن طريق التضرع والابتهاال وإقامة الصلوات والصيام وتقديم القرابين والذبائح، فتشفع لهم عند الله.

والمتوسطات هذه هي المتصرفة في هذا الكون ومدبرات أمره والمؤثرات في الخلق والإيجاد.

2. أصحاب الهياكل والأشخاص: وهم عبدة الكواكب والأصنام أما عبدة الكواكب فهم يؤمنون بأن لكل متوسط روحاني هيكلاً، وهذه الهياكل هي الكواكب السيارة حيث تقربوا إليها بالعبادة كما تقربوا إلى الروحانيات.

وأما عبدة الأشخاص فقد ذهبوا إلى أن الكواكب لاتصلح أن تكون وسائط يستشفع بها لأنها ترى مرة ولا ترى مرة أخرى، فلا بد من صور أو أشخاص قائمة ظاهرة يعكفون عليها بالعبادة ويتقربون إليها، لأن في التقرب إليها تقريباً إلى الروحانيات التي يتقربون بها إلى الله، فاتخذوا أشخاصاً أصناماً على مثال الهياكل.

3. صابئة حران: وهؤلاء يوحدون الله وينزهونه ولكنهم في الوقت نفسه يعظمون الفلك ويقدمونه، وقد سمي هؤلاء الكواكب ملائكة، ومنهم من سماها آلهة فقدسوها وعبدوها وبنوا لها بيوت العبادة.

وقالوا بحلول الإله في الكواكب وفي الأشخاص، كما قالوا بالتناسخ.

4. الصابئة المندائيون: وهؤلاء يوحدون الله ويعتقدون بأن الله علة الكائنات والوجود، وأن الله حي بنفسه أزلي أبدي، لاتدرکه الأبصار ولا تناله الحواس.

ولكنهم يقولون بأن ثلاثمائة وستين شخصاً يلون الله في المنزلة الإلهية، وهؤلاء ليسوا بشراً ولا ملائكة، ولم يخلقوا كسائر المخلوقات، ولهم أزواج مثلهم وأولاد لم يحصلوا من النكاح بل من الكلام، وأنهم موظفون بوظائف روحانية، ويعلمون الغيب. وللنجوم عندهم دور في تدبير أمر العالم حيث وكل إليها سعادة الإنسان وشقاوته، ويقولون بنبوّة آدم وشيث وإدريس وسام وإبراهيم ويحيى عليهم السلام.

الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه وإن لم تكن تراه فإنه يراك .

الإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً .

الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره .

التناسخ: انتقال الروح الإنسانية بعد الموت من بدن إلى بدن آخر، سواء أكان هذا البدن الآخر إنساناً أم حيواناً، أعلى أو أدنى، لتنعّم أو تعذب على سلوك صاحبها الذي مات .
الثنوية: هم أصحاب الإثنين الأزليين، وهم الذين أثبتوا أصلين اثنين مدبرين قديمين يقتسمان الخير والشر والنفع والضرر والصالح والفساد يسمى أحدهما النور ويسمى الآخر الظلمة .

الحلول: هو حلول ذات الله أو روحه في شخص من البشر سواء أكان هذا الحلول بجزء من الذات الإلهية أو بكلها .

الدين: هو الاعتقاد بوجود ذات غيبية علوية لها شعور واختيار ولها تصرف وتديبر للشؤون التي تعني الإنسان اعتقاداً من شأنه أن يبعث على مناجاة تلك الذات في رغبة ورهبة وخضوع وتمجيد .

الطاوية: ديانة صينية تدعو إلى ترك الأمور تجري على أعنتها دون أن يبذل الإنسان جهداً لتغييرها، وتذهب إلى أن قوة كامنة في الطبيعة أو خلقها يسري بها الكون، وأن هذه القوة هي التي أوجدت الكون من لا شيء وتستطيع أن تجعل من الكون مرة أخرى عدماً - لا شيئاً - فتعيد ما كان إلى ما كان .

الطوطم: هو شعار أو رمز لطائفة من الناس أختاره أجدادهم من قبل يلتقون حوله ويحتمون به ويعتقدون بأن له رابطة قدسية تربطهم به وغالباً ما يكون حيواناً أو نباتاً .
العلم: هو تفسير الظواهر بالملاحظة والتجربة، واستخلاص النتائج، ومجاله الماديات والمحسوسات حيث يستطيع بناءً على الملاحظة والتجربة التنبؤ بحدوث الظواهر الأخرى وضبط الأمور المتعلقة بها .

علم الاجتماع: هو العلم الذي يقوم على دراسة المجتمعات وطرق تنظيمها وكيفية نشوئها وآثارها والظواهر الاجتماعية من حيث نشوؤها وآثارها .

العقل الجمعي: هو نتاج اجتماع أفراد كثيرين في حادثة معينة إذ يضيف كل فرد منهم على هذه الحادثة آراءه التي يعتقد بها دون رقابة ولا شعور، وهو يؤثر على الأفراد تأثيراً عجبياً نتيجة للتقليد الأعمى.

علم النفس: هو العلم الذي يدرس السلوك الإنساني الحي ودوافعه أو هو علم يدرس الظواهر السيكولوجية والقوانين التي تحكمها ويخضع للملاحظة الداخلية والخارجية.

علم الأخلاق: هو العلم الذي يضع قواعد السلوك الإنساني السوي والسليم، ويقوم بالحكم عليها بالخير أو الشر ويقوم بتوجيه السلوك إلى فعل الخير.

الفيدا: مجموعة كتب هندية مقدسة لاحتوي إلا على البرهمية الأولى وهي كثيرة جداً يعتقد الهندوس أنها أزلية لا بداية لها وليس لها واضع محدد وللكتب قيمة تاريخية كبرى من حيث حياة الآريين في الهند في عهدهم القديم والجديد وفيه أخبار حلهم وترحالهم، ودينهم وسياساتهم، وحضارتهم وثقافتهم، ومعيشتهم ومعاشرتهم، ومهنهم وحرهم.

الفطرة: الابتداء والخلق، وهي الخلقة أي ما فطر الله عليه الخلق من المعرفة به وهي الإسلام. الفلسفة: هي محاولة دقيقة ومنظمة للربط بين الكون والحياة البشرية، وهدفها كشف طبيعة هذا الكون وعلاقتها به وما ينتظرنا فيه، وهدفها إرضاء عقولنا في سعيها إلى إشباع حب استطلاعنا وقلوبنا في سعيها لإضفاء أكبر قدر ممكن من الدلالة على الحياة البشرية (وهي محبة الحكمة).

الكارما: معتقد هندوسي ومعناها في اللغة السنسكريتية " قانون الجزاء " وهو القانون الذي ليس لأحد أن يتملص منه حيث يجازى الإنسان على أعماله بالثواب إذا كانت أعماله حسنة وبالعقاب إذا كانت أعماله سيئة طبقاً لناموس العدل الصارم.

النرفانا: مصطلح هندي يعني بلوغ النفس الإنسانية الكمال الأسمى وانطلاقها من أسر المادة وانعتاقها من ضرورة التناسخ واجتماعها بالباري العظيم، وذلك لا يتم إلا بوصول الفرد إلى أعلى درجات الصفاء الروحاني بتطهير نفسه والقضاء على جميع رغباته المادية وإنقاذ الإنسان نفسه من ربة الكارما ومن تكرار المولد بالقضاء على الرغبات والتوقف عن عمل الخير والشر.

وحدة الوجود: مذهب يقول بأن الله والعالم حقيقة واحدة ولكن الله هو الموجود الحق ولا موجود سواه، بل كل ماعداه أعراض ومظاهر لوجوده، أو هي مجرد تجليات وفيوضات مستمدة منه .



11. المراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الحديث النبوي الشريف

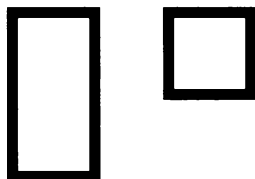
1. صحيح البخاري
2. صحيح مسلم بشرح النووي
3. مسند الإمام أحمد

ثالثاً:

1. ابن الأثير. مجد الدين أبو السعادات، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر الزاوي، الجزء الرابع.
2. ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الخامسة، 1983.
3. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، الجزء الأول، مكتبة النهضة الحديثة، الطبعة الأولى.
4. ابن منظور، لسان العرب.
5. أبوزهرة. محمد، مقارنة الأديان القديمة، القسم الأول، مطبعة يوسف.
6. أسود. عبدالرزاق محمد، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، المجلد الأول، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1981.
7. البهي. محمد، الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1967.
8. الجزائري. أبو بكر جابر، عقيدة المؤمن، مطبعة النهضة الجديدة، الطبعة الأولى.
9. جيب، بنية، الفكر الديني في الإسلام، ترجمة د. عادل العوا، مطبعة جامعة دمشق.

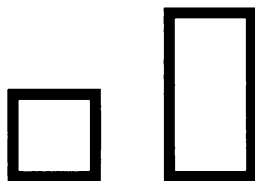
10. حجازي، عوض الله جاد، مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام. د. د. ت .
11. حبنكة، عبد الرحمن حسن، أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، الطبعة الأولى، 1970.
12. حمود. هادي حسين، منهج المسعودي في بحث العقائد والفرق الدينية، مطبعة عصام، بغداد، الطبعة الأولى، 1984.
13. الخطيب، عمر عودة، المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السادسة، 1982.
14. الخياط. عبدالعزيز، المجتمع المتكافل في الإسلام، مكتبة الأقصى، عمان، 1972.
15. دراز، محمد عبد الله، الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم، 1970.
16. ديورانت. ول، قصة الحضارة، ترجمة د. زكي نجيب محمود، الطبعة الثانية.
17. الزحيلي، محمد، العرش. يونس، تاريخ الأديان، المطبعة التعاونية، 1982.
18. الزحيلي. وهبه، نظام الإسلام، دار قتيبة، بيروت، الطبعة الثانية، 1993.
19. الزغبى، زاهر عذب، الإسلام ضرورة عالمية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة.
20. زيغور، علي، الفلسفة في الهند-قطاعاتها الهندوكية والإسلامية المعاصرة مع مقدمات الفلسفة الشرقية-، عز الدين للطباعة والنشر، بيروت، 1993.
21. شلبي، أحمد، مقارنة الأديان، الجزء الرابع، أديان الهند الكبرى، مكتبة النهضة المصرية، 1965.
22. الشهرستاني، أبو الفتح محمد عبدالكريم، الملل والنحل، تحقيق عبدالعزيز الوكيل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
23. الصابوني، محمد علي، النبوة والأنبياء، مكتبة الغزالي، الطبعة الثانية، 1980.
24. صليبا، جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، 1970.
25. الطويل، توفيق، أسس الفلسفة، دار النهضة العربية، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1967.
26. العقاد، عباس محمود، الله، كتاب في نشأة العقيدة الإلهية، دار المعارف، مصر، الطبعة السابعة.

27. القرضاوي . يوسف ، الأيمان والحياة ، الدار السعودية للنشر ، الطبعة الأولى ، 1969 .
28. القرطبي ، أبو عبد الله محمد ، الجامع لأحكام القرآن ، المجلد السابع ، الجزء الرابع عشر .
29. قطب ، محمد ، دراسات في النفس الإنسانية ، دار القلم ، بيروت .
30. لطفي ، عبد الحميد ، علم الاجتماع ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الثانية ، 1966 .
31. مبيض ، يسر محمد سعيد ، اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة ، نشر مكتبة الغزالي ، ادلب ، 1992 .
32. مجمع اللغة العربية ، المعجم الفلسفي ، القاهرة ، 1979 .
33. مظهر ، سليمان ، قصة العقائد بين السماء والأرض ، دار النهضة العربية .
34. المغربي ، علي عبد الفتاح ، الفكر الديني الشرقي القديم ، مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، 1996 .
35. الملطي ، محمد بن أحمد بن عبد الرحمن ، التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، مكتبة المثني ، بغداد ، 1968 .
36. موريسون ، كريس ، العلم يدعو للإيمان ، ترجمة محمود صالح الفلكي .
37. موسى ، سلامة ، العقل الباطن ومكونات النفس .
38. ميد ، هنتر ، الفلسفة - أنواعها ومشكلاتها ، ترجمة د. فؤاد زكريا ، دار النهضة ، مصر ، الطبعة الثالثة .
39. النشار ، علي سامي ، نشأة الدين ، دار نشر الثقافة ، الاسكندرية ، 1949 .
40. الهاشمي ، العميد طه ، تاريخ الأديان ومقارنتها وفلسفتها ، مكتبة الحياة ، بيروت ، 1963 .
41. وجدي . محمد فريد ، دائرة معارف القرن العشرين ، المجلد الرابع .



الوحدة الثانية

الهندوسية، والبوذية، والزرادشتية



محتويات الوحدة

الصفحة	الموضوع
81	1 . المقدمة
81	1.1 تمهيد
82	2.1 أهداف الوحدة
82	3.1 أقسام الوحدة
83	4.1 القراءات المساعدة
84	5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة
85	2 . الهندوسية
85	1.2 توطئة
85	2.2 نشأتها وانتشارها
89	3.2 كتب الهندوسية المقدسة
94	4.2 عقائد الهندوسية
103	5.2 أهم شرائع الهندوسية
108	3 . البوذية
108	1.3 توطئة
108	2.3 نشأتها وانتشارها
113	3.3 كتب البوذية المقدسة
115	4.3 عقائد البوذية
121	5.3 أهم شرائع بوذا
125	4 . الزرادشتية
125	1.4 توطئة
126	2.4 نشأتها وانتشارها
129	3.4 كتب الزرادشتية المقدسة

130 عقائد الزرادشتية	4.4
137 أهم شرائع الزرادشتية	5.4
140 الخلاصة	5.
142 لمحة مسبقة عن الوحدة الدراسية التالية	6.
143 إجابات التدريبات	7.
145 مسرد المصطلحات	8.
147 المراجع	9.

1.1 تمهيد

أخي الدارس . . . أختي الدارسة :

هذه هي الوحدة الثانية من مقرر مقارنة الأديان في برنامج التربية تخصص التربية الإسلامية، وموضوعها: الهندوسية، والبوذية، والزرادشتية، وهي من الديانات الشرقية التي انتشرت قديماً حيث كان المشرق مهداً للحضارة بفروعها جميعها وبخاصة الدين، فلا يوجد شعب في الشرق إلا كان له دين .

ونهدف من خلال هذه الوحدة التعرف إلى الديانتين الهندية متمثلة في الهندوسية، والبوذية والفارسية المتمثلة في الزرادشتية .

وقد اعتمدنا في هذه الوحدة على المراجع المختارة وعلى آراء بعض العلماء الذين يعتد بهم من خلال كتبهم المؤلفة في هذا الموضوع، وحاولنا جاهدين أن لانزج بالأساطير التي دارت حول مؤسسي هذه الديانات . وإذا أردت أن تطلع عليها بنفسك؛ فلا مانع زيادة في معرفة تلك الأساطير التي لا أساس لها من الصحة، بل الصحيح فيها أنها من خيال وأوهام أناس نسبوا إلى مؤسسي هذه الديانات الثلاث .

وقد قسمنا هذه الوحدة إلى ثلاثة أقسام، كل ديانة في قسم مستقل يتنا فيه نشأة وتطور كل ديانة، وأهم عقائدها، ثم أهم كتبها المقدسة وأهم شرائعها . وأوردنا في ثنايا هذه الوحدة مجموعة من النشاطات التي تساعدك على فهم المادة، وكذلك مجموعة من التدريبات لاكتساب المهارات التعليمية التي من خلالها يتذكر الدارس المعلومات، ويقف على حقيقتها .

كما وضعنا لك مجموعة أسئلة تقييمية يمكنك الإجابة عنها من خلال معلوماتك التي حصلت عليها في أثناء قراءتك المتأنية لهذه الوحدة وما استفدته من المراجع الأخرى عند إعدادك للنشاطات المرافقة، متمنياً لك قراءة موفقة وتحصيلاً جيداً ونجاحاً باهراً .

2.1 أهداف الوحدة

أخي المدرس ، أختي الدارسة : بعد دراستك لهذه الوحدة ، يتوقع منك ان تصبح قادراً على أن :-

1. تتعرف نشأة كل ديانة من الديانات : الهندوسية والبوذية والزرادشتية ومدى انتشارها في العالم .
2. تتبين عقيدة كل ديانة من هذه الديانات وتأثيرها في معتقديها .
3. تتعرف نظرة كل ديانة من هذه الديانات في قضية الألوهية واليوم الآخر . . . إلخ .
4. تتبين بعضاً من شرائع كل من الهندوسية والبوذية والزرادشتية .
5. تتعرف أهم وأشهر كتب كل ديانة وما يوجد بكل كتاب وكيف كتب .
6. تميز بين عقائد هذه الديانات .
7. تعزز قناعتك بالإسلام على أثر مقارنته بالديانات الأخرى .

3.1 أقسام الوحدة

ومن أجل أن تتحقق الأهداف المشار إليها ، فلا بد من ممد نستطيع من خلاله أن نلج في أعماق الديانات التي سنتحدث عنها ، إذ يكون لديك أخي المدرس ، أختي الدارسة ، معرفة عامة بما سنتحدث عنه وقبولاً للمعلومات الملقاة إليك ، وقاعدة عامة لكل ما سنتعرفه في هذه الديانات ، لذا فهذه الوحدة تشتمل على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : الهندوسية

بينا في هذا القسم كيف نشأت الهندوسية والمراحل التي مرت بها ومدى انتشارها في الهند والدول المجاورة ، ثم أشرنا إلى كتبها المقدسة وأقسامها وشروحاتها وأهم عقائدها وهي : قانون الجزاء ، والتناسخ ، والانطلاق ، ووحدة الوجود ، وتقديس البقرة ، ثم بينا رأيها في الألوهية ، وتكلمنا عن الطبقات ونظامها وأهم شرائعها ، وأخيراً تحدثنا عن المذهب الأخلاقي فيها .

القسم الثاني : البوذية

بينا في هذا القسم حقيقة البوذية وكيفية نشأتها وانتشارها ، وتكلمنا عن حياة بوذا ومولده ووفاته ، وعن المراحل التي مرت بها البوذية .

وتكلمنا عن كتب البوذية وهي سلال الحكمة الثلاث وشروحاتها، وأهم معتقداتها كالتناسخ والشهوة والملذات، ورأيهم في المرأة، ثم تعرضنا للنرفانا أي الاندماج في الإله، ولنظرتهم في الألوهية. وأهم شرائعهم المتمثلة في الوصايا العشرين، وأخلاقهم ومنها: الشفقة، وعدم الإساءة، والمحبة، وأخيراً تكلمنا عن النظام السياسي عند البوذية.

القسم الثالث: الزرادشتية

بيننا في هذا القسم كيفية نشأتها، وارتباط ذلك بتاريخ مولد زرادشت وحياته ومماته، وكيفية مساندة الملك كاشتاسب له بعد أن اقتنع بفكرته، حيث ساعده على نشر دعوته في داخل البلاد والبلاد المجاورة.

وتكلمنا عن كتابهم المقدس الافستا وشروحاته وما يحتويه من عقيدتهم في الألوهية، وعقيدتهم في الإثنينية الخير والشر، والصراع الدائم المستمر بين إله الخير أهرومزدا وإله الشر أهومن وخصائص كل من هذين الإلهين. ثم تكلمنا عن أهم عقائدهم وشرائعهم فيما يختص بالأخلاق والمجال الاجتماعي والتقويم السنوي. ودراستك للاقسام الثلاث تحقق الاهداف من (6-1)، أما الهدف (7) فيتحقق بدراسة مادة هذه الوحدة والقيام بتدريباتها ونشاطاتها كافة.

4.1 القراءات المساعدة

أخي الدارس . . . أختي الدارسة

إذا أردت أن تفهم ماورد في هذه الوحدة وتثري معلوماتك، فنرجو أن لاتقتصر على هذه المادة التي بين يديك بل ارجع إلى ما يتيسر لك من الكتب التالية :-

1. الشهرستاني، الملل والنحل ، الباب الثالث، الفصلين الأول والثاني.
2. شلبي، أحمد، مقارنة الأديان، أديان الهند الكبرى ج4 .
3. مظهر، سليمان، قصة العقائد بين السماء والأرض .
4. أبو زهرة، محمد، محاضرات في مقارنة الأديان، القسم الأول.
5. اسود، العميد عبد الرزاق، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، الجزء الأول، الباب الأول، والفصل الأول من الباب الثاني.

5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة

أخي الدارس . . . أختي الدارسة

عليك دراسة مادة هذه الوحدة بتمعن ، وحاول أن تقارن بين الديانات الثلاث من حيث وحدة الموضوع ؛ فمثلاً حاول أن تقارن بين نظرة كل من الهندوسية والبوذية والزرادشتية لله أو الأخلاق فهذا يسهل عليك الفهم .

كما يتوجب عليك الاجابة عن التدريبات المعطاة ، وإن استعصى عليك الأمر فارجع إلى الحلول المثبتة في آخر الوحدة بالاضافة الى ذلك عليك الاجابة عن أسئلة التقويم الذاتي والنشاطات لانها تعزز فهمك للمادة ، ولا تتردد في الاتصال بمشرفك الاكاديمي كلما اقتضت الحاجة لمناقشة ما يعرض لك من صعوبات أو مسائل مثيرة للاهتمام .

2. الهندوسية

1.2 توطئة

أخي المدرس، أختي الدارسة :

أسلفنا في الوحدة الأولى الحديث عن الدين في الهند، فالهند من بين الدول الموعلة في التاريخ القديم ومليئة بالأساطير والأعاجيب، والديانات فيها تمثل عموم الديانات التي كانت موجودة في العالم القديم وعرفتها الدنيا من الطوطمية الوثنية إلى التوحيد الكامل، وعليها تقوم النظم الاجتماعية المختلفة.

وبلاد الهند، بلاد واسعة مترامية الأطراف، تعج بالديانات المختلفة، تبعاً لتنوع البيئة فيها من غابات إلى مناطق موسمية إلى صحارى قاحلة إلى سهول فسيحة ومراعٍ . وأهم الديانات التي نمت وترعرت في الهند: البرهمية والهندوسية والجينية والبوذية، واعتقادات السيخ، بالإضافة إلى معتقدات الآريين الآسيويين الذين كانوا قد وفدوا إليها قبل الميلاد بأكثر من خمسة عشر قرناً، فقد ورد في كتاب الفيدا - الويدا - أهم كتب الهندوس تفصيل لآلهة الآريين الكثيرة ومعتقداتهم. وهنا سنتحدث بشيء من التفصيل عن الهندوسية والبوذية.

2.2 نشأتها وانتشارها

تعد الهندوسية ديانة الغالبية العظمى من الهنود، وقد قامت على تعاليم الويدية التي كان يطلق عليها البرهمية ابتداء من القرن الثامن قبل الميلاد، وتشربت أفكارها وصبغت الهند بلامح أسطورية روحانية.

والهندوسية في الأصل كانت تسمى قديماً الهندوكية، ثم أطلق عليها لفظ الهندوسية لتشمل الدين والحضارة والعادات والتقاليد التي نشأت على ضفاف نهر الهندوس . فهي الآن لاتعد ديناً بحتاً، بل هي أوسع من ذلك إذ تشمل كما أشرنا المبادئ الدينية والحضارة والعادات والتقاليد والسلوكيات الخاصة بالشعب الهندي، فهي أسلوب في الحياة أكثر مما هي مجموعة من العقائد، ولهذا فإننا نراها قد انتشرت في الهند وأندونيسيا في جزيرة بالي على الخصوص، كما قامت للهندوسية دول في جنوب شرقي آسيا ولكن الإسلام هدمها فيما بعد (شليبي. رؤوف، آلهة في الأسواق، ص79).

وإذا كان الأمر كذلك، فإننا لا يمكن أن نتكهن بحصرها في شخص بعينه، ولا يمكن ارجاع نشأتها إلى مؤسس واحد أو مجموعة مؤسسين، فهي دين متطور ومجموعة من الأعراف والعادات والتقاليد والأوضاع التي كان عليها الشعب الهندي في مراحل حياته المختلفة، ومرت باصلاحات وتغييرات كبيرة على مراحل متباعدة من التاريخ.

وتشير بعض المراجع إلى أن نشأة الهندوسية كانت نتيجة لاضطراب الكهنة البراهماتيين الذين سقطت قيمتهم الاجتماعية إلى محاربة البوذية حرباً شعواء واضطروها اللجوء إلى الصين، ونظر هؤلاء الكهنة في دينهم القديم وحاولوا تقريبه إلى العامة بشكل مبسط ومفهوم، فكانت الديانة الهندوسية.

وإذا أخذنا الناحية الدينية في المبادئ الهندوسية فإننا نراها ديانة متطورة لم تستمر على نسق معين، بل إن بدايتها كانت طوطمية حيث عبد الهنود أرواحاً تسكن الحيوانات والنباتات والكواكب، وقدسوا الأفاعي والثعابين، ومن هذه الآلهة ما استمرت عبادته ومنها ما لم تستمر.

ويمكن القول ان أساس الهندوسية هو عقائد الآريين (اختلف الباحثون في أصلهم فمنهم من يرى أنهم من بلاد الدانوب في أوروبا وعندما ضاقت بهم سبل الحياة هاجروا إلى البلاد المجاورة حتى استقروا في الهند مروراً ببلاد فارس، وفريق آخر يرى أنهم من آسيا كانوا يعيشون في الوسط في التركستان بالقرب من نهر جيحون ثم اتجهوا نحو الهند عبر إيران) (شليبي، مقارنة الأديان، ص 23) الذين اختلطوا بالإيرانيين وعرفوا عقائدهم واستفادوا منها، وسيطروا على الهند حيث تعرضت الهند للغزو الآري في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، ونظراً لقوة الآريين وامتلاكهم الأسلحة فقد سيطروا على الهند وحكموها وبدأت قبائلهم بتشكيل دويلات لإحكام سيطرتهم على الهند مع المحافظة على عاداتهم وتقاليدهم في الحياة حيث لم يتزوجوا من السكان الأصليين وسموهم بأمة العبيد.

وأهم وأقدم كتاب يوضح عقائدهم بالإضافة إلى أحوالهم الاجتماعية هو (الفيدا) أو (أسفار الفيديا) الذي لم يعرف له واضع أو مؤلف على التخصيص، ويعتقد الهندوس أن هذا الكتاب لا بداية له وتوارثته الأجيال جيلاً عن جيل، وقد كتب باللغة السنسكريتية بأزمان متطاولة في القدم حيث يزيد قدمه عن التوراة بألوف عديدة من السنين.

هذا ولم يكن للهندوسية معابد خاصة تقام فيها الطقوس، بل كانت تقام في البيوت أو حسب الوضع، وقد دونت هذه الطقوس في كتب الفيديا.

والآن نتساءل أخي المدرس ، أختي الدارسة ، كيف نشأت الديانة الهندوسية؟
مرت الديانة الهندوسية في أثناء نشأتها بثلاثة أدوار هي :

1.2.2 دور الآباء وتوحيد الله:

حيث كان رب كل بيت هو القاضي والكاهن في منزله ، وفي هذا الدور كان الهنود ينقسمون إلى عشائر وجماعات متفرقة .

2.2.2 دور الكهنة:

وهو دور سيطر فيه الكهنة على الحياة الاجتماعية ، حيث ظهر وأعلى مسرح الحياة بعد مرور أجيال من انقضاء الدور الأول ، وأحدثوا الديانة المؤسسة على التثليث ، وأنشأوا لها طقوساً مميزة ، وظهر عندهم الإله الواحد ذو الصفات المتعددة فبراهما الإله الخالق ، وفيشنو الإله الحافظ ، وسينا الإله المدبر .

وفي هذا الدور توسع نفوذ الكهنة فقسموا المجتمع إلى طبقات ، وميزوا أنفسهم عن غيرهم من الطبقات بأنهم هم الوحيدون الذين يحق لهم معرفة الحقائق العلوية وتوحيد الله ، بينما دفعوا عامة الشعب إلى الشرك والوثنية .

3.2.2 دور الإصلاح:

وعهده قبل المسيح بستمائة سنة تقريباً ، حيث ظهر رجلا الإصلاح (بوذا ساكياموني) و (فاروادم هافيرا) اللذان أسسا الديانتين البوذية والجانستية على الأسس البرهمية نفسها (أسود، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، ص 57) .

وبمعنى آخر يمكن القول بأن الديانة الهندوسية مرت بثلاث مراحل في تطورها تمثلت في :
المرحلة الأولى : ظهور الديانة في أول أمرها حيث تمثل البساطة في التفكير والحياة وكثرة نماذج العبادة والمعتقدات البدائية .

المرحلة الثانية : مرحلة الازدهار وتمثل في الشرح والتعليق على كتاب الفيدا وتبسيط ما جاء فيه ، وقد اكتسبت هذه الشروح مع الزمان احتراماً تقليدياً وعدت من مصادر الدين ، كما تحولت في هذه المرحلة المعتقدات من عبادة مظاهر الطبيعة إلى الله .

المرحلة الثالثة : مرحلة التأمّلات الغامضة ، وتعد مرحلة تأسيس الفلسفة الهندوسية العصرية .
وقد ضعفت الهندوسية عند ظهور المصلحين ، إلا أنها عادت للظهور والسيطرة بفضل (مانو) الذي اهتمت شعائره بالطقوس وتقديم القرابين أكثر من اهتمامها بالآلهة وذلك لأن الإله براهما عدّ أنه حالّ في جميع المخلوقات .

وعند دخول الإسلام إلى الهند عن طريق التجارة والفتوحات الإسلامية انتشر انتشاراً واسعاً وأثر في الهند تأثيراً كبيراً، إلا أنه وبمرور الزمن تداخلت تعاليم الإسلام بالديانة الهندوسية وأثر كل منهما في الآخر حتى يمكن القول إن بعض مدّعي الإسلام في الهند أوجدوا في الإسلام اتجاهات هندوسية، ومن ظهرت منهم هذه الاتجاهات طائفتا القاديانية والأحمدية اللتان يدّعي أفرادهما بأنهم مسلمون وهم في الحقيقة ليسوا كذلك (شلي، مقارنة الأديان، ديانة الهند الكبرى، ص 96). كما حاول المصلح الهندي تانك إيجاد ديانة جديدة من عقائد الإسلام والهندوسية معاً سماها مذهب السك (السيخ) فأضيف هذا المذهب إلى الديانات الكثيرة في الهند.

وقد أثرت الهندوسية في الأديان الأخرى وانبثقت عنها كل الديانات الهندية، ولها تأثير واضح في ديانات البلدان المجاورة مثل كمبوديا وتايلاند (الشهرستاني، الملل والنحل، ص 511-508).

هذا وقد تفرع عن هذه الديانة عدد من الفرق منها.

أ. أصحاب البدّة

مفردها بد، ومعناه عندهم الشخص في هذا العالم الذي لا يولد ولا ينكح ولا يطعم ولا يشرب ولا يهرم ولا يموت، وأول بد ظهر في هذا العالم اسمه شاكمين وتفسيره السيد الشريف. وأعلى غايات البد أن يكون طالباً لسبيل الحق، ويصل إلى هذه المرتبة بالصبر، والتخلي عن الدنيا، والعزوف عن الشهوات، والعفة، والرحمة لجميع الخلق، وباجتناب الذنوب مثل قتل كل ذي روح، واستملاك أموال الناس، والزنا، والكذب، والنميمة، والشتم، والجحد لجزء الآخرة. وتستكمل البد بعشر خصال منها العفو عن المسيء، دفع الغضب بالحلم، الفكرة في التخلص من العالم الفاني إلى العالم الدائم الوجود، رياضة العقل وحسن المعاشرة مع الإخوان.

وقد زعم الهندود أن البددة أتوهم على عدد الهياكل من نهر الكنج وأعطوهم العلوم، وظهروا لهم في أجناس وأشخاص شتى، ولم يكونوا يظهرون إلا في بيوت الملوك لشرفهم وجوهرهم.

ب. أصحاب الفكرة والوهم

وهم المشتغلون بالفلك والنجوم وأحكامها المترتبة على خصائصها. ولهؤلاء طريقة في التنجيم تختلف عن منجمي الروم والعجم حيث يحكمون أكثر الأحكام بالاتصالات بالثوابت دون السيارات، وينشئون الأحكام عن خصائص الكواكب دون طبائعها ويعظمونها

جميعاً وعلى الأخص منها زحل الذي يعطي العطايا الكلية من السعادة والجزئية من النحوسة . وأصحاب الفكرة يعظمون الفكر ، ويقولون بأنه المتوسط بين المحسوس والمعقول ، فالصور من المحسوسات ترد عليه والحقائق من المعقولات ترد عليه أيضاً . وبإعمال الفكر وتجرده عن هذا العالم تجلى له ذلك العالم فرمما يخبر عن المغيبات وربما يقوى على حبس المطر ، ومثال ذلك في رأيهم الاحتلام في النوم الذي هو تصرف الوهم في الجسم . وكان من عاداتهم إذ دهمهم أمر معين أن يجتمع أربعون رجلاً من المهذبين المخلصين المتفقين على رأي واحد في الإصابة فيتجلى لهم المهم الذي يهضمهم حمله ويندفع عنهم البلاء الملم الذي يكادهم ثقله ومن هؤلاء البكرتينية - المصفدون بالحديد - وسنتهم حلق الرؤوس واللحى ، وتعرية الأجسام خلا العورة ، وتصفيد البدن من أوساطهم إلى صدورهم لثلاث تنشق بطونهم من كثرة العلم وشدة الوهم وغلبة الفكر .

ج . أصحاب التناسخ

وهم الأكثرون من الهندوس ، واستدلوا على التناسخ بحركات الأفلاك الدورية إذ تعود الأفلاك إلى المكان الذي بدأت منه ، وكذلك الأرواح وسنأتي بشيء من التفصيل عندما نتكلم عن عقيدتهم في تناسخ الأرواح . (الشهرستاني ، الملل والنحل ، ص 511-580) .



تدريب (1)

ما المراحل التي مرت بها الديانة الهندوسية في أثناء تطورها ؟

3.2 كتب الهندوسية المقدسة

أخي الدرّس ، أختي الدارسة ، نعرض لك أشهر الكتب الهندوسية على النحو التالي : -
 1.3.2 يعد كتاب المعرفة (الفيدا) من أهم الكتب الهندوسية على الإطلاق ، فهو يحتوي على تراث الهند من أول مراحل تاريخهم ، وهو يعكس حياة الهندوس بكل تفاصيلها ، وقد كتب باللغة السنسكريتية ، ولم يعرف له واضع أو مؤلف بل نشأ عبر قرون طويلة بدأت قبل ميلاد المسيح بنحو 1500 أو 2500 سنة ، واشترك في كتابته أجيال من الشعراء والزعماء الدينين والحكماء وفق تطورات الظروف وتقلبات الشؤون (أسود ، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب ، ص 58) واستمر الناس في تناقله مشافهة حتى القرن الثالث قبل الميلاد ، حيث دونه كهنتهم ؛ وهو يحتوي على أخبارهم ، ودينهم ، وسياستهم ، وحضارتهم ، ومهنتهم وحرفهم .



ارجع إلى كتاب " تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة " للبيروني و لخص ما يتعلق بالهندوسية وناقشه مع زملائك و مشرفك الأكاديمي .

يتألف كتاب الفيذا من مجموعة كتب تصل إلى أربعة عشر كتاباً، وكل كتاب منها يطلق عليه اسم الفيذا ولكن أهم هذه الكتب في التوجيه الديني هو الكتاب الأول، وقد قسم إلى أربعة أقسام هي :

1. الريك - فيدا: ومعناه الأناشيد المعرفية والمدائح الإلهية التي يتضرع بها الأتباع أمام آلهتهم وهو أقدم أقسام الفيذا ويتألف من 1017 أشودة دينية يرتلها الهندوس في صلواتهم وهي للضرع والتغني بالآلهة، وخاصة الإله أندرا إله الآلهة، والإله أغنى إله النار، ويحتوي الريك فيدا على صفات العبادة، والأصاحي، والطقوس الاحتفالية، وينقسم إلى عشرة أقسام بعضها خاص بكبير الملهمين وأسرته، والبعض الآخر خاص ببقية الملهمين.

2. الياجور- فيدا: وهي مجموعة الأدعية والتلاوات التي يتلوها الكهنة عند تقديم القرابين للآلهة ويتكون من 101 محادثة ضمن قسمين رئيسين: ياجور الأسود وياجور الأبيض.

3. الساما-فيدا: ويحتوي على صلوات شعرية تغنى أثناء إقامة الصلوات وتلاوة الأدعية، وترجع محتوياته إلى الريك-فيدا، ويحتوي على 0181 أو 5781 مسألة تنقسم إلى قسمين رئيسين: الأول تراثيل مأخوذة من الريك فيدا والثاني يحتوي على تراثيل إضافية وأغان متعددة.

4. آثار-فيدا: ويتضمن التعاويذ والتمايم والرقى التي يعتقدون أنها تدفع المصائب، وهو يصور الحياة بأنها مليئة بالآثام والخطايا والشورور. وهذه الطلاسم والتعاويذ تقي الناس من هذه الشرور.

وكل واحد من هذه الفيديات الأربعة ينقسم إلى أربعة أجزاء هي :

أ. سمهيتا: أو مجموعة المنظومات الشعرية، وهي تمثل النظرة الفطرية في الفكر الهندوسي أو الفكر البدائي على العموم.

ب. البراهمن: وهي النصوص التي تبين قواعد الطقوس والدعاء وأنواع القرابين وتمثل مذهب القانون ودين الأمة التي تركت البداوة لم تتعمق بعد في الحضارة. كما يشمل الهدايات التي يقدمها البراهمة المقيمون في بلادهم وبين أهلهم.

ج. ارمنيك: أي الهدايات والإرشادات التي تقدم للشيخ المسنين الذين يتركون أهلهم في أواخر حياتهم ليقيموا في الكهوف والغابات.

د. ابوانيسيدات: ومعناها التلمذة على أستاذ، وهي خلاصة الفكر الهندوسي والتدوين الفلسفي له، وفيها أسرار الصوفية، وتدون إرشاداً للرهبان الذين مالوا إلى باطن الحياة وتركوا ظاهرها.

وبعد أن تعرفنا أهم كتب الهندوسية - الفيذا - فإن لنا الملاحظات التالية عليه:

أولاً: أننا لانعرف تاريخاً محدداً لهذه الكتب ولا مصدراً ولا لغة، وإن كتبت بالسنسكريتية، فإن هذه اللغة ليست أول لغة كتبت فيها الفيذا. بل إن لغة الفيذا اختلفت تبعاً لتطور اللغات.

ثانياً: إن هذه الكتب كتبت بأيدي عدة مؤلفين حصرهم بعض المؤرخين بعشرة مؤلفين على رأسهم مانو.

ثالثاً: أنها متداخلة ومن بنات أفكار مؤلفيها وليست وحيماً من عند الله.

رابعاً: أن بعض هذه الكتب قد فقد وبعضها شرح مراراً عدة على أيدي الملهمين.

خامساً: يمتزج فيها السحر والتجارب البشرية بالنظرات الدينية والتراويل، والسرود بالتحليل، والمعارف العامة بالحكم الشعبية والآداب الاجتماعية

أما آداب أسفر فيدا فهي الفضائل العشر التالية: الصبر، ومقابلة الإساءة بالإحسان، والقناعة، والاستقامة، والطهارة، كبح جماح الحواس، ومعرفة الكتب المقدسة، ومعرفة الكائنات الأسمى، والصدق، واجتناب الغضب. (أسود، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، ص 59).

والآن أخي الدرس، أختي الدارسة، ننتقل في الفقرة اللاحقة الى دراسة الكتاب الثاني من كتب الهندوسية وهو قوانين مانو.

2.3.2 قوانين مانو ويسمى "مانو سمرتي"

وهو مجموعة التشريعات التي تنظم العلاقات بين الأفراد والطبقات من الجهات الاجتماعية والاقتصادية والقانونية، فهو التطبيق العملي للمفاهيم البراهمانية على المجتمع

الهندي ، حيث يعتقد الهندوس أنها قوانين أوحى بها الإله براهما إلى مانو - الأب الرباني للجنس البشري - غير أن الذي بلغها للناس هو ابنه برتمو .

ولا يعرف تاريخ وضع هذا الكتاب ، ويعود قسم منه إلى أزمنة سحيقة وأغلبه وضع ما بين 200 ق . م و 200 م .

ويحتوي على 2685 مادة موزعة على اثني عشر باباً ، يتناول الباب الأول منها خلق العالم ، ومن الثاني حتى الخامس يبين شؤون طبقة البراهمة من التلمذة والعبادات ، وأحكام القرابين وبعض الآداب العامة ، كما يتناول واجبات البرهمي ، كأن يكون عالماً ، ومضيفاً ، بلا حسد أو شهوات أو كذب أو رذائل ، ويحرم عليه تأويل الأحلام وممارسة السحر والتنجيم والأذية .

ويدور الباب السابع حول واجبات الملك والوصايا والأحكام المتعلقة بإدارة شؤون الرعية والأمور السياسية والحربية والتنظيمية . . إلخ .

ومن هذه القوانين مثلاً: أن على الملك أن يحكم في مملكته بالعدل ، فيشدد العقاب على أعدائه ولا يلجأ إلى الخبث والخداع في عقاب أصدقائه ، وليكن رحيماً بالبراهمة .

وأما الباب الثامن فيتحدث عن أصول المحاكمات والشهادة والقسم . . ويتناول قضايا البيع والعقود والأمور التجارية ، ويتعرض للعقوبات التي تفرض على بعض الرذائل . ويتناول الباب التاسع أحكاماً عامة متعلقة بالأسرة والأولاد والواجبات الزوجية والطلاق والزواج والإرث . . إلخ .

ويتناول الباب العاشر أحكام ذوي النسل المختلط ، ويقرر أوضاع المنبوذين وما يمتلكون وما لا يمتلكون ، كما يحدد أماكن إقامتهم وعلاقاتهم الاجتماعية .

والباب الحادي عشر يفصل طقوس الكفارات والتكفير عن الذنوب بواسطة تلاوة الكتاب المقدس أو تقديم القرابين والزهد .

وأما الباب الثاني عشر فيتحدث عن التناسخ والقضايا الأخروية . (زعور . علي ، الفلسفة في الهند ، ص 146-124) .

3.3.2 مهابارتا

أخي المدرس ، أختي الدارسة :

المهابارتا تعني الكتاب الكبير - ماها : كبير ، بهارتا : كتاب . وهي ملحمة الهند

الكبرى وتشبه الإلياذة والأوديسة عند اليونان . مؤلفها دياس وقعت حوادثها حوالي سنة 950 قبل الميلاد، وهي تصف حرباً بين أمراء أسرة ملكية واحدة اشترك فيها أمراء الهند جميعاً، كما اتخذت الآلهة دوراً في هذه الحرب . وفي سياق المعارك بين الأمراء تظهر آداب وتعاليم هامة عن لعبة النرد والوفاء بالعهد والتكفير عن الخطايا وتتدخل الآلهة بين الحين والآخر لحل الخلاف بينهم .

وفي هذه الملحمة قصص خيالية، وفيها قوانين وأحكام مختلفة وآداب وأخلاق ودعوة إلى الفضائل، كما يتضح فيها بعض التعاليم العملية والفلسفية الوفيرة، ونقد الوثنية، وعقيدة وحدة الوجود .

4.3.2 كيتا

وهو جزء من الملحمة الكبرى المهابهارتا التي تحدثنا عنها، وينسب هذا الكتاب إلى كريشنا أحد أبطال الهندوس المقدسين، ويهتم بالجانب الفلسفي والاجتماعي لا بالجانب القصصي الروائي كما في الملحمة السابقة . ومنه استمدت معظم تشريعات الهندوس وعقائدهم وتعاليمهم، بالإضافة إلى أنه يقدم صورة المجتمع الهندي وما كان عليه في ذلك العصر من عادات ومعتقدات وأفكار .

5.3.2 بوجاواستها

وهو على شكل حوار بين تلميذ وأستاذه، وقال عنه قديس هندوسي إنه أعظم كتاب ألف تحت السماء حيث يمكن لمن يقرؤه أن يعرف نفسه ومن عرف نفسه عرف ربه، وموضوع الكتاب الفلسفة واللاهوت، وهو منظوم يحتوي على أربعة وستين ألفاً من الأبيات الشعرية مما يرجح أن يكون من عمل مجموعة من الناس لا من عمل شخص واحد، كما لم يعرف زمن كتابته وإن مال البعض إلى أنه وضع في القرن السادس الميلادي (د. شلبي، مقارنة الأديان، ص 88-89) .

6.3.2 رامايانا

وهو كتاب ملحمي قديم، مؤلفه عديدون، وكتب في أزمنة مختلفة، وموضوعه السياسة والحياة الدستورية للهنود فهو يتحدث عن تكوين مجالس الشورى وطرق اختيار الملوك وولاية العهود وواجبات الملك والسلوك الفاضل للمتنفذين، وآداب عامة ووصايا أخلاقية وسياسية تهدف إلى إقامة الحكم والاهتمام بشؤون الشعب .

ويعد المصدر الثاني للتعاليم الهندوسية، وهو تعليق على المعتقدات والتراويل الهندوسية. وهو كتاب معتبر جداً عند علمائها، حيث ناقش مؤلفوه مجموعة من القضايا والمسائل الهامة الموجودة في تعاليم بوذا. والكتاب مكون من مجموعة كتب منها "جوباهني" و"رونتال" و"واها" و"براهما سوترا" و"براهما ميماسا" . . إلخ.

4.2 عقائد الهندوسية

أخي المدرس، أختي الدارسة:

من خلال كتب الهندوس المقدسة التي أشرنا إلى بعضها آنفاً نجد أن للهندوس كثيراً من المعتقدات تمتاز فيها الوثنية بالتوحيد والطوطمية بالإله الواحد إلى درجة أن بعض المؤرخين يشيرون إلى أن آلهة الهندوس بلغت ثلاثة ملايين آلهة.

وتتكون هذه الآلهة من كل شيء من الحيوانات، ومن البقر، ومن القردة، ومن الأشجار ومن عموم مظاهر الطبيعة (الزحيلي، تاريخ الأديان، ص 180).

ويعود اختلاف الآلهة عند الهندوس في الأغلب إلى اختلافهم في قبائلهم وعروقهم ومستوياتهم.

ويبدو أن القضية الأساسية عند الهندوس ليست نوع الآلهة أو الدين الذي يعتقدون، بل النظام المعيشي التقليدي واتباع الأصول والقيام بالطقوس التي تتطلبها هذه الحياة هو المهم، إذ حياة الفرد عندهم مصبوغة بالطقوس والعبادات التي ترافقه منذ ولادته إلى وفاته، وتظهر في كل المناسبات التي يمر بها سواء أكانت مناسبات عامة أم خاصة. حيث تذكر هذه الطقوس والعبادات بأنه عضو في المجتمع الذي يعيش فيه، وأن عليه واجبات نحوه عليه أن يقوم بها إذ المجتمع مقدم ومقدس.

وجملة القول هنا أن الديانة الهندوسية هي مجموعة من عبادات وطقوس وآراء وعقائد قومية أصيلة. ومن أهم عقائدهم:

1.4.2 الكارما

هو قانون الجزاء، وملخصه أن ليس في الكون مكان يفر المرء إليه من جزاء أعماله، ويجب أن يحاسب عليها بالثواب والعقاب طبقاً لناموس العدالة الصارم، فنظام الكون

إلهي قائم على العدل المحض ، وحيث لا يتم دائماً جزء الإنسان في الحياة الحاضرة فقد قالوا بتناسخ الأرواح ليقع الجزء على الروح في الحياة القادمة ، وبذلك يتم العدل الإلهي . ولكن لا يفهم التناسخ إلا بهذه القاعدة - الكارما - حيث تدل هذه الكلمة على سائر الأعمال ، خيرها وشرها وما تحدثه من تأثيرات وسلوكات داخل الفرد ، وما يفعله الفرد أو يفكر في فعله يجازى عليه إن خيراً ، أو شراً ، فكل إنسان يجني ما يفعل ويجازى على ما يفعل ، فكل شيء من فكر أو فعل يجازى المرء عليه إن خيراً فهو الثواب وإن شراً فهو العقاب ، والتناسخ من قانون العدل الذي يثاب الإنسان الذي لم يلق جزاءه في الدنيا به ، أو يعاقب من لم يلق جزاء شره في الدنيا ، جاء في كتاب " الأوبانيشادات " : أن من يخلق في نفسه شهوات فسوف يولد مرة أخرى متلبساً بتلك الشهوات ، ولكن من تمحق رغباته ، ويشعر بوجود نفسه الحقيقية فسوف تنصرف عنه الرغبات جميعها حتى في هذه الحياة الدنيا .

2.4.2 تناسخ الأرواح

أو تكرار المولد أو تجوال الروح ، وهو رجوع الروح بعد خروجها من جسم ما إلى جسم آخر ، وسببه مفارقة الروح للجسد ولاتزال لها أهواء وشهوات مرتبطة بالعالم المادي لم تتحقق بعد ، أو لأنها خرجت من الجسم وعليها ديون كثيرة أو آثام كثيرة نتيجة علاقاتها بالآخرين وقد تكون عودتها في جسد إنسان أو حيوان ، وتستمر الروح بالانتقال من حياة إلى أخرى حتى يتم حسابها وتأخذ جزاءها على أعمالها وتطهر من آثامها ، وأخيراً عندما تُوفى ما لها وما عليها تتمزج بالبراهما أو الروح الأسمى وتنجو من تكرار المولد ، على أن الروح في عالمها الجديد لا تذكر من عالمها السابق شيئاً .

فالتناسخ إذاً هو عودة الروح إلى جسم آخر لأنها لم تشبع سائر أعمالها أو لم تؤد واجباتها ، ولم تتمتع بثمرة النشاطات التي نفذتها في الحياة الأولى ، فمتى أشبعت كل الرغبات وأدت جميع ما عليها بلا آثام عبر التجسيدات المتكررة ، تنجو النفس وتحرر بالانطلاق أو الانعتاق .

وللتناسخ منزلة أساسية في الفكر الهندي ، بل لعل أهم ما يميز الفكر الهندي والشخصية الهندية إلى حد بعيد هو عقيدة التناسخ .

وأبسط صور التناسخ أن النفوس قبل وصولها إلى السماء تقيم في القمر وتبقى فيه ، ومن هناك منها ما يهبط مع الأمطار ومنها ما يصعد إلى السماء . (زيور ، الفلسفة في الهند ص 164) . ومؤدى هذا الكلام إلى القول بأن الروح عندهم خالدة لاتفنى .

3.4.2 الانطلاق

ومن أجل أن تتحرر النفس من تكرار المولد وتنقلها من جسم إلى جسم آخر فلا بد لها من طرق تقود إلى التحرر وتندمج بالروح الأسمى - براهما - .

فهناك طريقة الدهيانا - التأمل - القائمة على التركيز والنظر الداخلي بحيث يدرك المتأمل داخل نفسه الذات الإلهية .

وهناك طريقة أخرى يتم بواسطتها التحرر - اليوغا - التي تقوم على أساس من التذكر والتفكير والصمت وتتلخص بما يلي :

أولاً : الاتصال والوحدة مع الإله .

ثانياً : العمل على التحرر والانعتاق بالعبادة الخالصة وفعل الخيرات .

ثالثاً : فعل المثل العليا دون انتظار شكر من الناس .

رابعاً : العيش في زهد وخشوع وتبتل .

وتقوم اليوغا على توقيف إرادي لنشاطات العقل وتوقيف الانطباعات القادمة من العالم الحسي الخارجي وتوقف الانطباعات القادمة من العالم الداخلي للإنسان من تخيل ورغبات وعواطف وانفعالات . . إلخ .

وبهذه الطرق وغيرها يتطهر الإنسان من آثامه، ويتخلص من مشاغل الحياة الدنيا، ومن كل الآلام والبلايا والمصائب، ويندفع إلى أعلى ليحل فيه الروح المقدس الذي يشعر من خلاله بسمو روحه وترفعها على الشعور بالمصائب والآلام .

4.4.2 وحدة الوجود

ومبدأ وحدة الوجود مبدأ هندي قديم ظهر في الديانة الفيديّة والفيديانتيّة، وتمسك به حكماء هاتين الديانتين ومصلحوها، فقد ظهر تبنيهم لهذا المبدأ في فلسفاتهم وتأملاتهم، وظهر أن من أشد ما يميز الديانة الفيديانتيّة هو وحدة الوجود ونفي الإزدواجية، والقول بتجاوز ذلك في سبيل وحدة سائر المخلوقات والله معاً. خلقت الحياة من الروح والإنسان ايس بجسمه وحواسه لأنها تموت وتبلى بل الإنسان هو الروح وهي أزلية أبدية مستمرة غير مخلوقة، وعندما تجرد الروح من الظواهر المادية بالموت تبدأ رحلتها بالعودة إلى الروح الأكبر، ولذلك يسمى تخلصها من الجسم طريق العودة. وقالوا بأن الروح الإنسانية هي جزء من الروح العالمية (أسود، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، ص 64)، (شليبي. أحمد، مقارنة الأديان، ص 67).

5.4.2 تقديس البقرة

أخي الدرر ، أختي الدررر :

تعد البقرة من المقدسات عندهم ، فهي مقدسة ولا يجوز ذبحها وأكل لحمها ، وهذا نابع من اعتقادهم أنها أكثر مخلوق يشقى في سبيل راحة الإنسان ، ومن باب رد الجميل احترمها الفلاح الهندوسي ووفر لها الحماية ، وعلى مر الزمن اكتسبت هذه الحماية الاحترام إلى حد التقديس فلا يجوز ذبحها ولا يجوز أن تمس بسوء مهما فعلت ، وكذلك الثور . حتى أن بعضهم يفضلها على الأم كما جاء على لسان المهاتما غاندي في مقال له يفاضل بين البقرة وأمه حيث يقول : " أمي البقرة تفضل أمي الحقيقية من عدة وجوه ، فالأم الحقيقية ترضعنا مدة عام أو عامين وتطلب منا خدمات طول العمر نظير هذا ، ولكن أمنا البقرة تمنحنا اللبن دائماً ولا تطلب منا شيئاً مقابل ذلك سوى الطعام العادي . وعندما تمرض الأم الحقيقية تكلفنا نفقات باهظة ، ولكن أمنا البقرة تمرض فلا نخسر لها شيئاً ذا بال وعندما تموت الأم الحقيقية تتكلف جنازتها مبالغ طائلة وعندما تموت أمنا البقرة تعود علينا بالنفع كما كانت وهي حية لأننا نتفع بكل جزء من جسمها حتى العظم والجلد والقرون ، أنا لا أقول هذا لأقلل من قيمة الأم ولكن لأبين السبب الذي دعاني لعبادة البقرة ، إن ملايين الهنود يتجهون للبقرة بالعبادة والإجلال وأنا أعد نفسي واحداً من هؤلاء الملايين (شليبي ، مقارنة الأديان ، ص32) .

وفي المهابهارتا أن من يقتل بقرة يدخل جهنم بعدد شعرات البقرة من السنين ، ومن يقبض على ذيل البقرة عند منيته يدخل الجنة ، ولهذا فإننا نرى البقرة عند الهندوس لها ما ليس لأعظم الناس من التقدير والتقدير والحرية المطلقة .

وقد أعد في تقديس البقرة نشيد خاص جاء فيه :

أيتها البقرة: لك التمجيد والدعاء في كل مظهر تظهرين فيه

أنثى تدرين اللبن في الفجر وعند الغسق

أو عجلاً صغيراً أو ثوراً كبيراً

فلنعد لك مكاناً واسعاً نظيفاً يليق بك . وماءً نقياً تشربينه

لعلك تنعمين بيننا بالسعادة (أسود ، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب ، ص52) .

6.4.2 تقديس نهر الكنج

وهو نهر ينبع من جبال هملايا ويصب في خليج البنغال ، يؤمه الهندوس في الأعياد الدينية للاغتسال في مياهه حيث يطهرهم من ذنوبهم وآثامهم ، وربما يرجع السبب في

تقديس هذا النهر لأن أصحاب البددة أتوا إلى الهند على عدد الهياكل من نهر الكنج وهم طالبو سبيل الحق الذين مر ذكرهم آنفاً، أو يرجع ذلك إلى أن فرقة منهم عبدت المياه زعماً منها أن الماء ملك ومعه ملائكة وأنه أصل كل شيء وبه كل ولادة ونمو ونشوء وبقاء وطهارة وعمارة وأن الانغماس فيه يظهر الذنوب، وقد جرت عادة الهندوس على حرق موتاهم وذر رمادهم أو جزء منه في هذا النهر.

7.4.2 الألوهية عند الهندوس

أخي المدرس، أختي الدارسة: مرت الديانة الهندوسية في تطورها بثلاثة أدوار هي :
الأول : دور التوحيد الخالص وهو دين قدماء الهنود .

الثاني : دور الكهنة البرهمنيين والرموز الطقسية، وفيه نشأ الثالوث الهندي ؛ براهما، فشنو، وسيفا، وظهر أيضاً كرشنا .

الثالث : دور الشرك والوثنية . وفي آخر هذا الدور ظهر بوذا ونشأت البوذية .

الدور الأول: فقد كانت الديانة الهندية فيه بسيطة جداً وتقتصر على أشكال العبادة القاصرة على أناشيد الريبك فيدا .

وكان الهنود آنذاك لا يعرفون إلا إلهاً واحداً تحت إرشاد بعض الحكماء المخلصين، ودون البحث عن ماهية هذا الإله أو صفاته أو كيفية وجوده .

هذا الإله هو الذي أخرج العالم من ذاته وهو الذي يحفظه أو يهلكه أو يرده إليه، فهو مبدع الكائنات، أزلي مدبر للكل ولنظام الكون لا شكل له ولا صورة ولا احد ولا اسم ولا نسبة، وحاضر في كل مكان .

الدور الثاني : ظهر الكهنة على مسرح الحياة، وبدا تأثيرهم واضحاً فأنشأوا الطقوس والرموز، وأظهروا الإله المتعدد الصفات :

براهما : الخالق فشنو : المحافظ سيفا : المهلك المدمر

هذه الثلاث تشكل الثالوث بعضه الخالق وبعضه الحافظ وبعضه المهلك .

فبراهما هو مصدر الكائنات غير المتناهية، وهو الأصل الأزلي الذي خلق العالم، ومنه يستمد العالم حياته، وليست الروح الإنسانية إلا شعلة من نيرانه المقدسة وإليه مصيرها .

وهو إله أحمر اللون، له أربعة رؤوس، كان يسبح في بيضة ثم كسرهما فأخرج من نصفها السماء ومن نصفها الآخر الأرض، والتحق قسم منه بأحد النصفين والقسم الثاني بالآخر، وأصبح القسم الأول ذكراً والقسم الثاني أنثى ومن القسمين خلق الحيوان والإنسان

والكون، وبعد أن تم الخلق انسحب وأصبح بعيداً.

وأما فشنو فإنه كان يحلق في السماء على أجنحة طائر سحري، ويشتهر بالتممص، ويعتقد عابدوه أنه ينقذ الأرواح بهذا التمص وينزوله على الأرض، وله عدة تقمصات ثامنها هو كريشنا الذي جاء من أجل السلام.

وأما سيفاً تلك القوة المختفية القادرة على إفناء الكائنات والمهلكة للعالم، فهو إله الموت والخصب، بيده إماتة الطبيعة وإخصابها، وهو غريب في أطواره، فطوراً قاسٍ، وطوراً شهواني، يتنعم طوراً، ويتنزه طوراً آخر.

الدور الثالث: فنشأ بعد أن اتسع نفوذ الكهنة، إذ أنشأوا الامتيازات والاختصاصات، ووضعوا نظام الطبقات، وقصروا على أنفسهم وعلى تلاميذهم معرفة الحقائق العلوية وتوحيد الله وسترها تلك الحقائق عن الشعب، وطوقوه بسور عظيم من الأساطير والرموز، وفرضوا عليه فروضاً لم تكن سابقاً، وأنواعاً من العبادات التي شغلوه بها من أجل أن يبقى على حال من الجهل والغفلة ليبقى زمام الحياة بأيديهم، فانحط الشعب الهندي بفقد الحقائق الدينية والعبادة الصافية، وانحدر إلى الشرك وتعدد الآلهة، وعكف على عبادة الأشخاص والتماثيل والحيوانات.

ولذا ففي هذا الدور - الذي هو أقوى وأكثر انتشاراً من الوحدانية - كان عند الهندوس إله لكل قوة طبيعية، يستنصرونه عند الشدائد والملمات، ويتضرعون إليه ليبارك حياتهم وأملآكهم وذرياتهم وأموالهم ومواشيهم. . . . ولم يصلوا إلى عبادة هذه الظواهر دفعة واحدة، بل مروا بمراحل انتهت إلى هذه الصور من العبادات. وكثرة الآلهة، وبمرور الزمن أيضاً أصبح اعتقادهم مبنياً على وجود آلهة رؤساء وآلهة مرؤوسين.

أما الآلهة الرؤساء فهم الذين تقدم إليهم القرايين في المعابد في الاحتفالات العامة، وتستغرق هذه الاحتفالات ساعات، أو ربما عدة أيام ظناً منهم أن هذه الآلهة العظيمة لا يمكن الوصول إليها وعبادتها إلا في المعابد لأنها منطلقة إلى أعمالها.

وأما الآلهة المرؤوسين، فهي التي لا يخلو منها بيت من بيوتهم، يتقربون إليها بشعائر دينية لتقبل توسلاتهم وعباداتهم ومساعدتهم في حياتهم اليومية.

وهذه الآلهة سواء العامة أو الخاصة تعبد على شكل أصنام، ولهذا، فإن كل شخص له الحق في اختيار الصنم الذي يساعده على استحضرار نور الهداية من آلهته.

بالإضافة إلى ذلك، فإن الهندوس ينتظرون إلهاً لم ينزل بعد ولم تعرف وظيفته

وهو الإله المنتظر كالاكي . (الحسيني، الدين المقارن، ص51). (أسود، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، ص66) و (شلي، آلهة في الأسواق، ص105).

8.4.2 الحياة الأخرى

لا يبدو للحياة الأخرى في الديانة الهندوسية تصور واضح سوى ما يظهر من بعض التعبيرات في كتبهم عن مصير الأشرار والخيرين الذي يفارقون هذه الحياة الدنيا وتجري عليهم قوانين الثواب والعقاب - الكارما - فيجب أن يحرق الجسد، وأما الروح فهي أبدية باقية وحسب أعمال صاحبها تنال جزاءها، فهي إما في الجنة وإما في النار، وبعد أن تنال نصيبها من النار أو من الجنة لاتستقر هناك، بل تولد من جديد، وتظل تولد مراراً وتكراراً حتى تعرف حقيقتها وتتخلص من مسؤولياتها الدنيوية وتعود إلى ربها في عالم البهجة والسعادة، ولا يتم ذلك إلا بانتهاء البواعث التي تشدها إلى العودة إلى الدنيا، فلا يبقى لها أمل إلا أن تتحد مع إلهها وهذه هي الغاية النهائية للروح (شلي، آلهة في الأسواق، ص111). ويلجأ الهندوس عند موت أحد أبناء الطبقة العليا (البراهمة) إلى حرق جسده وذلك لسببين: الأول: اعتقادهم أن الروح تصعد مع النار بشكل عمودي إلى السماء في أقرب وقت ممكن. الثاني: انهم يخلصون الروح من أغلال الجسد نهائياً. وعند خروج الروح من الجسد ينتظرها ثلاثة عوالم هي:

- أ. عالم الملائكة: وهو العالم الذي تصعد إليه الروح بعملها الصالح.
- ب. عالم الناس: وهو العالم الحالي الذي تعود إليه الروح في تكرار المولد لتكمل حسابها.
- ج. عالم جهنم: وهو لمرتكبي الخطايا الذين لم تنزل روحهم إلى الأرض وعند البعث يكون لكل صاحب ذنب جهنم خاصة بالذنب الذي اقترفه. (حميد، عالم الأديان بين الأسطورة والخيال، ص182)

9.4.2 الطبقات عند الهندوس

أخي المدرس، أختي الدارسة:

عرف نظام الطبقات في أمم عديدة من أمم العالم القديم، ومن أهم من تميز بنظام الطبقة بشكل واضح وبق حتى اليوم أمة الهند، ولا يعتمد هذا التقسيم على المهن والاختصاص، بل يقوم في أساسه على العرق والجنس ثم على أسس دينية، وقوانين كهنوتية، إذ جاءت قوانين مانو وأعطت هذا التقييم شكله القانوني المنظم الثابت، وأعطت لكل طبقة أوضاعها وحقوقها ووظيفتها. (زيمور، الفلسفة في الهند، ص127).

وحسب تعاليم كتب الويدا - الفيذا - ، فقد انقسم المجتمع الهندوسي إلى أربع طبقات ، كل طبقة مغلقة على ذاتها ، لا يدخل إليها من خارجها أحد ، كما لا يخرج منها إلى خارجها أحد ، ويمتنع التبادل والتزاوج وإبرام الصفقات بين كل طبقة و طبقة .
والطبقات الأربع في المجتمع الهندوسي هي :

الطبقة الأولى : طبقة البراهمة

وهي أعلى طبقة في المجتمع الهندوسي ، وتعني طبقة العلم و اليقين والحق والتدين . ولها المنزلة الرفيعة في النسب ، وعليها مسؤولية رفع مستوى الدولة والمجتمع وتعليم أسفار الفيذا وتقديم القرابين ويقول أهل هذه الطبقة إنهم مخلوقون من فم الإله براهما ، فهم أفضل الناس ، وأول الناس وهم الكهنة وحماة المعابد ، وهم مقدسون ، أجسادهم لا يجوز مسها ، ولا يجوز قتلهم ، ولهم الحق في كل شيء من أموال الطبقات الأدنى ، ولا يدفعون الجزية ، وأحكامهم حجة في العالم ، ولا يندسون بذنب مهما كان .

والبرهمي يبدأ حياته كطالب من سن السادسة إلى الثامنة عشرة ، و يكون بعدها عائلة ، ثم ينتقل إلى الغابة للاختلاء بها يتأمل ال آتمان ثم يتحول إلى ناسك فقديس .
ولا يختلط البراهمة بأي طبقة دونهم ، وإذا تزوج الواحد منهم من طبقة أدنى من طبقتهم تغضب الآلهة والأسلاف وأفراد الطبقة بأسرهم ، ويرفضون ذلك الزواج ، ويطردهم الزوجان ويهبطان إلى طبقة أدنى .

الطبقة الثانية : طبقة الجنود - كشاتريا -

وهي طبقة المحبين للوطن ، المدافعين عنه ، المجاهدين من أجل حماية الفضيلة ، وقد خلقوا من ساعد الإله ، وتدل أسماؤهم على القوة والبطش أو القتال والدفاع ، ويبقى الواحد منهم جندياً طيلة حياته ومنهم الملك والقادة والساسة ، والقضاة والحكماء .

الطبقة الثالثة : طبقة التجار و المزارعين - الفيشا -

وقد خلقوا من فخذ الإله براهما ، يهتمون بالأموال والبيوع بأنواعها والمواشي ، وهي الطبقة المسؤولة عن تأمين الإنتاج ورفاه الأمة ، و عليها أن تعتني بمهنتها المختلفة ، فعلى المزارع تربية المواشي دائماً . وعلى التاجر معرفة قوانين وأنظمة البيوع ، والاطلاع على نظام الموازين والمكاييل إطلافاً جيداً ، وأن يعرف كل ما يتعلق بمهنته .

وقد خلق أفراد هذه الطبقة من قدم الإله، وهذا يعني أنهم الطبقة المنحطة، الذليلة التي لا تملك من أمرها شيئاً، بل هي مسخرة لخدمة الطبقات العليا وطاعتها، ولا يجوز لأحدهم جمع المال، ولا الأكل بوجود الأعلى منه طبقة، ولا يتزوج إلا من طبقته، وتتخذ بحقه أشد العقوبات إن طالب بشيء أو تعالى على غيره من الطبقات الأخرى أو تعدى عليه أو حاول الدخول في طبقة أعلى، أو أبدى رأياً للبراهمة في أمور وظائفهم. وهناك طبقة اجتماعية لم تشر إليها قوانين مانو ولم تكن إحدى طبقات المجتمع الهندوسي، وهي أحط الطبقات، بل هي في مستوى الحيوان، إذ لا يسمح لأفرادها اعتناق الهندوسية، ويأكلون لحوم البقر حية أو ميتة، ولهم أحط الأعمال وأقذرها كالكناس وحاملي القاذورات. وحياتهم بدائية للغاية، يدينون بعبادة الأرواح. ويطلق عليهم زواج الهند، فهم محرومون من جميع حقوق الإنسان، ولا يسمح لهم بالتعلم في المدارس ودور العلم، وقد حاولت الحكومة الهندية تحسين أحوالهم بإصدار التشريعات المنادية بالمساواة، إلا أنها لم تتحقق بالكامل، وربما كان مقتل غاندي بسبب أنه حاول إنصافهم وتحسين أحوالهم. (زيعور، الفلسفة في الهند، ص157، وأسود، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، ص59).

ويعتقد الهندوس أن هذه الطبقات هي من خلق الله، وأنه أراد هذا التقسيم على هذا الوضع، ولذا لا يمكن تغييره أو تبديله فهو أبدي ولا يمكن إزالته. ويترتب على هذا أنه لا يمكن لأي شخص أن ينتقل إلى طبقة أعلى من طبقته أو يختلط مع غيره من الطبقات أو يتزوج من طبقة أعلى من طبقته أو أدنى، ولكل طبقة حدود لا تتعداها، ولها حقوق أقل من حقوق الطبقة التي تعلوها.

وقد أغرى هذا النظام الطبقي بعض المصلحين بمحاولة إغائه، و سن التشريعات لذلك، ولكنهم فشلوا، و من هؤلاء " جنانين " أي المتبصر، حيث نادى بإخوة الناس ماداموا لا يعتدون بعضهم على بعض، والمسلم والهندوسي إخوان ماداما يحبان الله ويعملان الصالح... ودعا إلى تزكية النفوس وتهذيب العادات والزهد في الدنيا والاهتمام بحياة التأمل.

ثم جاء بعد ذلك " نانك "، وأسس مذهباً وحد فيه بين الفيذا وكتب الهندوسية المقدسة والقرآن الكريم، وأنشأ طائفة السيخ، المريدين، التي تقوم مبادئها على حياة نقية مطهرة تقدر الله وحده، وترفض الكتب المقدسة.



ما معنى المصطلحات التالية في نظر الهندوس :
الكارما، والانطلاق، والفيدا، وقوانين مانو، والتناسخ.

5.2 أهم شرائع الهندوسية

أخي الدرّس، أختي الدارسة : استقت الهندوسية كل شرائعها من كتاب قوانين مانو ولا تزال هذه الشرائع معمولاً بها لدى الهندوس حتى الآن وهي :

1.5.2 فيما يختص بالحكم

فقد دار في الباب السابع من قوانين مانو حول واجبات الملك والوصايا والأحكام المتعلقة بإدارة شؤون البلاد سياسياً وحرّياً وتنظيماً ومنها ما يتعلق بالملك حيث يمتاز الملك في نظرهم بقدسية واحترام لأنهم يعدونه إلهاً على الأرض في صورة إنسان، وقد منحه الله السلطان الذي يعاقب به المذنبين، ويجب عليه أن يكون عادلاً يرعى مصالح الناس كما يرعى ولده . (ديورانت، قصة الحضارة، ص161) ويجب عليه أن يشدد العقاب على أعدائه، ولا يلجأ إلى الخبث والخداع في عقاب أصدقائه (زيمور.علي، الفلسفة في الهند، ص125) ومن واجبات الملك أن يعين الوزراء ليساعدوه على سيادة الدولة، ويجب أن يكونوا من ذوي العلم والشجاعة والنزاهة، كما عليه أن يختار سفراء من أهل العلم والفراسة . وعلى البرهمي أن ينصح الملك وعلى الملك أن يأخذ بأقواله .

2.5.2 النظم المالية

وقد خصص الباب الثامن من قوانين مانو لأصول المحاكمات والأمور التجارية والاقتصادية ومنها :

لم يعرف الهندوس القروض المالية ولم يتعاملوا بالربا (شلي، مقارنة الأديان، ص74) في بداياتهم حتى أباح البراهمة الإقراض وبنسبة فائدة بلغت 20% أحياناً .

وفرضت الضرائب على التجار والمزارعين فقط لأن البراهمة لا يدفعون ضريبة كما أُعفي منها ذوو العاهات .

وإذا عثر على لقطة تحفظ بأمر الملك حتى يعثر على صاحبها، والذي يسرق هذا المال يداس بأقدام الفيل .

والعقار الذي لا يوجد له صاحب يبقى في يد الملك ثلاث سنوات وإن لم يطالب به أحد أصبح ملكاً للملك . (أسود، المدخل إلى دراسة الأديان، ص65)

وبالنسبة للميراث فإن الابن الأكبر هو الذي يرث والديه، والذي ليس له ولد يجوز لزوج ابنته أن يرثه، ولا يجوز للمرأة وأولادها ملكية شيء وكل ما يحصلون عليه هو ملك لرب عائلتهم سواء الزوج أو الابن الأكبر .

3.5.2 المرأة

وقد خصص الباب التاسع من قوانين مانو للواجبات الزوجية وأحكام الأسرة وما يتعلق بالزوجين وحقوق المرأة :

لم تحصل المرأة عند الهندوس على حريتها فهي لا تستطيع التملك ولا يحق لها الاختيار فهي رهن لولي أمرها وعليها أن ترضى بما يختار لها الولي سواء كان أباً أم زوجاً أم ابناً، ولا تفكر برجل بعد وفاة زوجها بل عليها أن تهجر ما لذ من المأكل والملبس والزينة، وجنة المرأة رضا زوجها وإن أهملها ولم يعتنِ بها فلا تقصر في خدمته ولا تحقد عليه، وللرجل أن يطلق زوجته ويطردها من بيته إن كانت قاسية أو شريرة، إلا أن المرأة سيدة في بيتها، وعظمتها من عظمة زوجها، وشهادة النساء لا يقام لها وزن كبير .

4.5.2 المذهب الأخلاقي عند الهندوس

الأخلاق في المذهب الهندوسي مجموعة وصايا أو مثل عليا تمجد الخير وتدعو له، وترفض الشر وتنادي بالابتعاد عنه .

ونجد هذه الوصايا والتعليمات مبعثرة في الفيدا وبقية الكتب المقدسة وبالذات في كتاب "تائيطيريا" أوبانيشاد الذي يتحدث عن الأخلاق والوصايا التعليمية العملية للمريدين، والدعوة إلى التحلي بالفضائل والبحث عن الحقيقة والقيام بالبر والاعتناء بالضيف والعناية بالأهل، وحفظ اللسان، وعدم النميمة والابتعاد عن الآثام، والمحافظة على الصدق، وعدم الاعتداء على ما ليس للإنسان .

كل ذلك من أجل أن يخلد الإنسان ويتحد - وهو في هذا العالم - ببراهمن الذي هو النفس الشاملة الجامعة .

وقد ساعد على قوة هذه المبادئ الأخلاقية قانون دهارما وهو الدعوة للقيام بالواجبات وممارسة الحقوق .

وأدى سعي الهندوس إلى التحقق ببراهمن والاتحادية وأن مالوا إلى الزهد والتصوف والانقطاع عن الدنيا والتضحية باستئصال الشهوات وتقديم الأضاحي، والتضحية الحقيقية تكون بالنفس ذاتها.

والأضاحي تشكل أساس العبادة، ويتهل المضحى في أثناء تقديمها إلى الآلهة لتغفر ذنوبه وتكفر خطاياها، وتشفي مريضه، وتطيل عمره.

وفي اعتقاد الهندوس، هناك أشياء مهلكة وأشياء منجية أما المهلكة فهي أعداء الإنسان " ساداريبو " وهي :

النفس، والنسيان، والغضب، والسكر، والحيرة، والحقذ، وأن تحرق مال غيرك، وأن تسم غيرك، وأن تمارس السحر، وأن تحدث فوضى، وأن تكون عنيفاً، وأن تفتن الناس، والجمال، والثراء، والذكاء، والنسب الرفيع، والفتوة، وشرب الخمر، والانتصار.

وأما المنجية فهي :

1. أسس التفكير الصالح وهي ثلاثة :

أ. لانوجل ولانرغب في أي شيء ليس حلالاً.

ب. لانفكر بسوء نحو أي من البشر.

ج. لاننكر الثواب الذي يدخره الله للصالحين.

2. أسس الحديث الصالح وهي أربعة :

أ. عدم محبة الشتائم.

ب. عدم محبة الألفاظ النابية.

ج. عدم محبة الفتنة.

د. لاينكر الوعد ولايخلفه.

3. أسس الفعل الصالح وهي ثلاثة :

أ. لايعذب أحداً ولايقتل نفساً.

ب. لايسرق.

ج. لايزني.

(د. شلي. رؤوف، آلهة في الأسواق ، ص132)

أخي الدارس، أختي الدارسة :

تعرفتم على الديانة الهندوسية، نشأتها وانتشارها، وأهم عقائدها، وأهم كتبها ومن أجل أن تقيموا معرفتكم هذه حاولوا الإجابة عن الآتي :-



نشاط (2)

ارجع إلى الكتب المتخصصة، واستخرج معاني المصطلحات التالية ودونها في دفترك :
اليوغا، والتقمص، وآتمان، وكريشنا، والسيخ، والكابست .



أسئلة التقويم الذاتي (1)

السؤال الأول: ضع إشارة صح أو خطأ أزاء كل جملة من الجمل التالية :

1. تعد الهندوسية ديناً مغلقاً على ذاته، ومتضمناً مجموعة أفكار ومبادئ دينية جاء بها مجموعة أشخاص .
2. يعد الفيذا كتاب الهندوس المقدس، وقد كتبه بوذا ساكيا موني في القرن الخامس الميلادي .
3. عرف البد بأنه الشخص في هذا العالم الذي لا يولد ولا ينكح ولا يطعم ولا يشرب ولا يهرم ولا يموت .
4. المهابهارتا كتاب ملحمي قديم، يصف الحياة السياسية والدستورية للهنود وطرق اختيار الملوك وولاية العهد وواجبات الملك . . . إلخ .
5. يعود اختلاف الآلهة عند الهندوس في الأغلب إلى اختلافهم في قبائلهم وعروقهم ومستوياتهم .
6. تقوم اليوغا على أساس التذكر والتفكير والصمت، وتعتمد على توقيف إرادي لنشاطات العقل، وتوقيف الانطباعات القادمة من عالم الحس الخارجي وتوقيف الانطباعات القادمة من العالم الداخلي للإنسان .
7. ظهر الإله المتعدد الصفات في الفكر الهندوسي في المرحلة الثالثة من مراحل تطور هذا الفكر، فظهر براهما الخالق، وفشنو الحافظ، وسيفا المهلك المدمر .

8. الملك والقادة والساسة والقضاة والحكماء من أعلى الطبقات في المجتمع الهندي، وهذه الطبقة هي طبقة البراهمة .
9. زنوج الهند طبقة من طبقات المجتمع الهندي المنحطة، تعمل في أخط الأعمال وأقذرها وحياتهم بدائية جداً ومحرومون من حقوق الإنسان جميعها .
10. حصلت المرأة الهندوسية على جميع حقوقها في الحياة من اختيار زوجها واختيار طريقة حياتها من أكل وشرب ولبس، كما أنها تستطيع التملك وتزوج بعد وفاة زوجها .

السؤال الثاني : تفرع عن الديانة الهندوسية عدد من الفرق عددها واشرحها باختصار .

السؤال الثالث : بعد إلقاء نظرة على كتب الهندوسية المقدسة ما أهم ملاحظاتك عليها؟ .

السؤال الرابع : بين أهم خصائص كل طبقة من طبقات الهندوس باختصار .

السؤال الخامس : تحدث بما لا يزيد عن أربعة أسطر عن كل واحد من التالية :

أصحاب الفكرة والوهم، والفيدا، والكارما، وتقديس البقرة، والمذهب الأخلاقي عند الهندوس .

3. البوذية

1.3 توطئة

أخي الدراس، أختي الدارسة :

قلنا فيما مضى أن الأديان في الهند كثيرة، والحديث عنها متسع ومتشعب، والصالحون من النساك والكهنة الداعون إلى إصلاح النفس وتطهيرها من الأدران والرذائل كثيرون، ومن هذه الديانات التي سنتحدث عنها الآن البوذية. فما هي البوذية ومن هو مؤسسها ؟

2.3 نشأتها وانتشارها

1.2.3 نشأتها

أخي الدراس، أختي الدارسة: ما الديانة البوذية؟ .

البوذية: هي ديانة التأمل الباطني والرحمة وإنكار الذات، وهي إحدى ديانات الشرق الكبرى، قامت في الهند بين القرنين السادس والخامس قبل الميلاد لتناهض الديانة الهندوسية التي كانت شائعة آنذاك، وتعاليمها ليست وحيًا يوحى إنما هي آراء وعقائد في إطار منطقي من التعابير المألوفة من الفرضيات وجدت استنتاجاتها وقياساتها في أساليب المنطق نفسه. وغاية البوذي أن يكون مطمئنًا مع نفسه.

يصفها الدكتور علي زيعور بقوله إنها ليست فلسفة ولا علمًا ولا هي دين بالمعنى الخاص للكلمة، بل هي طريقة خاصة في العبادة ودعوة للترفع عن الشكليات، وما جمد في طقوس ميتة وحركات رتيبة... وهي نظام حياة يملأ القلب وداعة ونعمة، ويفعم النفس محبة وطهرًا، ويشرق على الذات فيضًا من الروحية ونداءات إلى التجاوز الخلفي والتسامي. (د. زيعور، الفلسفة في الهند ص193).

وقد ظهرت هذه الديانة قبل ميلاد المسيح عليه السلام بعدة قرون، وأصبحت الديانة الرسمية في الهند مدة طويلة من الزمان إلى أن بدأت الخلافات بين أتباعها تظهر بوضوح وتتسع وتستفحل، وهذا ما أدى إلى إتاحة الفرص لكثير من تعاليم الديانات الهندية الأخرى أن تظهر بوضوح وتتجدد، بل وتتسرب أفكارها ومبادئها إلى البوذية، وانقسم البوذيون قسمين، وشجعت الديانات الأخرى هذا الانقسام. وبعد مضي ألف ومائتي سنة كانت الديانات الأخرى قد عملت على القضاء على البوذية في الهند بأن صهرتها في بوتقة

الهندوسية، وجعلت من بوذا أحد آلهة الهندوس، حتى إذا كان القرن السابع الميلادي كان كهنة الهندوس هم المسيطرون والمتنفذون، فلم يسمحوا بأن يكون للديانة البوذية في الهند أي نفوذ، فلم يعد للبوذية أتباع سوى عدد قليل يعيش فيما وراء الهملايا.

أما خارج الهند فقد امتدت تعاليم بوذا شرقاً إلى نيبال وتركستان الشرقية والصين واليابان، وجنوباً إلى بورما وسيام وسيلان كما امتدت البوذية إلى أندونيسيا وجزر الهند الشرقية بعد ذلك حتى شملت التبت والصين وكوريا واليابان (مظهر. سليمان، قصة الديانات، ص 125).

سميت هذه الديانة بهذا الاسم نسبة إلى مؤسسها بوذا، وإذا أردنا -أخي الدراس، أختي الدراسة- أن نعرف نشأتها لا بد لنا من الحديث عن مؤسسها لتتعرف حياته وما فيها من روايات وأساطير وقصص.

أولاً: مولد بوذا ونشأته

كلمة بوذا في أصلها تعني المستنير أو العارف، وتلك مرحلة لا يبلغها إلا القليل من الناس، ذلك أن المستنير أو العارف هو الذي تشرق عليه الحقيقة ويفيض عليه العلم، وينكشف له الكثير من أسرار العالم بعد طول تأمل وتفكر ومجاهدة ومعاناة.

بوذا لقب أطلق على أمير هندي كان يتوقع أن يصبح ملكاً بعد والده، ولكنه آثر حياة أخرى غير الحياة التي هيأه والده لها.

ولد في مدينة بنارس بين جبال الهملايا في الناحية الشرقية من الهند وهو من قبيلة ساكيا من طبقة الكشتارين أي طبقة الملوك والحكام والمحاربين.

أبوه سذودانا أحد نبلاء القبيلة وهو أمير في قومه، يحترمونه ويجلونونه ويلقبونه "المعتر" وأمه مايا وتعني في لغتهم الوهم لشدة جمالها وكانت ذات مزايا حميدة، وذكاء نادر، وورع وتقى.

ولد عام 563 ق.م وسمي سدهاتا وهو اسم الأسرة ثم ماتت أمه في الأسبوع الأول من ولادته فحضنته خالته.

وقد دارت روايات وأساطير كثيرة حول ولادته والرؤيا التي رأتها أمه وتفسيرات هذه الرؤيا من الكهنة، وقيل إن يوم ولادته ظهرت علامات كثيرة؛ عندما ولد تلقفته أيدي أربعة من البراهمة في شبكة نسجت خيوطها من ذهب، وقوفه بعد ولادته مباشرة ومشيه سبع خطوات وقوله: أن سيد هذا العالم وهذه الحياة هي آخر حياة لي، ظهور زلزال شديد، انتشار النور في

كل مكان... إلخ. (مظهر، قصة العقائد بين السماء والأرض، ص 37-34)

شب الطفل في النعيم الذي كان رهن إشارته، وتهيأت له مفاتن الحياة وبذخها، ولما بلغ سن الشباب بدت عليه علامات الحكمة فسماه الناس حكيم قبيلة الساكيا - ساكيا موني - .
تزوج من أميرة جميلة وهو في العشرين من عمره وأنجبا غلاماً أسمياه راهولا،
وسنحت الفرصة لسذهاتا أن يتجول دون قيود في أي طريق يختاره بعد أن كان محرماً عليه
ذلك، فبدأت المشاهد المؤلمة تبدو واضحة أمام عينيه حيث يعاني الناس حياة العدم والبؤس
والشقاء والفاقة والمرض . وهناك روايات وقصص كثيرة عن هذا الموضوع أذكر منها أنه التقى
مرة بشيخ عجوز واهن يتوكأ على عصاه ويوشك أن ينكفي على صدره وقد احدوب ظهره
وتقوس وثقل عليه رأسه فلا يطيق حمله فسأل بوذا مرافقه : من هذا الرجل الذي يسير على
العكاز بجسمه النحيل وقامته المهذودة ؟ هل حالته هذه خاصة بعائلته وحدها أم هي قانون
طبيعي شامل يسري على جميع المخلوقات ؟ فأجابته مرافقه، بأن ما رآه على هذا العجوز
قانون عام يسري على جميع الناس، إذ تغلب الشيخوخة على سلامة البدن وصحته الجسمية
ولامناس من مثل هذه الخاتمة . وتروى قصة أخرى أنه رأى مريضاً يتلوى من المرض ويئن من
الألم ويشكو من العناء وأهله حوله لا يستطيعون إيقاف الألم، فسأل عن سبب ألم الرجل
وأبينه، فقال مرافقه بأن هذا مريض، وأن أعضاء جسمه غير سليمة ولا هي معافاة، وكل
البشر عرضة للإصابة بمثل هذه التعاسة . . . إلخ (شليبي . د. أحمد، مقارنة الأديان، ص 139).

أثارت هذه المآسي والمناظر في نفسه التفكير في معنى الحياة والبحث عن سر الألم
فيها، وأخذ يتأمل كثيراً في موضوع الألم بأنواعه جميعها وسأل نفسه لماذا لا تحل الرأفة
والرحمة الشاملة محل القسوة التي تزيد من ألم الإنسان ؟

وساقته تأملاته إلى النفور من الحياة الناعمة الرغدة وانبعثت في نفسه الرغبة في التخلي
عن حياة الترف عله يصل إلى معرفة سر الكون . (أسود، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، ص 76)
فأثر الانقطاع عن الناس في الغابات والعيش في عزلة وتنسك يتأمل خلالها لغز
الحياة، وفعلاً تم له ذلك وكان عمره آنذاك تسعة وعشرين عاماً حيث ترك القصر وكل
ملذات الحياة ولبس الثوب الأصفر الذي أصبح شعاراً للبوذيين من بعده والتقى في هذه
الفترة براهيين من البراهمة فلازمهما وتلمذ عليهما ثم تركهما وقرر أن يسعى بنفسه لنيل
المعرفة وكشف أسرار الكون . وقضى معظم أوقاته في هذه الفترة صائماً متقشفاً يذيق نفسه
ألوان المشقة حتى تصفو نفسه ويصل إلى الحقيقة وتبعه خمسة من المريدين .

استمر على هذه الحال حتى نحل جسمه وأدرك أن لا وصول للحقيقة بهذه الطريقة

فقرر أن يرجع إلى ما كان عليه من الترف حيث تخلى عنه تلامذته لأنه فارق طريقته الأولى (الطريق التي اتبعوه عليها) واتبع طريق الوسط كما سماها .

وأطلق عليه في هذه المرحلة اسم غوتاما أي الراهب، وبعد أن عدل عن طريق الراهب وأصبح يتناول ما طاب له من الأكل بعد الصيام الطويل استمر في تأمله الهادئ تحت شجرة في مكان سمي فيما بعد بوذاجايا، ولبث في تأمله حتى أشرقت عليه الحقيقة واكتملت في ذهنه أسس العقيدة وصورها بأنها صوت حادثه (أسود، المدخل إلى دراسة المذاهب والأديان، ص77) وتمت له الإشراق التي يترقبها حيث يراها بعض الباحثين الغربيين وحيأ (شليبي، مقارنة الأديان، ص142) .

أطلق عليه اسم بوذا في هذه المرحلة ومعناه العارف المستنير .

قرر نشر دعوته بعد تردد طويل حيث عاد إلى مدينته بنارس والتقى تلاميذه الخمسة الذين فارقوه بعد تخليه عن حياة التقشف واقتنعوا بفكرته الجديدة وأصبحوا أول حواريه المؤمنين بأفكاره ونشروا دعوة البوذية معه، مع من اقتنع بتعاليمه، وانتشرت تعاليمه حتى وصلت مملكة أبيه وزوجته واقتنعت زوجته بتعاليمه وأصبحت أول راهبة في البوذية .

ولاقت البوذية استحساناً في جميع الطبقات، وكل طبقة لاقت في البوذية خلاصاً لها من تسلط الطبقات الأخرى .

واستمرت دعوة بوذا باسم عجلة الشريعة أو النظام كما سماها حيث ظل بوذا يدفع بها إلى الأمام حوالي أربعين عاماً حتى بلغ الثمانين من عمره واختار حياة المبشر المتسول مع كل ما تشتمل عليه من صعوبات وحرمان وسخرية ومقاومة .

ثانياً: وفاته

كان بوذا بين تلاميذه وقد بدا عليه الإعياء والتعب، وحين شعر بدنو أجله خاطب تلاميذه قائلاً: " كل شيء يوؤل إلى الانحلال وأنا كذلك أيها التلاميذ قد شخت وأوشك أن أموت . إن أجلي قد حان وإن حياتي يجب أن تنتهي وأن لروحي أن تلقي حملها، جدوا لتحرير أرواحكم بكل ما أوتيتم من الحول أيها الرهبان . لتكن أفكاركم سليمة . راقبوا قلوبكم وصونوا أنفسكم ولا تغفلوا . لتكن إرادتكم ظاهرة قوية واجتازوا بحر الحياة غير أسفين ولا متحسرين " (شليبي، مقارنة الأديان، ص151)

وجلس في الغابة بين شجرتين عاليتين وأغمض عينيه ثم قضى ، أعلن موته في البلاد عام 483 قبل الميلاد في قرية كوسيناها .

وأحرق جثمانه على شاطئ النهر في احتفال مهيب وطاف أتباعه حول جثته ثلاث مرات ثم جمع الرماد وقسم ثمانية أقسام وزعت على حواريه وتلاميذه والأمراء والنبلاء الذين حضروا احتفال حرقه .

وبعد مرور قرنين من الزمان على وفاة بوذا انقسم أتباعه إلى مذهبين كبيرين وتفرع عنهما عدد من المذاهب الفرعية وهما:

أ. مذهب ماهايانا ويسمى مذهب الشمال حيث ألّهُوا بوذا، تأثر هذا المذهب بالهندوسية وأخذ منها القول بتناسخ الأرواح، وأصحاب هذا المذهب يحاولون اكتشاف ما اكتشفه بوذا بنفسه وتعليم الآخرين هذا الشيء المكتشف، ويكرسون أنفسهم للحياة الاجتماعية ويطمحون للوصول إلى النيرفانا .

ب. مذهب هنايانا وهو مذهب الجنوب حيث حافظوا على نقاء دعوة بوذا، وأتباع هذا المذهب يعدون بوذا معلماً أخلاقياً بلغ الدرجة القصوى من الصفاء الروحي وأنه جاء بشريعة حقّة، وهم يحاولون أن يصبحوا كالبوذا ويرون أن الإنسان يجب أن يكون بوذا لنفسه وأن يصل إلى النيرفانا .

هذا وقد طرأت على البوذية تحولات كثيرة على مر الأزمان والعصور لتتلاءم مع الأحوال المستجدة وتواكب الزمن .



نشاط (3)

أخي الدارس، أختي الدارسة :

عد إلى كتاب الفلسفة في الهند للدكتور علي زيعور، واقرأ فيه حياة بوذا من ص 195
235 - . ولخص أهم ما فيها من وقائع وأحداث واكتبه في دفترك ثم عرضها على مشرفك الأكاديمي .

2.2.3 انتشارها

قلنا فيما سبق أن البوذية لاقت صعوبات كثيرة، ومنافسات من الديانات الهندية الكبيرة لاسيما الهندوسية على الخصوص، مما جعل البوذية تتراجع في الهند، بل وتنصهر مبادئها في الهندوسية، ولكن هذا لا يعني اندثارها وتلاشيها بل نراها انتشرت في أرجاء الهند كافة ووصلت إلى الأقطار المجاورة وأصبحت ديناً رسمياً في الصين واليابان وتايلاند

وبالتالي أصبحت ديناً لكثير من شعوب قارة آسيا .

وقد مرت في خمس مراحل تتضمن كل منها خمسة قرون وهي :

أولاً : من مطلع البوذية حتى القرن الأول الميلادي : حيث كان بوذا معلماً ثم أصبح بمرور الزمن مقدساً فإلهاً . بنى له البوذيون المعابد ، وانتشرت في الهند وسيلان .

ثانياً : من القرن الأول حتى القرن الخامس الميلادي : امتدت نحو الشرق إلى البنغال ونحو الجنوب الشرقي إلى كمبوديا وفيتنام ، وإلى الشمال الغربي إلى كشمير ، وفي القرن الثالث الميلادي اتخذت طريقها إلى الصين وأواسط آسيا ومن الصين إلى كوريا في الشمال الشرقي .

وكانت تتعاون مع النظام الملكي الذي كان مسيطراً على تلك الأقطار ، وشهدت هذه المرحلة تقدماً ملحوظاً في الثقافة البوذية .

ثالثاً : من القرن السادس إلى القرن العاشر الميلادي : استمرت في الانتشار وامتدت إلى اليابان ونيبال والتبت .

ومن الملاحظ في هذه المرحلة أن الترابط بين البوذية والقصور الملكية الحاكمة لم يكن وطيداً دائماً . وتعد هذه المرحلة من أزهى المراحل من الناحية الثقافية .

رابعاً : من القرن الحادي عشر إلى القرن الخامس عشر الميلادي : وفيها ضعفت البوذية واختفى كثير من آثارها وذلك لعودة النشاط الهندوسي في الهند وظهور الإسلام فيها ففرت من الإسلام إلى لاوس ومنغوليا وكمبوديا وسيام .

خامساً : من القرن السادس عشر الميلادي للآن : تعد هذه المرحلة فترة دقيقة في تاريخ البشرية ، إذ وقفت البوذية فيها وجهاً لوجه أمام تحدي الفكر الغربي الذي حملته الاستعمار لتلك البقاع فالتقت الفرق البوذية للوقوف أمام الزحف الفكري فناضلت ضد المسيحية وفلسفتها وفي نهاية هذه المرحلة أصطدمت البوذية بالشيوعية وأصبح الحكم في كثير من الأقطار التي تنتشر فيها البوذية بأيدي حكومات شيوعية (شليي ، مقارنة الأديان ، ص 186-183) .

3.3 كتب البوذية المقدسة

لم يدون بوذا شيئاً في حياته بل كان يلقي تعاليمه شفاهاً ، وقد جمع تلاميذه أقواله خلال السنوات التي تلت وفاته من أفواه معاصريه والرواة عنهم ، وكتبوها بلغة بالي ،

وعدها كتباً دينية مقدسة، وترجموها إلى لغات مختلفة، وتشمل ثلاثة كتب رئيسية. وأهم كتاب معتبر للبوذية يسمى " تي بيتاكا " وأهم جزء في هذا الكتاب يسمى " دامابادا " ويعني الطريق إلى الدين أو النظام الأساسي للتعبد البوذي، وقد ألف عام 423 ق. م، ويحتوي على الأشعار التي قالها بوذا في حياته، ووظيفة هذه الأشعار تنقية الفكر وتهذيبه وجعل الذوق سليماً مرهفاً، وتدفع إلى تطهير النفس من أجل الصعود إلى قمة المثالية، ولهذا فإن البوذيين يقدسون هذا الكتاب على الخصوص ويحفظونه في صدورهم وينشئون أبناءهم عليه.

وتعد كتب البوذية هذه والتي تسمى (سلال الحكمة الثلاث) من أضخم ما ورد من التراث التشريعي في أي دين من الأديان (أسود، المدخل لدراسة الأديان والمذاهب، ص79). ولا يدعي البوذيون أن كتبهم المقدسة منزلة وإنما ينسبوننها إلى بوذا، وقد حفظ عنه أتباعه أحاديثه وخطبه وأمثاله، وبعد وفاته ظهر الخلاف فيما بينهم ولذلك اجتمع خمسمائة راهب منهم في قرية راجاجراها لإزالة الخلاف فيما بينهم وتوحيد أقوال بوذا وقرروا تدوين تعاليم بوذا خشية ضياعها وعهدوا بذلك إلى ثلاثة رهبان من تلاميذه وهم: كاشيابا: وقد دون المسائل العقلية في فلسفة بوذا وآراءه حول المسائل النظرية. أويالي: وقد دون قواعد تطهير النفس للربان والراهبات وشرح الطريق المثمن. أناندا: وقد دون جميع الأمثال والمحاورات والحكايات التي جرت على لسان بوذا في أثناء رحلاته التبشيرية.

وقد بقيت هذه الكتب محفوظة في الصدور جيلاً بعد جيل حتى عهد الملك أسوكا عام 242 قبل الميلاد إلى أن استقر الرأي على كتابة المجموعات الثلاث فكتبوها ووضعوا كلاً منها في سلة خاصة، وعلقوها بعيدة عن متناول العامة خوفاً من ضياعها ومبالغة في تقديسها، ولذلك سميت بالسلال الثلاث ويقال لها القانون البالي نسبة إلى اللغة البالية التي دونت بها (شليبي، مقارنة الأديان، ص192).

أما السلة الأولى وتسمى " سلة العقائد " فتشمل الوصف الدقيق لقواعد النسك والرهبة، وتوضيح كل قاعدة بشتى الشروح والتفاسير للعقيدة البوذية. والسلة الثانية وتسمى " سلة الأمثال " فتتناول مجموعة المواعظ والوصايا والأحاديث التي جرت على لسان بوذا لأتباعه وتلاميذه، ونجد في هذه السلة أيضاً صفوة الفلسفة البوذية حيث المبادئ الأربعة التي هي أساس الدين البوذي والمبدأ المثمن وغيره من الوصايا والمبادئ.

والسلة الثالثة وتسمى " سلة الشريعة " تشتمل على مثل ما اشتملت عليه السلة الأولى من شروح وتوضيحات وتعليقات للعقيدة البوذية، وتتميز بالطول والتعقيد والنظرات الفلسفية. ويبدو أن هذه الأخيرة هي من وضع رهبان البوذية ونسألكم.

4.3 عقائد البوذية

أخي الدرّاس، أختي الدارسة:

قلنا في بداية حديثنا عن البوذية انها ليست في ذاتها ديناً خالصاً، وليس لها صفة الأديان الأخرى، بل هي نظام أخلاقي تربوي يهدف إلى تخليص النفس من الشرور والآثام، وتطهيرها عن طريق تعذيبها وإيلامها.

على أننا نجد هذه الديانة أصبحت فيما بعد مذهباً فكرياً عقلياً، قائماً على نظريات فلسفية وقياسات عقلية انقسم إلى فرقتين كبيرتين " الهنايانا " و " المهايانا " وقد أشرنا إليهما سابقاً.

وإذا كانت البوذية ديناً أخلاقياً، فما هي نظرتهم إلى الله ؟

1.4.3 الله عند البوذيين

أسس بوذا دعوته القائمة على المعرفة بناء على تجربته الروحية ويقول في ذلك إن الحق لا يعرف بالنظريات بل بالسير في طريقه.

لذلك لم يتحدث عن الله ولم يشغل نفسه بإثباته أو إنكاره، وكان يرى أن خلاص الإنسان متوقف عليه نفسه لا على الله !!؟ (شليبي، مقارنة الأديان، ص 167)

وكان ينهر أصحابه وينهاهم عن الخوض في المسائل الإلهية، ولم يلق لها بالاً حيث قال لمريديه عندما سأله أحدهم عن الذات الإلهية أم موجودة أم لا ؟ " لاتفكروا كما يفكر الناس، بل فكروا هكذا، هذا ألم، هذا مصدر ألم، هذا إعدام ألم، هذا سبيل إعدام ألم " .

هذا وقد اتخذ مرة سبيل إنكار الذات الإلهية وسخر من الذين يتكلمون عن الله ولذلك وصم بوصمة الإلحاد.

ونظراً لأن الإيمان بالله فطري في الإنسان وإهمال هذا الإيمان يحدث ارتباكاً واضطراباً في نفسيته، فقد حاول أتباعه أن يخلصوا من هذا المأزق فقالوا إن روح الله قد حلت في بوذا وعدوه إلهاً. واتجه بعضهم لأن يعبد بعض آلهة الهندوس المتعددة وأن يتبع تعاليم بوذا فاختلقت البوذية بالهندوسية وتعددت اتجاهات البوذية في الاعتقاد بالله :

فرقة ترى وحدانية الله وأنه أوجد عدداً محدوداً من الأرواح ثم ترك الإنشاء مكتفياً بما وضعه في العالم من قوانين، وفرقة ترى أن الله أودع في الأرواح التي أرسلها للعالم قوى تستطيع منها أن تعرف الخير من الشر ومن أجل ذلك لا يرسل الله رسلاً اكتفاءً بذلك، وفرقة ترى أن الله يفرغ الكمالات الإنسانية في كل زمن على إنسان يتجرد لعبادته ويتعد عن إرضاء الشهوات الحيوانية، وهذا الإنسان المختار يحل محل الإله في إظهار الرضا عن بعض الناس أو الغضب عليهم تبعاً لما يصدر عنهم من الأعمال وبذلك يتبعه الناس ويلتفون حوله. (أسود، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، ص 87)

ونستطيع أن نلمس من ذلك أن الخلاف ظهر بين أتباعه أما هو فقد كان واضحاً في ذلك إذ لم يدع النبوة ولا بحث في موضوع الإله وحقيقته وصفاته، بل لم يكن الإله ضمن اهتماماته الرئيسة كما أشرنا.

وخلاصة الأمر أن البوذية لا تقول بخالق ولا تحتاجه، إذ لا شيء يولد ويخلق، كما أنه لا شيء يزول فلا بداية ولا نهاية للعالم، فما يولد هنا أو الشكل الذي يظهر هنا يفنى ويختفي هناك - في مكان آخر -.

وهذا القول لا يعني أن البوذية دين ملحد، لا، إنها ليست دين إلحاد. كما أنها ليست دين إيمان، بل هي ليست ديناً بقدر ما هي نظام، وسلوك ومنهج اعتناق من الألم والشهوات، فعدم اهتمامها بإلاله ليس بسبب أنكارها له، بل بسبب انغماسها في محاولات تخليص النفس من عذاباتها.

على أننا لاننكر أن يكون في البوذية أبحاث لما وراء هذا الكون، وأجوبة لتساؤلات عن قضايا ما ورائية ترد في ثنايا كتبهم.

كما أننا نلاحظ أن أتباع بوذا نسوا الدعوة التي كرس بوذا نفسه من أجلها، وراحوا يؤلهون بوذا نفسه ويتحدثون عنه كإله، ويقدمون له القرابين، ويقيمون التماثيل له في المعابد.

2.4.3 التناسخ

أخي الدراس، أختي الدارسة:

لقد مرّ معنا عندما تكلمنا عن العقائد الهندوسية أن التناسخ هو تكرار المولد أو تجوال الروح، وهو رجوع الروح بعد خروجها من جسم ما إلى جسم آخر، وسبب ذلك في رأيهم أن الروح خرجت من الجسم ولا تزال لها أهواء وشهوات مرتبطة بالعالم المادي لم تتحقق

بعد، وفي هذا يقول بوذا إن الإنسان مركب من جسد يملك قوى يتحرك بها في هذا العالم المادي وهي الحواس الخمس، البصر، السمع، الذوق، اللمس، والشم بالإضافة إلى الطبع الذي يشتمل على النزعات والكفاءات الصادرة من الماضي (أي من الروح التي حلت فيه) وهي إرث له من الحياة التي عاشتها في الماضي.

والعناصر التي تشكل شخصاً جديداً لاتزال في تبدل مستمر ولكنها تتلاشى كلية حتى تفنى تلك القوة التي تتمسك بها وتدفعها إلى الميلاد من جديد وليست تلك القوة إلا الرغبة في الوجود المنفرد (شليبي، مقارنة الأديان، ص 157)

3.4.3 هي نار الشهوة واطفائها

الحياة كلها لهيب وحريق - طبعاً في رأي بوذا - إنها نار الشهوة ونار البغض والعداء هي التي تؤجج العواطف الخمس والحواس الخمس. ولإخماد هذه النيران يقتضى اتباع الصراط المستقيم والسوي الذي لا عوج فيه. وإن باب هذا الطريق هو تطهير الذهن ونهايته السلام والحنان لكل الخلق من الأحياء، وعندما يتجرد الإنسان من كل رغبة وهوى ينتهي سر تقمصاته ويعود للحياة الأسمى. والذي يتعد عن الشرور ويتحرر من الشهوات ورغباتها ويتبرأ من كل العيوب يسمى براهمانا.

4.4.3 رأي البوذية في الطبقات

قلنا إن الهندوسية قسمت أفراد الشعب إلى طبقات، وكان هذا النظام صارماً إذ لا يصح أن تختلط هذه الطبقات في بعض، ولكل مزاياها وواجباتها حتى أنه وجدت فئة من المنبوذين ولم يحسبوا من الطبقات.

نادى بوذا بإلغاء هذا النظام ومن أقواله في ذلك: "اعلموا أنه كما تفقد الأنهار الكبيرة أسماءها عندما تصب في البحر، كذلك تبطل الطبقات الأربعة عندما يدخل الشخص في النظام ويقبل الشريعة" (شليبي، مقارنة الأديان، ص 174).

إن ما يدعو إليه بوذا هو الرهينة وفي الرهينة يتساوى سائر البشر، فالناس جميعاً سواسية لافرق بين فرد وآخر لباللون ولبالجنس، وهم متساوون في الحقوق والواجبات، ولذا فإن البوذية ثورة على الهندوسية في نظامها الطبقي، إلا أن الواقع العملي في هذه الديانة غير ما نادى به بوذا، فقد استمر النظام الطبقي في الهندوسية والبوذية معاً، حتى تأسس المذهب السيخي الذي أعلن مؤسسة "نانك" وجوب إلغائه.

ويلاحظ من هذا أن إلغاء الطبقات والتساوي لا يصح إلا بدخول البوذية وليس لأن الناس متساوون بحد ذاتهم. وربما كان هذا السبب المباشر في انتشار البوذية في الهند في البداية ولكن سرعان ما اندمجت البوذية في الهندوسية كما مر معنا.

5.4.3 البوذية ونظرتها للمرأة

يقول العلامة كرشنن ان المرأة الهندية في عصر بوذا لم تكن منعزلة، ولكن مع ذلك نجد بوذا يتردد كثيراً في قبولها لتكون من أتباع دينه، وكان على حذر تام من النساء (أسود، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، ص84)، إلا أن ابن عمه أناندا وخالته ماهابراجاباتي لهما رأي مخالف له وتحت ضغطهما على بوذا قبل ضم النساء إلى دعوته وأجاز لهن التكرس للرهبة، وكانت الأميرة يوسودهارا زوجة بوذا أول امرأة تلتحق بالرهبة، بعد أن وافق بوذا على إنشاء منظمة للأخوات الراهبات البوذيات. (مظهر، قصة الديانات، ص119).

على أنه أجاز لهن ذلك مع دوام فرض احترامهن للرهبان وقبول سلطة هؤلاء عليهن على كل حال، ولكنه قال ذات مرة: " لو لم تضم المرأة لدام الدين الخالص طويلاً أما الآن فبعد دخول المرأة بيننا فلا أراه يدوم طويلاً " (ثليبي، مقارنة الأديان، ص176-175) وقد أثر عن بوذا قوله: " للنظام بعد موتي أن يغير من سننه ما يراه مضرًا لمقاصده وحياته " ويرى العلامة كرشنن أن بوذا عنى بهذه الجملة أن لاتباعه طرد النساء إذا رأوا منهن خطراً على الدعوة.

6.4.3 النرفانا

أخي الدراس، أختي الدراسة: يمر الإنسان- في الفكر البوذي- في طريقه إلى التطهير بمرحلتين:
أولاً: مرحلة " نيبانا " المرحلة التي يغسل فيها البدن من كل الأدران والارجاس.
ثانياً: مرحلة النرفانا وهي مرحلة الفناء في الطهر.
وإذا أردنا معرفة النرفانا وهي أقصى ما يعمل الإنسان للوصول إليه، لابد أن نعرف الحقائق التي اكتشفها بوذا والتي عدت أساس مذهبه، وهذه الحقائق هي:
أ. أن كل موجود في هذا العالم يتلقى الألم في نفسه ويعيش فيه طيلة حياته، والحياة كلها شقاء وعذاب، فالولادة ألم.. والعلاقات مع الغير ألم لأننا نرتبط بمن لانحب، أو نفترق عن من نحب.

ب. إن سبب هذا الألم هو الجهل، والجهل يولد الرغبة، والإنسان يبحث عن الشهوة والرغبة، ويتبع الحياة ورغباتها ويطلب لذاتها بنهم شديد، وهذا النهم هو سبب شقائه وعله مصائبه، إذ يتسبب هذا النهم للرغبات في البحث عنها، ويتنقل من إشباع إلى إشباع آخر، دون أن يتم الإشباع الكامل فيبقى الجري وراء الشهوات مستمراً ودائماً، واللذة والرغبة يدفعان الإنسان إلى التمسك بالمكتسبات الدنيوية التافهة، وهكذا يتولد خلال الانتقال من رغبة إلى رغبة العذاب والألم والحزن واليأس.

ج. إن التغلب على هذه الآلام يتحقق بالتغلب على الجهل الذي يؤدي إلى التغلب على الرغبة، فالقضاء عليه يقضي على الألم، ويقضي على مسبباته من البحث عن الرغبة واللذة «متحرر هو من يقهر شهواته ويزيل رغباته، ويمكن هو استئصال الألم، بالقضاء على الجهل فقط تقضي عليه». من كلام بوذا.

د. إذا قضى الإنسان على شهواته، وتحرر من رغباته، وحد من النهم الناتج عن الجهل، يستطيع أن يصل إلى مرحلة الخلاص المسماة " النرفانا " وتعني الاندماج بالإله للتخلص من تكرار المولد.

وعندما سئل بوذا عن النرفانا نصح أتباعه أن لا يشغلوا أنفسهم بالتفكير النظري وأن يهتموا بالعمل للوصول إلى السلام والسعادة الدائمة.

والظاهر أن مفهوم النرفانا اختلف من زمن لآخر، فعندما كان بوذا يعتقد بالله كان

معناها الاندماج في الله والفناء فيه، وعندما أنكر وجود الله أصبح لها معنيان :
الأول: وصول الفرد إلى أعلى درجات الصفاء الروحاني لتطهير نفسه والتخلي عن جميع رغباته المادية.

الثاني: إنقاذ الإنسان نفسه من تكرار المولد بالقضاء على الرغبات والتوقف عن عمل الخير أو الشر. (شليبي، مقارنة الأديان، ص116)

وبناءً على المعنى الأول يصل إليها وهو حي والمعنى الثاني يصل إليها عندما يموت.
وقال بعض مؤرخي البوذية ان معنى النرفانا " الفناء ". وقال آخرون: بل هي حياة أخرى يدخل فيها المرء بعد تحرره من رغباته. وأما ما انتهى إليه الباحثون المتأخرون فهو أنها النشوة التي تنبعث في النفس من إدراك المنى في أمر روحي، هي النشوة التي يصل إليها العالم وقد اكتشف اكتشافاً جديداً لم يكشف مثله، بل هي النشوة التي يحس بها المتصوف وقد انتقل إلى عالمه في إحساساته ومقاماته، وهي نوع من اللذة الصافية التي لاتحد وليست إحساساً ما (الزحيلي، العرش، تاريخ الأديان، ص186).

ولكن كيف يصل الإنسان إلى هذه المرحلة؟ وما الطريق إلى ذلك؟ هل هي بمجاهدة النفس أم بحرمانها من كل متع الحياة أم بأمر آخر غير هذا وذاك؟ يقول بوذا: إن الطريق إلى الخلاص هو ممر ذو ثماني شعب، أو هو الطريق الثامن، من عمل بما فيها وصل إلى تلك النشوة المنشودة وتحرر من الألم والشقاء. وتقتضي هذه المبادئ من السائر في طريق الخلاص أن يترك الحياة الدنيا بما فيها وأن ينطلق إلى المثل العليا والفكر السليم، وأن يهيم على وجهه للوصول إلى النرفانا كما فعل هو نفسه.

والمبادئ الثمانية هي:

1. الإيمان الحق وهو الإيمان بأن الحقيقة هي الهادي للإنسان.
 2. القرار الحق بأن يكون الإنسان هادئاً دائماً ولا يؤدي أي مخلوق.
 3. الكلام الحق بالبعد عن الكذب والنميمة وعدم استخدام الألفاظ الخشنة.
 4. العمل الحق بالبعد عن العمل السيء، والتزييف والتزوير، وتناول السلع المسروقة، واغتصاب الإنسان لما ليس له.
 5. الجهد الحق بالسعي دائماً إلى كل ما هو خير والابتعاد عن كل ما هو شر.
 6. السلوك الحق، كعدم السرقة والقتل وفعل أي شيء يمكن أن يندم عليه الإنسان فيما بعد أو يخجل منه.
 7. التأمل الحق بالهدوء دائماً وعدم الاستسلام للفرح أو الحزن.
 8. التركيز الحق وهذا لا يأتي إلا باتباع القواعد السابقة وبلوغ المرء مرحلة السلام الكامل.
- والملاحظ -أخي الدراس، أختي الدارسة- أن هذه المبادئ ليست عند بوذا سوى وسائل لإزالة الآلام والوصول إلى النشوة ورفع مستوى الإنسان من حياة الشقاء، فهي ليست طرائق تعبدية للوصول إلى الإله أو البحث عن الإله، وإنما هي للارتفاع بالنفس عن مستوى الحياة الدنيئة.
- وأقرب منهج لتحقيق هذه المبادئ هو الرهبنة، ومن أجل ذلك فقد بنيت صوامع الرهبنة في كل أنحاء الهند ليلجأ إليها الرهبان ويحققوا ذواتهم ويصلا إلى النرفانا. ووضع للرهبنة والرهبان نظام دقيق صارم، وصار اللباس الأصفر علماً عليهم. على أن من يصل إلى درجة الرهبنة يتساوى مع غيره من الرهبان، حيث لا فوارق بينهم، بل هم متساوون فيها جميعاً.

كما أنه يمكن طرد الرهبان من الصوامع إذا وقعوا في الذنوب الكبائر عندهم وهي القتل والزنا والسرقه والإعجاب بامتلاك قوة فائقة، إذ هي ذنوب كبيرة لا تغتفر . وهناك ذنوب أصغر هذه الذنوب ينبغي أن يتعد عنها الرهبان ولكن إن فعلوها لا يطرودون من صوامعهم وهي : شرب الخمر، وعدم الأكل إلا في أوقات معينة، والرقص والغناء، وحضور مشاهد الزينة، والتعطر، واستعمال أدوات المنزل المريحة، وأخذ المال .

5.3 أهم شرائع بوذا

1.5.3 الوصايا العشر

أخي الدارس، أختي الدارسة : سبق أن اشرنا مرات عدة أن البوذية هي تربية أخلاقية أكثر من كونها مبادئ دينية ، فلا يوجد فيها طقوس شرعية تعبدية ، بل كل دعوتها أخلاقية وتظهر في وصايا بوذا العشر وهي :

1. لا تزهق روحاً
2. لا تأخذ ما لا تستحق
3. لا تزن
4. لا تكذب أو تغش أحداً
5. لا تسكر
6. كل باعتدال ولا تأكل شيئاً بعد الظهر أبداً
7. لا تشهد رقصاً ولا تسمع غناءً أو تمثيلاً
8. لا تلبس حلياً ولا تتعطر ولا تتخذ زينة
9. لا تنم في فراش باذخ
10. لا تقبل ذهباً أو فضة

إلأننا نجد المعابد والأديرة والصوامع التي أقيمت للعبادة، يتلى فيها أناشيد وتراتيل خاصة بمصاحبة بعض الأدوات الموسيقية أمام تمثال بوذا، كما أن الواجبات العامة المشار إليها في الوصايا العشر واجبة على البوذي . ويلاحظ أن البوذية تمنع تقديم القرابين والأضاحي بارتكازها على التسامح والشفقة، وتحرم المهن الدموية ذات الطابع الذي لا يتوافق مع العطف والوداعة، وكذلك نجد من شعائرتهم الحجم الى الاماكن التي شهدت أهم الأحداث في حياة بوذا؛ مدينة كييلافستو : حيث ولد، بوذا، هفايا : حيث بلغ الاستنارة، بنارس : حيث ألقى موعظته الأولى بعد استنارته، كوسينارا : حيث توفي فيها .

2.5.3 الأخلاق عند البوذيين

للأخلاق قيمة عظمى عندهم ، بل البوذية في مجملها مذهب فلسفي أخلاقي أكثر مما هي دين (أسود، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، ص74) فهي ترى أن الأخلاق ضرورية للوصول

إلى الصفاء الروحي وبلوغ الكمال . ومن مظاهر الخلق البوذي :

1. الشفقة: يولي بوذا مكانة عالية للشفقة في عالم الأخلاق عنده فهي أساسية وضرورية إزاء جميع المخلوقات الحية، بل إنها مبدأ أساسي من مبادئ عقيدته الأخلاقية والتربوية. فكان يشفق على الكائنات الحية ويهتم اهتماماً كبيراً بالحيوانات، ولا يستطيع أن يرى إنساناً معذباً أو مظلوماً. وقد منع رهبانه من استعمال لباس الحرير خوفاً من أن تموت ديدان القز.

2. عدم الإساءة: يقول بوذا بمبدأ اللطف وإن مقابلة الإساءة بالإساءة خطأ، ويطلب أتباعه أن لا يسيئوا لأي شخص حتى لو بدأهم بالإساءة ويطلب منهم مقابلة السيئة بالحسنة، فإصلاح الخاطئ يكون بالوداعة والحلم ويدعوا أتباعه إلى تحمل الآسى والمشاق في التعامل مع الغير، والتحلي بالصبر والجلد، فالتسامح والعمو ضروريان للبوذي لبلوغ الكمال الأخلاقي، فبالتسامح والصبر يجابه الشر والغضب، وبالسخاء وعدم الكره يحارب البخل والحقد.

3. المحبة: وهذه الصفة من أهم الأعمال وأفضلها عند البوذيين فقد قال بوذا في المحبة: " الحسنة على اختلاف أنواعها لا تبلغ سدس فضل المحبة التي تحرر القلب من شوائب الشر لأن مثل هذه المحبة يتضمن سائر الحسنة . . . إن المحبة تشرق نوراً وبهاءً " (زيغور، على الفلسفة الهندية، ص 287) ويقول أيضاً:

على الإنسان أن يتغلب على غضبه بالشفقة، وأن يزيل الشر بالخير، إن النصر يولد المقت لأن المهزوم في شقاء، وإن الكراهية يستحيل عليها في هذه الدنيا أن تزول بكراهية مثلها . . إنما تزول الكراهية بالحب " . (مظهر، قصة الحضارات، ص 122).
ومن أجل ذلك لانجد بوذياً يحقد على أحد، بل نجد عندهم عبارة يوجهونها إلى من يتحدثون معهم هي: " السلام على جميع الكائنات " .

3.5.3 النظام السياسي والبوذية

لانجد في البوذية دعوة لنظام سياسي، أو فلسفة سياسية شمولية، وبناء سياسيا محكما، ولكن كانت هناك إشارات سياسية واضحة في تعاليم بوذا تعتمد كلها على الأخلاق ومن أهمها: العدل في الحكم والابتعاد عن الحروب، وتجنب خداع الأصدقاء. فالسياسة والاخلاق متكاملان لا ينفصلان وغايتهما واحدة .

وقد لاحظ بودا أن الثروة تستعبد صاحبها لذلك أمر أتباعه بالتخلص من أموالهم قبل دخولهم البوذية؛ حتى لا يكون الإنسان عبداً للمال وأمرهم أيضاً بالابتعاد عن مواقع السلطة والحكم.

والآن أخي الدرّاس، أختي الدارسة: وبعد فراغك من دراسة البوذية يمكنك تقييم مدى فهمك لها بالاجابة عن الآتي :-



نشاط (4)

عد إلى دراسة الهندوسية والبوذية بتمعن وتمهل، واستخلص أهم الفروق بين الديانتين، وسجلها في دفترك وأطلع زملائك ومشرفك الأكاديمي عليها.



تدريب (3)

هل تعد البوذية ديناً أم مذهباً فلسفياً أخلاقياً؟ وضح السبب؟



أسئلة التقويم الذاتي (2)

السؤال الأول: ضع إشارة صح أو خطأ إزاء كل جملة من الجمل التالية:

1. تعد البوذية ثورة على الديانة البرهمية، وقد ظهرت بين القرنين السادس والخامس قبل الميلاد. وهي ليست ديناً بالمعنى الخاص، بل هي طريقة خاصة في العبادة، ونظام حياة يملأ الدنيا وداعة ونعمة.
2. عني كلمة بودا في أصلها المستنير أو العارف، وهذه مرحلة لا يبلغها إلا القليل من الناس، حيث تشرق عليهم الحقيقة ويفيض عليه العلم وينكشف له الكثير من أسرار العالم بعد طول تأمل وتفكر ومجاهدة ومعاناة.
3. مذهب هنايانا هو أحد المذاهب التي تفرعت عن البوذية وألهمت بودا، وأصحاب هذا المذهب يكرسون أنفسهم للحياة الاجتماعية ويطمحون للوصول إلى النرفانا.

4. سلال الحكمة الثلاث مجموعة كتب من كتب البوذية المهمة التي تشمل المسائل العقلية في فلسفة بوذا وقواعد تطهير النفس للرهبان والراهبات وجميع الأمثال والمحاورات والحكايات التي جرت على لسان بوذا في أثناء رحلاته التبشيرية .

5. تصور عالم ما وراء الطبيعة، بالإضافة إلى مجموعة من المبادئ التي تثبت إرسال الرسل والجنة والنار واليوم الآخر.

6. حاربت البوذية مفهوم الطبقة، ونادت بإلغاء الطبقات والدعوة إلى المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات ولا فرق بين إنسان وآخر.

7. الطريق المثمن هو عمر مظلم ذو ثماني شعب، لا بد أن يسير البوذي في هذه الشعب جميعها بما فيها من أهوال واحوال وأن يصبر عليها حتى يقبل في الدين البوذي ويصبح راهباً .

8. يحرص البوذي على جمع الأموال واقتنائها حرصاً شديداً كطريق من طرق السعادة الدنيوية المؤدية إلى السعادة الأبدية، ولذا فالبوذي غالباً ما يكون غنياً .

السؤال الثاني : بما لا يزيد عن بضعة أسطر تحدث عن حياة بوذا حتى وفاته .

السؤال الثالث : تحدث عن الألوهية عند البوذية بما لا يزيد عن خمسة أسطر .

السؤال الرابع : هناك حقائق أربع اكتشفها بوذا وعدت أساس مذهبه، تحدث عنها بإيجاز .

السؤال الخامس : تحدث باختصار عن كل واحد مما يلي :-

النرفانا، والطريق المثمن، والأخلاق عند البوذية .

1.4 توطئة

أخي الدراس، أختي الدارسة

تعد الزرادشتية ديانة بقايا أتباع زرادشت، وقد ظهرت في بلاد فارس -إيران حالياً- في القرن السابع قبل الميلاد، ويطلق على أتباعها عبدة النار أو المجوس .
وكان الفرس قبل ظهور هذه الديانة يعبدون عدداً كبيراً من آلهة الطبيعة، فعبدوا إله الشمس وسموه " مثيراً " وعبدوا آلهة الخصب والأرض وسموها "انيتا" وعبدوا الثور الذي مات ثم بعث حياً ووهب الجنس البشري دمه شراباً ليسبغ عليه نعمة الخلود وسموه " هوما" وعبدوا آلهة المطر التي تروي أراضيهم وحقولهم، وعبدوا آلهة السحاب وآلهة الريح وكل آلهة الطبيعة التي تساعدهم في الحصول على قوتهم ورزقهم وسموها " دانيا " أي الأرواح الخيرة.

ومع تعدد الآلهة ظهرت التماثيل والأصنام التي أبدعوا نحتها من الصخور وشكلوها من الطين ورسومها على الخشب، أو نحتها من الذهب والفضة، وبدأوا يعبدونها بتقديم القرابين والصلوات لها في معابدها التي أقاموها لها وأقاموا أمامها المذابح للصلاة والتقرب إليها بالتراتيل والأناشيد، وناب عنهم في هذه التراتيل والأناشيد بعض الرجال الذين أتقنوا طرق تقديم القرابين وإنشاد التراتيل وسموا " الكهنة " حيث انتشر هؤلاء في المعابد وأصبح لهم مكانة كبيرة وعالية في نفوس الإيرانيين إذ عدوهم الوسطاء بينهم وبين الآلهة، وترتب على هذه الوظيفة -الكهانة- ظهور السحر وانتشاره بين هؤلاء الكهنة، وتصديق الناس لهم وتقديسهم والخوف منهم والاعتماد عليهم في زيادة محاصيلهم ومنتوجات أرضهم الخ (مظهر، قصة الديانات، ص 264).

وكان للنار منزلة كبيرة في أديان الفرس حيث اتخذوها رمزاً للضوء الذي هو ابن الله أو إله الخير، فجعلوا يشعلونها ويديمون اشتعالها لتقوى وتنتصر على آلهة الشر .
تلك هي الحالة الدينية في بلاد فارس قبل ظهور زرادشت وديانته . فمن هو زرادشت؟ وما هي مبادئه؟ وكيف نشأت الزرادشتية؟

2.4 نشأتها وانتشارها

بداية نساءل من هو زرادشت؟ اختلف المؤرخون في اسمه واسم أبيه فقيل هو زرافوشترا بن بوروزهازيو، وقيل هو زرادشت بن يورشب أو ابن يورشب من أسرة سييتاما أو ستيمان .

كما اختلف المؤرخون في تاريخ وجوده، فمنهم من يرجعه إلى عام 660 ق. م ومنهم من يرجعه إلى عام 589 ق. م، ومنهم من قال إنه ربما عاش قبل الميلاد بالفى عام أو أكثر، ويحتفل البارسيون، أتباعه، الموجودون في الهند بمولده في اليوم الثلاثين من شهر مارس من كل سنة. وقد عاش سبعة و سبعين عاماً، وظهر أمره في منتصف القرن السابع ق. م ومات عام 583 ق. م.

ويقال انه ولد في بلدة قريبة من بحيرة أورميا، في ولاية أذربيجان، ودارت أساطير وروايات كثيرة حول الحمل به وولادته؛ إذ تشير الروايات إلى أنه ذات يوم وبينما كان والده يرعى ماشيته في الحقل، تراءى له شبحان نورانيان اقتربا منه وقدا إليه غصناً من إغصان نبات الهوما المقدس، وأمراه أن يحمل الغصن معه إلى داره ويقدمه لزوجه لأنه يحمل كيان الطفل الروحاني، وفعل الرجل ما طلبا منه، و مزج الغصن باللبن و شربه هو وزوجه فحملت الزوجة به، و بعد خمسة شهور من الحمل رأت الأم في حلمها أن سحابة سوداء أحاطت بيتها، وأن مخلوقات بشعة هبطت عليها من السحابة فانتزعت الطفل من رحمها وهمت بالقضاء عليه، وصرخت الأم وأعولت، ولم يلبث أن هبط من السماء شعاع نور مزق السحابة السوداء إربا فاخفت الكائنات البشعة وولت هاربة، ثم انبثق من النور طيف شاب يشع منه نور متلألئ أعاد الطفل إلى بطن أمه، وسكن من روعها وبشرها بأن هذا الطفل سيصبح نبي أهورمزدا عندما يكبر . (مظهر، قصة الديانات، ص266).

ولما استوى عوده انتقل إلى فلسطين، واستمع إلى بعض أنبياء بني إسرائيل من تلاميذ أرميا، ولكنه لم يقتنع باليهودية ولم تطمئن نفسه إليها فعاد إلى بلده أذربيجان، وبدأ يدرس الأديان الفارسية القديمة، وحين بلغ الثلاثين من عمره بعثه الله نبياً إلى الخلق .

وهناك قصص أخرى تروي ما حدث له بعد ولادته من أمور غير طبيعية وكيد السحرة والكهان له لما رأوا من هذه الأمور، ومحاولتهم المتكررة التخلص منه بوضعه في النار وتحت أقدام الأبقار مرة أخرى وبين الذئاب . وفي كل مرة ينجو ويخلص من تلك الشرور التي أوقعوه فيها .

كل هذه القصص جعلت الوالدين يفكران في أمر هذا المولود وأن له أمراً عظيماً .
ولذلك قررا أن يعلماه الحكمة ، وعندما بلغ السابعة من عمره أرسل ليدرس الطب والحكمة
على يد الطبيب المشهور بورزين كوروس وبقي معه ثماني سنوات وتعلم منه كل شيء من
عقيدة وزراعة وتربية ماشية وعلاج مرضى .

وعاد زرادشت إلى وطنه، وارتدى القميص المقدس ، وتمنطق بالحزام رمز التعميد
في عقيدة شعبه . على أنه لم يكد يناهز الخامسة عشرة من عمره حتى غزا التورانيون بلاد
فارس ، وتطوع هو للذهاب إلى ميدان القتال لمعالجة المرضى والجرحى من الجنود، وعندما
انتهت الحرب لم تضع حداً لمعاناة الناس ولآلامهم ، إذ انتشرت المجاعة واشتد المرض ، وزاد
الفقر والعوز، ومن جديد تطوع زرادشت ليضع خبرته وجهده في خدمة المرضى وإزالة
معاناتهم، وسأل نفسه عن الوسائل التي تخفف آلام الناس ، وقرر أن يعتزل الناس لفترة
من الزمن لبحث عن الحقيقة بعد أن رفض نصائح أبيه في الاستقرار والزواج وتربية المواشي
وفلاحة الأرض ، ولم ينفذ منها إلا الزواج ، وعجز عن تنفيذ باقيها لشعوره أنه خلق لأمر
أعظم من الفلاحة والزراعة .

وكان دائم التفكير في هذا العالم وأسراره ويتساءل عن مصدر الشرور فيه وخلال هذه
الرحلة الفكرية تقول الروايات ان الإله أهورا مزدا تجلى له وأطلعه على أسرار الوحي المقدس
وأمره أن يرجع إلى الناس ليلبغهم الرسالة ، وكان مصحوباً بالكتاب المقدس (ابستا) وكان
عمره آنذاك ثلاثين عاماً، وبدا واضحاً له أن العالم تحكمه قوتان ، خير واحد وشر واحد ،
وأن الخير لا بد أن يكون خيراً دائماً ، وأن الشر لا بد أن يكون شراً دائماً ، وأن أهورامزدا هو
قوة الخير ، وأن أهرمان قوة الشر .

مبادئه

قلنا - أخي الدراس ، أختي الدارسة- أن زرادشت اعتزل الناس باحثاً عن أسرار هذا
الكون وحقيقته ، وقد وجد أن أهله قد بنوا دياناتهم على أساسين هما :

1. أن لهذا العالم قانوناً يسير عليه و له ظواهر طبيعية ثابتة .
2. وأن صراعاً ونزاعاً قائمين بين القوى المختلفة . . . بين النور و الظلمة . . وبين
الخصب والجدب ، وبين الخير والشر .

فجاءت تعاليمه مبنية على هذين الأساسين ، فجعل للخير إلهاً واحداً وللشر إلهاً
واحداً ، وبذا صارت عنده قوتان فقط ، قوة الخير و قوة الشر .

وقد دعت مبادؤه كل إنسان أن يختار إحدى القوتين ، فإما أن يملأ قلبه بالخير أو ينغمس في الشر و الظلمة ، و على الحالتين فإنه سيلاقي جزاءه و يحاسب على فعله الذي فعله .
وكان المبدأ الأساس الذي كرس زرادشت نفسه لتبليغه و دعوة الناس إليه هو تصحيح عقيدة قومه ، من عبادة الأصنام و الأديان ، إلى عبادة إله لا يُرى أو يُسمع أو يُلمس ، إله واحد خالد حكيم حق ، إنه أهورمزدا إله الخير ، و الاله الأسمى للعالم .
وقد ترتب على هذا المبدأ كل أفكاره الأخرى التي سنعرض لها عند الحديث عن عقائد الزرادشية .

إنتشارها

أخي الدراس ، أختي الدارسة : وبالنسبة لانتشارها فقد بدأ زرادشت دعوته لأهله وعشيرته ، و بما رسخ في عقولهم ونفوسهم من عبادة الأصنام لم يستجيبوا له وكذبوه ، فغادرهم وطاف البلاد داعياً مبشراً ونذيراً ، واستمر على ذلك سنوات عدة وكان الفشل حليفه حيثما ولى وجهه . ولكنه لم يتخل عن مبادئه وتابع الدعوة إليها والتبشير بها مدة عشر سنوات (مظهر ، قصة العقائد بين السماء والأرض ص 247) ولم يكن أحد يصدقه خلالها ، وقيل إن الوحي نزل عليه في هذه المدة سبع مرات وإن الإله أهورامزدا ظل يدعمه ويصبره حتى بدأت دعوته تلقى صداها عند الناس وخاصة عندما أقنعه ابن عمه أن ينشر دعوته بين المثقفين ، وفعلاً دعا الملك كاشتاسب (خير المثقفين) حيث آمن به هو وابنه وزوجته ومن حوله بعد المحاورات والمناظرات التي دارت بينه وبين كهان الملك ، ولكن الكهنة أوقعوا به ووضعوا له في غرفته أدوات السحر وقالوا للملك انه ساحر فسخط عليه وسجنه .

وفي أثناء سجنه مرض حصان الملك وغارت قوائمه في بطنه ولم يستطع أحد أن يصف له الدواء ، ولكن زرادشت قام بذلك حيث دعا له بأدعية بعد أن تيقن من أن الملك سيتبع دعوته ووعده بذلك ، وفعلاً آمن الملك بدعوته هو وزوجته وابنه وأصبح داعياً لهذا الدين الجديد . وحاول فرض هذه الديانة على الدول المجاورة وعلى الأخص الدولة التورانية المجاورة ، وغضب التورانيون على الملك وجرت بينه وبين الفرس معارك طاحنة انتصر التورانيون في نهايتها واجتاحوا بلاد فارس وقتلوا زرادشت في معبد من معابد النار وكان عمره آنذاك سبعة وسبعين عاماً ، وقتلوا معه ثمانية كهان من كبار الكهنة .

غير أن مصرع زرادشت لم يؤثر في عقيدة الملك كاشتاسب وأعاد الكرة على التورانيين وانتصر عليهم وفرض عليهم الديانة الجديدة .

ومع مرور الزمن بدأت تعاليم زرادشت تتغير وتقلب على نفسها وخاصة من قبل كهنة إيران حيث كانوا من عبدة الأوثان وظل هذا يؤثر عليهم. وبهذا غير أتباع زرادشت معتقداتهم وتعالمهم كل حسب هواه. (مظهر، قصة العقائد بين السماء والأرض ص 257-269) ولقد مرت الديانة الزرادشتية في أربعة أدوار هي:

الأول: ويبدأ في القرن السابع قبل الميلاد وينتهي بغلبة الإسكندر على دارا أحد أعظم ملوكهم.

الثاني: وهو عصر الإسكندر المقدوني ويمتد نحو قرن من الزمان، وفي هذا العهد أحرقت كتبهم وأقيمت عقيدة اليونان بدل الزرادشتية.

الثالث: وهو دور ملوك الطوائف، وفيه انتقل الحكم من اليونانيين إلى الفرس. الرابع: وهو عهد الدولة الساسانية التي بدأ حكمها عام 226 ق.م واستمرت حتى الفتح الإسلامي، وهو تجديد الديانة الزرادشتية ورفقيها حيث أعيدت تعاليم زرادشت ثانية، وجمعت أجزاء الإفيستا القديمة وضمت في كتاب واحد، وبنيت معابد جديدة للنار، وبقيت النار مشتعلة فيها رمزاً للإله الحكيم الواحد الخالد. (أسود، المدخل إلى دراسة الأدبان والمذاهب، ص 34).

وبعد دخول الإسلام إلى بلاد فارس أسلم كثير منهم وهرب آخرون إلى بلاد الهند حيث يعيش أغلب الزرادشتيين ويتقوقعون على أنفسهم ويحرمون على أي إنسان لم يولد زرادشتياً أن يعتنق هذا الدين (مظهر، قصة العقائد، ص 279). ولم يبق في إيران سوى القليل منهم.

3.4 كتب الزرادشتية المقدسة

ألف زرادشت كتابه المقدس الذي سماه أفتا أي الشريعة وهو مؤلف من خمسة أجزاء مستقلة أو خمسة كتب يختلف تاريخ تدوينها. وأقدم قسم يرجع إلى عصر زرادشت نفسه ويشتمل على أقواله وتعالمه ولا يعرف بالضبط تاريخ تدوينه.

ويشتمل الأفتا على ألف فصل يضمها واحد وعشرون باباً وقد كتب باللغة الفارسية الأولى ولا يزال هذا الكتاب وأبوابه موضع جدال بين الباحثين.

ثم ألحق به كتاب الزند أي تفسير الشريعة ويسمى زند أفتا أي شرح الشريعة وكتاب آخر تفسير لكتاب الزند يسمى بازند مكتوب بإحدى اللهجات الفارسية.

وأهم ما في هذا الكتاب أنه قسم العالم قسمين: الروحاني والجسماني، وقسم الخلق إلى عالمين التقدير والفعل، وتكلم في موارد التكليف - حركات الإنسان - وقسمها ثلاثة أقسام: الاعتقاد والقول والعمل، وبها جميعها يتم التكليف، فإذا قصر الإنسان فيها خرج عن الدين والطاعة، وإذا جرى في هذه الحركات على مقتضى الأمر والشريعة فاز الفوز الأكبر. (أسود، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، ص34)

ومن تقسيمات كتاب أفاستا ما يلي:

1. الياسنا - أي مؤلفات الصلاة

2. كاتاس - الأناشيد

3. فيسبرد - أي كتاب المزامير الزرادشتية

4. فنديداد - أي السفر الزرادشتي

وقد ظل هذا الكتاب - الأفاستا - يعتمد على الرواية الشفوية قروناً طويلة قبل التدوين ولذا فيبدو عليه أنه غير مرتب ترتيباً زمنياً، وأجزاؤه غير متناسقة مع بعضها، فهي أجزاء مفككة يتلو بعضها بعضاً . .

والمصدر الهام في هذه المجموعات كما يراه الباحثون هو الياسنا الذي يصور عقيدتهم الزرادشتية، وكتاب الفيسبرد للطقوس الدينية، وكتابتا تراثيل وصلوات خاصان برجال الدين دون غيرهم، وتلاوتها لا تحتاج إلى جمهور لسماعها، وهي تتضمن خمس مجموعات من التراتيل تسمى الجاثات، وتتضمن العناصر القديمة للديانة الزرادشتية .

وقد زاد رجال الدين المجوس على نصوص هذه الكتب بتطور الزمن، كما غيروا من هذه النصوص في الترجمات المتعددة لها ولذا فإن الوضع يبدو واضحاً فيها .

4.4 عقائد الزرادشتية

أخي الدراس، أختي الدارسة،

لم تقف عقائد الزرادشتية عند الحقيقة التي ظهرت لزرادشت وهي أن الخير هو خير أبدأ، وأن الشر هو شر أبدأ، ولا يمكن للخير أن يصبح شراً ولالشر أن يصبح خيراً أبداً. وأن آلهة الخير لا يمكن أن تصنع شراً كما لا يمكن لآلهة الشر أن تفعل خيراً، بل بدا في هذه الديانة عقائد كثيرة منها ما يتعلق بحقيقة الإله الواحد، ومنها ما يتعلق بخلق العالم، ومنها ما يتعلق بالآخرة والحساب، ومنها ما يتعلق ببيان طريق الإيمان ومنها ما يتعلق بالأخلاق . . الخ .

ولم يأت زرادشت بعقيدة جديدة كما تشير كتبه، بل جاء لتحسين عقيدة قديمة، وأن العبادة الحق هي لإله واحد حكيم خالق حق، وعبادة الصنام ليست حقاً ولذا فهي شر ومن خلق إله الشر وسنين بعض العقائد التي بشر بها زرادشت على النحو الآتي . :

1.4.4 الله عند الزرادشتية

قلنا سابقاً ان الفرس بنوا ديانتهم قبل زرادشت على أساسين هما :

الأول : أن لهذا العالم قانوناً يسير عليه وله ظواهر طبيعية ثابتة .

الثاني : أن هناك صراعاً قائماً بين القوى المختلفة؛ بين الخير والشر، بين النور والظلمة،

وبين الخصب والحرب (أسود، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب ، ص33) .

ولم يحد زرادشت عن هذا، وقال إن هنالك عالمين، عالم الخير وعالم الشر، وإن إله عالم الخير والنور أهورامزدا دخل في حرب وصراع مع أهرمان إله الشر والظلام وأسقطه في الظلمات والجحيم، وهكذا لم يبق في العالم سوى الإله أهورامزدا إلهاً واحداً لاشريك له . أما أتباع الإله أهرمان إله الشر والظلام فقد استمروا، ولا زالوا مستمرين في غواية الناس وإضلالهم .

إن الإله أهورامزدا إله واحد، وإن كل ماعده ليست مظاهر له، وأنه أزلي منزه عن كل نقص ومجرد عن شوائب المادة، لم يولد ولن يموت، وهو روح الأرواح، موجود في كل مكان ولكنه لا يرى في أي مكان، ويعلم الحاضر والمستقبل ويعلم الغيب، ويدرك دخائل النفوس، وهو قادر على كل شيء، ولا يحتاج أحداً في معونة . . . لا تدرك حقيقته العقول، ولا يمكن أن يتصوره خيال إنسان، ومن أجل هذا رمز إليه برمزين هما الشمس والنار، فالشمس تمثل روح أهورامزدا في صورة يستطيع الناس إدراكها لما امتازت به من صفات تشبه صفات المبدأ الأول إذا هي كائن مشرق متألئء يفيض الخير على جميع الكائنات، ويبعث فيها الدفء والنشاط . والنار هي العنصر الذي يمثل للناس تلك القوة العليا، وهي ليست عنصراً أولياً ساذجاً أبدياً أزلياً فحسب، بل هي قوة مطهرة مهلكة طاهرة نقية نافعة لا يمكن أن يتطرق إليها الفساد (مظهر ، قصة الديانات ص291-290) . وقال العقاد في كتابه الله : " إن خلاصة ما جاء به زرادشت من جديد في الديانة أنه أنكر الوثنية وجعل الخير المحض من صفات الله ونزل بإله الشر إلى مادون منزلة المساواة بينه وبين الإله الأعلى وبشر بالثواب وأنذر بالعقاب وحاول جهده أن يقصر الربانية على إله واحد موصوف بأرفع ما يفهم أبناء زمانه من صفات التنزيه " .

. . . وينتهي به المقال إلى أن يقول: " ويخيل إلينا أن زرادشت كان خليقاً أن يسمو بعقيدة المجوس إلى مقام أعلى من ذلك المقام في التنزيه وأن يسقط بأهرمان من منزلة الند إلى منزلة المارد المطرود لولا أن وجود أهرمان كان لازماً لبقاء الكهانة الفارسية في عهود المحن والهزائم التي منيت بها الدولة ". (العقاد، الله في كتاب نشأة العقيدة الإلهية، ص 89-90) فكان القول بوجود إله الشر أهرمان حيلة من الكهنة لدفع الناس للإيمان بالإله الحكيم إله النور بعد غلبته على إله الشر أهرمان .

هذا وقد اختلف الباحثون في حقيقة الزرادشتية هل هي دين توحيد أم ديانة وثنية؟ ولكل رأيه في ذلك . حيث يذكر العميد عبدالرزاق محمد أسود بعضاً من معتقدات الزرادشتية التالية:

1. الباري خالق النور والظلمة ومبدعهما، ثم خلطهما لحكمة رآها في التركيب .
2. الباري واحد لا شريك له ولا ضد ولاند ويجوز أن تنسب له الظلمة .
3. كل من الخير والشر والصالح والفساد والطهارة والخبث إنما حصلت من امتزاج النور والظلمة ولو لم يمتزجا لما كان للعالم وجود. (أسود، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، ص 35)

ويعد هؤلاء الوثنية والشرك بالإله الواحد جريمة كبرى لأنها تتضمن انكار مبدأ وحدة الواحد .

2.4.4 من معتقدات الزرادشتية

- أخي الدراس، أختي الدارسة، نلخص هذه المعتقدات على النحو الآتي:
1. تعبر الزرادشتية عن إله الخير أحياناً بالحكم السماوية ويرمز لها في الدنيا بالعناصر الثلاثة التالية (النار، الماء، والتراب) وأعلن زرادشت أن هذه العناصر يجب أن لاتدنس فالنار كما أشرنا سابقاً رمز لإله الخير، فهي مقدسة، وبقونها دائمة الاشتعال في معابدهم، ولكنهم لا يعبدونها، ولا يعبدونها إلهاً، فزرادشت لم يعبدها، ولم يدع أحداً إلى عبادتها، وليست النار وحدها هي المقدسة، بل الماء والتراب أيضاً مقدسان طاهران ولذا فعندما يموت واحد منهم لا يحرقون جثته ولا يلمسونها، لأن الجسد في عقيدتهم مادة بغیضة نجسة ملوثة بعد خروج الروح منه، فلا يصح أن يحرقوا الجثة بالنار، لأن النار مقدسة، ولا يجب أن تلوث بشيء نجس .

كما أنهم لا يلقون الجثة بماء البحر حتى لا يندسوا الماء المقدس الذي لا يستعمل إلا للشرب وري الأرض فقط . ولا يدفنون الجثة في الأرض مخافة أن تدنس ، حيث هي مصدر أرزاق الناس وأقواتهم ، ولا يجوز أن تودع في بطنها الجثث النجسة الملوثة فكانوا يضعون موتاهم فوق قمم أبراج عالية تسمى أبراج الصمت للطيور الجارحة ، ولا يجوز لأحد أن يحمل الجثث أو يلمسها غير طائفة معينة وظيفتها إعداد الجثث وحملها إلى أبراج الصمت ، وهؤلاء لا يجوز لهم بعد أن يتطهروا أن يختلطوا بأحد من الناس . (مظهر ، قصة العقائد ، ص 280)

2. حث زرادشت أتباعه على أن يقاتلوا في سبيل الإله الحكيم : ، وذلك باتباع ست خصال حميدة هي :

أولاً : طهارة الفكر والكلمة والعمل .

ثانياً : النظافة والبعد عن كل ما هو دنس .

ثالثاً : الإحسان بالفعل والقلب .

رابعاً : الرفق بالحيوانات النافعة .

خامساً : القيام بالأعمال النافعة .

سادساً : مساعدة الذين لا يتيسر لهم تحصيل التعليم بتعليمهم .

3. السبيل إلى الإله الواحد هو الأفكار الطيبة والكلمات الطيبة والأعمال الطيبة . والذي يسلك طريق الإله الواحد يجب أن يكون طاهراً في أفكاره وأعماله ، محسناً يساعد المحتاجين ، يفلح الأرض وينبت الأشجار ، ويرعى الماشية ، ويؤدي أعمالاً نافعة أخرى ، ويكون رحيماً بالحيوانات .

4. خلق الله الكون في ستة أيام ، فقد بدأ أهورامزدا بخلق أرواح طيبة تتفق مع طبيعته ليستعين بها في مقاتلة روح الشر أهрман ، وعلم أهрман بذلك فخلق أرواحاً شريرة من جنسه ليقاوم بها الأرواح الخيرة ، ثم خلق أهورامزدا النجوم والكواكب وانتهى بخلق الأرض ، وجعل الأرض حاجزاً بينه وبين أهрман وأعوانه ، ولكن أهрман شق الأرض وأحدث فيها فجوة جمع بداخلها أعوانه الشريرين ثم صارت ميداناً للصراع بين القوتين .

5. يحاسب الإله أهورامزدا الناس على أعمالهم حيث تمر الأرواح على صراط (قنطرة شنفاد) فإن كانت الروح خيرة تصل إلى النعيم المقيم حيث السعادة الدائمة وإن كانت شريرة تسقط في جهنم إلى العذاب الدائم وإن كانت بين بين تبقى معلقة .

ذلك ان الإنسان خلق ذا إرادة حرة يختار بها بين الخير والشر، وكل أفكار الإنسان وأقواله وأفعاله مكتوبة كلها في كتاب الحياة، فالأفكار والكلمات والأفعال الصالحة مكتوبة في جانب، والأفكار والكلمات والأفعال الشريرة مكتوبة في الجانب الآخر، وعندما يموت الانسان تذهب روحه إلى الحفيظ على كتاب الحياة، فإذا كانت أفكاره وكلماته وأفعاله الخيرة أعظم من الخبيثة ذهبت إلى الجنة وإلا ذهبت إلى النار. ومن تعادلت عنده الكفتان ذهب إلى مكان لا عذاب فيه ولا نعيم إلى أن تقوم القيامة ويتطهر العالم كله بالنار المقدسة.

6. آمنوا بالثواب والعقاب في الدار الآخرة، وقالوا بقيامة الموتى ونهاية العالم وبعث الأرواح للحساب يوم القيامة.

7. قالوا بأن خلق الروح سابق لخلق الجسد.

8. تؤمن الزرادشتية بوجود عالم الملائكة، إذ يشير زرادشت إلى أن أهورامزدا مستور على عرش النور محفوظاً بستة من الملائكة تدل أسماءهم على صفات إلهية كالحق والخلود والملك والنظام والصلاح والسلامة، ثم استعيرت لها سمات الذوات بعد تداول الأسماء أو تداول الأبناء عما تفعله وما تؤمر به وما تتلقاه من وحي الله.

9. النعيم والجحيم في الآخرة حقيقة يجازى بها الخيرون والأشرار، فمن عاش في الدنيا عيشة صالحة فجزاؤه في النعيم عيشة رغدة، ومقاماً طيباً ويسقى غذاء الخلود، ومن عاش عيشة فاسدة في الدنيا فإن جزاءه في الجحيم عيشة ضنك وألم وذل واغتراب.

10. يتصل العالم الدنيوي بالعالم الآخر بجسر يسمى جسر الانفصال، فعندما يموت الإنسان فإن روحه تجتاز هذا الجسر لتصفى فيه، فأما الأرواح الطيبة فتمر عليه وهي مطمئنة إلى مصيرها المنتظر عندما تصل إلى الجانب الثاني وهو بيت الخلود -الجنة- حيث تعيش مع أهورامزدا سعيدة منعمة إلى ما لانهاية.

أما الأرواح الشريرة، فانها عندما تمر على الجسر ترتجف من الفزع، ولا تستطيع اجتيازه لما تحمل من ذنوب، فهوى في الجحيم بما يتناسب مع ذنوبها، والجحيم هو هاوية مظلمة تعذب فيها الأرواح المذنبة إلى ما لانهاية.

11. أركان الإيمان هي: عبادة الله والكفر بالشیطان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(مبيض، اليوم الآخر في الأديان السماوية، ص 44).



أخي الدرّاس، أختي الدرّاسة:
بعد اطلاعك على مبادئ ومعتقدات الزرادشتية هل تجد هذه الديانة قريبة أو بعيدة
عن الإسلام. وضح ذلك واكتبه في دفتر محاضراتك وتباحث في ذلك مع زملائك
ومشرفك الأكاديمي.



تكلم باختصار عن الألوهية في العقيدة الزرادشتية.

3.4.4 التكفير عن الأخطاء

- وهو الشعور بالذنب ومحاولة التخلص من هذا الذنب، ويكون هذا التكفير في بعض الأحيان بتأدية أعمال أو تقديم مواد تنفع الناس، وتكفر عن آثامهم منها:-
1. إعطاء رجال الدين ما يلزمهم من الأسباب والأدوات لإنجاز وظائفهم.
 2. إعطاء الفلاحين الأدوات الزراعية التي تنقصهم.
 3. إعطاء المحاربين ما ينقصهم من السلاح.
 4. تنقية الأرض من الأوساخ والمواد الضارة وتحضيرها للزرع وحفر الترع وإيصال الماء إلى الأرض العطشى.
 5. عمل أعمال تفيد الناس كبناء الجسور وغرس الأشجار وقتل الحيوانات والحشرات الضارة للإنسان أو الحيوان أو للمحاصيل الزراعية.
- لاحظ أن هذه الأعمال مما يعين الإنسان على التكيف مع البيئة والطبيعة التي يعيش فيها كالزراعة والحرب والتغلب على الطبيعة. (أسود، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، ص36).

4.4.4 أهم فرق الزرادشتية

بعد أن مات زرادشت ومضت فترة على موته بدأت تعاليمه تتغير، وتنقلب على نفسها ببطء شديد، وكان لكهنة إيران دور في هذا التغيير، وكذلك كان للحروب دور في هذا التغيير ابتداءً من انتقام الملك كشتاسب ممن قتلوا زرادشت - التوارنيين - وانتهاءً بدخول

الإسلام بلاد فارس . . . وما جرى في هذه الأزمنة المتطاولة من محاولات لإثبات هذا الدين أو لتغييره .

وقد أفرز هذا التغيير فرقاَ ظهرت من صميم الزرادشتية، كالكينونية، والصيامية، والسيسانية، والبهافريديّة .

كما أن هناك ديانات أخرى التقت بالزرادشتية في مجال أو أكثر من مجالات الاعتقاد والتقاليد الدينية، كتقديس النار والثنائية في الخلق والصراع الدائم بين إله الشر أهرمان وإله الخير أهورامزدا، كالثنوية، والكيومرثية، والرقيونية، والديصانية، والزروانية، والمانوية . وكما قلنا آنفاً، فإن أهم ما يميز ديانات الفرس جميعاً هو الصراع الأزلي بين آلهة الخير والشر، أو النور والظلمة .

أما أهم فرق الزرادشتية فهي :

الأولى : الكينونية

زعمت هذه الفرقة أن الأصول ثلاثة هي : النار والماء والتراب أي الأرض وكل الموجودات حدثت من هذه الأصول دون الأصلين اللذين أثبتتها الثنوية وهي النور والظلمة .

وقالوا إن النار بطبعها خيرة نورانية والماء ضدها في الطبع . فما كان من خير في هذه الدنيا فمن النار وما كان من شر فمن الماء والأرض متوسطة بينهما .

وهؤلاء يتعصبون للنار تعصباً شديداً من حيث أنها علوية نورانية ولا وجود إلا بها ولا بقاء إلا بإمدادها، والماء يخالفها بالطبع فيخافها في الفعل، والأرض متوسطة بينهما، ومن هذه الأصول يتركب العالم . (الشهرستاني، الملك والنحل، ص254)

الثانية : الصيامية

هم الذين أمسكوا عن طيبات الرزق وتجردوا لعبادة الله وتوجهوا في عبادتهم إلى النار تعظيماً وتقديساً لها كما أمسكوا عن النكاح والذبائح .

الثالثة : السيسانية والبهافريديّة

رئيسهم رجل من رستاق نيسابور يقال له سيسان، خرج في أيام أبي مسلم الخراساني، وكان يعبد النار ثم ترك ذلك ودعا المجوس إلى ترك عبادة النار وألف لهم كتاباً أمرهم فيه بإطالة شعورهم، كما حرم عليهم الأمهات والبنات والأخوات، وحرم عليهم

الخمر وأمرهم باستقبال الشمس عند السجود على ركبة واحدة، كما منعهم من أكل الميتة وذبح الحيوان حتى يهرم .
وقد قتله أبو مسلم على باب الجامع في نيسابور، وادعى أصحابه أنه صعد إلى السماء وأنه ينزل فينتقم من أعدائه .
وأتباعه يقرون بنبوّة زرادشت ويعظمون الملوك الذين عظمهم زرادشت .

5.4 أهم شرائع الزرادشتية

أخي الدرّاس، أختي الدارسة: نتناول الحديث عن أهم شرائع الزرادشتية على النحو الآتي :-

1.5.4 حضت تعاليم زرادشت على اتباع الأخلاق الفاضلة

حيث أمرت كل إنسان أن يكون مقاتلاً في سبيل الخير وأن يحافظ على الطهارة والأمانة . ومن واجبات الإنسان كما يقول زرادشت أن يجعل العدو صديقاً والخبيث طيباً والجاهل عالماً . (ديورانن، قصة الحضارة ص432)

ومن أهم الشرائع الأخلاقية عندهم العهد الذي يأخذه الزرادشتي على نفسه كما جاء في الافستا المقدسة وهو: " لن أقدم على سلب ونهب، ولا تخريب أو تدمير، ولن آخذ بالثأر، وأقر أنني أعبد الإله الواحد أهورامزدا، وأني أعتنق دين زرادشت وأقر أنني سألتزم التفكير في الخير والكلام الطيب والعمل الصالح " . (مظهر، قصة الديانات، ص292).

وهذا يدعو كل زرادشتي إلى التأمل في الخير والكلام الطيب والعمل الصالح، وهذه الجواهر الثلاث تتضمن كثيراً من الفضائل كالأمانة وحسن المعاملة والعفة والظهور والإحسان إلى الفقراء والعطف على الأعراب .

على أن فعل الخير عند زرادشت لا يعني مكافأة فاعله فقط، بل إن فاعل الخير يضيف بعمله خيراً إلى العالم، ولذا فإن من واجب الإنسان أن يفعل الخير لا من أجل الثواب الذي يناله فحسب، بل لأنه عندما يفعل الخير يضيف إلى خير العالم، ويساعد أهورامزدا في كسب معركة ضد أهرمان .

2.5.4 في المجال الاجتماعي

استحل الزرادشتيون زواج الأمهات وزواج الأب من البنت والأخ من الأخت (أسود، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، ص36) وقد حث زرادشت أتباعه على الزواج وأباح التعدد؛ فقد جاء في كتاب الافستا: أن الرجل الذي له زوجة يفضل كثيراً من لا زوجة له (ديورانن،

قصة الحضارة، ص44) ، كما يعد الإجهاض عندهم من أكبر الكبائر بل أكبر من الزنا إذ ليس عندهم محرّمات في النكاح .

3.5.4 بالنسبة للتقويم السنوي

تتألف السنة الزرادشتية من إثني عشر شهراً تعرف بأسماء الآلهة الكبار، وكل شهر يتألف من ثلاثين يوماً تعرف بأسماء الآلهة الصغار .
ولكي تطابق السنة الزرادشتية السنة النجمية أضافوا شهراً إلى كل مائة وعشرين سنة .
ورأس السنة عندهم النوروز فكان وما يزال من أكبر الأعياد الشعبية في إيران .
والآن أخي الدارس ، أختي الدارسة : بعد أن تعرفتم على الديانة الزرادشتية ومؤسسها ومبادئها ، فيمكنك تقييم دراستك بالاجابة عن الآتي :-



نشاط (6)

عد إلى كتاب قصة الديانات لمؤلفه سليمان مظهر، ولخص منه نظرة كل من الهندوسية والبوذية والزرادشتية إلى الألوهية وكتبه في دفترك الخاص، واطلع مشرفك الأكاديمي عليه .



تدريب (5)

لو طلب إليك أن تقييم تعاملًا بينك وبين واحد من أفراد هذه الديانات الثلاث التي مر شرحها فأيتها تستأنس به أكثر : الهندوسي ، البوذي أم الزرادشتي ؟ ولماذا؟



أسئلة التقويم الذاتي (3)

- السؤال الأول : ضع إشارة صح أو خطأ إزاء كل جملة من الجمل التالية :
- 1 . كان للنار منزلة كبيرة في أديان الفرس ، وعدوها من الآلهة الكبيرة الجديرة بالعبادة .
 - 2 . الأستا: أهم كتب الزرادشتية وهو مؤلف من خمسة أجزاء مستقلة أقدمها يعود إلى زرادشت ويشتمل على أقواله وتعاليمه .

3. اقتضرت العقيدة الزرادشتية على الحقيقة التي ظهرت لزرادشت فقط وهي أن الخير هو خير أبداً وأن الشر هو شر أبداً ولا يمكن للخير أن يصبح شراً ولا يمكن للشر أن يصبح خيراً، وأن آلهة الخير لا يمكن أن تصنع شراً كما لا يمكن لآلهة الشر أن تفعل أي خير.

4. أركان الإيمان عند الزرادشتية هي: عبادة الله، والكفر بالشیطان، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

5. من الفرق المنبثقة عن الزرادشتية فرقة الصيامية، وهي فرقة أمسكت عن طيبات الرزق، وتجردت لعبادة الله، وتوجهت في عبادتها إلى النار تعظيماً وتقديساً، وأمسكت عن الزواج والذبائح.

السؤال الثاني: بين باختصار العلاقة بين حياة زرادشت والمبادئ التي جاء بها، وهل للحياة التي عاصرها أثر في المبادئ التي نادى بها.

السؤال الثالث: ما صفات الله عند الزرادشتية؟

السؤال الرابع: اذكر أهم معتقدات الزرادشتية.

السؤال الخامس: تحدث بما لا يزيد عن بضعة أسطر عن كل واحد مما يلي:

علاقة النار بالله، والأفستا، وسبب حرق جثة الميت ومكان حرقها، والكينونية، والسنة الزرادشتية.

أخي الدارس ، أختي الدارسة

إستعرضنا في هذه الوحدة إبراز الديانات الهندية القديمة وهي الهندوسية، والبوذية، والزرادشتية ، أما الهندوسية فتعرف كأسلوب حياة، وسميت بالهندوكية لما تضمنته من عادات الهند وتقاليدها وأخلاقها وصور حياتها المختلفة، لم يكن لها معابد، وقد مرت بمراحل مختلفة كانت في بعضها قوية وضعيفة في بعضها الآخر. آخر مراحلها مرحلة التأمّلات الغامضة. وتعد مرحلة تأسيس الفلسفة الهندية كما أثرت في الأديان الأخرى وهي أصل كل الديانات الهندية فيما بعد ولها تأثير واضح في أديان البلدان المجاورة. أهم كتبها كتاب الفيدا، ويحتوي على تراث الهند، اشترك في كتابته أجيال من الشعراء والحكماء والزعماء الدينيين وهو عبارة عن أربعة كتب هي: الأناشيد، والأدعية، والصلوات، والسحر والرقى.

ويحتوي كتاب قوانين مانو على التشريعات التي تنظم العلاقات بين الأفراد، ومن ملاحظهم الملحمة الكبرى مهابهارتا وأهم ما بها الحديث عن الأخلاق كالوفاء بالعهود والتكفير عن الخطايا، الملحمة كيتا وهي الجانب الفلسفي من الملحمة الأولى والملحمة بوجاواستا وتتكلم عن اللاهوت، وراميانا التي تتكلم عن السياسة والحياة الدستورية. من أهم عقائد الهندوس؛ الكارما، وتناسخ الأرواح، والانطلاق، ووحدة الوجود، وتقديس البقرة، وتقديس نهر الكنج. وآلهتهم كثيرة.

تناسخ الأرواح هو تكرار المولد للروح أو تجوالها وهو رجوع الروح بعد خروجها من الجسد بالموت إلى جسد آخر تحل فيه، والانطلاق هو الاعتناق من تكرار المولد وتحرر الروح.

الطبقات عندهم أربع هي رجال الدين، والجند، والمزارعون، والخدم والأسرى، وهناك طبقة أخرى تسمى المنبوذين. شرائعهم في الحكم والمال والمرأة:

يمتاز الملك بقدسية واحترام، ويجب أن يشدد العقاب على أعدائه وأن لا يلجأ إلى الخبث في عقاب أصدقائه، لم يعرفوا الربا، والميراث عندهم للابن الأكبر ولا ميراث للمرأة ولا تتزوج المرأة بعد وفاة زوجها.

قسمت الفلسفة الهندية الحياة إلى أربع مراحل هي؛ مرحلة التلمذة والحياة العائلية وخدمة المجتمع ثم التجرد من كل ما هو دنيوي .

البوذية:

هي ديانة التأمل الباطني والرحمة وإنكار الذات، سميت كذلك نسبة إلى مؤسسها بوذا ومعناه العارف المستنير .

مر بوذا بمراحل عدة فكان اسمه سندهاتا وهو صغير ثم غوتاما أي الراهب وأخيراً سمي بوذا أي العارف المستنير حيث قرر نشر دعوته بين الناس .

انتشرت البوذية في أرجاء الهند كافة وامتدت إلى الدول المجاورة وقد مرت بمراحل عدة كانت تضعف أو تقوى حسب المؤثرات واتباع أفرادها لتعاليم بوذا .

من كتب البوذية سلال الحكمة الثلاث، وسللة العقائد، وسللة قواعد تطهير النفس، وسللة الأمثال والمحاورات والحكايات .

لاتدين البوذية بإله وإنما تدعو لنظام أخلاقي . ومن معتقداتهم التناسخ وتطهير الذهن بإطفاء نار الشهوة والغضب، ونادى بوذا بإلغاء الطبقات وحاول إشراك المرأة في الدعوة .

تعني النرفانا في نظر البوذيين الاندماج بالإله للتخلص من تكرار المولد عندما كانوا يؤمنون بإله، وعندما نفوا ذلك أصبح معناها وصول الفرد إلى أعلى درجات الصفاء الروحي بتطهير نفسه وإنقاذ الإنسان نفسه من تكرار المولد بالقضاء على الشر والرغبات .

للأخلاق منزلة عظمى عند البوذيين، ومن مظاهر الاخلاق عندهم الشفقة، عدم الإساءة، والمحبة .

الزرادشتية

مؤسس هذه الديانة زرادشت من مدينة أذربيجان دارت حوله الأساطير في حمل أمه به وعن ولادته وعن حياته . وتعرض للغدر من قبل الكهنة . رافق الحكماء لتعلم الحكمة والطب وعلاج المرضى ثم اعتزل الناس وعاش في الجبال إلى أن ظهر له الحق في رأيه، ورأى الإله أهورامزدا وأطلعه على أسرار الوحي المقدس وأمره بتبليغ الرسالة .

واجه معارضة شديدة من الناس حتى أهله وزوجته ولكن الملك كشتاسب نصره بعد أن اقتنع بفكرته بعد محاورته كهنة الملك وتغلبه عليهم .

وبعد أن اقتنع الملك بفكرته نشر دعوته وحاول فرضها على الدول المجاورة وداخل البلاد وحصلت بينه وبين جيرانه التورانيين معارك طويلة انتهت بانتصاره عليهم وفرض الديانة الجديدة . مرت الزرادشتية في عدة أدوار وهي أربعة إلى أن دخل الإسلام إلى بلاد فارس حيث فرت مجموعة من الزرادشتيين إلى بلاد الهند وما زالوا هناك حتى يومنا هذا .

من كتبهم الافستا وهو أربعة أقسام، مؤلفات الصلاة، والأناشيد، وكتاب مزامير الزرادشتية، والسفر أي العقيدة .

من عقائدهم : أهورا مزدا هو إله النور تغلب على إله الشر وصرعه، وأن أتباع إله الشر ما زالوا يحاولون إغواء الناس . وأن أهورا مزدا إله أزلي منزه عن كل نقص وهو الخالق المدبر يعلم كل شيء .

والأصول الثلاث عندهم النار والماء والتراب .

التكفير عن الذنب في رأي الزرادشتية هو السعي للتخلص من الذنب بعد الشعور به ويكفر الإنسان عن ذنبه بأن يعطي المذنب شيئاً لرجال الدين أو الفلاحين أو الجنود .

وأهم فرقهم الكينونية والصيامية والسيسانية والبهافريدية .

6. لمحة مسبقة عن الوحدة الدراسية التالية

أخي الدارس . . . أختي الدارسة

أما وقد تحدثنا عن الديانات الوضعية ورأينا ما فيها من عقائد، وكيف كانت تنظر لجميع الأمور بغض النظر عن صدق هذه النظرة أو خطئها . وعن حياة مؤسسيها وواضعيها . نريد أن نتحدث في الوحدة الثالثة عن إحدى الديانات السماوية الثلاث ألا وهي اليهودية حيث نبين معناها ومفهومها ونشأتها وكتبها المقدسة وأهم فرقها القديمة والحديثة .

تدريب (1)

مرت الديانة الهندوسية بثلاث مراحل هي :

1. ظهور الديانة في بادئ الأمر
2. مرحلة الازدهار وتتمثل في الشرح والتعليل على كتاب الفيدا وعدت هذه الشروح من مصادر الدين عندهم .
3. مرحلة التأمّلات الغامضة وتعد مرحلة تأسيس الفلسفة الهندية .

تدريب (2)

الكارما: هو قانون الجزاء فإذا لم يجاز المرء على أعماله في الدنيا ترجع روحه لتحل في جسد آخر ليقع عليها الجزاء في الحياة القادمة .

الانطلاق: وهو هدف الحياة الأسمى ويكون بالانعتاق من تكرار المولد بالاندماج بالروح الأسمى .

الفيدا: من أهم كتب الهندوسية وهو أربعة أقسام الأناشيد، والأدعية، والصلوات، والسحر والرقى .

قوانين مانو: مجموعة من التشريعات التي تنظم العلاقات بين الأفراد والطبقات من الجهات الاجتماعية والاقتصادية والقانونية، وهي التطبيق العملي للمفاهيم البرهمانية على المجتمع الهندي، حيث يعتقد الهندوس أنه موحى بها من الإله براهما إلى مانو - الأب الرباني للجنس البشري .

التناسخ: هو رجوع الروح بعد خروجها من جسم إلى جسم آخر، وسببه مفارقة الروح للجسد ولا تزال لها أهواء وشهوات مرتبطة بالعالم المادي لم تتحقق بعد، أو لأنها خرجت من الجسم وعليها ديون كثيرة أو آثام كثيرة نتيجة علاقاتها بالآخرين، وقد تكون عودتها في جسد إنسان أو حيوان، وتستمر الروح بالانتقال من حياة إلى أخرى حتى يتم حسابها وتأخذ جزاءها على أعمالها وتطهر من آثامها ثم تمتزج بالبراهما أو الروح الاسمى .

تدريب (3)

البوذية ليست ديناً بل هي مذهب فلسفي أخلاقي .

لم يدع بوذا النبوة وكانت البوذية منذ نشأتها لا تدين بإله، وكان بوذا يأمر أتباعه بألا يشغلوا أنفسهم بذلك . ودعى إلى نظام أخلاقي صارم مثل الشفقة على الكائنات الحية والإنسان ، بحيث يتأذى من رؤية إنسان يتعذب . ويطالب بعدم الإساءة لأحد من الناس إذ يطلب منهم أيضاً أن يقابلوا الإساءة بالإحسان ودعى إلى المحبة إذ قال إن الحسنات كلها لا تساوي سدس فضل المحبة التي تحرر القلب من شوائب الشر ، ولذا فإن أساس البوذية دعوة أخلاقية وليست دعوة للعبادة أو الألوهية فهي مذهب فلسفي أخلاقي ، ولكن بعد موت بوذا عده أتباعه نبياً مرسلأ ، وأصبحت البوذية تسمى - الديانة البوذية - .

تدريب (4)

ان الإله أهورامزدا إله واحد، وإن كما عداه ليست مظاهر له، وأنه أزلي منزه عن كل نقص ومجرد عن شوائب المادة، لم يولد ولن يموت وهو روح الأرواح موجود في كل مكان ولكنه لا يرى في أي مكان، ويعلم الحاضر والمستقبل ويعلم الغيب، ويدرك دخائل النفوس، وهو قادر على كل شيء، ولا يحتاج أحداً في معونة . . . لا تدرك حقيقته العقول، ولا يمكن أن يتصوره خيال إنسان، ومن أجل هذا رمز إليه برمزین هما الشمس والنار، فالشمس تمثل روح أهورامزدا في صورة يستطيع الناس إدراكها لما امتازت به من صفات تشبه صفات المبدأ الأول . إذأهي كائن مشرق متلألئ يفيض الخير على جميع الكائنات، ويبعث فيها الدفء والنشاط . والنار هي العنصر الذي يمثل للناس تلك القوة العليا، وهي ليست عنصراً أولياً ساذجاً أبدياً أزلياً فحسب، بل هي قوة مطهرة مهلكة طاهرة نقية نافعة لا يمكن أن يتطرق إليها الفساد .

تدريب (5)

لا أستطيع التعامل مع أحد منهم إلا إذا كنت غير مسلم قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ (آل عمران: 85) وقال أيضاً : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ (المائدة: 51) .

على ان المبادئ الاخلاقية التي وردت في عقائدهم هي عين ما دعا اليه الإسلام ، وما دام الإسلام قد دعا إلى الأخلاق الفاضلة وجعلها جزءاً من حياته اليومية ومعتقداته الدينية فلا حاجة إذا إلى الأخذ من أي مبدأ آخر واما العقائد الاسلامية فهي عامة وشاملة وواضحة كل الوضوح ، وثابتة لا تتغير ولا تتبدل فلا داعي للاخذ بعقائد غير واضحة ولا شاملة ومعقدة ، والاخذ بما هو واضح ومفهوم وسهل وموافق للفطرة أفضل واصوب من الأخذ باي فكرة أو عقيدة أخرى .

8. مسرد المصطلحات

أهورا مزدا: هو إله النور عند الزرادشتية ويتمثل في الشمس والنار وهو منزه عن كل نقص ، الخالق المدبر ويعلم كل شيء .

الافستا: كتاب الزرادشتية وهو مؤلف من خمسة أجزاء رئيسة ومن أجزائه مؤلفات الصلاة باستا ، الأناشيد كاتاس ، المزامير فيسبرد ، والعقيدة فنديداد .

الانطلاق: وهو هدف الحياة الأسمى ويكون بالانعتاق من تكرار المولد والاندماج بالروح الأسمى .

بوذا: كان اسمه في الصغر سدهاتا وعندما ترهب وعاش في الغابات سمي غوتاما وعندما أشرقت له الحقيقة سمي العارف المستنير وهو مؤسس الديانة البوذية .

البوذية: ديانة التأمل الباطني والرحمة وإنكار الذات ، سميت بذلك نسبة إلى بوذا مؤسسها ويعني العارف المستنير وهي مذهب أخلاقي أكثر منها ديناً .

تناسخ الأرواح: تكرار مولد الروح أو تجوالها ، وهو رجوع الروح بعد خروجها من الجسد إلى جسد آخر ، وسبب ذلك هو أنه لا تزال للروح أهواء وشهوات في العالم المادي لم تستوف بعد .

الزرادشتية: هي دين أهل فارس مؤسسها زرادشت الطبيب الحكيم الذي تجلى له أهورا مزدا إله النور وأطلعه على أسرار الوحي المقدس . والعناصر المقدسة عندهم هي النار والماء والتراب .

زرادشت: هو زرادشت بن يورشب من قبيلة سبييتاما، مؤسس الديانة الزرادشتية وهو طبيب وحكيم وراهب اعتزل الناس حتى ظهرت له الحقيقة في إله النور أهورا مزدا. سلال الحكمة الثلاث: هي كتاب البوذية المقدس وهي ليست منزلة وهي أضخم ماورد من التراث التشريعي في أي دين. وهي ثلاثة أقسام: المسائل العقدية كاشيابا، وقواعد تطهير النفس أوبالي، والمحاورات والحكايات أناندا. الصيامية: هي فرقة من الزرادشتية أمسكوا عن طيبات الرزق وعبدوا النار تعظيماً لها، كما أمسكوا عن النكاح والذبائح.

الفيدا: هي أهم الكتب الهندوسية وتحتوي على تراث الهند، كتبت باللغة السنسكريتية ولم يعرف لها واضع بل اشترك في تأليفها أجيال من الشعراء والحكماء والزعماء الدينيين على مر العصور، وهي أربع كتب، الأناشيد، والأدعية، والصلوات، والسحر والرقى.

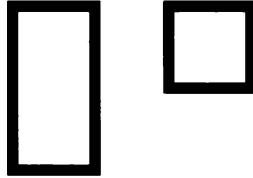
الكارما: هو قانون الجزاء ومؤداه أنه لا بد لكل إنسان أن يجازى على أفعاله وإذا لم يجاز على أفعاله في الحياة الحاضرة فإن الجزاء يقع عليه في الحياة القادمة بتكرار المولد. الكينونية: فرقة من الزرادشتية قالت بالأصول الثلاث: النار وهي تمثل الخير، والماء ويمثل الشر، والأرض متوسط بينهما.

النرفانا: وتعني الاندماج بالإله للتخلص من تكرار المولد عند الهندوس، واختلف مفهومها عند بوذا فعندما كان يعتقد بوجود إله كان معناها الاندماج في الله والفناء فيه، وعندما أنكر وجود الله أصبح معناها وصول الفرد إلى أعلى درجات الصفاء الروحاني بتطهير نفسه والقضاء على جميع رغباته المادية.

الهندوسية: ديانة يدين بها معظم سكان الهند، سميت بالهندوكية لما تضمنته من عادات الهند وتقاليدها وأخلاقها وصور حياتها، ولم يكن لها معابد، مرت بمراحل مختلفة وآخر مراحلها مرحلة التأملات الفلسفية، وتعد مرحلة تأسيس الفلسفة الهندية. أثرت في الأديان الأخرى، وهي أصل كل الديانات الهندية، ومن عقائدها تناسخ الأرواح والانطلاق وتقديس البقرة.

1. القرآن الكريم
2. ابن الأثير. الإمام مجد الدين بن الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، ج4
3. ابن منظور، لسان العرب
4. أبوزهرة. محمد، مقارنة الأديان القديمة، القسم الأول، مطبعة يوسف.
5. أسود، العميد عبدالرزاق محمد، المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب، مجلد1، الدار العربية للموسوعات، بيروت، 1981.
6. حبنكة. عبدالرحمن، أسس الحضارة الإسلامية ووسائلها، ط1، 1390هـ، 1970م.
7. د. الحسيني. محمد جابر عبدالعال، في العقائد والأديان -الديانات الكبرى المعاصرة-، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1971.
8. الحسيني، محمود أبو الفيض المنوفي، الدين المقارن، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة
9. حمود. د. هادي حسين، منهج المسعودي في بحث العقائد والفرق الدينية، ط1، مطبعة عصام، بغداد 1984.
10. الخطيب. عمر عودة، المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط6، 1982.
11. دراز. د. محمد عبدالله، الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم، 1970.
12. ديورانت. ول، قصة الحضارة، ترجمة د. زكي نجيب، ط2.
13. الزحيلي، د. وهبة، نظام الإسلام، ط2، دار قتيبة، بيروت، 1413هـ، 1993م
14. د. الزحيلي. محمد و. د. العشي. يوسف، تاريخ الأديان
15. زيغور. د. علي، الفلسفة في الهند قطاعاتها الهندوكية والإسلامية المعاصرة مع مقدمات الفلسفة الشرقية، عز الدين للطباعة والنشر، ط1، بيروت، 1413هـ، 1993.

16. شلبي . د. أحمد، مقارنة الأديان، ج4-أديان الهند الكبرى-، مكتبة النهضة المصرية، 1965 .
17. الشهرستاني . أبو الفتح محمد عبدالكريم، الملل والنحل، تحقيق عبدالعزيز الوكيل، دار الفكر.
18. د. شلبي . رؤوف، آلهة في الأسواق ، الطبعة الثالثة، الدار الإسلامية للطباعة والنشر، المنصورة، 1984 .
19. صحيح مسلم بشرح النووي .
20. صليبيا. جميل، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، 1970 .
21. الطويل . توفيق، أسس الفلسفة، ط5، دار النهضة العربية، القاهرة، 1967 .
22. العقاد. عباس محمود، الله كتاب في نشأة العقيدة الإلهية، ط7، دار المعارف بمصر .
23. القرضاوي. د. يوسف، الإيمان والحياة، ط1، الدار السعودية للنشر، 1389هـ، 1969م .
24. لطفي . عبدالحميد، علم الاجتماع، ط2، دار المعارف بمصر، 1966 .
25. مبيض . يسر محمد سعيد، اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة، نشر مكتبة الغزالي، أدلب، توزيع دار الثقافة بقطر، 1412هـ، 1992م
26. مظهر . سليمان، قصة العقائد بين السماء والأرض، دار النهضة العربية .
27. مظهر . سليمان، قصة الديانات، الوطن العربي، بيروت، 1984 .
28. المغربي . د. عبدالفتاح، الفكر الديني الشرقي القديم وموقف المتكلمين، ط1، مكتبة وهبه، القاهرة، 1416هـ، 1996م .
29. موسى . سلامة، العقل الباطن ومكونات النفس .
30. ميد. هنتر، الفلسفة أنواعها ومشكلاتها، ترجمة فؤاد زكريا، دار النهضة بمصر .
31. الهاشمي . العميد طه، تاريخ الأديان ومقارنتها وفلسفتها، مكتبة الحياة، بيروت، 1963 .
32. وجددي . محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، مجلد4.



الوحدة الثالثة

الديانة اليهودية



محتويات الوحدة

الصفحة	الموضوع
153	1. المقدمة
153	1.1 تمهيد
153	2.1 أهداف الوحدة
154	3.1 أقسام الوحدة
154	4.1 القراءات المساعدة
155	5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة
155	2. اليهودية
155	1.2 مفهوم اليهودية
158	2.2 نشأة اليهودية وتاريخها
159	1.2.2 مرحلة الهجرة إلى فلسطين
161	2.2.2 مرحلة الهجرة إلى مصر
163	3.2.2 مرحلة الخروج والتيه والعودة إلى فلسطين
178	3. الكتب المقدسة في الديانة اليهودية
178	1.3 العهد القديم
180	1.1.3 التوراة (الأسفار الخمسة)
182	2.1.3 أسفار الأنبياء
182	3.1.3 المكتوبات
183	2.3 التلمود
188	3.3 بروتوكولات حكماء صهيون
192	4. المذاهب والفرق اليهودية
192	1.4 توطئة
194	2.4 الفرق اليهودية القديمة
194	1.2.4 فرقة الفريسيين
195	2.2.4 الصدوقيون
196	3.2.4 الأسينيون

197 4.2.4 القراؤون أو العنانيون
197 5.2.4 العيسوية
198 6.2.4 السامريون
200 3.4 الفرق اليهودية الحديثة
201 1.3.4 الملة الإصلاحية
203 2.3.4 الملة الأورثوذكسية
205 3.3.4 الملة المحافظة
206 4.3.4 الحركة الصهيونية
208 5. الأصول العقدية في الديانة اليهودية
208 1.5 عقيدة اليهود في الإله
213 2.5 النبوة عند اليهود
217 3.5 المسيح المخلص في العقيدة اليهودية
219 4.5 اليوم الآخر في الديانة اليهودية
221 5.5 شعب الله المختار
224 6. أهم الشرائع اليهودية
224 1.6 الوصايا العشر
225 2.6 الصلاة
226 3.6 الزنا
226 4.6 الأحبار يغيرون الأحكام
227 5.6 الربا
228 6.6 القتل
229 7.6 الميراث
230 8.6 المرأة
231 9.6 الأعياد عند اليهود
234 7. الخلاصة
235 8. لمحة مسبقة عن الوحدة الدراسية التالية
236 9. إجابات التدريبات
238 10. مسرد المصطلحات
239 11. المراجع

1.1 تمهيد

أخي الدارس، أختي الدارسة، بعد رحلة بعيدة لك معنا في بلاد الهند والصين حيث تعرفت أشهر الأديان المعروفة هناك نعود بك الآن إلى منطقتنا مهبط الوحي وأرض الديانات السماوية لنبدأ معك حديثاً حول أقدم دين سماوي لا زال هناك من يدعي الانتماء إليه .
حديثنا في هذه الوحدة عن الديانة اليهودية مفهوماً ونشأة ومصادر وفرقاً وأصولاً اعتقادية وتشريعية .

2.1 أهداف الوحدة

أخي الدارس، أختي الدارسة، بعد دراستك هذه الوحدة واستيعابك للمعلومات والحقائق الواردة فيها وقيامك بالنشاطات وحلّك للتدريبات ستكون بعون الله قادراً على أن :

1. تحدد من هم اليهود وما الأسماء التي أطلقت عليهم .
2. تتبّع نشأة اليهود وتاريخهم حتى ظهور المسيح عليه السلام .
3. تتعرف أشهر كتب اليهود المقدسة والتي تدلّل على منابع الفكر اليهودي .
4. تبيّن أشهر الفرق اليهودية قديماً وحديثاً .
5. توضح الأصول الاعتقادية في الديانة اليهودية وتأثيرها في بناء الشخصية اليهودية .
6. توضح أهم الشرائع اليهودية في العبادات والمعاملات .
7. تحدد أبرز مواطن التحريف في اليهودية مستهدياً بالهدى القرآني .
8. تتبين فساد العقيدة اليهودية وخطرها على الإنسانية .

3.1 أقسام الوحدة

تقسم هذه الوحدة إلى خمسة أقسام رئيسة ترتبط بالأهداف على النحو الآتي :

القسم الأول: الديانة اليهودية: مفهومها ونشأتها ونبذة عن تاريخها حتى ظهور المسيح عليه السلام. ودراسة هذا القسم تحقق الهدفين (1، 2).

القسم الثاني: منابع الفكر اليهودي «الكتب المقدسة عند اليهود». العهد القديم، التلمود. ودراسة هذا القسم تحقق الهدف (3).

القسم الثالث: الفرق اليهودية القديمة والحديثة. ودراسة هذا القسم تحقق الهدف (4).

القسم الرابع: الأصول الاعتقادية في الديانة اليهودية. ودراسة هذا القسم تحقق الهدف (5).

القسم الخامس: أهم الشرائع اليهودية. ودراسة هذا القسم تحقق الهدف (6) ودراستك أخي الدارس، أختي الدارسة، كافة أقسام الوحدة كافة والقيام بالإجابة عن أسئلتها والنشاطات الواردة فيها تتمكنك من تحقيق الهدفين (7، 8).



4.1 القراءات المساعدة

أخي الدارس، أختي الدارسة:

ستجد في هذه المادة التعليمية ما يلبي حاجتك بما يتعلق بموضوعها الرئيس وهو دراسة اليهودية. ومع ذلك فإن اطلعك على بعض المراجع الإضافية ستغني حصيلتك العلمية في هذا الموضوع ويوسع مداركك ويعزز قناعتك من خلال القراءات التالية:

1. موريس بوكاي «التوراة والإنجيل والقرآن والعلم» أصل الكتاب المقدس وأسفار العهد القديم (ص 20-33).
2. داود عبدالعفو سنقرط، جذور الفكر اليهودي.

5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة

أخي الدارس، أختي الدارسة:

أنت بحاجة إلى دراسة هذه الوحدة بعناية، ثم الإجابة عن أسئلة التقويم الذاتي، ثم إنك مدعو للقيام بأنشطة الوحدة وتدريباتها والاطلاع عن القراءات المساعدة لها، فإن فعلت ذلك فإنك بعون الله ستكون مستوعباً تماماً لهذه المادة، مع تمنياتي لك بدراسة موفقة وعزيمة صادقة ونجاح محقق باذن الله تعالى .
ولا تتردد في الاتصال بمشرفك الأكاديمي كلما اقتضت الحاجة لمناقشة ما يعرض لك من صعوبات أو معضلات أو مسائل مثيرة للاهتمام .

2. اليهودية

أخي الدارس، أختي الدارسة، في القسم الأول من هذه الوحدة نتحدث عن مفهوم اليهودية ونشأتها ونبذة عن تاريخها حتى ظهور المسيح عليه السلام .

1.2 مفهوم اليهودية

تطلق كلمة اليهودية اليوم على الملة التي يدين بها اليهود . لكننا نريد بداية أن نبيّن أصل هذه الكلمة ومعناها ومن أين جاءت وكيف أطلقت على أتباع موسى عليه السلام . فهل هي كلمة عربية مشتقة من الثلاثي هَوَدَ؟
أو هي مأخوذة من اسم يهوذا الابن الرابع ليعقوب عليه السلام؟
للباحثين في هذه المسألة أقوال أهمها:

1.1.2 اليهودية تعود إلى جذرها الثلاثي هَوَدَ، والهَوْدُ هو التوبة، وهاد يهود هوداً وتهود إذا تاب ورجع إلى الحق فهو هائد، وهود جمع هائد، وهوّد الرجل حوّلته إلى ملة اليهود (ابن منظور، لسان العرب) . يؤيد هذا المفهوم ما ورد في قوله تعالى على لسان موسى عليه السلام لما كان مع السبعين الذين اختارهم للميقات وأخذتهم الرجفة ﴿ إِنَّا هَذَا إِلَيْكَ ﴾ (الأعراف: 156) . أي رجعنا وتبنا إليك .

2.1.2 نسبة إلى يهوذا الابن الرابع ليعقوب عليه السلام من زوجته لائقة، قال البيروني مؤيداً هذا القول «وإنما سموا باليهود نسبة إلى يهوذا أحد الأسيباط، فإن الملك

استقر في ذريته وأبدلت الذال المعجمة دالا مهملة لأن العرب كانوا إذا نقلوا أسماء معجمة إلى لغتهم غيروا بعض حروفها» (طنطاوي، بنو إسرائيل في القرآن والسنة، ص 19).

3.1.2 وقيل سموا بذلك لأنهم يتهودون أي يتحركون عند قراءة التوراة.

4.1.2 وقيل من المهاددة أي المواعدة وذلك من قوله تعالى: ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ (الأعراف: 142).

وبغض النظر عن هذه الأسباب لأصل التسمية فقد بات يطلق على كل من يعتنق اليهودية بغض النظر عن جنسه وعرقه يهوديا.

وعلى مدار التاريخ أطلق اليهود على أنفسهم تسميات كثيرة فتارة يسمون أنفسهم العبرانيين، وتارة يسمون أنفسهم بني إسرائيل، أو الساميين، أو الموسويين (سنقرط، جذور الفكر اليهودي، ص 13).

ولكل من هذه الأسماء معناه وسببه الذي من أجله أطلق على اليهود فالعبرانيون كلمة مأخوذة من العبور (عبور الصحراء أو عبور النهر) أو من انحذارهم من نسل فالج بن عابر بن سام بن نوح كما يزعم سفر التكوين (10/24-25) ويميل بعضهم إلى القول بأن لفظة عبراني أو عبري ليست إلا تحريفا لكلمة (خييرو)، وهو اسم كان يطلق منذ الألف الثاني قبل الميلاد وما سبقه على طائفة من نثار قبائل ظهرت في شمال جزيرة العرب وبادية الشام لم تكن تجمعهم قرابة لأنهم كانوا يشكلون مجموعات من اللاجئيين المهجرين عن أوطانهم، جمعت بينهم ظروف وأغراض مشتركة فتحولوا إلى عصابات من المشاغبين الخارجين على القانون، ثم شكلوا واحدة من المجموعات التي عرفها التاريخ باسم الهكسوس وهي كلمة يونانية تعني الرعاة (سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص 242). ولعل تسميتهم لمدينة الخليل باسم حبرون وكذلك خيبر لها علاقة بهذه التسمية.

والجدير بالذكر أن التوراة تتحدث عن العبرانيين حين تذكرهم باسمهم بصفتهم غرباء عن اليهود وبني إسرائيل وليسوا في الأصل منهم (سنقرط، جذور الفكر اليهودي، ص 15).

أما بنو إسرائيل فهي التسمية التي يرغب اليهود أن يطلقوها على أنفسهم مع أنها في الأصل مقتصرة على نسل أسباط يعقوب بن اسحق بن إبراهيم، وكلمة إسرائيل التي تعني القوي في اللغة العبرية فقد أطلقت على يعقوب عليه السلام، وتزعم اليهود في توراتهم المحرفة أن سبب تسميته بذلك عائد إلى أنه صرع الإله يهوه فأطلق عليه اسم إسرائيل أي القوي، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

والحق أن بني إسرائيل الذين هم من نسل أسباط يعقوب ليسوا إلا نسبة ضئيلة من يهود اليوم، وأن غالبية اليهود في العالم هم من يهود الخزر الذين اعتنقوا اليهودية في القرون الوسطى ورفض حاخامات اليهود آنذاك الإعتراف بهم وظلوا كذلك إلى أن جاءت الفلسفة الصهيونية فتبنتهم وجعلت منهم أساساً للتجمع اليهودي على فكرة أرض الميعاد في فلسطين .

ومن بلاد الخزر انتشرت اليهودية في أوروبا الشرقية ومنها انساح اليهود في أوروبا الغربية ثم هاجروا إلى أمريكا بعد اكتشافها، وهؤلاء هم زعماء الحركة الصهيونية وهم رجال المال والأعمال في أمريكا وأوروبا وهم حكام الكيان الصهيوني اليوم .

ولقد حاول اليهود قديماً وحديثاً هدم الفوارق والحدود بين هذه التسميات موهمين العالم أنهم جميعاً من نسل الأنبياء ومن أبناء ابراهيم عليه السلام أبي الأنبياء مؤكدين بذلك زعمهم وادعاءهم بأنهم الأشرف جنساً ونسباً وأنهم شعب الله المختار ومن عداهم من الأغيار (الجوييم)

ما خلقوا على هيئة البشر إلا لخدموهم . وقد نصت توراتهم المزيفة على هذا الادعاء في مواضع كثيرة منها ما جاء في الإصحاح العشرين من سفر اللاويين (20) «أنا الرب إلهكم الذي ميزكم من الشعوب» وفي الإصحاح 27 من سفر التكوين «ليستعبد لك شعوب وتسجد لك قبائل» .

والخلاصة، أخي الدارس، أختي الدارسة، أن اليهودية دين له أتباعه بين الشعوب والأمم وليس من المقبول أو المعقول أن جميع يهود العالم من نسل إسحق كما يزعمون، ونحن نرى في يهود اليوم الأحمر والأبيض والأصفر والأسود ونرى الروسي والبولوني والهندي واليمني والمغربي والایراني والسنغالي نرى جميع أمم الأرض وقد قدموا إلى فلسطين من أكثر من مائة قطر في العالم ومن المستحيل ان يكون هؤلاء جميعاً على اختلاف ألوانهم من بني إسرائيل .

أخي الدارس، أختي الدارسة، وقبل أن تغادر موضوع مفهوم اليهودية والتسميات الملحقة بها لا بد من الإشارة إلى الحركة الصهيونية التي ظهرت في أوروبا مع أوائل القرن التاسع عشر، ومع أنه يحلو للكثيرين من مثقفينا ان يفرقوا بين اليهودية والصهيونية إلا أن الحقيقة تقول أن الحركة الصهيونية حركة يهودية من ألفها إلى يائها . والفرق الوحيد هو أن الصهيونية ليست فرقة دينية يهودية وإنما هي حركة سياسية اتخذت فكرة أرض الميعاد التوراتية

أساساً لحركتها واخذت اسمها من جبل صهيون في القدس واستغلت فكرة المسيح المنتظر التي يؤمن بها البروتستانت في أوروبا وأمريكا، وراحت تنشئ الجمعيات الصهيونية التي تروج للفكرة وتجمع لها الأموال، ولا شك ان الحركة الصهيونية هي أساس فكرة استيطان اليهود في فلسطين تمهيدا لإقامة الدولة اليهودية فيها وعلى الرغم من أن هيرتزل (وهو من أبرز زعماء الحركة الصهيونية) قد دعا إلى قيام دولة علمانية لا علاقة لها البتة بالدين اليهودي أو بفكرة العودة المعجزية (وهي فكرة المسيح المنتظر التي يؤمن بها البروتستانت) فإن هيرتزل نفسه قد سمى كتابه «الدولة اليهودية» وربط فيه فكرة الصهيوني بالاضطهاد الذي يلاقه اليهود في أوروبا وبفكرة أرض الميعاد التي روجت لها التوراة.

والآن أخي الدارس، أختي الدارسة، أجب عن التالي:



تدريب (1)

يدعي اليهود أنهم جميعاً من بني إسرائيل ومن نسل إسحق بالذات فما هو الدليل العملي الواقعي على بطلان هذا الادعاء؟

2.2 نشأة اليهودية وتاريخها

أخي الدارس، أختي الدارسة: اليهودية في أصلها دين سماوي توحيدي أوحى الله تعالى به إلى أنبياء بني إسرائيل، ابتدأت عقيدة موحدة تؤمن بالله الواحد الأحد رب العالمين وتسير على منهج أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام الذي هاجر بدينه من بلاد الكلدانيين قاصداً أرض كنعان في فلسطين، التي كان يسكنها الحثيون واليبوسيون والكنعانيون سكان فلسطين الأصليين وفيها تزوج من سارة وأنجبت له إسحق، عليه السلام، ومنه كان يعقوب، عليه السلام، الملقب بإسرائيل الذي انجب الأسباط الاثني عشر.

إلا أن هذا المنهج النبوي التوحيدي لم يبق مستمرا ثابتا في تاريخ اليهودية، فلم يكن اليهود في كل عصورهم موحدين ولم يأخذوا بالتوحيد دوماً. وعرض تدرج الديانة اليهودية خلال التاريخ صعب وشاق لأننا لا نتبين كل التبين مراحل التاريخ بوضوح، وليس عندنا في الأبحاث التي كتبها أهل الملل والنحل فكرة واضحة عن تاريخ اليهودية.

والتاريخ اليهودي يتسم بالغموض وعدم الاستقرار على الثوابت الدينية ذلك لأنه اختلطت وارتبطت فيه عوامل التاريخ الاجتماعي والسياسي مع معطيات العقيدة الدينية

واتجاهات الأخلاق . واختزل فيه الدين ليكون خاصا بشعب معين دون غيره ، يفهم من ذلك أن الله تعالى ليس رب العالمين وإنما هو «يهوه» رب إسرائيل فقط .
وتاريخ اليهودية منذ نشأتها وحتى ظهور المسيح عليه السلام مر بمراحل ثلاث هي :

1.2.2 مرحلة الهجرة إلى فلسطين

وتبدأ هذه المرحلة بهجرة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام من أرض أور الكلدانية ومن معه من الكلدانيين الذين آمنوا بدعوته ومن التحق به من القبائل التي شاركت في موجات حركة الانتقال والارتحال إلى بلاد الشام وسيناء وتسمى باسم العبرانيين صفة لهم أو نسبة إلى عبورهم البادية والصحراء أو لعبورهم نهر الأردن أو الفرات (طعيمة، التاريخ اليهودي العام، ج 1 ص 7) .

ولم تكن إقامة إبراهيم عليه السلام في فلسطين طويلة بل كانت رحلة عابرة، ولعل السبب الرئيس في عدم استقراره فيها أنه لم يجد استجابة لدعوته ذلك لأن سكان فلسطين من الكنعانيين كانوا قد قطعوا شوطا في طريق التقدم الزراعي والصناعي والتجاري، فلما جاءهم إبراهيم، عليه السلام، بدعوة الله لم يتقبل الكنعانيون هذه الدعوة وأنفوا من الجماعات العبرية المهاجرة التي لم تكسب شيئا بعد من تقاليد الحضرة فاعتزلوهم وقد نظر الكنعانيون إلى إبراهيم عليه السلام على أنه واحد من هؤلاء العبرانيين المهاجرين ولم يستجيبوا له تماما، فكان على إبراهيم عليه السلام أن يرتحل سريعا من أرض فلسطين إلى بلد آخر فكانت مصر محطته الثانية (المرجع السابق، ص 8) .

إن حياة إبراهيم عليه السلام في فلسطين هي حياة مهاجر لم يرد أن تكون له فيها ممتلكات أو إقامة . ويوضح سفر التكوين هذه الحقيقة مبينا «إنه كان يبني خيمته وهو في سن الخامسة والسبعين شرقي بيت ايل، ثم ارتحل نحو الجنوب متجها إلى مصر لما أصاب المنطقة من مجاعة» (سفر التكوين، الاصحاح الثاني عشر 8-10) .

وكذلك الأمر عند عودته من مصر، تذكر التوراة قصة وفاة زوجته سارة فيذهب إبراهيم إلى أهل القرية التي توفيت فيها زوجته، قرية حبرون (الخليل) وكلم أهلها من الحثيين قائلا «أنا غريب ونزيل عندكم، أعطوني ملك قبر منكم لأدفن ميتي من أمامي فقالوا له: في أفضل قبورنا ادفن ميتك وطلب من أحدهم أن يعطيه مغارة المكفيلة بثمن كامل، فقال له: يا سيدي الحقل وهبتك إياه والمغارة التي فيه لك وهبتها» (سفر التكوين، الاصحاح 11-4 23) وفي هذه الرحلة كانت رحلة إبراهيم عليه السلام السريعة إلى مصر

حيث أهديت له هاجر أم اسماعيل عليه السلام وقد ارتحل بها بناء على أمر ربه إلى أرض مكة وتركها هناك مع ولدها اسماعيل حيث وعداها الله تعالى ان يكثر نسل ولدها وأن يجعل منه أمة عظيمة فكانت أمة العرب التي بعث منها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم حيث انتقلت الرسالة والعهد من بني اسحق إلى بني اسماعيل ، ونحن نعلم أنه لا دخل لأبي الأنبياء ابراهيم عليه السلام بالتاريخ اليهودي لأن اليهودية بدأت بعد ابراهيم عليه السلام ، في عهد ابنائه عليه السلام وبالذات ابنه اسحق ومن بعده يعقوب عليهما السلام كان بداية التاريخ اليهودي .

وظل بنو اسرائيل من الأسباط وأبنائهم في هذه المرحلة في فلسطين حيث أوى إليهم مؤمنا بدعوتهم التوحيدية عدد ممن سموا بالعبرانيين ممن عبروا مهاجرين إلى فلسطين في أثناء موجات الهجرة إلى بلاد الشام .

كانت هذه المرحلة مرحلة استقامة في تاريخ بني اسرائيل بمعنى انهم كانوا دعاء توحيد وإيمان والتزام بوصية أبي الأنبياء لأبنائه ووصية يعقوب كذلك لأبنائه تلك الوصية الايمانية الواردة في القرآن الكريم : ﴿ وَوَصَّيْ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢) أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣) ﴾ (البقرة، 132-133).

وعلى الرغم من هذه المبادئ السامية التي حملها أبناء اسحق ويعقوب إلا أنه يلاحظ أنه لم يكن لهم تأثير كبير على الشعوب الوثنية المحيطة بهم ، فكما ارتحل ابراهيم عليه السلام من بين الكلدانيين عبدة الكواكب وعبدة الأصنام واختار لنفسه العزلة عنهم ظلت هذه الصورة كذلك مع الفلسطينيين سواء من الكنعانيين أم من الشعوب المهاجرة إليها فكان شعاره ﴿ وَأَعْتَزَلْكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا (٤٨) فَلَمَّا اعْتَزَلْتَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ (مريم : 48-49).

ولعل هذا كان سببا يضاف إلى القحط والمجاعة التي أصابت المنطقة ودفعتهم إلى الهجرة من فلسطين إلى مصر .

2.2.2 مرحلة الهجرة إلى مصر

أخي الدارس ، أختي الدارسة ، بداية هذه المرحلة في تاريخ بني إسرائيل جاءت كما حدثنا القرآن الكريم في سورة يوسف عليه السلام وهو الابن المميز لابيه يعقوب عليه السلام والذي كاد له أخوته الأسباط فآلقوه في غيابة الجب ليأخذهم السيارة المسافرون عبر ذلك الممر التجاري إلى مصر ، وتكون رحلة البحث عن الغذاء بعد سني المجاعة التي أصابت المنطقة سببا في عثور أخوة يوسف عليه لتكون نهاية القصة برحيل يعقوب عليه السلام وأبنائه إلى مصر ﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَبْوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُوا مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ (يوسف : 99) .

كانت هذه الرحلة إلى مصر في عهد الهكسوس وهم من العرب العمالقة الذين غزوا مصر في بداية القرن الثاني قبل الميلاد ، وقد أصاب القحط أرض كنعان فاستأنف العبرانيون تحركاتهم تجاه مصر وهذا يدلنا على أن أرض كنعان لم تكن هدف العبرانيين ، وقد كان وجود الهكسوس بمصر فرصة للعبرانيين لأن الهكسوس كانوا يميلون للتعامل مع الأجانب ضد المواطنين شأن كل المستعمرين في كل زمان ومكان (شليبي، اليهودية، ص55) .

ووجد بنو إسرائيل في مصر ترحابا وحياء رغدة وطلبوا من عزيز مصر أن يسكنهم في أرض جاسان (في منطقة الرقية) فاستجاب وقال ليوسف «أبوك واخوتك جاؤا وإليك أرض مصر قدامك في أفضل الأرض أسكن أباك وأخوتك ليسكنوا في أرض جاسان ، فأسكن يوسف أباه وأخوته وأعطاهم ملكا في مصر في أفضل أرض . . . وكان تعداد بيت يعقوب آنذاك سبعين نسمة» (سفر اتكوين / الإصحاح 27/46) .

وعاش بنو إسرائيل في مصر ونعموا بأمن واستقرار وحياء رغدة بعض الوقت . إلا أن هذه النعمة لم تدم طويلا ، فبعد أن طرد الفراعنة المصريين الهكسوس نظروا إلى بني إسرائيل بارتياح نتيجة العزلة التي أحاطوا أنفسهم بها والامتيازات التي نعموا بها . فلما قامت الأسرة التاسعة عشرة ومن ملوكها رمسيس الثاني ظهر الشعور العدائي ضد بني إسرائيل لأنهم نالوا أطيب خيرات مصر على حساب المواطنين المغلوبين على أمرهم ، وكان الحاكم الجديد يخشى أن يتآمر بنو إسرائيل ضده (شليبي، اليهودية، ص59) .

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه العلاقة المتأزمة بين بني إسرائيل والمصريين مبينا أنها علاقة كانت تقوم على أساس أن الفراعنة هم السادة وأن بني إسرائيل هم العبيد وعانى بنو إسرائيل من الفراعنة أشد المعاناة ورأى الفراعنة ضرورة إيقاف تكاثرهم

فقرروا قتل كل المواليد الذكور منهم : ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْدَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَالْهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ (الأعراف: 127).

ويصور القرآن الكريم هذه الغطرسة الفرعونية التي كانت تمارس ضد المستضعفين من بني إسرائيل فيقول سبحانه : ﴿ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ (٤) وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ (القصص: 5-4).

ومن هنا فقد كان أحد المطالب الأساسية لموسى عليه السلام من فرعون : ﴿ أَنْ أُرْسِلَ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (الشعراء: 17).

وكان خروج موسى عليه السلام ببني إسرائيل من مصر التي عدت بالنسبة إليهم أرض الذل والعبودية، كان ذلك خلاصا لهم من هذا الذل، ومنه امتن الله تعالى بها عليهم : ﴿ وَإِذْ أَنْجَبْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾ (الأعراف: 141). كما أن قصة ميلاد موسى عليه السلام وطفولته التي صورها القرآن الكريم تبين مدى المضايقة والمعاناة التي كان يتعرض لها بنو إسرائيل في مصر على يد الفراعنة. وعلى الرغم من أن موسى عليه السلام عاش طفولته في كنف فرعون مصر (رئيس الثاني) إلا أنه لم يكن ممتنا له على هذه الرعاية وفي حوار فرعون له وتذكيره بتلك الأيام وما فعل فيها قال له : ﴿ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (الشعراء: 22).

ومرحلة إقامة بني إسرائيل في مصر بدأت بالتفاوض والرضى وانتهت بالتشاؤم والسخط، وقد اعتاد بنو إسرائيل ألا يعيشوا في ظل حكم سياسي إلا واستغلوه لتحقيق مطامعهم والاقتصادية فما أن تضاءل نفوذ يوسف عليه السلام وفقد الإسرائيليون مركزهم الذي كان يحقق لهم الثراء دون جهد حتى سخطوا على مصر وفرعون وشعبها. وقد أحاطهم يوسف عليه السلام بعنايته ورعايته وأكرمهم فرعون إذ رأى يوسف يهتم بهم، وتذكر التوراة أن هذا الإكرام والاهتمام أدى إلى زيادة عددهم وثروتهم «أما بنو إسرائيل فأثمروا وتوالدوا وغنوا وكثروا كثيرا جدا وامتألت الأرض منهم» (سفر الخروج: 106).

لكن هذه الرعاية لم تطل بل انتقلت إلى إذلال واستعباد، وفي ذلك يقول سفر الخروج (ثم قام ملك جديد على مصر لم يكن يعرف يوسف واستبعد المصريون بني إسرائيل بعنف ومرروا حياتهم بعبودية قاسية في الطين واللبن وفي كل عمل في الحقل) (الخروج/ 14-8: 1).

وانتقل الإسرائيليون من حياة الرغد والتجارة وصياغة الذهب إلى العمل اليدوي في أعمال البناء والزراعة والري شأن عامة المصريين .

ولم تعجبهم هذه الحياة فراحوا يتآمرون، واكتشف شعب مصر أن بني إسرائيل يتآمرون عليه ووصل التآمر إلى عمل ضد سلامة الدولة، وثاروا ثورة عاتية ضد الفرعون (منفتاح) فزحف عليهم وقرئت على عمارة في طيبة أنشأها (منفتاح الأول) أنشودة له ذكر فيها تنكيله ببني إسرائيل بسبب ثورة ثاروها ضد السلطان المصري . (شليبي، اليهودية، ص 59).

وبناء على هذه النهاية، وعلى هذا الاضطهاد والذي ظل يطارد بني إسرائيل في مصر إلى أن اخرجهم موسى عليه السلام من ذل العبودية، فان العرف الشائع بين العبريين انهم يتشاءمون تشاؤما تقليديا بالأيام التي قضوها في مصر فيعدونها محنة المحن في تاريخهم كله (طعيمة، التاريخ اليهودي العام، ص 39).

3.2.2 مرحلة الخروج والتهيه والعودة إلى فلسطين

أخي الدارس، أختي الدارسة

ابتدأت هذه المرحلة بالنجاة والخلاص من عهد الذل الذي عاشه الإسرائيليون في ظل الفراغنة في مصر وقصة الخروج كانت أشبه ما تكون بثورة قادها موسى عليه السلام حيث كانت دعوته تقوم على قضيتين أساسيتين هما:

الأولى: الدعوة إلى عبادة الله الواحد الأحد وإثبات بطلان دعوى فرعون بالألوهية .

والثانية: إخراج بني إسرائيل وتحريرهم من ذل العبودية . وقد التف بنو إسرائيل حول نبيهم موسى عليه السلام في هذه القضية وتعاملوا معه فيها على أنه زعيم سياسي أكثر من كونه مرسلا من ربه . ولهذا فانهم سرعان ما انقلبوا عليه بعد الخروج أمام أيام من الشدة والتعب في صحراء سيناء وتنكروا لكل معروفه وجهوده وراحوا يقولون له ولأخيه هارون «ليتنا متنا في مصر إذ كنا جالسين عند قدور اللحم نأكل خبزا للشبع، فإنكما أخرجتمانا إلى هذا القفر لكي تميتا كل هذا الجمهور بالجوع» (الخروج، 3: 16).

ورحلة الخروج هذه يسردها سفر الخروج مفصلة وبينها القرآن الكريم موضحا مدى المعاناة التي لاقاها موسى عليه السلام منهم ومدى تعجزهم له ومطالبهم المستمرة له ومدى صبره عليهم ودعائه المستمر لربه أن يكشف عنهم الرجز ويصرف عنهم السوء، والنعم المتواصلة التي أنعم الله بها عليهم: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّٰنَ وَالسَّلْوَىٰ كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ (الأعراف: 160).

ومع كل هذه النعم الإلهية عليهم وكل هذا الصبر المتواصل من موسى عليه السلام على كثرة مطالبهم إلا أنهم لم يقابلوا ذلك كله بالشكر والعرفان؛ بل قابلوه بكل جحود ونكران وبكل مخالفة وعصيان، وعتوا عن أمر ربهم، وبين لنا القرآن الكريم قصة الانحراف التي قام بها بنو إسرائيل في أثناء الليالي الأربعين التي ناجي فيها موسى عليه السلام ربه على جبل الطور، وترك فيهم هارون عليه السلام يصارعهم ويقارعهم وتغلبوا عليه وخرجوا على أمره وراحوا يعبدون عجلا من الذهب المسبوك من حلي نسائهم: ﴿ وَأَتَّخَذَ قَوْمٌ مُّوسَىٰ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمَ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ (الأعراف: 148).

وبين لنا القرآن الكريم قصة المكابرة والمجاهرة بالانحراف من السبعين الذين اختارهم موسى عليه السلام ليخرجوا معه إلى ميقات ربه ويشهدوا بأنفسهم كلام الله تعالى ووصاياهم.

ويمضي موسى عليه السلام يسير بقومه تجاه فلسطين، ولكن فلسطين كانت عامرة بالسكان ووقف أهلها في وجه بني إسرائيل يردونهم عنها، وهكذا أصبحت محاولة دخولها تعني الحرب بين بني إسرائيل وبين هؤلاء السكان، وكان بنو إسرائيل يخافون الحرب فقد تمكنت منهم الذلة والصغار فصاحوا بموسى عليه السلام ﴿ يَا مُوسَىٰ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَدْخُلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾ (المائدة: 22).

ومع كل محاولات الإغراء بالنصر والغلبة لهم فقد أعطوا قرارهم القاطع: ﴿ إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ (المائدة: 24).

ولم يقف مع موسى في محنته أحد غير أخيه هارون عليه السلام : ﴿ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ﴾ (المائدة: 25) .

فكان حكم الله تعالى فيهم أمام حالة الذل هذه : ﴿ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ (المائدة: 26) .

ويبدو أن مرحلة التيه في الصحراء كانت ضرورية لهم لصياغة نفوسهم من جديد تلك النفوس التي تعودت على الحياة المنعمة حتى لو كانت في ظل العبودية فكان لا بد لهذه النفوس أن تتغير وتتعرض لمحن وفتن تصهرها من جديدة وتجعلها قادرة على مواجهة القتال والأعداء . فكان هذا التيه الذي ضرب عليهم عقوبة لهم من جهة وتهيئة لنفوسهم من جهة أخرى .

ومات هارون ثم موسى عليهما السلام في فترة التيه ، ودفن هارون في جبل هور ، ودفن موسى في كتيب أحمر حيث كان يرى أرض فلسطين دون أن يدخلها . ويذكر بعض الباحثين أن الذين عاصروا موسى عليه السلام هلكوا جميعا في الصحراء ولم يدخل منهم فلسطين إلا اثنان كان يوشع واحدا منهما (شليبي، اليهودية، 69-70) .

وتولى يوشع بن نون قيادة بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام وكان من المقربين لموسى عليه السلام ويبين سفر العدد هذا فيقول «فقال الرب لموسى خذ يشوع بن نون رجلا فيه روح وضع يدك عليه وأوقفه أمام الكاهن وقدام كل الجماعة وأوصه أمام أعينهم واجعل من هيبتك عليه لكي يسمع له كل جماعة بني إسرائيل» (العدد/ 18-20: 27) .

وبهذه التهيئة والوصية له بالقيادة يسير يوشع بن نون وهدفه الأساسي دخول الأرض المقدسة التي أصبحت أمام أعينهم .

ويوشع بن نون هذا هو فتى موسى الذي ذكره القرآن الكريم في سورة الكهف : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ (الكهف: 60) .

وقد ثبت ذلك في الحديث الصحيح الذي أخرجه الإمام البخاري رحمه الله (صحيح البخاري، العلم/ 122) . ومع أن موسى عليه السلام لم يكتب له أن يدخل الأرض المقدسة إلا أنه ودون شك كان قد بذل جهودا طويلة من أجل دخولها .

وقد ذكر سفر العدد شيئا من هذه الجهود والمحاولات «اصعدوا من هنا إلى الجنوب ، واصعدوا إلى الجبل ، وانظروا الأرض ما هي ، والشعب الساكن فيها أقوي أم ضعيف ، قليل أم كثير ، وكيف هي الأرض جيدة أم ردية . . . وعادوا بعد أربعين يوما ليقدموا إلى موسى بعض ثمار فلسطين ويطلعوه على نتيجة استطلاعهم لطرق وتحصينات فلسطين والتي وجدوها

جيدة وأخبروه بأن العماليق يسكنون جنوب فلسطين وأن الحثيين واليبوسيين والعموريين يسكنون الجبال، في حين يسكن الكنعانيون على ساحل البحر (العدد/17-13/28).

ويبدو أن نتيجة الاستطلاع هذه هي التي أخافت بني إسرائيل ودفعت بهم إلى أن يرفضوا أوامر موسى عليه السلام بدخول الأرض المقدسة لأن أهلها أقوياء جبابرة وأنهم غير قادرين على دخولها ما دام هؤلاء فيها، فكانت عقوبة التيه التي بينها القرآن الكريم وذكرها سفر العدد كذلك بما نصه «فحمي غضب الرب على إسرائيل وأتاهم في البرية أربعين سنة حتى فني كل الجيل الذي فعل الشر في عيني الرب» (سفر التثنية/27).

وتمكن يوشع بن نون من عبور نهر الأردن ودخول مدينة أريحا، وتذكر التوراة أنه قتل كل من فيها من إنسان أو حيوان وحرق المدينة كلها ولم ينج من سكان المدينة إلا امرأة زانية تدعى راحاب وأهلها حيث أن بيتها هو الذي خبا الجاسوسين اللذين أرسلهما يوشع بن نون لاستطلاع أوضاع المدينة. (سفر يشوع/1-2: 2، يشوع/22-25: 6).

وحكم يوشع على أريحا الخراب واللعنة قائلاً «ملعون قدام الرب الرجل الذي يقوم ويبني هذه المدينة أريحا» (يشوع/6/26).

ومن أريحا انطلق بنو إسرائيل إلى بقية الأرض المقدسة لكنهم لم يستطيعوا أن يمدوا سلطانهم إلى كل فلسطين ووقفوا عند منطقة التلال الداخلية أما منطقة الساحل فقد ظلت في أيدي السكان الأصليين» (شلي، اليهودية، ص 85).

وتقع ضمن هذه المرحلة فترة مهمة جدا في تاريخ اليهود وهي فترة حكم فلسطين وقد شهدت هذه الفترة ثلاثة عهود هي:

1. عهد القضاة

2. عهد الملوك

3. عهد الانقسام والزوال.

1. وفي العهد الأول (عهد القضاة) ويمتد من 1125 ق. م - 1025 ق. م (سفر قضاة، جذور

الفكر اليهودي، ص 110). كان الحكام قضاة من الكهنة ينتخبهم كبراء الشعب وكان نظام الحكم لا يقوم على أساس الدولة بل أساس الحكم الأبوي في الأسرة فكان شيوخ العشائر يجتمعون في مجلس من الكبراء هو الحكم الفصل في شؤون العشيرة وهو الذي يتعاون مع زعماء القبائل الأخرى» (ول ديورانت، قصة الحضارة، 2:329).

وفي هذا العهد وضع الأساس للحياة اليهودية، وبدأت حياتهم تتغير خلال عهد

القضاة رويدا رويدا فبدأوا ينتقلون من حياة البدو إلى حياة الاستقرار، كما بدأوا يعرفون الزراعة بجانب الرعي» (شلي، اليهودية، ص 73).

لكن هذا التغيير الاجتماعي في حياة بني إسرائيل في هذا العهد لا يعني استقراراً سياسياً أو رضى من سكان البلاد الأصليين بهذا الاحتلال اليهودي لأرضهم أو وحدة سياسية بين الأسرائيليين أنفسهم.

بعد وفاة يوشع بن نون اشتدت الأزمات وسادت الفوضى بين بني إسرائيل في فلسطين وارتد كثير منهم إلى الوثنية، وتشربوا كثيرا من عادات الكنعانيين وطقوسهم الدينية فنهض عدد من الزعماء وحاربوا المحليين وتصدوا لذلك وحاربوا دفاعاً عن الكيان الديني والاجتماعي، وهؤلاء هم القضاة الذين سميت باسمهم هذه الحقبة من التاريخ اليهودي التي تلت غزوهم لفلسطين بنحو قرنين من الزمان، وفي هذه الأثناء شن الفلسطينيون هجوماً كبيراً بدأ من المنطقة الساحلية وانتهى إلى داخل فلسطين وحاربوا بكل قوة وهزموا بني إسرائيل» (عبدالعليم وراشد، اليهود في العالم القديم، ص 72).

2. أما العهد الثاني من هذه المرحلة فهو المسمى بعهد الملوك، وبدأ هذا العهد بعد شيوخ الفساد في عهد القضاة، ويحكي الإصحاح الثامن من سفر صموئيل الأول قصة الانتقال من عهد القضاة إلى عهد الملوك فيقول «وكان لما شاخ صموئيل أنه جعل بنيه قضاة لإسرائيل . . . ولم يسلك ابنه طريقه بل مالا وراء المكسب وأخذوا رشوة وعوجا القضاء، فاجتمع كل شيوخ إسرائيل وجاءوا إلى صموئيل إلى الراحة، وقالوا له هوذا أنت شخت وابنك لم يسيرا في طريقك فالآن اجعل لنا ملكاً يقضي لنا» (صموئيل الأول، 5-1/8). واستجاب صموئيل لهذا المطلب «وقال صموئيل لكل إسرائيل ها أناذا قد سمعت لصوتكم في كل ما قلتم لي وملكت عليكم ملكاً» (صموئيل الأول 1/112).

ويطلق سفر صموئيل الأول على هذا الملك اسم شاول بينما يذكر القرآن الكريم هذه

القضية ويسمى الملك فيها باسم طالوت، كما في قول الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّ لَهُمْ ائْتِنَا بِعَلَمٍ لَنَا فَهَلْ يَأْتِيكُمُ الْقِتَالُ إِلَّا تَقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِلَّا تَقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أَخْرَجَنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ (٢٤٦) وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ﴿ (البقرة: 246-247).

وقد قادهم شاول في المعارك بشجاعة وكان داود عليه السلام أحد رجاله ويحكي سفر صموئيل الأول بروز جلبات قائد الفلسطينيين الذي يسميه القرآن الكريم جالوت كما في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ﴾ (البقرة: 249).

ويسجل القرآن الكريم هزيمة جالوت وجنوده أمام طالوت وقائد جيشه داود: ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ (البقرة: 250-251).

وبذلك يبدأ عهد مهم وشهير في عهد الملوك وهو عهد الملك النبي داود عليه السلام وولده الملك النبي سليمان عليه السلام.

يعد هذا العهد العصر الذهبي بالنسبة لليهود في فلسطين ظهرت فيه غلبتهم على الفلسطينيين الذين قاوموا وجودهم من البداية وتوسعت فيه دولتهم لتشمل غالبية أراضي فلسطين وكونوا مملكة فيها، لقد كان هم داود عليه السلام توحيد مناطق فلسطين في مملكة يهودية. وكان قد اتخذ من مدينة حبرون «الخليل» عاصمة للملكه مدة سبع سنين ثم استطاع ولأول مرة في تاريخ اليهود أن ينتزع القدس من أصحابها البيوسيين سنة 1049 ق.م وأن يتخذها عاصمة للملكه (خان، تاريخ فلسطين القديم، ص 43).

وتذكر التوراة أن اليهود لم يستطيعوا أن يطردوا سكان فلسطين في هذه الفترة فسكنوا بين البيوسيين في القدس والخوريين في شكيم «نابلس» والفرزيين في بيت لحم والزبيديين في يافا، وتزاوجوا معهم وعبدوا آلهتهم الوثنية (يشوع/11/3).

لقد توج داود ملكا على اليهود بعد مقتل شاول (طالوت) وقد مضت سنتان قبل مبايعة جميع بني إسرائيل له ملكا، وكان داود محاربا شجاعا أحرز انتصارات عديدة وقد أحبه الشعب وساسهم بالحسنى، وبعد انتزاعه أورشليم من أيدي البيوسيين اتخذها عاصمة له وأتى إليها بصندوق العهد (التابوت) وخطط لبناء هيكل فيه الا أن الرب منعه (موسوعة الكتاب المقدس، ص 148) (وقد ورد هذا المنع في أخبار الأيام الأول/ 28:3 بما نصه «ولكن الله قال لي «لا تبني لي بيتا لاسمي لأنك أنت رجل حروب وقد سفكت دما».)

وقد تسأل أخي الدارس، أختي الدارسة، عن صندوق العهد المسمى بالتابوت وقد ورد الحديث عنه في سفر الخروج / 25 وفي سفر التثنية/ 10 وسفر العبرانيين/ 9 وسفر

يشوع/6 وسفر صموئيل/4، و خلاصة ما في هذه الأسفار انه صندوق مستطيل قائم الزوايا مثل هيكل الخيمة وكان هذا الصندوق مصنوعا من خشب صلب غشى بالذهب، وضعت فيه ألواح الوصايا العشر وفيه عصا هارون وقد وضع صندوق العهد في قدس الأقداس وكان رمزا إلى سكنى الله وحضوره، وكان التابوت يحمل أحيانا إلى المعركة رمزا للحماية الإلهية، وقد وقع مرة بأيدي الفلسطينيين واستعاده داود منهم.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا التابوت في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة: 248).

ونعود الآن أخي الدارس، أختي الدارسة، إلى عهد مملكة داود عليه السلام وقد ذكر سفر «الملوك الأول (11/2) إلى أن الزمان الذي ملك فيه داود على إسرائيل أربعين سنة في حبرون «الخليل» سبع سنين وفي اورشليم ملك ثلاثا وثلاثين سنة.

لقد كان نجاح داود في تأسيس مملكته نجاحا محدودا وذلك لقصور همة شعبه عن مجاراة همته العالية، فلم يكن الشعب الذي حكمه شعبا واحدا متجانسا بل كان خليطا متناثرا من إسرائيليين وكنعانيين بينهم جيوب آرامية في الشمال وجيوب فلسطينية في الساحل، وقبائل عربية صريحة في الجنوب والشرق، هذا بالإضافة إلى أن الإسرائيليين كانوا متباغضين متحاربين فيما بينهم. (سنقرط، جذور الفكر اليهودي، 112).

إن داود عليه السلام لم يتمكن من توحيد ممالك دولته تماما، على الرغم من حنكته السياسية وطول مدة حكمه، ولقد كان اختياره للقدس عاصمة لدولته محاولة واضحة للوصول إلى وحدة دولته، فهي تتمتع بمزايا كثيرة من أهمها أنها ذات موقع إستراتيجي على تل مرتفع وسط فلسطين، وهي مدينة محايدة لا تنتمي لأي من الأسباط الإثني عشرة مما جعله لا يظهر أمام بني إسرائيل بمظهر الملك القبلي الذي يحاول أن يفرض نفوذه عليهم.

وقد حاول داود عليه السلام أن يحافظ على التماسك القبلي لأسباط بني إسرائيل حيث كان لكل سبط أقليم معين بالإضافة إلى دخوله القدس وإحضار تابوت العهد إليها لتكون مركزا دينيا، ومع كل هذا فلم يحدث اندماج حقيقي بين الأسباط الشمالية والجنوبية (كمال وراشد، اليهود في العالم القديم، ص77).

وبقي هذا الانفصال قائما في ضمائرهم حتى أن سياسة التوسع التي اتبعها داود عليه

السلام (وإن كانت التوراة تبالغ في هذا التوسع والامتداد لمملكة داود عليه السلام) هذه السياسة لم تستطع تماماً القضاء على عوامل الانهيار داخل مملكته مما فجر الثورة التي تزعمها ابنه إيشالوم ضده وعمق أسباب الخلاف والتمزق بين الشمال والجنوب مما اضطر داود إلى الفرار إلى ما وراء نهر الأردن لينجو بنفسه (صموئيل الثاني/ 15:19).

إلا أن إيشالوم الذي تمرد على أبيه في مؤامرة للاستيلاء على الملك هزمه رجال داود وبينما كان فاراً على ظهر بغل علق رأسه بأغصان بطمة عظيمة فقتله يوبأب قائد جيش داود» (صموئيل الثاني / 15:19).

بعد موت داود خلفه ابنه سليمان (961-922 ق. م) على عرش بني إسرائيل، وقد توسعت في زمنه المملكة التي أسسها والده داود عليهما السلام.

وقد أدرك أن مملكته الصغيرة لن تدوم إلا بتدعيم علاقاته الودية مع الدول التي تحيط به، فوثق العلاقة التي أقامها أبوه مع ملك صور، وتزوج ابنة فرعون مصر أحد ملوك الأسرة الحادية والعشرين واهدى له مدينة جازر «وهي إحدى المدن الكنعانية تقع على الطريق من يافا الساحلية إلى أورشليم، كانت ملكاً لمصر فترة إلى أن وهبها أحد الفراعنة لابنته التي تزوجها الملك سليمان» (موسوعة الكتاب المقدس/ ص97).

وقد بدأ سليمان عليه السلام ببناء سور يحيط بجبل الموريا في القدس وهو الجبل الذي تزعم أسفار العهد القديم أنه موقع هيكل سليمان وأرض بيدر اليبوسي (أخبار الأيام الثاني/ 3/1) ثم أخذ في بناء المعبد المركزي.

ويشير العهد القديم إلى أن بناء الهيكل استغرق سبع سنوات بينما استغرق بناء قصر سليمان وملحقاته ثلاثة عشر عاماً.

وراحت أسفار العهد القديم تتحدث عن هذا الهيكل وطوله وعرضه وارتفاعه، ونجد وصفاً وافياً لكيفية بناء الهيكل وتأنيثه في سفر الملوك الأول / 5-7).

ولا أريد أخي الدارس، أختي الدارسة، أن أشغلك بهذه الأوصاف ومخطط هذا الهيكل إلا أنه لا بد من الإشارة إلى أن أعمال الحفر والتنقيب لم تكتشف هذا الهيكل أو ما يماثله تصميمًا في القدس. يعتقد اليهود أن المسجد الأقصى قد أقيم مكان الهيكل إلا أنه لم يثبت شيء من ذلك رغم كثرة الحفريات والأنفاق التي بدأ اليهود العمل بها من سنة 1967 وإلى يومنا هذا.

لقد بدأ سليمان عليه السلام يمارس أعمال الحكم ووالده على فراش مرضه وأدرك أنه أمام قوى متناقضة وعديدة فاستصدر ما يشبه الأمر الملكي بتنازل داود عن عرشه لابنه

سليمان وبدأ يقوم بجولات وزيارات ويقوم مهرجانات للتأكيد والالتفاف حوله وأوصى داود لولده سليمان، ومضى سليمان بعد وفاة أبيه على نهج والده، واتسعت دولته وامتد نفوذها إلى ملك بلقيس في اليمن.

لقد عرف اهتمام سليمان عليه السلام بالبناء والقصور ووصف عهده بالبذخ والترف بل تذكر أسفار التوراة أن حالة من الثورة والتمرد كانت ضده نتيجة هذا السرف والبذخ الذي كان يقتضي فرض الضرائب على الناس حتى أن سكان المنطقة الشمالية من مملكته التي كانت تتخذ من شكيم «نابلس» عاصمة لها كانوا يرون في معبده في القدس مركزاً للجبابة.

ويحدثنا القرآن الكريم عن اتساع نفوذ سليمان عليه السلام وما سخر الله تعالى له:

﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ (١٢) يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبَ وَمَتَائِلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ (سبأ: 12-13).

وكان سليمان عليه السلام قد نجح في إيجاد حالة من الازدهار الاقتصادي للبلاد واستطاع أن يوطد حسن الجوار مع فرعون مصر الذي زوجه إحدى بناته حتى يؤمن له ميمنته الشرقية من هجوم الأعراب عليه عبر سيناء، كما تفاهم مع بلقيس ملكة سبأ على تأمين طريق التجارة البري من اليمن عبر الحجاز إلى فلسطين. (سنقرط، جذور الفكر اليهودي، ص 113).

وبوفاة سليمان عليه السلام ينتهي عهد الملوك لبدأ عهد جديد في هذه المرحلة من تاريخ بني اسرائيل وهو عهد الانقسام والزوال.

ويبدو أن بدايات الضعف والضياع السياسي قد بدأت في أواخر عهد سليمان عليه السلام. والتوراة حين تتكلم عن مملكة داود وسليمان وحين تتكلم عن هيكل سليمان إنما تتكلم بفخر زائف لا يصمد للمناقشة الجادة.

والحقيقة التي لا مراء فيها أن مملكة داود وسليمان التي تبجحت التوراة بها كثيرا فجعلتها تمتد من الفرات إلى النيل لم تكن تشمل غير يهوذا والسامرة فقط أي المنطقة الجبلية الممتدة بين مدينتي الخليل ونابلس وكلها مدن كنعانية ييوسية، بدليل أنها انقسمت بعد موت سليمان إلى مملكتي يهوذا وإسرائيل، لقد كانت مملكة من خمسين مملكة عايشتها فلسطين. (سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص 296).

لقد أشارت بعض نصوص التوراة إلى بداية الضياع السياسي في عهد سليمان عليه السلام فيقول سفر الملوك الأول (22، 14/11) «وأنام الرب خصما لسليمان (هدد الأدمي) كان من نسل الملك في أودوم . . . وقام له خصما آخر (رزون) وكان خصما لإسرائيل كل أيام سليمان» .

«ومع أن التوراة لم تقدم تفصيلا موسعا عن مدى الصراع الذي حل بجماعات إسرائيل أيام سليمان حين تمرد عليهم الثائر (هدد) إلا أنه من الثابت توراتياً أن (هدد) لم يكن أول ولا آخر القوى المضادة التي حملت على عاتقها أن تثير الفتن والقلاقل في مجتمع إسرائيل مؤملة في تحقيق مصالح شخصية . . . ونستطيع أن نقول أن هذا المجتمع لم يسلم من القلاقل والاضطرابات وكل مظاهر الفوضى والتخريب» (طعيمة، التاريخ اليهودي العام، ج 1 ص 247).

«وكانت الأيام التي ملك فيها سليمان في أورشليم على كل إسرائيل أربعين سنة» (الملوك الأول/ 11:42).

بعد وفاة سليمان عليه السلام انتهى نفوذ العبريين السياسي في فلسطين وطفت على السطح مظاهر الانفصال والشقاق القديم بين بني إسرائيل من الأسباط الشمالية والأسباط الجنوبية . . . وتبنت القبائل الشمالية في إسرائيل موقفا سلبيا» (كمال وراشد، اليهود في العالم القديم، ص 88-89).

وبعد وفاة سليمان عليه السلام حوالي سنة 935 ق . م أعلن ابنه رحبعام نفسه ملكا على دولة اليهود وبإيعه سبطا يهوذا وبنيامين في أورشليم على ذلك، ثم اتجه (رحبعام) إلى الشمال لأخذ البيعة من باقي الأسباط فاجتمع حوله شيوخ بني إسرائيل في شكيم (نابلس) ومعهم أخوه (يربعام) الذي كان قد ثار على أبيه وفشلت ثورته فهرب إلى مصر وعاد إلى فلسطين بعد وفاة سليمان . . . ورفض شيوخ الأسباط في الشمال أن يبايعوه وبإيعه الأسباط العشرة يربعام ملكا، وأراد رحبعام أن يحارب أخاه ولكن النبي شمعيان نصحه بالعدول عن الحرب (شلي، اليهودية، ص 81)، وهو خلاصة لما ذكره الاصحاح الثاني عشر من سفر الملوك الأول).

وهكذا انقسمت المملكة إلى مملكتين جنوبيه اسمها يهوذا وعاصمتها أورشليم (القدس) وشمالية اسمها إسرائيل وعاصمتها شكيم (نابلس).

وقد شهدت السنة الخامسة من حكم رحبعام غزو فرعون مصر (ششلق) الذي اكتسح مملكتي يهوذا وإسرائيل سنة 924 ق . م واتخذ من مدينة غزة مركزا لتجمع قواته التي شكل

منها ثلاث حملات شملت معظم أرجاء فلسطين من شمالها إلى جنوبها، وقد استولى على شكيم نفسها، وقد سجل ششبق أعمال حملته في فلسطين بعد عودته إلى مصر على الحائط الجنوبي الغربي لمعبد أمون من الكرنك كما حدد الأماكن التي قام بغزوها (اليهود في العالم القديم، ص 106).

ويتحدث سفر الملوك الأول والثاني وسفر الأيام بإفاضة عن المعارك التي تكاد تكون متصلة بين دولتي اليهود من جانب ومجاورهم من جانب آخر وكذلك عن الوقائع الغادرة بين دولة يهوذا ودولة إسرائيل وطالما استعانت إحدى هاتي الدولتين على الأخرى بدولة مجاورة، وكان وقوع دولتي اليهود بين مصر من جهة وأشور وبابل من جهة أخرى مثارا لحروب طويلة كانت فلسطين ميدانها حتى يمكن القول بأن عهد الانقسام كان عهد دماء تسيل وأرواح تزهق وانين ينبعث.

ويبدو أن حالة الصراع هذه بين الدولتين وما يحيط بهما من دول كبيرة أدت إلى سقوطهما، فقد سقطت مملكة إسرائيل بسقوط عاصمتها السامرة على يد الملك الآشوري سرجون الثاني سنة 722 ق. م واعتقل آخر ملوكها ونفاه مع عدد من رجاله إلى مملكته وأقام عليها والياً يحكم باسمه، وفي سنة 608 ق. م زحف فرعون مصر على مملكة يهوذا فاحتلها واستمر في زحفه فاحتل مملكة إسرائيل التي كانت قد سقطت بيد الآشوريين. ثم جاء بختنصر ملك بابل الذي آل إليه السلطان على اشور من سنة 562-605 ق. م وزحف على فلسطين فهزم فرعون مصر واستعاد مملكة إسرائيل ثم احتل مملكة يهوذا وقتل آخر ملوكها ونهب اورشليم ودمر وسبى أكثر السكان إلى بابل وانتهى بذلك ملك اليهود بفلسطين ودخل اليهود مرحلة جديدة من تاريخهم وهي (مرحلة السبي البابلي والشتات).

والأمر الذي أريد أن أوضحه لك أخي الدارس، أختي الدارسة، في هذا الموضوع هو أن بابل لم تكن الموئل الوحيد للعبرانيين الخارجين من فلسطين فقد عمل سرجون الثاني على إخراج 27.290 سكان السامرة إلى مناطق بعيدة مثل حران وضاف الخابور . . . وفي أعقاب هزيمة المملكة الشمالية «السامرة» ونفي بعض القبائل اليهودية إلى أشور قام سرجون بنقل بعض القبائل العربية التي كان قد هزمها سرجون إلى شمال فلسطين، بالإضافة إلى ذلك أتى ملك أشور بعناصر شتى من بابل وكوت وحماة واسكنهم مدن السامرة» (كمال وراشد، اليهود في العهد القدي، ص 153).

الا أن المنفيين إلى بابل على يد نبوخذ نصر كان لهم وضع خاص يختلف عن المنفيين كافة أو الخارجين إلى المناطق المختلفة .

فقد سمح لهم بإقامة تجمع خاص بهم يمارسون فيه أشكال طقوسهم وحياتهم كافة ، بل سمح لهم بعد فترة أن ينصبوا عليهم أميرا منهم ولم يعاملوا معاملة العبيد . . . ثم تحسنت أحوالهم المالية في بابل نتيجة انشغالهم بالتجارة هناك بعد أن كانوا يعملون بالزراعة في فلسطين (كمال وراشد، اليهود في العالم القديم، ص169) .

وقد أشار سفر عزرا إلى أن يهود بابل أرسلوا مساعدات مالية من أجل معبد اورشليم وللمساعدة بقايا اليهود في فلسطين (عزرا، 2:69-68) .

كما استطاع اليهود في المنفى تكوين مجتمع خاص بهم والحفاظ على شعائرتهم الدينية، ومن هنا ظهرت حركة روحية عميقة تجددت على اثرها فكرة المسيح المخلص وهي فكرة كانت قائمة بالفعل . وخلال مدة السبي وفي ظل هذا الوضع المريح إلى حد ما ظل اليهود يعيشون التحنان إلى المجد الذي اكتسبوه خلال الفترة القصيرة التي أقاموا فيها مملكتهم وبخاصة أن المنفيين إلى بابل هم من مملكة يهوذا فكان التغني بأورشليم والحنين إليها جزءاً أساسياً من أدبياتهم . وقد نجح اليهود في ربط هذا الحنين بالدين فقد حول الكهنة اهتمامهم إلى دراسة الشريعة دراسة منظمة وانشأوا في بابل مدرسة دينية يهودية عرفت باسم بيت المدارس وبيت الكنيست . وقد كان هناك اتجاهات دينيان واضحان بين اليهود في السبي وأثناء الإعداد للعودة : اتجاه له طابع دنيوي والآخر له طابع كهنتوتي ، فالاتجاه الأول قريب من قبول الأمر الواقع في المنفى والثاني أكثر تعلقاً بالقوموية وقد تفاعلت اليهودية بين الاتجاهين (كمال وراشد، اليهود في العالم القديم، ص171) .

وبنى اليهود وبخاصة الحركة الصهيونية الحديثة على هذا السبي أمجاداً وخلدوا هذا التشريد وبنوا عليه أمل العودة وابتدعوا منه فكرة أرض الميعاد وتخيل شعراء اليهود حنين العودة وصاغوا منه شعراً ومن ذلك لثن نسيك يا اورشليم فلتنسى يميني حذقها «أي مهارتها وقدرتها على العمل» .

وليلتصق لساني بسقف حلقي إن لم أذكرك يا اورشليم وإن لم تكوني لدي خيراً من أفراحي (شليبي، اليهودية، ص97) .

وعلى الرغم من قصر مدة هذا النفي إلى بابل ، وهي مدة لم تكمل خمسين سنة بدأت سنة 586 وانتهت سنة 538 ق . م ، إلا أن اليهود جعلوا منها تأكيداً على عنصريتهم ونظرتهم

المعادية للإنسانية كلها، «وقد تفجرت هذه العنصرية عن الحقد والكرهية للعالم وانبثقت جذور الصهيونية بمعنى التطلع السياسي والديني إلى العودة إلى ما سموها بأرض الميعاد» (عبود، اليهود واليهودية والإسلام، عبود، ص66).

وفي عهد قورش الفارسي الذي استولى على بابل سنة 539 ق.م إنتهى السبي البابلي لليهود، فقد أصدر أوامره بعودة اليهود إلى فلسطين مع السماح لهم بإعادة بناء الهيكل كما أمر بإعادة الآنية المقدسة التي سلبها بختنصر ووضعها في بيت آلهته، كما يدعي سفر عزرا (7-8:1).

ويبدو أن هذا السبي قد أثر حتى على المجتمع اليهودي وتطوره السياسي، وبدأ الشكل الجديد للمجتمع اليهودي بعد العودة من السبي البابلي يختلف عن ذي قبل، فمنذ هذا الوقت أصبح الحكم ثيوقراطياً دينياً تحت سيطرة الكهنوت، وظهر منصب الكاهن الأعظم واستمر منصبه وراثياً يرأس مجلس الستهدرين كجهاز تنفيذي.

والأمر الذي لا بد أن أوضحه لك أخي الدارس، أختي الدارسة، أن اليهود بعد عودتهم من السبي البابلي وبغض النظر عن عدد العائدين والتناقض الواضح بين أسفار العهد القديم في عددهم إلا أنهم لم يتمكنوا من إقامة دولة لهم في فلسطين، فلم تكن لهم سيادة ولم يكونوا أكثر من جالية في فلسطين يخضعون كما يخضع كل السكان إلى الحكم الفارسي ويدفعون له الجزية، ثم وقعوا تحت حكم اليونان حيث خضعت فلسطين ومصر للحكم اليوناني فترة من الزمن، ثم جاء العصر الروماني حيث بسط الرومان سيطرتهم على فلسطين وأصبحت تحت سيطرة الحاكم الروماني لسوريا، وخلال هذا العصر كان التركيز على السامرة لا على يهوذا، فقد تمتعت السامرة بقدر من الحرية السياسية وبخاصة في عهد الإمبراطور الروماني جافينوس (57-55 ق.م) فقد أصدر أوامره بإعادة بناء كل المدن التي دمرت من قبل ومن بينها مدينة السامرة وكان قد قسم فلسطين إلى أقاليم تحكم ذاتياً وكان من أهدافه في هذا التقسيم تسهيل جمع الضرائب وتفيتت الكيان اليهودي، والجديد على اليهود في العصر الروماني أن الإمبراطور الروماني أغسطس قد عين هيرودس ملكاً تابعاً له على ما بقي من اليهود في فلسطين وحكم من سنة 37 - سنة 4 ق.م، «وهكذا جلس على العرش ملك وصفه الشعب استهجاناً بأنه ملك نصف يهودي لافتقاره إلى الجذور الدينية القومية . . . وكان هيرودس الذي كان ينتمي إلى أصل أدومي قد اعتنق الديانة اليهودية إلا أن اليهود عدّوه أجنبياً وهيرودس هذا هو الذي اقتحم القدس سنة 37 ق.م بعد أن أحكم

عليها الحصار وقصفها بالمنجنقات حتى تحطمت أسوارها، واتخذ من السامرة عاصمة له وأطلق عليها اسم سبسطية تكريما للإمبراطور أغسطس سبستيان. ولكي يكسب تأييد ما بقي من اليهود في فلسطين مع علمه بكراهيتهم له، أعاد تخطيط مدينة القدس ودعم أسوارها وجمع اليهود في السنة الثانية عشرة لحكمه واخبرهم عن عزمه بإعادة بناء الهيكل» (كمال وراشد، اليهود في العالم القديم، ص232).

وفي هذا العهد وبالتحديد في النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد عاش اليهود في ظل الدولة الرومانية فترة هادئة استطاعت فيها الجماعات الدينية اليهودية ان تتحرر وتمارس دورها في الاشراف على المجتمع اليهودي، وهذه الطوائف التي كانت تسيطر على الجماعات الدينية قسرا وقهرا كانت تمارس تسلطها وطغيانا في ظل سيادة الدولة الرومانية، فقد كانت هناك طوائف دينية وسياسية ولكل منها في أمور الدين كهانة وأسلوب خاص يعيش به على أوهام التاريخ المدعى ويكون به مذهبا في انتظار مسيح مخلص موعود، وكان الفريسيون أشهر هذه الجماعات وأكثرها تعصبا وادعاء بالتميز وظلوا على هذا السلوك حتى أصبحوا فيما بعد حين جاء السيد المسيح عليه السلام هدفا لهم يندد بما هم عليه وينكر عليهم شعبيتهم القائمة على الزيف والنفاق (طعيمة، التاريخ اليهودي العام، ج1 ص265).

وفي ظل مرحلة الانفتاح هذه مع الدولة الرومانية انبثقت المسيحية اليهودية وظهر السيد المسيح عليه السلام من قلب المجتمع اليهودي من خلال الفرق الكثيرة التي انحرف بعضها انحرافا كبيرا استدعى حركات إصلاح وصيحات نذير، فكانت رسالة المسيح عليه السلام تمثل هذه الصيحة لتصحيح المسار في المجتمع الإسرائيلي نفسه.

ولم تدم أجواء الارتياح لليهود في ظل الدولة الرومانية فقد قاموا بثورتهم على الامبراطورية الرومانية سنة 66م وظلت إلى 70م حيث تمكن تيطس (Titus) ابن الامبراطور فسبازيان من إخماد ثورتهم واقتحام مدينة القدس وتدمير هيكلها، والقضاء على الكيان اليهودي الذاتي في فلسطين.

والملاحظ في هذه المرحلة التاريخية أن اليهود قد قاموا دعوة المسيح عليه السلام مقاومة شديدة ووجدوا فيها خطرا على الامتيازات التي أعطيت لهم من قبل الرومان وتسلطوا بواسطتها على المجتمع اليهودي ولذلك فقد استعان اليهود بالدولة الرومانية واستغلوا سلطاتها وجبروتها في سبيل مقاومة دعوة المسيح.

وكان أباطرة الرومان يضطهدون أتباع المسيح عليه السلام ويطاردونهم بإيعاز

وتأليب من اليهود، وتذكر أسفار العهد الجديد أن هيرودس أمر بقتل صبيان بيت لحم جميعاً حتى لا يظهر المسيح (متى 2، لوقا/1:5) وأن انتيباس الملقب بهيرودس رئيس الربع حبس يوحنا المعمدان، وان هيرودس الملك قتل يوحنا بن زبدي وسجن بطرس (موسوعة الكتاب المقدس، ص 231).



نشاط (1)

أخي الدارس، أختي الدارسة، لمزيد من الاطلاع والتعرف على تاريخ اليهود الموقت في فلسطين عد إلى كتاب: التاريخ اليهودي العام، للدكتور صابر طعيمة، طبعة (2) دار الجليل، بيروت 1983م، لتقرأ ما كتبه المؤلف تحت عنوان أبناء ابراهيم في فلسطين 1:20-15 وكذلك الباب الرابع من ص 158-187. لخص ما تقرأه وتباحث به مع زملائك ومشرفك الأكاديمي.

والآن أجب عن الأسئلة التالية :-



أسئلة التقويم الذاتي (1)

1. حدد المعنى اللغوي لليهودية .
2. هل يوجد فرق بين اليهودية والصهيونية؟ . ناقش ذلك .
3. لخص مراحل نشأة اليهودية وتاريخها .
4. يعتقد اليهود أن المسجد الأقصى قد أقيم مكان الهيكل . فند ذلك .
5. وضح أسباب مقاومة اليهود دعوة المسيح عليه السلام .

3. الكتب المقدسة في الديانة اليهودية

أخي الدارس ، أختي الدارسة :

الكتب المقدسة عند اليهود هي منابع ومصادر فكرهم وهي الأساس الذي بنوا عليه فكرة كيانهم وتجمعهم ومسيرة تاريخهم .

وهي في الأصل كتاب واحد هو التوراة وهي الأسفار التي نزلت على موسى عليه السلام ، إلا أن اليهود ضخموا هذه التوراة وأضافوا إليها أكثر من حجمها ، وسجلوا فيها تاريخ ملوكهم وأنبيائهم وأخبار أيامهم ، وأناشيدهم ومراثيهم وأمثالهم وغير ذلك ، والكتاب الذي ضم التوراة وكل هذه الكتب التي اضيفت اليه يسمى العهد القديم .

ثم رأى اليهود أن التوراة وما أضيف إليها من كتب لا تكفي ولا تغطي تصوراتهم ولا تشبع غريزة التفوق والاستعلاء على الشعوب التي ارتأوا فقرروا أن يضيفوا كتاباً مقدساً آخر غير العهد القديم هو التلمود الذي ركز على نظرية التفوق العرقي اليهودي ، والديانة القومية ووضع مجموعة من القوانين لبعض الأعمال اليومية التي يقوم عليها المجتمع اليهودي وبين النظرة إلى الجويمم الأغيار .

وسأقدم لك أخي الدارس ، أختي الدارسة ، إيجازاً عن هذين الكتابين الرئيسيين لليهود : العهد القديم والتلمود .

1.3 العهد القديم

هذه التسمية جاءت متأخرة لا يعرفها اليهود بل النصارى هم الذين أطلقوها على الجزء الأول من الكتاب المقدس حيث أطلقوا على أسفار التوراة وملحقاتها من كتب اليهود اسم العهد القديم بينما أطلقوا على الأناجيل الأربعة وملحقاتها من الرسائل الدينية اسم العهد الجديد .

وهذا العهد القديم لا توجد منه نسخة أصلية ترجع إلى المصادر الأولى التي أخذ منها فلا شيء من عهد موسى عليه السلام ولا شيء من عهد الأنبياء الآخرين من أنبياء بني إسرائيل ، وقد جمع في عصور متأخرة وجمع على أشكال مختلفة ، وبين أيدي الباحثين الآن ثلاث نسخ رئيسية تختلف الواحدة عن الأخرى :

النسخة الأولى : تسمى (السبتاجنت) وهي ترجمة يونانية نقلت من اللغة العبرية في القرن الثالث قبل الميلاد ، وهي تتضمن الشرع اليهودي بصفة خاصة دون تاريخ اليهود

وكانت هذه النسخة تقرأ في الكنائس القديمة في العصور النصرانية الأولى .

النسخة الثانية: هي (الماسورة) جمعت في القرن الأول الميلادي وتتضمن نص العهد القديم بأكمله باللغة العبرية وتختلف عن النسخة الأولى تمام الاختلاف في ترتيبها وفي نصوصها وهذه النسخة هي المعترف بها عند اليهود وعند البروتستانت .

النسخة الثالثة (الفولكات) وقد جمع هذه النسخة سان جيروم باللغة اللاتينية وهي تختلف عن الثانية وتقارب النسخة الأولى، وتأخذ بها الكنائس المسيحية من غير البروتستانت الذين عدوها منحولة وجعلوها ذبلاً للنسخة الثانية (الماسورة) وسموها بالعهد المنحول . (الزحيلي والعش، تاريخ الاديان، ص114) .

والعهد القديم مقدس لدى اليهود ولدى المسيحيين ولكن اسفاره غير متفق عليها فالفرق اليهودية نفسها غير متفقة على العهد القديم وبعضها تضيف اسفاراً وبعضها لا تعترف ببعض الاسفار . وكذلك الكنائس المسيحية فبينما تعترف الكنيسة البروتستانتية بتسعة وثلاثين سفراً نجد أن الكنيسة الكاثوليكية تزيد عليها سبعة أسفار ليصبح العهد القديم عندهم مؤلفاً من ستة وأربعين سفراً، علماً بأن طائفة السامريين لا تعترف إلا بأسفار موسى الخمسة .

والعهد القديم ينقسم إلى ثلاثة أقسام هي: (التوراة وأسفار الأنبياء والكتابات) وللمسيحيين الكاثوليك تقسيم آخر لأسفار العهد القديم فهم يرون أن الأسفار الستة والأربعين تندرج تحت خمسة أقسام هي:

1. أسفار موسى الخمسة التي تتضمن شريعته .
2. أسفار تاريخية وعددها ستة عشر سفراً وهي: يشوع والقضاة وراعوث والملوك الأول والثاني والثالث والرابع وأخبار الأيام الأول والثاني، وعزرا، ونحميا، وطوبيا، وأستير، ويهوديت والمكابيون الأول والثاني .
3. أسفار شعرية وعددها ستة وهي: أيوب، والمزامير، وأسفار سليمان الثلاثة (الأمثال، الجامعة، نشيد الأنشاد) ومراثي أرميا .
4. أسفار نبوية وعددها سبعة عشر سفراً وهي: -
أشعيا، أرميا، باروخ، حزقيال، دانيال، هوشع، يوئيل، عاموس، عويديا، يونان، ميخا، ناحوم، صبقوق، صفيانيا، حجي، زكريا، وملاخي .
5. أسفار تعليمية وعددها إثنتان هما: سفر الحكمة ويسوع بن سيراخ (شودة، تاريخ الأقباط، ص91-92) .

وهناك سفران لا يبدو لهما صلة ببني إسرائيل وهما: سفر أيوب وسفر يونان، فأيوب من بني عيسو وليس من أبناء إسرائيل كما يظهر من نصوصه، ويونان تفيد عبارته أنه نبي مرسل إلى نينوى لا إلى بني إسرائيل، ولعله يونس (ذا النون) عليه السلام الذي ورد ذكره في القرآن الكريم.

1.1.3 التوراة (الأسفار الخمسة)

التوراة كلمة عبرية معناها الشريعة أو الناموس ومأخوذة من كلمة تورة العبرية التي تعني الهدى أو الإرشاد (سوسة، العرب واليهود في التاريخ، ص 148).

والتوراة في الأصل هي الكتاب الالهي المنزل على موسى عليه السلام وقد ورد ذكرها في القرآن على ذلك وقد أشار القرآن الكريم إلى ما تضمنته من هدي وإرشاد: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ﴾ (المائدة: 44)، وتحوي الصحف والألواح المنزلة على موسى - عليه السلام - الواردة في قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا﴾ (الأعراف: 145) كما أشارت الأحاديث النبوية إلى قدسية خاصة لهذه التوراة، ومن ذلك ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث احتجاج آدم وموسى عليهما السلام «أنت موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك بيده، وفي رواية» كتب لك التوراة بيده (صحيح مسلم حديث رقم 4793)، وكتب التوراة بيده» وكما ورد في الحديث الصحيح «إن الله كتب التوراة قبل أن يخلق آدم بأربعين سنة» (مسلم/ القدر/ 2043).

هذه التوراة المقدسة التي حملها موسى إلى قومه مكتوبة على الألواح كما بين القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْفَضْبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ (الأعراف: 154).

هذه التوراة لا يدعي باحث في تاريخ الأديان أنها موجودة، بل إن اليهود أنفسهم لا يدعون ذلك فالتوراة الحالية بأسفارها الخمسة هي قطعاً غير التوراة الأصلية توراة موسى عليه السلام التي يعترف اليهود أنفسهم أنها ضاعت وأن الله تعالى قد ألهمها إلهاماً لعزرا الوراق الذي أعاد كتابتها من جديد، ونال بسبب ذلك قدسية عند اليهود وله سفر في العهد القديم يحمل اسمه.

ويذكر هذا السفر أن عزرا كان في زمن (أرتخشستا) ملك فارس وأنه كاتب ماهر في شريعة موسى التي أعطاها الرب إله إسرائيل كما يسرد هذا السفر قصة خروجه من بابل ومعه اليهود الذين كانوا في السبي . . . وقد وافق له الملك بالسفر إلى القدس من بابل

ليعيد اليهود من السبي ويسمح لهم بممارسة شعائرتهم (عزرا/ 10:12، 3-15:9).

كما ذكر قاموس الكتاب المقدس هذه المرتبة الدينية المرموقة التي احتلها عزرا وكيف حاز على ثقة الشعب حتى قبلوا أن يكتب لهم الشريعة ويجمع لهم الأسفار المقدسة وينظمها، وهذا ما جعل اليهود المتأخرين عنه يعدونه زعيما لهم بعد موسى الذي أخرجهم من مصر، ويعدونه أيضا مؤسس نظم اليهود المتأخرة ولقبوه بالكاهن وبالكتاب لأنه كان دارسا مجتهدا ومفسرا عميقا لوصايا الله وعهده لبني إسرائيل. (عبدالمك ورفاقه، قاموس الكتاب المقدس، ص 621:2).

ولعل عزرا هذا هو عزير الذي أشار له القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عَزِيرٌ ابْنُ اللَّهِ ﴾ (التوبة: 30) وقد أشار إلى ذلك أكثر من واحد من علماء المسلمين ومنهم ابن حزم رحمه الله الذي قال «إن عزرا الوراق كتب التوراة بعد رجوع اليهود إلى بيت المقدس، وهذا مما يتفق عليه علماءهم وتجمع عليه كتبهم دون خلاف» (ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، 1:87).

وإليك أخي الدارس، أختي الدارسة، موجزاً عن أسفار التوراة الخمسة وهي:-

1. سفر التكوين أو سفر الخلق: ويتضمن خلق الكون وخلق الإنسان (آدم وحواء) وقصة نوح والطوفان وحياة ابراهيم الخليل وأبنائه وتاريخ يعقوب والأسباط وقصة يوسف عليه السلام ومجيء أخوته إليه في مصر.
2. سفر الخروج: ويحتوي على نشأة موسى في مصر وتاريخ بني إسرائيل فيها مع الفراعنة ثم خروجهم من مصر وإنزال الوصايا العشر على موسى وذكر طائفة من التشريعات.
3. سفر اللاويين (الأخبار): ويحوي كثيراً من التشريعات والوصايا والأحكام والتشريعات.
4. سفر العدد: وسمي بذلك لأنه مليء بالعدد والإحصاء والتقسيم لبني إسرائيل ويحوي تاريخ بني إسرائيل في مرحلة التيه في سيناء حتى وصولهم إلى أرض مؤاب وتقسيم أسباط بني إسرائيل وترتيب منازلهم حسب أسباطهم.
5. سفر التثنية (تثنية الاشتراع): ومعناه الإعادة والتكرار لتثبيت التشريعات والتعاليم وفيه عرض جديد للوصايا العشر وإعادة لكثير من التشريعات في مجال الأطعمة والقضاء وكلام عن الكهنة والنبوة وخطب موسى عليه السلام في أثناء التيه، واختيار يوشع بن نون خلفا لموسى - عليه السلام - وخبر وفاة موسى ودفنه في جبال مؤاب.

2.1.3 أسفار الأنبياء

وتشمل عشرين سفراً ستة منها للأنبياء والأولين وهي: يشوع، والقضاة، وسموئيل الأول، وسموئيل الثاني، والملوك الأول، والملوك الثاني. وأربعة عشر للأنبياء الآخرين وهي: أشعيا وأرميا وحزقيال وهوشع ويوثيل وعموس وعوبديا ويونان وميخا وناحوم وحبقوق وحجي وزكريا وملاخي. وتتضمن هذه الأسفار بصفة عامة التنديد بسلوك بني إسرائيل المنحرف عن أصول شريعتهم وبالمعبودات الوثنية التي دخلت في بيئتهم من الأمم التي جاوروها وإنذارهم بضياع ملكهم وسقوط دولتهم والتنويه ببشارة مجيء المسيح عليه السلام (حنبكة، العقيدة الإسلامية، ص562).

3.1.3 المكتوبات

وهي ثلاثة عشر سفراً، تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

- أ. الكتب العظيمة وهي: مزامير داود، أمثال سليمان، تاريخ أيوب.
 - ب. المجلات الخمس وهي: نشيد الانشاد، وراعوث، ومراثي أرميا، والجامعة، وأستير (وهو قصة امرأة يهودية اسمها أستير).
 - ج. الكتب: وهي خمسة أسفار.
- أخبار الأيام الأول، والثاني، ونحميا، وعزرا، ودانيل.
- وقد سبق أن ذكرنا الأسفار السبعة التي تضيفها الكنيسة الكاثوليكية في طبعاتها للكتاب المقدس وهي: طوبيا، ويهوديت، والحكمة، ويسوع بن سيراخ، وياروخ، والمكابيون الأول، والثاني.
- وقد اعترفت الكنيسة الكاثوليكية سنة 1546م بأن هذه الأسفار لم يكن معترفاً بها، وقد وضعت بعد الزمن الذي اتفق على أنه عصر العهد القديم (شلي، اليهودية، ص245).
- والآن أخي الدارس، أختي الدارسة، أجب عن السؤال التالي :-



تدريب (2)

لقد احتل عزرا مكانة مرموقة عند اليهود فمن هو عزرا؟ وما سرّ هذه المكانة؟

2.3 التلمود

أخي الدارس، أختي الدارسة، التلمود كلمة عبرية تعني التعليم، فهو كتاب تعليم ديانة اليهود، وضعه حاخامات اليهود وتناقلوه بروايات شفوية جيلا عن جيل إلى أن جمعت في كتاب وأضيفت إليها شروح وزيادات، ويزعم اليهود أن الله قد بلغ موسى شريعة مكتوبة وبلغ اللاويين رسالة مكتومة (واللاويون هم المنحدرون من سبط لاوي بن يعقوب وهم القيمون على الكهنوت وتنفيذ قوانين العبادة).

وقدرأى اليهود أن التوراة رغم ما أضيف لها من أضعاف حجمها لم تكف للتعبير عن نفسيتهم واستعلاهم على البشر وأحقادهم.

لقد كتب التلمود في الأصل لذم المسيح وأمه وتلامذته والتهجم على المسيحية وافسادها بكلام بذيء لم نقله التوراة وهذا هو الذي جعل الامبراطور جوستينيان 553م يعمد إلى تحريم نشره وتوزيعه في أنحاء الدولة الرومانية (الفتاح، فضح التلمود، ص42).

وقد ورد ذكر التوراة في الانجيل والقرآن الكريم أما التلمود فلم يرد ذكره فيهما قط ولا ندرى أكان هذا الإهمال تقريبا من شأن التلمود، أم أن التلمود لم يكن قد تكامل بشكله الحالي عند نزول القرآن والانجيل (سفرط، جذور الفكر اليهودي، ص89).

ويتألف التلمود من المشنا والجمارا، والمشنا هو المتن الأصل وكلمة المشنا تعني الشريعة المكررة لأنها تكرر وتؤكد لما ورد في شريعة موسى عليه السلام.

وكان الحاخام يوضاس أول من دون المشنا في كتاب حيث خاف عليها من الضياع. وفي السنين التالية أدخل حاخامات فلسطين وبابل كثيرا من الزيادات على ما دونه «يوضاس» وأتم الرببي يهوذا سنة 216م تدوين هذه الزيادات والروايات الشفوية وأصبحت كلمة مشنا تضم كل ما كتب من عهد يوضاس إلى عهد الرببي يهوذا.

ثم أخذ أحبار اليهود يضعون الحواشي والشروحات على هذه المشنا، فتكون من هذه الحواشي والشروحات كتاب جديد اسمه الجمارا ومعناه الإتمام والاكمال.

وتحتوي الجمارا بالاضافة إلى شروحها المشنا خلاصة الأبحاث والدراسات والمجادلات التي تم تداولها في المعابد وتشتمل على أمثال وحكم واخبار ومعلومات تتعلق بالأمور العامة والصناعة الطبية والفلكية والحرفية والزراعة، وتحدث عن حياة اليهود بتفصيلات دقيقة.

ونتيجة لهذه الزيادات والشروحات صار هنالك تلمودان البابلي والأورشليمي، فالأول تظهر عليه سمة حاخامات بابل والثاني حاخامات القدس .

وأول طبعة للتلمود ظهرت في البندقية سنة 1520م تليها طبعة أخرى سنة 1550م ثم طبع مرة ثالثة في بازل بسويسرا سنة 1581م وحذفت من هذه الطبعة كثير من الفقرات والصفحات التي تفضح نوايا اليهود بعد ما تعرضوا له من اضطهاد بسبب عبارات الذم التي حوّاها التلمود ضد المسيح والمسيحية وتهجموا على الكنيسة ورجالها. إلا أن اليهود احتفظوا لانفسهم سرّاً بما هو محذوف وكانوا يضيفونه إلى نسخهم الخاصة التي يقتنونها . (سقراط، جذور الفكر اليهودي، ص94)، (التل، خطر اليهودية العالمية، ص70) واليهود يعدون تلمودهم مقدساً أكثر من التوراة ويعطونه من الأهمية أكثر منها، وفي التلمود ذاته من الأقوال ما يدل على ذلك (اعلم أن أقوال الحاخاميين أفضل من أقوال الانبياء)، «إن من يقرأ التوراة دون المشنا والجمارا فليس له إله» «ان تعاليم الحاخاميين لا يمكن نقضها ولا تغييرها حتى بأمر الله» «ان الله يستشير الحاخاميين على الأرض عندما توجد مسألة عويصة لا يمكن حلها في السماء» «يجب الالتفات إلى أقوال الحاخاميين أكثر من الالتفات إلى شريعة موسى» (التل، خطر اليهودية العالمية، ص71).

وفي التلمود ستة أجزاء رئيسة يطلق عليهم بالعبرية شيشاسيداريم أي الأنظمة الستة وأسمائها بالعبرية :

1. زيرائيم: خاص بالزراعة والبذور، يبحث في شؤون الحبوب والفواكه والأعشاب والأشجار كما يحدد كيفية الاستعمالات العامة والمنزلية للفواكه والحبوب المختلفة، وضم هذا الجزء أحد عشر كتاباً.
2. مواید: خاص بالأعياد يبحث في تحديد الأوقات التي يجب أن تبدأ وتنتهي عندها أعياد السبت، كما يبحث في غيرها من الأعياد الشهيرة. وضم هذا الجزء اثني عشر كتاباً.
3. ناشيم: خاص بالنساء، يبحث شؤون الزواج والزوجات المطلقات مع واجباتهن وصلاتهن، وضم هذا الجزء سبعة كتب.
4. نيزيكين: خاص بالأضرار والتعويض عنها، يبحث شؤون الأضرار التي تلحق بالرجال والحيوانات ويحدد أنواع العقوبات والتعويضات عنها، وضم هذا الجزء عشرة كتب.

5. كوداشيم: خاص بالقداسة، يبحث في تقديم القرابين الإلهية، وفي شؤون سائر الطقوس الدينية، وضم هذا الجزء أحد عشر كتاباً.
6. تهوروث: خاص بالطهارات، يبحث شؤون نجاسة الأواني وثياب النوم وغيرها من الحاجيات ويعين طرق تطهيرها بالرمال، وضم هذا الجزء اثني عشر كتاباً. (الفتاح، فضح التلمود، ص 27).
- ومن مجموع هذه الأجزاء وكتبها الثلاثة والستين تكون التلمود في خمسمائة وأربعة وعشرين فصلاً.



تدريب (3)

ما معنى كل من: تورا، تلمود، وما هي الأسفار الخمسة ومم يتألف التلمود؟

التلمود تعبير دقيق للعقلية اليهودية

إذا تصفحت أخي الدارس، أختي الدارسة، كتاب التلمود، فستجده انعكاساً دقيقاً للعقلية اليهودية التي تتميز بالأناية والانحلال الخلفي والحقد والاستعلاء على الآخرين والإساءة حتى لله رب العالمين.

والحديث في هذا الموضوع طويل ولا بد من اختصاره لنقدم بين يدي الدارس الكريم نماذج لهذه التصورات الفاسدة والنفسية المريضة التي يعاني منها اليهود تاريخياً وحولها إلى نصوص يقصدونها.

إن تصور التلمود لله عز وجل تصور غريب عجيب فالنهار فيه قسم إلى اثني عشر ساعة فالساعات الثلاث الأولى يجلس الله ويدرس الشريعة، وفي الثلاث الثانية يحاكم الشعوب وفي الأخيرة يلعب مع الحوت ملك الأسماك، وفي الليل لا عمل له غير تعلمه التلمود مع الملائكة ومع ملك الشياطين (التل، جذور البلاء، ص 74).

ويروي التلمود أن الله ندم لما أنزله باليهود وبالهيكل فيقول عن نفسه «تبا لي أني صرحت بخراب بيتي وإحراق الهيكل ونهب أولادي».

ولم يكتف إله التلمود بالندم بل أنه يلطم ويبيكي . . . ويعترف بخطئه معترداً للقمر لأنه خلقه أصغر من الشمس. هذه السخافات التلمودية يعدها اليهود ديناً وكلاماً مقدساً. أما أرواح اليهود فتمتيز عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله، كما أن الابن جزء من

- أبيه، ويقول التلمود بالتناسخ وهو فكر تسرب لبابل من الهند وأخذة حاخامات اليهود من المجتمع البابلي (شلي، اليهودية، ص 267).
- وأرواح غير اليهود لا وزن ولا حرمة لها فقد جاء في التلمود: محرم على اليهودي أن ينجي أحدا من الأعميين «غير اليهود» من هلاك أو يخرجه من حفرة يقع فيها بل إذا رأى أحد الأعميين يقع في حفرة لزمه أن يسدها بحجر، وينص التلمود على أن من العدل أن يقتل اليهودي كل أعمى لأنه بذلك يقرب قربانا إلى الله، (شلي، اليهودية، ص 270 نقلا عن كتاب الكتر المرصود في قواعد التلمود للدكتور روهنج، ص 66-67). إن أرواح اليهود مصدرها روح الله، وأرواح غير اليهود مصدرها الروح النجسة، والخارج عن دين اليهود كالخنزير النجس - هكذا يدعون ويتخيلون -.
- إن علاقة اليهود مع غيرهم ممن سموهم الجوييم أو الأغيار أو الأعميين علاقة قائمة على الكراهية والحقد والاحتقار والنصوص في هذا الجانب كثيرة منها:
- بيوت غير اليهود زرائب للحيوانات.
 - خلق الناس باستثناء اليهود من نطفة حصان، وخلق الله غير اليهودي على هيئة إنسان ليكون لائقا لخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجله.
 - الفرق بين الحيوان والإنسان كالفرق بين الامم واليهود.
 - الشعب المختار يستحق الحياة وحده أما باقي الشعوب منهم كالحمير.
 - الأغيار كالكلاب والأعياد لبني اسرائيل فقط وليست للأجانب وللكلاب.
 - اليهودي معتبر عند الله أكثر من الملائكة، فإذا ضرب أعمى من الجوييم يهوديا فكأنما ضرب العزة الالهية.
 - يحق لليهودي أن يغش الكافر وأن ينافق معه عند اللزوم. كل من يقتل أجنبياً يقرب قرباناً إلى الله.
 - لا ذنب على اليهودي حين يزني بغير اليهودية، وموسى قال: لا تشتهي امرأة قريبك والمرأة غير اليهودية ليست قريبة، واليهودي لا يخطئ إذا اعتدى على عرض الأجانب لأن كل عقد نكاح عندهم فاسد، والمرأة غير اليهودية بهيمة وعقد الزواج لا يتم بين البهائم.
 - اليمين الذي يؤديه اليهودي للأجنبي لا قيمة له ولا يلزم اليهودي بشيء لأنه لا إيمان بين اليهودي والحيوان.
 - مباح لليهودي أن يحلف زورا وبهتانا وأن يضمم في نفسه غير الذي ينطق به لسانه.

هذا غيظ من فيض وقليل من كثير مما ذكره التلمود في أخلاقيات اليهود وتعاملهم مع غيرهم ونظرتهم إلى من دونهم .
والآن أخي الدارس ، أختي الدارسة ، أجب عن النشاط التالي :-



نشاط (2)

ابحث عن كتاب الكنز المرصود في قواعد التلمود لمؤلفه د. روهنج ترجمة د. يوسف نصر الله وقرأ منه مزيداً من مثل هذه النصوص التلمودية لتتعرف على طبيعة النفسية اليهودية . ناقش ما تقرأه مع زملائك ومشرّفك الأكاديمي .

والآن نتساءل أخي الدارس ، أختي الدارسة ما موقف التلمود من المسيح والمسيحية بوجه عام؟

أما موقف التلمود من المسيح والمسيحية بشكل عام فقد سبق وأن ذكرنا أن التلمود قد كتب في الأصل لدم المسيح وأمه وتلامذته والتهجم على المسيحية وإفسادها .

ولذلك فقد توسع التلمود في حديثه الهجومي البذيء على المسيح عليه السلام بشكل خاص والنصارى بشكل عام ، ومن هذه النصوص على سبيل المثال لا الحصر :

- يدعى مسيحياً من يتبع تعاليم ذاك الرجل الكاذب ، الذي يعلمهم الاحتفال بالعيد الديني عند أول يوم يلي السبت .
- أنه ولد غير شرعي حملته أمه وهي حائض .
- في التلمود المقدس الذي جمعه موسى بن ميمون يورد المسيح ، وقصة حمل أمه به من روح شريرة بعد أن هجرها زوجها فهربت من زوجها واقترفت الزنا .
- نصوص كثيرة وصفت يسوع بالمجنون والمشعوذ والشريّر والوثني والمضلل والمدفون في جهنم .
- «إن يسوع مات كبهيمة ودفن في كومة قذرة ، حيث تطرح الكلاب والحمير النافقة ، وحيث أبناء اليسوع (المسيحيون) وأبناء إسماعيل (الأتراك) بالإضافة إلى المسيح ومحمد ، وغير المختونين النجسين» (الفتاح ، فضح التلمود ، ص 55-72) .

حول طقوس المسيحية وعباداتها فان اليهود ينظرون إلى المسيحيين على أنهم وثنيون ، فيصف التلمود كنائسهم بأنها بيوت الكذب والثنية وأعيادهم الدينية أيام الشيطان

وكهنتهم بالعرافين وكنائسهم بيوت الباطل والحماقة وبيوت الوثنية، ولا يجوز لليهودي أن يكون بيته قرب كنيسة، ويصف كتبهم بأنها هرطقة والانجيل هي مجلدات الشر وكتب الشيطان.

ويوصي التلمود بتجنب المسيحيين والعمل بكل ما يمكن لإفنائهم.

- يجب تجنب المسيحيين لأنهم لا يستحقون المشاركة في العادات اليهودية ولأنهم نجسون وثنيون
- على اليهودي أن لا يحيي مسيحياً ولا يرد تحية مسيحية بالانحناء أمامه.
- لا يجوز لليهودي أن يأكل طعاماً مسيحياً.
- يجب الامتناع عن مساعدة مريض مسيحي أو امرأة مسيحية عند مخاضها.
- على اليهودي محاولة خداع المسيحيين دائماً.
- يجب قتل المسيحيين لأنهم طغاة، واليهودي الذي يقتل مسيحياً لا يقترف إثماً، بل يقدم إلى الله أضحية مقبولة.
- الأضحية الوحيدة الضرورية بعد هدم الهيكل في القدس هي إفناء المسيحيين (الفتاح، فضح التلمود، ص111-151).

3.3 بروتوكولات حكماء صهيون

أخي الدارس، أختي الدارسة:

يرى بعض الباحثين ومنهم الدكتور أحمد شلبي وعبد العفو سنقرط أن يلحق البروتوكولات الصهيونية بالكتب المقدسة عند اليهود. وهذا الإلحاق لا يعني بالضرورة أن هذه البروتوكولات تعد كتاباً دينياً من كتب اليهود وإنما جاء الإلحاق من باب أن هذه البروتوكولات تعد منبعاً من منابع الفكر اليهودي الحديث وتعبر بوضوح عن عقلية الاستعلاء وحب السيطرة على العالم وتعد تخطيطاً عملياً لتحويل النظرية التلمودية إلى واقع عملي ملموس.

هذه البروتوكولات وعددها أربعة وعشرون بروتوكولاً هي عبارة عن محاضر جلسات سرية تضمنت قرارات وتوصيات وتوجيهات عملية لليهود لتحقيق أطماعهم التي رسمها التلمود في مخيلتهم.

وقصة خروج هذه البروتوكولات ونشرها ذكرها الاستاذ محمد خليفة التونسي في كتابه (الخطر اليهودي) وهو أول ترجمة عربية كاملة لهذه البروتوكولات. حيث ذكر أنها

إفراز لأول مؤتمر صهيوني عقد في بال بسويسرا سنة 1897 برئاسة زعيم الصهيونية هيرتزل، وقد اجتمع فيه نحو ثلاثمائة من أغنى حكام صهيون كانوا يمثلون خمسين جمعية يهودية وقد قرروا في المؤتمر خطتهم السرية لاستعباد العالم كله تحت تاج ملك من نسل داود، وكانت قراراتهم فيه سرية محوطة بأشد أنواع الكتمان .

وقد استطاعت سيدة فرنسية كانت على علاقة مع أحد زعماء اليهود بعد اجتماعها به في وكر من أوكار الماسونية السرية في فرنسا، أن تختلس هذه الوثائق وتهربها إلى روسيا لتصل إلى عالم روسي يدعى سيرجي نيلوس سنة 1901، الذي درسها وقارن بينها وبين الأحداث السياسية الجارية آنذاك، وراعه عظم الأحداث التي ذكرتها وقد بدأت تحدث تباعاً ومنها سقوط روسيا القيصرية ونشر الشيوعية وحكمها لروسيا، ومنها نبوءته بسقوط الخلافة الإسلامية العثمانية على أيدي اليهود قبل تأسيس اسرائيل، وسقوط الملكيات في أوروبا، والحرب العالمية الأولى .

ودفع نيلوس لهذه الوثائق إلى المطبعة وطبع نسخا قليلة بالروسية سنة 1902 فجن جنون اليهود خوفاً وفزعاً، وقامت الثورة عليهم في أنحاء روسيا. وقد أعلن هيرتزل عند افتتاح الأمر أنه قد سرقت من قدس الأقداس بعض الوثائق السرية، وأن ذبوعها قبل الأوان يعرض اليهود في العالم لشر النكبات، وهب اليهود في كل أنحاء العالم يعلنون أن البروتوكولات ليست من عملهم وأنها مزيفة عليهم لكن العالم الذي بدأ يرى تنفيذ هذه الخطط لم يصدق اليهود، وبدأ اليهود فعلاً مع انتشار هذه البروتوكولات يتعرضون لمذابح واضطهادات .

وعلى الرغم من أن اليهود قد جمعوا النسخ المطبوعة لهذه البروتوكولات إلا أن نسخة منها قد وصلت إلى المتحف البريطاني وظلت مهمة حتى حدث الانقلاب الشيوعي في روسيا سنة 1917 فعثر عليها صحفي بريطاني وأخرجها وقام بطباعتها بعد ترجمتها إلى اللغة الإنجليزية وأهم ما لفت نظره فيها أنها قد طبعت سنة 1905 وتنبأت بالثورة الشيوعية قبل اثني عشر عاماً من تحققها . وظلت هذه البروتوكولات تظهر وتختفي ويكتب عنها أحياناً حسب تسارع الأحداث التي تنبأت بها ومع أن اليهود ينكرون نسبتها اليهم إلا أنهم ظلوا يقاومون نشرها أو الحديث عنها ويحملون الحكومات على مصادرة نسخها وقد ثاروا عندما نشرت بالإنجليزية وصارت الصحف تكتب عنها فاستعانوا بأنصارهم في مجلس العموم البريطاني حتى قاموا فيه بثورة عنيفة وحاولوا أن يحملوا وزير الداخلية على التدخل لمصادرتها .

ومع كل هذا فقد تمكن اليهود من تجاوز المرحلة فعلى الرغم من انتشار هذه الوثائق وطباعتها وتعليق الكثيرين عليها إلا أن اليهود مضوا في برنامجهم وسخروا بريطانيا لخدمتهم في الوصول إلى فلسطين كما هي خطتهم وأحكموا سيطرتهم على المرافق المهمة وهي المال والإعلام في أنحاء أوروبا كما أشارت هذه المخططات .

ولا أريد أن اشغلك أخي الدارس، أختي الدارسة، بهذه البروتوكولات ونصوصها ويكفي أن نقدم لك أبرز الموضوعات والقضايا التي تناولتها وأهم عناصر المؤامرة فيها. لتتعرف على خطورتها من جهة ولتأكد من أنها نتاج صهيوني صرف بغض النظر عن طريقة الانتاج هل هي قرارات لمؤتمر صهيوني أو أنها تسجيل فردي من صهيوني عرف الذهنية الصهيونية واطلع على مخططات اليهود وجهودهم للوصول إلى أحلامهم التلمودية في السيطرة على العالم وتسخير بني البشر لخدمتهم لأنهم شعب الله المختار - كما يزعمون - .

إن روح المؤامرة هي السمة المسيطرة على هذه البروتوكولات ويمكن أن نلخص أهم عناصر المؤامرة فيها بما يلي :-

1. ان لليهود خطة سرية غايتها الاستيلاء على العالم أجمع لمصلحة اليهود وحدهم .
2. تتضح هذه الخطة السرية بما أثر عن اليهود من الحقد على الأمم لا سيما المسيحيين مع الحرص على السيطرة العالمية .
3. يسعى اليهود لهدم الحكومات في كل الأقطار والاستعاضة عنها بحكومة ملكية عالمية يهودية ويهيئون كل الوسائل لهدم هذه الحكومات لا سيما الملكية .
4. إلقاء بذور الخلاف والشغب في كل الدول عن طريق الجمعيات السرية السياسية والدينية والاجتماعية والفنية والمحافل الماسونية والأندية التابعة لها .
5. طرق الحكم الحاضرة فاسدة في العالم كله ، والواجب زيادة إفسادها إلى أن يحين الوقت لقيام المملكة اليهودية على العالم لأن حكم الناس صناعة مقدسة سامية سرية لا يتقنها في رأيهم إلا نخبة موهوبة ممتازة من اليهود الذين أتقنوا التدريب التقليدي عليها وكشفت لهم أسرارها التي استنبطها حكماء صهيون من تجارب التاريخ خلال قرون طويلة ، وليست السياسة بأي حال من عمل الشعوب أو العباقرة غير المخلوقين لها بين الأيمن (الجويسم) .
6. يجب أن يساس الناس كما تساس قطعان البهائم الحقيرة وكل الأيمن حتى الزعماء

المتازون فيهم إنما هم قطع شطرنج في أيدي اليهود تسهل استمالتهم واستعبادهم بالتهديد أو المال أو النساء أو المناصب .

7. يجب أن يوضع تحت أيدي اليهود - المحتكرين للذهب - كل وسائل الطبع والنشر والصحافة والمدارس والجامعات والمسارح وشركات السينما ودورها والعلوم والقوانين والمضاربات وغيرها .

8. إن الذهب الذي يحتكره اليهود هو أقوى الأسلحة لإثارة الرأي العام وإفساد الشباب والقضاء على الضمائر والأديان والقوميات ونظام الأسرة وإشاعة الرذيلة والانحراف حتى تستنزف قوى الأُميين استنزافاً فلا تجد مفراً من القذف بأنفسها تحت أقدام اليهود .

9. وضع أسس الاقتصاد العالمي على أساس الذهب الذي يحتكره اليهود وإحداث الازمات الاقتصادية العالمية على الدوام (التونسي، الخطر اليهودي، بروتوكولات حكماء صهيون، ص 31-41) .

والآن أخي الدارس، أختي الدارسة، أجب عن التالي :-



نشاط (3)

أخي الدارس، أختي الدارسة: لمزيد من الإطلاع على البروتوكولات الأربعة والعشرين، إقرأها بتمعن من كتاب الخطر اليهودي للتونسي، أو من كتاب اليهودية لأحمد شلبي أو أي كتاب سرد هذه البروتوكولات لتقف بنفسك على خطورة وتنوع الأساليب والوسائل التي يستخدمها اليهود لتحقيق أحلامهم التلمودية في السيطرة على العالم .



أسئلة التقويم الذاتي (2)

1. لماذا أطلق على اليهود اسم اليهود واسم العبرانيين؟
2. مرت على اليهود أثناء حكمهم في فلسطين عهود ثلاثة ما هي، وما أبرز ملامح كل عهد؟
3. ما الأسفار التي تتضمنها الكتب العظيمة والمجلات الخمس؟
4. بين موقف التلمود من المسيح والمسيحية .

1.4 توطئة

أخي الدارس، أختي الدارسة، ظهرت عند اليهود في تاريخهم القديم والحديث فرق ومذاهب كثيرة مختلفة متباينة في تصورها. وترتبط نشأة المذاهب والفرق اليهودية بعاملين رئيسين هما:

أولاً: خضوع بني إسرائيل للهيمنة والاحتلال والسيطرة الأجنبية من آشورية وبابلية ومصرية وفارسية ورومانية. وما كان يصاحب هذا الاحتلال الأجنبي ورافقه من عمليات تهجير قسري واضطهاد ومعاناة وما تولد عنها من ردود فعل دينية متباينة متنوعة ومتعارضة في صورها وأشكالها فتفاوتت بين الدعوة إلى الثورة والتمرد على القوى الأجنبية ووجوب مجابقتها بالقوة وحمل السلاح كالثورة المكابية سنة 165 ق.م، وثورته اليهود ضد الرومان بين عامي 66-70م. أو الاستسلام للأقذار والارتكاس في غيبوبة كاملة عن الواقع وتحدياته بدعوى أن الاحتلال الوثني عقوبة إلهية نزلت باليهود لجنوحهم عن دين موسى عليه السلام وابتعادهم عن التوراة، وليس لهم إلا انتظار المخلص الموعود من آل داود لإنقاذهم مما يعانون، أو إتباع سياسة الخداع والتفاهم مع الأعداء طمعا في الحصول على قدر من التسامح الذي يهيء لليهود فرصة العودة إلى دراسة التوراة وتنمية مشاعر الالتزام بوصايا الرب والانكباب على دراسة التوراة والتلمود للحفاظ على هويتهم الدينية ووجودهم المعنوي كما كان الحال مع الصدوقيين الارستقراطيين.

ثانياً: تأثيرات الثقافات الأجنبية التي كانت تتزامن عادة وتتولد عن السيطرة الأجنبية المباشرة أو عن عمليات التهجير الجماعية لليهود إلى بيئات جديدة لها مكوناتها الثقافية، واضطر اليهود للدخول معها في تبادل ثقافي كما كان الحال إبان الأسر البابلي والهيمنة الوثنية أيام الحكم الروماني المباشر على فلسطين.

ويعترف اليهود أن معالم اليهودية وبنائها الفكري النظري والعملية إنما استكمل شروطه أيام الأسر البابلي في أثناء ذلك كان جمع التوراة وبداية كتابة التلمود.

وهكذا نشأت في جنبات الفكر الديني اليهودي وعلى ساحته وبخاصة في القرنين السابقين لظهور المسيح عليه السلام والقرن الأول بعد الميلاد مذاهب دينية سياسية أربعة سماها يوسيفوس المؤرخ اليهودي المعروف الذي عاش في القرن الأول الميلادي بالفلسفات

الأربع؛ تعبيراً عن غربة هذه المذاهب عن التيار الرباني الممثل لليهودية الصحيحة وتقاليدھا المتوارثة وانحدارھا عن تأثيرات فلسفية أجنبية غريبة عن اليهودية ولا تمت لها بصلة .
ومن الملاحظ ان الفرق اليهودية القديمة منها والحديثة لم تكن فرقا منسجمة تكمل بعضها ؛ بل كانت فرقا متخالفة متباغضة تطلق كل فرقة الاتهامات للفرق الأخرى .
وفي العصور الحديثة كذلك لا تبدى اليهودية في صورة بنية دينية وفكرية احادية الاطار والنظرة وإنما تشكلت أيضاً نتيجة المواجهة الحضارية بين اليهود والحضارة الغربية والثقافة المحدثة في صورة اتجاهات متعارضة لا يجمعها إلا أنها كلها يهودية .
وعلى الرغم مما يبدو اليوم من وحدة اليهود حول فكرة الدولة اليهودية، إلا أن الخلاف كان السمة الرئيسة عليهم طيلة تاريخهم، فقد لاحظنا من خلال الحديث عن تاريخهم كيف دب الخلاف بين يهوذا وإسرائيل بعد سليمان وكيف قامت الحروب بين المملكتين الشمالية والجنوبية .
والواقع أن الله تعالى قد كتب على اليهود أن يكونوا متفرقين بنص قوله تعالى عنهم: ﴿ وَقَطَعْنَاَهُمْ أَثْنَتِي عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا ﴾ (الأعراف: 160) . وقوله تعالى: ﴿ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾ (الحشر: 14) .
وهذا وصف قرآني دقيق لحالهم، فالانقسام كان السمة الرئيسة لدولتهم . وظاهر التجمع والوحدة أمام غيرهم ليس على حقيقته ولا ينخدع به أو يخاف منه إلا الضعفاء الواهمون .
نعم تحسبهم جميعا وقلوبهم شتى، قديما في مملكتهم الأولى وتاريخيا عبر فرقهم المتناحرة ومذاهبهم المتنافرة .
وحديثاً في دولة كيانهم الغاصب لفلسطين نرى العنصرية والطبقية بين من ينتمون لأصول أوروبية غربية ومن ينتمون لأصول شرقية، (السلفادريم، والاشكنازيم) بين الصقور والحمام، بين العلمانيين والمتدينين وغير ذلك .
والحركة الصهيونية هي التي غطت على خلافاتهم وتركتها تموج بينهم دون أن تظهر على وسائل الإعلام .



تدريب (4)

أخي الدارس، أختي الدارسة، لقد كان للثقافات الأجنبية التي كانت تتزامن مع تهجير اليهود والسيطرة الأجنبية عليهم أثر واضح في تعدد فرقهم ومذاهبهم . وضح ذلك .

2.4 الفرق اليهودية القديمة

أخي الدارس، أختي الدارسة، في هذا القسم من الوحدة لا نستطيع البحث في كل الفرق والمذاهب التي عرفها التاريخ اليهودي القديم، لكننا سنبحث في الفرق المشهورة التي ظلت فترة طويلة ولقيت أتباعا كثيرين ومن أشهر هذه الفرق :-

1.2.4 فرقة الفريسيين؛

وهي من أهم فرق اليهود وأكثرها عدداً. وكلمة فريسي تعني المنزل أو المنفصل واطلق عليهم هذا الاسم لأنهم عدوا أنفسهم أكثر الجماعات اليهودية التزاما بالتوراة. وكان هؤلاء أتباع مذهب ديني متشدد ربما نشأ في القرن الثاني قبل الميلاد. كان الفريسيون من المتشددين في التزام الشريعة مع أنهم ليسوا من الكهنة. كان الفريسيون أكبر طائفة يهودية أيام المسيح عليه السلام وقد تجادل معهم كثيرا فكانوا أكثر الحاقدين عليه وقادوا حملة مقاومته ومقاومة دعوته. من أبرز أتباعهم بولس الذي دخل المسيحية وكان له شأن فيها (موسوعة الكتاب المقدس، ص232).

وكانت العلاقة بينهم وبين معارضيه من الصدوقيين متوترة وباستمرار ذلك ان الصدوقيين كانوا يمثلون طبقة رجال الدين والأرستقراطية المدنية ويرفضون العادات والعقائد التي تتولد في الأوساط الشعبية وفي صفوف رجال الدين من الطبقات الوسطى ممن اتهمهم الصدوقيون بالضحالة والجهالة. كان الفريسيون ألد أعداء النصارى وقد أورد العهد الجديد خطاب المسيح عليه السلام موبخا لهم على أفعالهم «الويل لكم يا معلمي الشريعة، أيها الفريسيون المراؤون، تأكلون بيوت الأرملة وأنتم تظهرون أنكم تطيلون الصلاة الويل لكم، إنكم كالقبور المبيضة، ظاهرها جميل وباطنها ممتلىء بعظام الموتى وبكل فساد . . . أيها الحيات والأفاعي، كيف ستهربون من عقاب جهنم» (انجيل متى / 23: 33، 27، 14، 23 ومرقس / 12: 40).

لكن اليهوديرون في الفريسيون الآباء الذين حافظوا على وجود اليهود المعنوي وتراثهم الديني، ونظرا لما عرف عنهم من جرأة في الاجتهادات الشرعية فقد اتهم الصدوقيون بأنهم مبتدعون يفتون الناس بما لا نص فيه التوراة المدونة.

ويعتقد الفريسيون بحشر الأجساد والبعث الجسماني يوم القيامة.

لقد كان لفرقة الفريسيين تأثير واسع ومستمر على تطور الفكر اليهودي، ولهذا بينما انقضت فرق أخرى بعد تدمير أورشليم ومعناها سنة 70م فإن تراث الفريسيين ظل مستمرا وعدّ الربانيون أنفسهم خلفاً للفريسيين.

ويرى الفريسيون أن التوراة ليست هي كل الكتب المقدسة وإنما بجانبها توراة شفوية تناقلها الحاخامات من جيل إلى جيل، وهي التي دونت باسم التلمود، ولضمان تقديس اليهود للتلمود أعلن الفريسيون أن للحاخامات سلطة عليا وأنهم معصومون وأن أقوالهم صادرة عن الله. (شلي، اليهودية، ص219).

2.2.4 الصدوقيون

هذه التسمية إما أن تكون نسبة إلى صادوق الكاهن الأعظم في عهد سليمان، أو أنها من نوع التسمية المضادة أطلقها أعداؤهم عليهم لأنهم عرفوا بالانكار فسماهم أعداؤهم بالصدوقيين.

وهم ينكرون البعث والحياة الأخرى والجزاء الأخروي ويرون أن جزاء الإنسان يتم في الدنيا، فالعمل الصالح ينتج الخير والبركة لصاحبه والعمل السيء ينتج لصاحبه الأزمات والمتاعب. كما ينكرون وجود الملائكة والشياطين.

وينكر الصدوقيون كذلك التعاليم الشفوية (التلمود) ولا يقولون بالقضاء والقدر ويؤمنون بحرية الاختيار ويرون أن الأفعال مخلوقة للإنسان لا لله.

وينكرون كذلك المسيح المنتظر ولا يترقبونه. (شلي، اليهودية، ص222).

وقد تحدث العهد الجديد عن الصدوقيين في أكثر من موقع وخاصة في سفر الأعمال، وبين أنهم جماعة من اليهود كانوا أقل حجما من الفريسيين ولكن أكثر تأثيرا، فقد كان معظمهم من أفراد أسرة الكهنة، دعموا ولاية الرومان، والثابت أنهم لم يقبلوا تأويلات الفريسيين للشريعة وازدادت الشفوية، ولم يؤمنوا بالقيامة لأن التعليم بها غير واضح في الأسفار الخمسة للتوراة (موسوعة الكتاب المقدس، ص194).

ويقال أن عيسى عليه السلام كان على صلة طيبة بهم لأنه هاجم الفريسيين وقبل سلطان قيصر الروم على نحو ما فعل الصدوقيون، غير أن إنكارهم للبعث كان سببا في الخلاف بينهم وبين المسيح، وقد حاول عليه السلام ردهم إلى الاعتقاد السليم ولكنهم لم يستجيبوا له وقاوموا دعوته أكثر مما قاومها غيرهم (شلي، اليهودية، ص223).

ويبدو أن الصدوقيين كانوا يمثلون الطبقة الدينية الغنية المحافظة، ولذلك يعدهم الكتاب اليهود حزب المحافظين في الشعب اليهودي فكانوا يكتفون من السلطات الحاكمة بالاعتراف بيهوه (إله بني اسرائيل) وبامتيازاتهم الخاصة ويرون أن من الحكمة قبول الأمر الواقع.

وهذا جعلها على عكس الفريسيين الذين يمثلون جماهير الشعب اليهودي . ولذلك فقد انحصر الانضمام إلى الصدوقيين على النخب المالية والدينية وهيئة كبار الكهنة التي احتكرت لنفسها الحكم دينا ودينا .

والخلاصة أن الصدوقيين يلتقون على التعاليم والمعتقدات التالية :-

1. إنكارهم التام للبعث الجسماني وإنكار الملائكة والأرواح والشياطين .
2. رفض العمل بالتلمود وإنكار كل التعاليم الشفوية وإضافات الحاخامات .
3. رفض ومناهضة كل أمر لم يثبت بنص باعتباره بدعة مستحدثة .
4. الاستمتاع بالحياة الدنيا لأنه لا حياة بعدها، مما أدى إلى استغراق الكثيرين منهم في حياة الترف واللهو بل والسقوط في الإباحية الأخلاقية .
5. التصور القوي للدين فالإله في نظرهم إله قومي خاص بيني إسرائيل، فهو الذي اختارهم وهم شعبه وهو رحيم بهم حزين على ما يصيبهم، متقمم غاضب من غيرهم .
6. حرية الإنسان المطلقة في خلق أفعاله ومسؤوليته الكاملة عنها وإنكار رد القضاء والقدر لله تعالى .



تدريب (5)

ما موقف كل من الفريسيين والصدوقيين من الايمان بالبعث للأجساد يوم القيامة؟

3.2.4 الأسينيون

وهذه التسمية تعني «المعالجون الروحانيون» لما عرف عنهم من اهتمام بالطب الروماني والأعشاب الطبية . وهم طائفة صغيرة ومنغلقة إلى حد بعيد، لم يجاوز عددهم قط بضعة آلاف (ويقدر المؤرخ اليهودي يوسيونوس عددهم بأربعة آلاف) . نشأوا في القرن الثاني قبل الميلاد كحركة معارضة للتأثير اليوناني في الدين اليهودي وللملوك الفاسدين ولعدم المبالاة المتزايد بين الشعب اليهودي من جهة التقيد بالشريعة، وربما كانت جماعة قمران (كتبه دروج ومخطوطات البحر الميت) تنتمي إلى الحركة الأسينية (موسوعة الكتاب المقدس، ص 25) .

وقد زادت معرفة المؤرخين بعد اكتشاف ألواح البحر الميت في قمران سنة 1947م يبدو أنهم مثلوا ظاهرة دينية اجتماعية قريبة في نظمها وسلوكها من الرهبنة المسيحية . وتشكلت جماعتهم في هيئة مجتمع بدائي من الزهاد يقوم على الشيوعية يكرهون المال والأغنياء ولا

تجد في صفوفهم تمايزاً مرده الجاه أو الغنى وكانت تعاليم الجماعة تقتضي بأن يتنازل من يريد اللحاق بهم عن ممتلكاته الشخصية كلها للجماعة، ويعيش مع جماعة كأنها أسرة واحدة وكأنهم جميعاً أبناء لأب واحد لا صفقات بيع وشراء بينهم.

كانوا لا يحبذون الزواج وإن كانوا لا يمنعونه ولا تقيم بينهم النساء. ولا يقبل في جماعتهم إلا الذكور البالغون، وقد تعاملوا مع تجمعهم على أنه تنظيم له نظامه الداخلي الذي يبين شروط العضوية وطريقة العمل اليومي والطقوس المطلوبة وكان العضو الجديد يؤدي قسم العهد والطاعة حيث يلتزم فيه أن يكون تقياً ورعاً ذليلاً أمام الله عادلاً في معاملة الآخرين لا يظلم أحداً لا بإرادته ولا بإكراه من الآخرين، يرد الظلم ويجاهد من أجل العدالة، وأن يكون صادقاً أميناً مسالماً حتى مع الحكام، وأن يستعفف عن السرقة، وأن لا يفشي سر إخوانه أو يخفي سرا عنهم وإن عذب حتى الموت (بالطبع فان هذه الاخلاق فيما بينهم فقط لا مع الاغيار).

وكان من قواعد السلوك عندهم أيضاً الاغتسال قبل كل وجبة طعام وعقب الاتصال بالاغيار، مع حرص شديد والتزام حد التزم بأحكام الطهارة التي جاء على تعدادها سفر التثنية. وهكذا تميزت حياة الاسينيين بالزهد وحياة العزوبة مع التقلل في المأكول والمشرب، مع الصدق في القول والتجافي عن الزور والامتناع عن الحلف والقسم.

4.2.4 القراؤون؛ أو العنانيون

وقد أنشأ هذه الفرقة عنان بن داود أحد أحبار اليهود في بغداد في أواخر القرن الثامن بعد الميلاد في عهد الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور، ويقوم مذهبها على التمسك بما جاء في العهد القديم وحده وعدم الاعتراف بالتلمود وتعاليم الحاخاميين والربانيين. وقد ذكر الشهرستاني عن هذه الفرقة أنهم يخالفون سائر اليهود في السبت والأعياد، ويقتصرون على أكل الطير والظبا والسماك، ويذبحون الحيوان على القفا، ويصدقون عيسى عليه السلام في مواعظه ويقولون إنه لم يخالف التوراة البتة بل دعا إليها إلا أنهم لا يقولون بنبوته ورسالته (الشهرستاني، الملل والنحل، 2:54).

5.2.4 العيسوية

نسبوا إلى أبي عيسى اسحق بن يعقوب الاصفهاني وقيل اسمه (عوفيد الوهيم) أي عابد الله كان في زمن المنصور وابتدأ دعوته في زمن آخر ملوك بني امية وتزعم هذه الفرقة أن

مؤسس فرقتهم نبي وأنه رسول المسيح المنتظر وزعموا أن للمسيح المنتظر خمسة رسل يأتون قبله واحداً بعد واحد. ولهم كتاب يحرم كل الذبائح وينهي عن أكل كل ذي روح على الاطلاق، وفرض عشر صلوات وبين أوقاتها، وخالفوا اليهود في كثير من أحكام الشريعة المذكورة في التوراة (الشهرستاني، الملل والنحل، 2:56).

وقد ذكر الشهرستاني مجموعة فرق يبدو أنها اندثرت ومنها: المقاربة أو اليودعانية نسبة إلى يودعان رجل من همدان، والموشكانية ثم ذكر فرقة السامريين (الشهرستاني، الملل والنحل 59، 57:2).



نشاط (4)

أخي الدارس، أختي الدارسة، بإمكانك أن ترجع إلى كتاب الملل والنحل للشهرستاني لتقرأ عن هذه الفرق وأهم معتقداتها، وذلك في الجزء الثاني على هامش الفصل في الملل لابن حزم (57-59). ناقش ما تقرأه مع زملائك ومشرفك الأكاديمي.

6.2.4 السامريون

وهم فرقة صغيرة فقيرة لا يزيد عددهم عن بضع مئات منذ أن اختاروا لأنفسهم الإقامة في مدينة نابلي، واشتقوا اسمهم من السامرة، ويطلق عليهم أهل نابلس اسم السامرة. يعملون في الكهانة والسحر والقليل منهم في التجارة وهم مسالمون منذ أن أقاموا على جبل جرزيم في نابلس، وهم لا يعترفون بمعبد القدس ولا بهيكلها، ولهم توراتهم الخاصة التي تقتصر على أسفار ستة فقط هي الأسفار الخمسة وسفر يوشع مع اختلافها بين عما وردت به هذه الأسفار في العهد القديم المعترف به عند اليهود لأنهم يدعون أنها وصلت إليهم بروايات خاصة.

وقد ذكرهم الشهرستاني في كتابه وذكر أنهم أثبتوا نبوة موسى وهارون ويوشع بن نون عليهم السلام وانكروا نبوة من بعدهم رأساً إلا نبياً واحداً، وقالوا التوراة ما بشرت إلا بنبي واحد يأتي من بعد موسى ليصدق ما بين يديه من التوراة ويحكم بحكمها ولا يخالفها البتة، وظهر في السامرة رجل يقال له (الالفان) ادعى النبوة وزعم أنه هو الذي بشر به موسى وانه هو الكوكب الذي ورد في التوراة . . . وقبله السامرة جبل يقال له جرزيم (وهو جبل يطل على مدينة نابلس من الجهة الجنوبية يقيم على سفحه السامرة ويسمونه الطور إلى الآن)

وقالوا: ان الله تعالى أمر داود عليه السلام أن يبني بيت المقدس بجبل نابلس وهو الطور الذي كلم الله عليه موسى فحول داود إلى ايليا وبني البيت وخالف الامر وظلم . (الشهرستاني، الملل والنحل، 2:58).

والطائفة السامرية من الطوائف التي كانت تمثل تناقضات المجتمع اليهودي قبل ميلاد المسيح عليه السلام، والطائفة السامرية في مكوناتها البشرية تمثل خليطاً من اليهود والأشوريين نشأ عند اختلاط بعض الأشوريين مع جماعات من بني اسرائيل فتأثروا بهم ومارسوا شعائرهم .

ويعتقد اليهود أن هؤلاء السامريين هم عناصر سفر الملوك الثاني حين قال : فسبي إسرائيل من أرضه إلى آشور إلى هذا اليوم، وأتى ملك آشور بقوم من بابل وكوت . . . وأسكنهم في مدن السامرة عوضاً عن بني إسرائيل، فامتلكوا السامرة وسكنوا في مدنها . . . فأتى واحد من الكهنة الذين سبواهم من السامرة وعلمهم كيف يتقون الرب» (الملوك الثاني/ 17:28-23).

والذين يعتمدون على هذا النص من اليهود يريدون أن يستشهدوا به على أن هؤلاء السامريين لا يمتون إلى العبريين ولا إلى موسى ويعقوب بصلة - ودائرة المعارف العبرية ممن يرون هذا الرأي حيث تقول: وخلاصة القول أن كثيراً من اليهود ينفون عن السامريين الانتساب إلى إسرائيل أو الإيمان بإله إسرائيل وقد وصل ذلك إلى حد أن أحبار اليهود كانوا - اعتماداً على ما ورد في سفر الملوك الثاني - يسمونهم جيران السباع» (طعيمة، التاريخ اليهودي العام، ص 271، نقلاً عن دائرة المعارف العبرية، مجلد 10، المقال الخاص بالسامرة).

وقد ذكر الدكتور طعيمة في كتابه (التاريخ اليهودي العام، 269 إلى 270) خلاصة معتقدات السامريين فقال: وتتلخص عقيدة السامريين بالنقاط التالية:

1. الإيمان بإله واحد وان هذا الإله روحاني بحت .
2. الإيمان بأن موسى رسول الله وأنه خاتم رسله .
3. الإيمان بتوراة موسى وتقديسها وبأنها كلام الله، ولا يؤمنون بالتلمود وغيره من الروايات الشفوية .
4. الإيمان بجبل جرزيم بأنه المكان المقدس وهو القبلة الحقيقية لبني إسرائيل وهو الطور الذي كلم الله عليه موسى .
5. الإيمان بيوم البعث ويسمونه يوم الموقف العظيم .



ما هو موقف السامريين من : أسفار التوراة، والنبوة، والبعث؟.

3.4 الفرق اليهودية الحديثة

أخي الدارس، أختي الدارسة، لقد شهد اليهود المنتشرون بين الشعوب الأوروبية دخول أوروبا في عصر التنوير وخروجها على طغيان الكنيسة ورجالها وظهور الحركات الإصلاحية التي بدأت تؤثر جذريا في نظم الكنيسة وممارساتها في صكوك الحرمان والغفران وغير ذلك .

وشاهد اليهود المتعايشون مع المجتمعات الأوروبية سواء على شكل الجيتو (الأحياء اليهودية المغلقة) أو خارج الجيتو، شاهدوا عصر التنوير وإفرازاته العلمانية المادية التي أعلنت التمرد على الدين الكنسي ونظمه وسمحت للعقل ان ينطلق ويتدخل حتى في الدين بعد ان قضى الأوروبيون قرونا لا يسمحون للعقل أن يأتي بمجرد معلومة كونية لم يكن الدين قد نطق بها باعتبار أن المصدر الوحيد للمعرفة هو الدين ، أما العقل والعلم فلم يعترف بهما حتى ولا مصدرا ثانويا للمعرفة .

هذه التغيرات الجوهرية على طبيعة نظرة الأوروبيين للمسيحية أصبحت ظاهرة فرضت وجودها على تلك المجتمعات ولم يكن اليهود بمنأى عنها فقد أثرت فيهم ولو بعد حين وأفرزت اتجاهات دينية في المجتمع اليهودي نفسه، ثم إنه في عصر التنوير هذا دخل اليهود المتناثرون في أنحاء أوروبا في مرحلة جديدة وأجواء جديدة كان لا بد لهم أن يتكيفوا معها .

لقد كان من الطبيعي على اليهود أن يعكفوا على طقوسهم المعقدة ويفهموا لغتها في ظل حياة «الجيتو» سواء فرضت عليهم هذه الحياة كما يزعمون، أو أنهم اختاروها لأنفسهم اعتزالا منهم عن المجتمعات التي تكرههم وليس من السهل عليهم أن يأمنوها ويعيشوا بينها .

لكن التغيير الذي نشأ على نمط الحياة الأوروبية بعد عصر التنوير، والانفتاح الذي بدأ اليهود يمارسونه، وإجراءات تحرير اليهود من الجيتو والعنصرية التي كانت تمارس ضدهم، إذ أصبح من المتاح لهم أن يتغلغلوا في الحياة الأوروبية ويعملوا في المؤسسات الرسمية وغير الرسمية . وفي سنة 1870م لم يبق في أوروبا كلها يهودي غير محرر من تلك القيود التي كانت تمارس ضده . كل هذه المتغيرات أدت إلى حالة جديدة يسميها الدكتور المرحوم

الفاروقي مشكلة التحرير الكبرى حيث يقول: كان سهلا على اليهودي قبل التحرر أن يعيش كيهودي وأن يقيم التوراة والتلمود في حياته وفكره، أما الآن وقد تحرر وأصبح لا يهوديا فحسب مقيما كأجنبي في بلد غريب بل أصبح يهوديا ألمانيا أو فرنسا أو هولندا، فتعثر الطريق أمامه وشق، لأنه صار لزاما عليه أن يكون مواطنا ألمانيا أو فرنسا أو . . . يدين بالولاء لوطن وحكومة ودولة وثقافة وحضارة مغايرة لما عرفه في توراته وتلموده (الفاروقي، الملل المعاصرة في الدين اليهودي، ص39).

ثم ظهرت مشكلة علمانية الدول الأوروبية التي كان من ثمارها تحرر اليهود وعدم ممارسة العنصرية ضدهم، هذه العلمانية استوعبها الأوروبي الخارج على كنيسته الذي وصل إلى مفهوم الفصل بين الدين والحياة، ولكن كيف يمكن لليهودي أن يصل إلى هذا الفهم وهو يحمل تصور الدين القومي والشعب المختار وانفرادية اليهود عن البشر أجمعين.

والسؤال الذي أصبح يجابه اليهودي في عصر التنوير أو عصر العلمانية وتحرير اليهود، هو: كيف يمكن لليهودي الاحتفاظ بمكاسب التحرير دون الاطاحة بالأمة اليهودية والدين اليهودي، أو كيف لليهودي المتحرر أن يتفهم ولاءه لأمتة ووطنه من جهة والتزامه القانوني والروحي من جهة أخرى.

وللأجابة عن التساؤل يمكن تقسيم اليهود إلى ملل ثلاث: الملة الإصلاحية، الملة الأورثوذكسية، الملة المحافظة حتى حركة الصهيونية التي شملت أتباع الملل الثلاث فيعدها بعض المفكرين اليهود محاولة أخرى للإجابة عن نفس السؤال. (الفاروقي، الملل المعاصرة، ص41).

1.3.4 الملة الإصلاحية

نشأت هذه الملة نتيجة شعور اليهود المنتشرين في أوروبا بتعقيدات طقوسهم اليهودية، وتنامى هذا الشعور بعد أن ابتدأ اليهود يتعرفون على الطقوس الدينية المسيحية، وبعد أن أصبحت اللغة العبرية لغة لا يتقنها إلا القلة، وبعد أن أصبحت الطقوس اليهودية سلسلة طويلة من التتمات غير المفهومة.

وكان موسى مندلسون (1729-1786) من أوائل المؤسسين لهذه المدرسة، وهو أديب يهودي الماني قام بدور الوسيط بين ثقافتين: الألمانية الحديثة واليهودية التلمودية فترجم التلمود إلى الألمانية وأسس مجلة (المجمع) لنقل الثقافة الألمانية إلى اليهود باللغة العبرية، وأسس كذلك المدرسة اليهودية الحرة، وكان مندلسون متأثرا بالفكر الغربي العلماني الحديث دون أن يؤثر ذلك في انتمائه الديني. وكان يقول: أيها اليهودي وافق دستور الدولة واعمل

بجميع عادات وقوانين البلد الذي تحل فيه ولكن في ذات الوقت كن أمينا على دين آبائك وأجدادك (د. الفاروقي، الملل المعاصرة، ص41).

وأول أتباع مندلسون الذين طالبوا بتغريب أو فرنجة الطقوس اليهودية (داود فريدلاندر 1756-1834).

وكان أول من استعمل لغة غير العبرية في الطقوس الدينية كنيس يشورون بامستردام سنة 1796م، وبدأ اليهود بعد ذلك الوقت يعترضون على العناصر الشرقية في الطقوس ويطلبون بحذفها كي تصبح أكثر تشبها بالطقوس البروتستانتية المسيحية.

وتأسست سنة 1810م في ألمانيا مدرسة الصبيان اليهود تدعو إلى الملة الإصلاحية. كما أنشئ معبد إصلاححي في هامبورغ سنة 1818م وكانت فيه أول صلاة باللغة الألمانية ودخل العزف والغناء ولأول مرة في الصلاة اليهودية.

وقد بدأت هذه المدرسة الإصلاحية توجه نقدها لا لطقوس اليهودية القديمة فحسب؛ بل للعهد القديم نفسه ومناقشته نقاشا علميا عقليا، وأقيمت في ذلك مؤتمرات وقدمت دراسات بحثت أسئلة كثيرة منها: ما هي سلطة التلمود بالتحديد؟ وما هي صلاحيته؟ هل يجوز لليهود الزواج من المسيحيين؟ هل يجوز لليهودي أن يقدم ولاءه للحكومة؟ ألا يجوز تغيير الطقوس الدينية؟ هل يجوز استعمال الأرغن في الكنيس؟ إلى غير ذلك من الأسئلة التي كان جواب الإصلاحيين عليها بالإيجاب قائلين بضرورة تسيير دفة أمور الدين اليهودي كما يقتضي العصر (الفاروقي، الملل المعاصرة، ص51).

ثم انتقلت الحركة الإصلاحية إلى أمريكا وبدأ الإصلاحيون يؤسسون المدارس والمعاهد الإصلاحية وتم تأسيس اتحاد المجتمعات الكنسية العبرية الأمريكية سنة 1873 وأصبح هذا الاتحاد الهيئة الرسمية للملة الإصلاحية.

وعقد مؤتمر في فيلادلفيا سنة 1869 لمجلس الربانة الإصلاحيين وتبنى الأمور التالية :-

1. إنكار نظرية المسيح المنتظر.
2. إعادة تأويل تدمير الدولة اليهودية الثانية على أيدي الرومان واستبدال معناها التقليدي وأن اليهود شردوا في أقطار العالم كي يحققوا رسالتهم الالهية.
3. إنكار الأمل بالعودة للطقس القرباني والكهنوت الهاروني.
4. تأويل فكرة الشعب المختار بحيث تصبح عالمية المعنى والتطبيق.
5. إنكار نظرية بعث الجسد.

6. التوصية بإقامة الصلوات باللغات القومية.

7. تعديل قوانين الربابنة المختصة بالزواج والطلاق.

وحتى لا يعطل اليهود حياتهم العملية يوم السبت فقد اكتفى هؤلاء الاصلاحيون بشعيرة عشية السبت أي مساء يوم الجمعة (الفاروقي، الملل المعاصرة، ص 54-58).

2.3.4 الملة الأورثوذكسية

كلمة أورثوذكسية تعبير مسيحي، ومعنى أورثوذكسي مستقيم الرأي، وهو اسم لإحدى الكنائس الثلاث المعروفة في تاريخ المسيحية، وهي الكنيسة الشرقية. ولكن هذه الكلمة دخلت في القاموس اليهودي في بدايات القرن الماضي حيث أطلقها الإصلاحيون ناعتين بها المحافظين الذين كانوا يعارضونهم في دعوتهم للإصلاح. وكان أول من قدم الموقف الأورثوذكسي وشرحه ودافع عنه الحاخام شمشون رفائيل هرش حيث كان والده معارضا للإصلاحيين وأسس في همبورغ بألمانيا مدرسة لتدريس التلمود ليناهض مسعى الإصلاحيين وقد تلقى هرش دروس التلمود في هذه المدرسة ونشأ محافظا كأبيه (الفاروقي، الملل المعاصرة، ص 62).

وكان هرش حاخاما لفرانكفورت حيث أسس فيها مدرسة ومجلة ثم كنيسا كبيرا وكانت فرقته أكبر الفرق اليهودية في فرانكفورت وظل فيها معارضا قويا للحركة الإصلاحية. وقد تخرج معظم ربابنة الأورثوذكس من المدارس التقليدية القديمة المسماة (يشيبوت) تلقوا العلم على أيدي أساتذة ناهضوا التقدم ومنعوا أية علوم جديدة من الدخول إلى برامج التعليم ثم أنشئ أول معهد لاهوتي أورثوذكسي في المجر سنة 1815.

ولكن أخي الدارس، أختي الدارسة، ما هي مقومات عقيدة الملة الأورثوذكسية؟
عقيدة الملة الأورثوذكسية:

يعرف الأورثوذكسيون بعقيدتهم كما يلي:

1. الدين اليهودي ليس عقيدة كما هو الحال في المسيحية، والخلاص أو الفلاح ليس بالإيمان بل بالعمل، فالدين اليهودي نظام حياة قبل أن يكون عقيدة.
2. مصدر التوراة هو الله، والتوراة هي الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدس، وهي التوراة المكتوبة سلمها الله لموسى تسليما وفي نفس الوقت أعطى الله لموسى على طور سيناء توراة أخرى غير مكتوبة (شفوية).

3. بعد ان كتبت التوراة الشفوية (المشنا) صارت تشكل مع التوراة المكتوبة وما توصل اليه الربانبة بطريق التفسير والتأويل والتحليل ما يسمى (الحلقاه).
 4. (الحلقاه) نظام معياري للحياة، وتتطلب من اليهودي الأورثوذكسي تطويع جميع طاقاته لتحقيق كل بند من بنودها مهما كلف ذلك من تضحيات.
 5. يؤمن اليهودي الأورثوذكسي بمصدر التوراة الإلهي كمقولة أولى وعلياً لتفكيره على جميع المستويات والتوراة أزلية يجب أن تطبق على مدى العصور وفي جميع الامكنة دون أي تغيير أو تبديل.
 6. يمكن التعايش مع غير اليهود، والتوراة تأمر بذلك بشرط أن ينصاع كل شيء إلى مبادئها وقوانينها.
 7. المتخرجون من معاهد الربانبة الأورثوذكسية والحاصلون منها على إجازة (سميحا) وحدهم لهم الحق في إقامة الطقوس الدينية والتكلم في أمور الدين وتفسير التوراة (الفاروقي، الملل المعاصرة، ص75-76).
- وأكثر البلدان التي يتركز فيها اليهود الأورثوذكس أمريكا وروسيا وفلسطين المحتلة. ففي أمريكا لهم ما يقدر بخمسين ألف طالب يدرسون في مدارسهم الخاصة التي يسمونها (شيبوت) ويلقنون فيها تعاليمهم لأتباعهم.
- وقد نشرت مجلة مساء السبت اليهودية في عددها العاشر سنة 1986 ان عدد اليهود الأورثوذكس سنة 1964 في الولايات المتحدة بلغ من الرجال الراشدين (204815) مائتين واربعة آلاف وثمانمائة وخمسة عشر. ينتمون لألف وستماية وسبع كنائس نصفهم يقيم في مدينة نيويورك (الفاروقي، الملل المعاصرة، ص77).
- والأورثوذكس في العالم هم الأغلبية بين اليهود فالمجلس الصهيوني العالمي والوكالة اليهودية معظم أعضائها منهم.
- والفكر الأورثوذكسي يتناغم مع الحركة الصهيونية التي لا يعجبها الفكر الإصلاحي كمبدأ. ولذلك فإن الحركة الأورثوذكسية هي الحركة الغالبة في المجتمع اليهودي في دولة الكيان الصهيوني، ويتمتعون بالدعم السياسي والحكومي للدولة.
- والخلاصة أن الملة الأورثوذكسية تتميز بتمسكها بالعنيد بالتوراة والتلمود وهي أقرب إلى الملة المحافظة معارضة تماماً للإصلاحيين ومنهجهم العائم في التمسك بقوانين التوراة والتلمود.

وتتضمن الملة الأورثوذكسية جماعات يهودية كثيرة كلها تصب في مصب التشدد والتزمت. إلا أن أهم انقسام بينهم هو أنهم ينقسمون إلى حسيديم ومتناجديم أي إلى متصوفة وتشريعيين.

وكلمة (حسيديم) هي جمع عبري للمفرد (حسيد) ومعناها الإحسان وعمل الخير. وقد أطلقت في التاريخ اليهودي على جماعات يهودية ظهرت في فترات مختلفة من تاريخ اليهود، أهمها جماعة تزعمها حاخام اسمه (بعل شم طوب) في الثامن عشر الميلادي. واستعمل اسم حسيد عند هذه الحركة للدلالة على اليهودي النقي والمخلص للدين والناذر نفسه له.

واليهود الحسيديم هم يهود أورثوذكس إلا أنهم يختلفون عنهم في الممارسة الدينية والسلوك والتقاليد إلى جانب لغتهم الخاصة بهم وهي (اليديش) وهي لغة خليط من العبرية والألمانية القديمة. ويتنشر اليهود الحسيديم اليوم في كثير من بلدان العالم إلا أن أغلبهم يسكن أمريكا وفلسطين المحتلة (حسن، اليهود الحسيديم، ص 6).

أما كلمة (متناجديم) فهي جمع لكلمة (متناجد) ومعناها المعارض. وقد أطلق هذا الاسم على كل المعارضين للحسيديم من يهود متدينين أو علمانيين (حسن، اليهود الحسيديم، ص 31).



تدريب (7)

أخي الدارس، أختي الدارسة، عرف الملة الإصلاحية، وأذكر مؤسسها وما أهم الأفكار التي تدعو إليها؟

3.3.4 الملة المحافظة

تمثل هذه الملة الموقف الوسط بين المدرستين الإصلاحية المنفتحة على العصر والاورثوذكسية المنغلقة المتشددة.

فلم تكن الغاية من إيجاد الملة المحافظة خلق ملة جديدة ولا انفصالاً عن الملل الأخرى بل غايتها التوفيق بين النزعتين الإصلاحية والأورثوذكسية.

ومدرسة المحافظين أقرب إلى المدرسة الإصلاحية إذ أنها دعت إلى الإصلاح والتغيير في بعض الطقوس اليهودية إلا أنهم كانوا حريصين على أن تكون هذه الإصلاحات نابعة من روح المجتمع اليهودي، لا أن تكون تقليداً مأخوذاً من المجتمعات الأخرى. ويمتاز المحافظون بتمسكهم بأوامر التوراة والتلمود الطقسية التي تنبأها الملة الإصلاحية، وتتفق

مع الأورثوذكسية بانها تجبر أعضاءها لبس القبعة والشال في الصلاة .
وأهم المبادئ التي دعا إليها أتباع المدرسة المحافظة على إقامة شعائر السبت ، وتنفيذ القوانين المأكلية (الأطعمة) ، وتقوية التربية اليهودية ، وتركيز التربية على اللغة العبرية ، ومساعدة استيطان اليهود في فلسطين ، وجعل الصلاة أكثر احتشاما وورعا بحذف الأغاني ولبس القبعة والشال ، والسماح باختلاط الجنسين في الكنيس وجلوسهم على بنوك كما هو الحال في الكنائس المسيحية ، وجواز إضافة اللغة الإنجليزية إلى اللغة العبرية في الصلوات والأدعية ، حذف القراءات المطولة والأناشيد الخليعة من الصلوات ، تربية النساء اليهوديات تربية دينية واشراكهن في أعمال الكنيس ، وتربية الأولاد الدينية ، والاجتهاد في دراسة التاريخ والتوراة .

وللملة المحافظة مجلس يسمى «المجلس الرباني لأمريكا» ولهم مجلس اتحاد كنائس المحافظين في امريكا (الفاروقي، الملل المعارضة، ص97/94).

4.3.4 الحركة الصهيونية

قد تتساءل أخي الدارس ، أختي الدارسة ، وتقول : ما شأن الحركة الصهيونية بالفرق الدينية اليهودية القديمة منها أو الحديثة؟
وللإجابة عن تساؤلك نقول : إن الصهيونية قد تبدو في ظاهرها حركة سياسية صرفة في أهدافها ووسائلها ، ولا علاقة لها بالحركات الدينية ، وهي بالفعل ليس لها طقوس ولا معابد خاصة ، ولكنك إذا أمنعت النظر فيها وتفحصت أهدافها ومراميتها والفكرة التي انطلقت منها في تجميع اليهود حولها ، وجدت نفسك أمام حركة أيديولوجية سياسية شاملة .
إن الصهيونية لحركة مستحدثة على اليهود ، ولكنها كفكرة لتجميع اليهود في أرض فلسطين وربطهم بأرض جبل صهيون قديمة ضاربة في جذور التاريخ اليهودي منذ الأسر البابلي .

لقد ظهرت الصهيونية على مسرح أوروبا السياسي لأول مرة كأيديولوجية سياسية شاملة وحركة سياسية منظمة في أواخر القرن التاسع عشر ولكنها كفكرة سبقت الصهيونية اليهودية اذ يعود تاريخها إلى ما قبل ذلك ، فالفكرة الصهيونية بدأت حركة أقلية يهودية قبل المؤتمر الصهيوني الأول المنعقد في بال بسويسرا سنة 1897 بثلاثمائة عام ، حيث التفت مجموعة من اليهود الأوروبيين حول اللواء الصهيوني . ثم اتخذ النسيج الصهيوني

شكله خلال القرون الأربعة لتاريخ أوروبا الديني والاجتماعي والفكري والسياسي نتيجة تداخل خيوط كثيرة مختلفة من الثقافة الغربية وفي طليعتها الخيوط الدينية المنبثقة من مجموعة أساطير يهودية مثل الشعب المختار، وعودة المسيح المنتظر، والميثاق الذي يركز على الارتباط السرمدي الدائم بين الشعب المختار والأرض المقدسة كما وعد الله، وبذلك منحت فلسطين لليهود كأرض كتبت لهم (الشريف، الصهيونية غير اليهودية: جذورها في التاريخ الغربي، ص 24-25).

والصهيونية التي تضم تحت جناحيها اليوم من الاتجاهات اليهودية الحديثة كافة من إصلاحيين ومحافظين وأورثوذكس وجدت في بداية ظهورها كحركة منظمة مقاومة من أصحاب هذه الاتجاهات، وبخاصة بعد دخول اليهود في أوروبا مرحلة التحرر والانفتاح على المجتمعات الأوروبية فهذا شمشون هرش زعيم الأورثوذكس اليهود نقض فكرة القومية اليهودية وأول الدولة اليهودية القديمة تأويلاً غير سياسي وقال: إن الأرض والدنيا لم تكونا في يوم من الأيام عزوة اتحاد إسرائيل ودعا اليهود في أوروبا إلى الولاء والانتماء إلى الأوطان التي يعيشون فيها (الفاروقي، الملل المعاصرة، ص 106).

ولكن مقاومة هؤلاء لم توقف مد الفكرة الصهيونية القائمة على أنه لا بد أن يكون لليهود مجتمعهم الخاص ضمن دولة يهودية مستقلة فيكون لهم الدين والقومية والحرية والاستقلال مجتمعين.

وكان أول تحول تجاه الصهيونية هو الذي قام به بعض المحافظين، فقد تبنت الملة المحافظة البرنامج الصهيوني رغم تناقضه مع طروحاتهم في الاندماج بالمجتمعات المسيحية في أوروبا وأمريكا ولذلك فقد جعلوا الصهيونية في بادئ الأمر أمراً ثقافياً لا سياسياً.

وظل الاصلاحيون في موقف معارض للصهيونية إلى أن جاءت الحرب العالمية الثانية وأخبار تقتيل اليهود على يد النازيين في أوروبا حيث تمكنت الحركة الصهيونية من جر اليهود جميعاً بما فيهم الاصلاحيون إلى فكرتها وأصدر المؤتمر الإصلاحي المنعقد سنة 1937 قراره بأن واجب اليهود جميعاً أن يساعدوا في بناء فلسطين كوطن لليهود (الفاروقي، الملل المعاصرة، ص 115-116).

وفي سنة 1977 تأسست رابطة الصهيونيين الإصلاحيين في أمريكا بنيويورك وتضم حوالي سبعين ألف عضو من اليهود (مصطفى، قبل أن يهدم الأقصى، ص 165).

5. الأصول العقيدية في الديانة اليهودية

1.5 عقيدة اليهود في الإله

أخي الدارس ، أختي الدارسة :

لا شك أن العقيدة الأصلية لبني إسرائيل كانت الإيمان بالله الواحد، وهذه هي العقيدة التي جاء بها رسلهم الكرام عليهم السلام، وتعاقبوا فيهم لتثبيتها: ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ ﴾ (النساء: 163).

ولكن اليهود لم يستقروا على عبادة الإله الواحد الذي دعا له الأنبياء، بل كانوا يتجهون دائما إلى الوثنية والبدائية الدينية وتقليد الأمم الوثنية المجاورة في العبادة. يقول الدكتور أحمد شلبي نقلا عن (ويلر): «إن اليهود كانوا في مطلع ظهورهم على مسرح التاريخ بدوارحلا، تسيطر عليهم الأفكار البدائية كالخوف من الشياطين، والاعتقاد في الأرواح، وكانوا يعبدون الحجارة والأغنام والأشجار» (شلبي، اليهودية، ص 180-181). ويصور لنا القرآن الكريم محاولات موسى عليه السلام لتثبيت أركان التوحيد عند بني إسرائيل، وخروجهم على هذه العقيدة أكثر من مرة في حياته. ويبدو حتى من خلال نصوص العهد القديم ان موسى -عليه السلام- كان أكثر انبيائهم جهدا لتثبيت عقيدة التوحيد في نفوسهم.

والغريب أن بعض كتاب المسلمين ذهبوا مع المؤرخين الغربيين الذين اعتقدوا أن موسى قد استعار القول بالوحدانية من اخناتون، وأول من نادى بهذه الفكرة من الغربيين الفيلسوف اليهودي فرويد، ويعتمد فرويد وغيره من الباحثين في ذلك على التشابه بين كلمة (اتون) وكلمة (ادون)، أو (أدوناي) بالعبرية التي تعني الرب أو السيد. كما أن تشابه الاسمين ليس الشيء الوحيد الذي يعتمد عليه هؤلاء الباحثون لتحديد الصلة الوثيقة بين الديانتين اليهودية والمصرية القديمة، فإن سفر الخروج في تعاليمه ووصاياه المدققة يكاد يتبع نموذج التعاليم والوصايا الدينية المصرية (كما جرى اكتشافها في القرن الماضي) وليس فقط تعاليم اخناتون التوحيدية، ومعظم هذه التعاليم والوصايا نقل إلى العبرية في العهد القديم كما هو تقريبا، والوصايا الشهيرة ليست النموذج الوحيد من ذلك. (ديب، التوراة بين الوثنية والتوحيد، ص 46).

ومن الذين ذكروا هذه النظرية، الدكتور أحمد سوسة في كتابه (العرب واليهود والتاريخ)، وقد قام بجمع الوقائع التاريخية التي يستند إليها الباحثون في اعتبار النبي موسى مصريا، وأن ديانته التوحيدية إنما هي ديانة اخناتون بعينها، حيث بلغت هذه الوقائع اثنتي عشرة واقعة (سوسة، العرب واليهود والتاريخ، ص 470-473).

لكننا على الرغم من كل هذا التشابه نعتقد أن عقيدة التوحيد التي جاء بها موسى عليه السلام كان مصدرها الوحيد: هو الوحي، وهي عقيدة لم ينفرد بها موسى وحده دون غيره من الأنبياء والمرسلين.

إن التشابه قد يكون ناتجا عن تسرب بعض المعتقدات، أو حتى الألفاظ والمصطلحات الاخناتونية لأسفار التوراة بعد موسى عليه السلام، كالذي نشاهده في ذلك الشبه الواضح بين ترتيلة أخناتون إلى قرص الشمس (أتون)، والمزمور الرابع بعد المائة من سفر المزامير من العهد القديم، بحيث يكاد يكون المزمور المذكور نسخة طبق الاصل لترتيلة أخناتون. وكما قال الاستاذ سهيل ديب بعد ذكره للنصين المتماثلين: «والظاهر هو أن شخصا ما حفظ النشيد الأخناتوني لفترة من الزمن، ثم حاول إعادة كتابته لإعجابه به بلغة جديدة، وبشروط دينية جديدة لها طقوسها واستعمالاتها الخاصة، فلم تسعفه شاعريته كثيرا» (ديب، التوراة بين الوثنية والتوحيد، ص 59).

1.1.5 الصورة المشوهة لله تعالى عند اليهود

مع أننا نجد في التوراة الحالية - رغم تحريفها - نصوصا تصرح بالتوحيد وتنتهي عن اتخاذ الأصنام إلا أن تصورها لهذا الإله الواحد تشوبه الوثنية ويعطي صورة مشوهة عن الله تعالى. فالإله في العقيدة اليهودية يقوم بأعمال الإنسان وحركاته، فهو يأكل ويشرب ويصارع التنين (طعيمة، التاريخ اليهودي العام، ص 2:101).

كما تصوره التوراة في مواضع أخرى بأنه يندم ويبكي ويصرعه إسرائيل، ويتحسر ألما على شعب إسرائيل، ويمرض ويتألم ويقول: «أحشائي أحشائي توجعني، جدران بطني، يئن في قلبي، لا أستطيع السكوت لأنه قد خربت كل الأرض...» (سفر أرميا/ 4:20-19). وتنسب له التوراة الألم مرة أخرى في (سفر أشعيا/ 4: 21-3) حيث يقول: لذلك امتلأت حقواي (مثنى الحقو وهو الخصر ومشد الازار من الجنب) وجعا واخذني مخاض كمخاض الوالدة تلوت حتى لا أسمع، اندهشت حتى لا أنظر، تاه قلبي بعثني الرعب (أشعيا/ 4:3-21).

وهذه الصفات ما أظن أن احداً حتى من الوثنيين قالها في معبوده وخالقه .

2.1.5 اسم إله اليهود

يبدو من خلال النصوص المقدسة عند اليهود أن الإجماع غير حاصل على تحديد اسم الإله الذي يعبد اليهود .

ويعلل الأستاذ سهيل ديب في كتابه (التوراة بين الوثنية والتوحيد: ص 15) ذلك بسببين هما :

الأول : الزمن الطويل جدا بين تأليف التوراة وتحريرها بشكلها النهائي .

الثاني : أن فترة المخاض الطويلة جدا بين التعددية والتوحيد، وقد دامت ما لا يقل عن اربعمائة سنة، جعلت اسم الإله مسألة ثانوية، ريثما يتم الإجماع على التوحيد . وهذا هو السبب الذي يرجحه الأستاذ سهيل ديب، وقد رأى أن الصعوبة قد وقعت في تحديد الاسم عند الذين تعودوا على التعدد، وعبدوا آلهة شتى قبل أن يصلوا إلى التوحيد، فكانت المسألة لا تتعدى في نظرهم انتصار أحد الآلهة على الآخرين (المرجع السابق ص 20) .

وقد ذكر الأستاذ ديب بعض هذه الأسماء، ومنها : -

1. إيل : ومعناها بالعبرية (الله)، وهو التسمية التي استخدمها الموحدون الحقيقيون، وهم أقلية بين واضعي الشريعة بنصها الذي نعرفه اليوم .
2. إيلوهيم : أي الآلهة بصيغة الجمع، ولعلها التسمية التي أطلقها التعدديون الذين عدوا أن التوحيد إنما هو انصهار الآلهة بعضها ببعض لتشكيل إله واحد . وهذا هو الاسم الدارج عند اليهود اليوم .
3. أدوناي : أي سيدي باللغات السامية، وهو اللقب الذي كان الكنعانيون يطلقونه على الإله (تموز)، والذي أصبح (أدونيس) عندما انتقل إلى اليونانيين، ولعله الإله الذي عدّه القادمون من شمالي سورية انه هو الذي انتصر .
4. يهوه : وهو اسم الإله القبلي لليهود، إذ يعتقد اليهود أن هذا الإله ربهم وحدهم، وليس للأمم (الجوييم) الحق بتسميته إلهها لها، إنه رب إسرائيل وحدها، وقُدوس إسرائيل الأوحد (التوراة تاريخها وغاياتها، ترجمة وتعليق سهيل ديب : ص 94)، ولذلك يرد في سفر التثنية «لأنك شعب مقدس للرب إلهك وإياك اصطفى الرب إلهك أن تكون له أمة خاصة من جميع الأمم التي على الأرض» (التثنية : 6/7) .

وكذلك ما ورد في سفر الخروج «أنا الرب إلهك الذي فرزكم من بين الأمم»
(الخروج: 24/20).

ومن هنا فقد صور (يهوه) بأنه مقاتل باطش ينادي بالسحق والتشريد، ولا يؤمن بترك أي من الأعداء حيا. ولذلك خاطب العابرين نهر الأردن قائلا لهم «إنكم عابرون الأردن إلى أرض كنعان، فتطردون كل سكان الأرض من أمامكم، تملكون الأرض، وتسكنون فيها لأنني قد أعطيتكم الأرض لكي تملكوها . . . وإن لم تطردوا سكان الأرض من أمامكم يكون الذين تستبقون منهم أشواكا في أعينكم، ومناخس في جوانبكم، ويضايقونكم على الأرض التي أنتم ساكنون فيها» (العدد: 33/56-51).

كما يصور بالرب الحاقد الغاضب، فتقرأ في سفر اشعيا: «هو ذا الرب يأتي من بعيد غضبه مشتعل، والحريق عظيم شفتاه ممتلئتان سخطا، ولسانه كمنار آكلة، ونفخته كمنهر غامر يبلغ إلى الرقبة، لغريلة الأمم بغربال السوء» (اشعيا: 28-27/30).

والقارئ لهذه النصوص وأمثالها - وهي كثيرة في العهد القديم - يعلم أن اليهود صاغوا إلههم بأيديهم، وحددوا له صفات موافقة لصفاتهم واتجاهاتهم.

وفي ذلك يقول ول ديورانت: «يبدو أن الفاتحين اليهود عمدوا إلى أحد آلهة كنعان، فصاغوه في الصورة التي كانوا هم عليها، وجعلوا منه إلهاً، ويؤيد ذلك أن من بين الآثار التي وجدت في كنعان سنة 1931م قطعا من الخزف من بقايا عصر البرونز (300ق.م) عليها اسم إله كنعان يسمى: ياه أو ياهو» (ول ديورانت، قصة الحضارة، 340/2).



تدريب (8)

أخي الدارس، أختي الدارسة، تحدث عن الصورة المشوهة التي قدمتها أسفار التوراة عن صفات الله تعالى.

3.1.5 آلهة أخرى لليهود

لقد عبد اليهود خلال تاريخهم الطويل آلهة متعددة بالإضافة إلى الإله الواحد الذي لم يتفقوا على اسمه، وتعارض نصوصهم في تحديد صفته.

وقد تأثروا في ذلك بالشعوب التي كانت من حولهم، حيث عبدوا آلهتها، ومن هذه الآلهة المستعارة التي عبدها اليهود، والتي ذكرها الدكتور اليهودي رافائيل باتاي في كتابه

«آلهة اليهود» ما يلي (دب، التوراة بين الوثنية والتوحيد، ص 47-51).

1. الإلهة عشيرة: وقد عبدها العبرانيون اعتباراً من احتلال أرض كنعان، وحتى النفي إلى بابل سنة 576 ق.م، واسمها الآخر هو اللاة أو اللاتو. وكانت الإلهة الرئيسة لدى كنعانيي أو غاريت في رأس شمرا.

2. الإلهة عشتروت: أناة أو مناة، وهي ابنة الإلهة عشيرة، وكان الكنعانيون يعبدونها إلى جانب (اشتار) نجمة الصباح أو العزى. وقد أتى ذكر هذه الالهة في التوراة مرات متعددة، كالهة عبدها العبرانيون حتى عام 621 ق.م. وهذه الاسماء (اللات والعزى ومناة) تذكرنا دون ريب بالآية الكريمة: ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ﴾ (النجم: 19-20).

فهل هي الآلهة الوثنيات التي استمر العرب على عبادتها حتى ظهور الإسلام؟ (دب، هامش كتاب التوراة بين الوثنية والتوحيد، ص 49).

3. الكروبيم: وهي صور أو منحوتات ذات أشكال بشرية مجنحة تشكل جزءاً من الهيكل قبل تحريم عبادتها. ورغم تحريمها فقد بقيت هذه الصور آلهة لها عبادها ممن سموا (بالقبليين)، ومن الذين ساعدوا على بقاء هذه العبادة الفيلسوف الأندلسي اليهودي موسى بن ميمون في القرن الثاني عشر للميلاد.

4. الشخينة: من (شخن) بمعنى سكن، أي مسكن الله. وقد جعل منها التلموديون ومن بعدهم القبليون، إلهة أنثى.

5. ماترونيث: وهي مشتقة من (ماترون) أي السيدة أو الشفيعة، وهي الابنة أي الإلهة الرابعة لدى القبليين، وهي تمثل الطهارة والاختلاط الجنسي والأمومة والحرب.

6. ليليت: وهي مأخوذة من مجمع آلهة السومريين، وهي تمثل الشر، وقد دامت عبادتها، أو الاعتقاد بها لدى (القبليين) واليهود (الحسيديم)، أي المتزمتين حتى قرنا هذا. والاعتقاد بها اليوم هو نفسه تماماً، كما كان لدى السومريين في العام 2500 ق.م دون اختلاف يذكر كما يقول الدكتور (باتاي).

7. السبت أو السابات: أي نهار الراحة الأسبوعي، وقد جعل بعض فئات اليهود منه الهة تمثل الجنس والعلاقات الجنسية.

فالمعاشرة الجنسية تكتسب قيمة دينية خاصة، إن تمت بعد دخول يوم السبت، فتقام وليمة مساء يوم الجمعة تتخللها ألوان مختلفة من الطعام والمشروبات وصلوات وأناشيد

موجهة إلى الإلهة (سابات) التي تتمثل العروس بها، وتنتهي هذه الوليمة عند منتصف الليل وهو الوقت المحدد تلموديا للمعاصرة .

ويذكر الدكتور (باتاي) ان بعض كتب التعاليم الدينية المعاصرة تحوي نماذج عن هذه الصلوات، والأناشيد الموجهة إلى الإلهة (سابات). ويذكر أن هناك فئات من اليهود ما زالت تعتقد بهذه الإلهة، وتقيم شعائر عبادة لها، ومن هذه الفئات التلموديون والقبليون والفلاشا، والفلاشا هي فئة اليهود الأحباش ذوي البشرة السوداء (ديب، التوراة بين الوثنية والتوحيد، ص 51).

2.5 النبوة عند اليهود

إن مما أجمعت عليه المصادر الدينية وأثبتته القرآن الكريم هو أن بني إسرائيل أكثر أمة بعث الله تعالى لها الأنبياء والرسل الخمسة والعشرون الذين ذكروا بأسمائهم في القرآن الكريم معظمهم من بني إسرائيل أو بعثوا فيهم .

والقرآن الكريم حين يتحدث عن أنبياء بني إسرائيل إنما يتحدث عنهم على أنهم جزء من موكب الرسل الكرام، عليهم الصلاة والسلام، الذي بعثهم الله تعالى لهداية البشر وتصحيح انحرافهم ودعوتهم إلى عبادة الله وحده واجتناب الطاغوت الذي عبده البشر من دون الله ظلما وزورا بأشكاله وعلى اختلاف أسمائه كافة: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاَ أَنْ اَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ (النحل: 36).

﴿ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴾ (الزخرف: 6)، ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى ﴾ (المؤمنون: 44).
﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ﴾ (مريم: 58).

﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (البقرة: 213).

﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (البقرة: 136).

هذه الآيات وغيرها من الآيات الكريمة دلت بوضوح على مهمة الأنبياء من جهة، والتكريم الإلهي لهم من جهة ثانية ووجوب الإيمان بهم جميعا دون استثناء من جهة ثالثة، وبين هؤلاء الأنبياء الكرام أنبياء بني إسرائيل دون أي تمييز لا في الوصف ولا في المهمة والوظيفة. ولكن الصورة التي يقدمها العهد القديم عن الأنبياء صورة مختلفة عن تلك الصورة الوضیئة التي قدمها القرآن الكريم.

فالعهد القديم يذكر لنا في أكثر من موضع ان هناك أنبياء حقيقيين وأنبياء كذبة محترفين. والغريب أن الصورة التي قدمها حتى للأنبياء الحقيقيين ليست صورة كريمة تليق بمن اصطفاهم الله تعالى وفضلهم على عباده؛ فلم يتورع العهد القديم في قصصه عنهم من ان ينسب لهم صفات الرذيلة التي لا يليق ولا يجوز لأي إنسان عادي أن يتصف بها. إن كتبة الأسفار قد جعلوا سلوك أنبياء بني إسرائيل حتى من عرفوا منهم بأنهم الأنبياء الكبار أو الحقيقيون لم يختلفوا كثيرا في بعض المواقف عن سلوك الأنبياء المحترفين (عبدالوهاب، النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، ص22-23).

ومفهوم النبوة في العهد القديم غير واضح، فهناك خلط بين مصطلحات الرائي والنبی، ورجل الله، فقد جاء في سفر صموئيل «قدما في إسرائيل، هكذا كان يقول الرجل عند ذهابه ليسأل الله، هلم نذهب إلى الرائي لأن النبي اليوم كان يدعى سابقا الرائي، فقال شاول لغلامه: كلامك حسن، هلم نذهب فذهبا إلى المدينة التي فيها رجل الله» (صموئيل الاول/9:10-9).

وقد جعل معظم الباحثين المحدثين من هذا النص التوراتي - وقد جاء حاشية ضمن سياق قصة - أساسا تقوم عليه كل أبحاثهم في تاريخ النبوة وتطورها عند بني إسرائيل واستنتجوا منها أن الاسم (نبي) مستحدث في حقبة من الحقب التي سبقت عصر الكاتب لهذه الحاشية وانه قبل ذلك لم تكن تسمية (النبي) معروفة في إسرائيل، وأن رجل الله إنما كان يدعى ويوصف بلفظة (الرائي) و صموئيل نفسه كان يدعى ويدعو نفسه (الرائي) لا النبي». أما التحول الذي حدث في تسمية رجل الله من الرائي إلى النبي بعدما اتسع شأن رجال الله وقوي في أيام إيلياس واليسع. وفي هذا العصر تغيرت صفات رجل الله ووظائفه. (ظاظا، تاريخ الأنبياء عند بني إسرائيل، سيجال، من كتاب: أبحاث في الفكر اليهودي، ص62).

كما أسندت أسفار التوراة إلى الأنبياء وظائف مختلفة، ففي سفر الخروج (1/7) يقول الله لموسى: انظر، أنا جعلتك ربا (الوهم) لفرعون وهارون أخوك يكون نبيك، ووظيفة

هارون إلى جانب موسى مشروحة في مكان آخر من سفر الخروج (16/4) «وهو يكلم الشعب عنك وهو يكون لك فما، وأنت تكون له ربا (الوهيم) ومن ذلك نعلم أن النبي هو فم ربه الذي به يتحدث إلى الشعب فيسمعه كلام الرب، كما كان هارون بمثابة نبي لموسى، عليه أن يكون فما لموسى يبلغ كلامه إلى الشعب وإلى فرعون» (ظاذا، مقالة سيجال، من كتاب أبحاث في الفكر اليهودي، ص70).

وهذا النص بلا ريب خلط توراتي فموسى عليه السلام لم يعينه الله تعالى ربا لفرعون، وإنما أرسله نبيا ورسولا يدعو إلى عبادة الله، وهارون عليه السلام أرسله الله تعالى نبيا مساعدا لأخيه يشد من أزره في مواجهة فرعون.

ثم يتحدث العهد القديم عن وظائف أخرى للنبي وهي أنه وسيط بين الشعب وبين الله، والصلاة من أجل الأفراد والجماعات الذين يلجأون إليه طالبين المغفرة أو قضاء حوائجهم من الله، فقد ورد في حق إبراهيم عليه السلام «أنه نبي يصلي من أجلك فتحيا» (التكوين/7:20) «فصلى إبراهيم إلى الله فشفى الله أبيمالك وامرأته وجواريه فولدن» (التكوين/ 17:20). وقد تضرع إبراهيم كذلك مرارا إلى الله كي لا يخسف سدوم، (التكوين، 18/ 33-23).

وعند حديث أسفار التوراة عن وظيفة الأنبياء في المعابد لم تفرق كثيرا بينهم وبين الكهنة فقد كان معهودا للأنبياء لأن يؤموا الصلاة فحسب؛ بل أن يقوموا بالإنشاد والموسيقى والرقص، وعندما تولى شاول الملك التقى بزمرة من الأنبياء نازلين من المرتفعة وأمامهم رباب ودف وناي وعود وهم يتنبأون» (صموئيل الأول/ 10:4) وقد أطلق سفر أخبار الأيام على اللاويين الذين كانوا يقومون بالإنشاد في المعبد على آلات الموسيقى اسم الأنبياء كما دعا فعلهم هذا عمل النبوة، وهكذا نقرأ في سفر أخبار الأيام الأول (1-25/6).

وهذا الافتراض المتعلق بوظيفة الأنبياء في الطقوس الدينية التي كانت تقام في المعابد والهياكل يوضح لنا هذا الازدواج بين الأنبياء والكهنة (ظاذا، مقالة سيجال، من كتاب أبحاث في الفكر اليهودي، ص70).

ومن الواضح أنه لا يوجد معيار حقيقي لتمييز حقيقة الظواهر التي اقترنت بكل من الأنبياء الحقيقيين والأنبياء الكذابين لأن كل من جاء بخارقة أو ادعى أنه يتكلم عن الله سمي نبيا.

إن الظاهرة المشتركة لكل الأنبياء في العالم القديم هو دعواهم أنهم يتكلمون بسلطان من إلههم، وكان النبي هو الشخص الذي يتكلم بالنيابة عن إلهه . . . ولقد استخدم لفظ النبي دون تحفظ حتى أنه أطلق على أولئك الذين تكلموا باسم آلهة الوثنيين مثل أنبياء البعل

الأربعمائة والخمسين الذين استخدمتهم ايزابيل (الملوك الأول/ 18:19)، وأنبياء السواري
الأربعمائة الذين جاهدهم إيليا فوق جبل الكرمل (الملوك الثاني/ 3:13)، (عبدلوهاب، النبوة
والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، ص 13-14).

وفي ختام حديثنا عن النبوة والأنبياء عند اليهود لا بد لنا أخي الدارس، أختي الدارسة،
من أن نتوقف قليلا للإطلاع على الصورة المشوهة المؤلمة التي قدمها العهد القديم عن الأنبياء
الحقيقيين منهم والكاذبين على السواء، أنها صورة الأمة التي لا احترام عندها لنبي ونحن لا
نستهجن هذا الأمر ولا نستغربه وقد رأينا الصورة المشوهة نفسها عن الله تعالى.

ونكتفي بإيراد بعض النماذج من هذه الصورة المزرية ومن هذه الاتهامات العجيبة
التي أطلقتها أسفار العهد القديم على كبار أنبياء بني إسرائيل ومن لهم خطوة ولهم أثر كبير
في التاريخ اليهودي، وهم داود، وسليمان، ولوط.

فداود عليه السلام النبي الملك صاحب الفضل الكبير على التاريخ اليهودي مؤسس
أول مملكة لهم ومخلص تابوت العهد من يد الأعداء كل هذه المزايا لم تشفع لداود عليه السلام
عند كتابة أسفار التوراة الذين اتهموه بالزنا، فقد زنا بامرأة (أوريا) قائد جيشه وحملت بالزنا
منه وقتل زوجها بالمكر والخديعة وأخذها زوجة له، اسمع ما يقوله سفر صموئيل الثاني
«وأما داود فأقام في أورشليم، وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على
سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم، وكانت المرأة جميلة المنظر جدا،
فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد أليست هذه بنت البصام امرأة أوريا الحثي؟ فأرسل
داود رسلا وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمئتها ثم رجعت إلى بيتها
وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود فقالت إني حبلت . . . وفي الصباح كتب داود مكتوبا
إلى يوبأ وأرسله بيد اوريا وكتب فيه يقول: اجعلوا اوريا في وجه الحرب الشديدة وارجعوا
من ورائه فيضرب ويموت . . . فخرج رجال المدينة وحاربوا يوبأ فسقط بعض الشعب من
عبيد داود ومات اوريا الحثي أيضا . . . فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات ندبت بعلها،
ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابنا، وأما الأمر
الذي فعله داود فقبح في عيني الرب» (صموئيل الثاني/ 11:26-1).

أما سليمان عليه السلام فقد نسبت له التوراة المحرفة أنه ارتد في آخر عمره، وكان يعبد
الأصنام بعد الارتداد وبنى المعابد لها، هذا ما يقوله سفر الملوك الأول «وأحب الملك سليمان
نساء غريبة كثيرة مع بنت فرعون من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني اسرائيل لا تدخلون

إليهم وهم لا يدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم . . . وكان له سبعمائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السرايري فأمالت نساؤه قلبه، وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه، وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه، فذهب سليمان وراء عشروت إلهة الصيدونيين (أهالي صيدا) وملكوم رجس العمونيين، وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه» (الملوك الاوّل/1:6-11).

وأما لوط عليه السلام فقد نسبوا له ما يتردد المرء أن ينسبه لأي منحرف ساقط، فقد نسب له سفر التكوين أنه مارس فاحشة الزنا مع ابنتيه بعد أن سكر وثلمل، واليك ما قاله كتبة سفر التكوين «وصعد لوط وسكن في الجبل وابنتاه معه . . . وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض، هلم نسقي أبانا خمرا ونضطجع معه فنحیی من أبينا نسلا، فسقتا أباهما خمرا في تلك الليلة، وقامت الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها، فجلت ابنتا لوط من أبيهما، فولدت البكر ابنا ودعت اسمه موآب وهو أبو المؤابيين إلى اليوم، والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه بن عمي وهو أبو بني عمون إلى اليوم» (التكوين/20-28/19).



نشاط (5)

أخي الدارس، أختي الدارسة، حتى تتعرف الفرق الواضح بين هذه الصورة المشوهة التي قرأتها، والتي يقدمها أسفار العهد القديم عن هؤلاء الأنبياء الثلاثة الكرام وبين الصورة المشرقة التي اعطاها القرآن الكريم عنهم، ارجع إلى كتاب (قصص الأنبياء/ عبدالوهاب النجار وقرأ من الصفحات التالية: 112-116 و 303-349) لخص ما تقرأه وناقشه مع زملائك ومشرفك الأكاديمي .

3.5 المسيح المخلص في العقيدة اليهودية

يؤمن اليهود بفكرة المسيح المنتظر المخلص ويطلقون عليه (المسيا) وهي كلمة عبرية تعني الممسوح، وفحوى هذا الأمل اليهودي أن الله سوف يرسل ذات يوم مسيا، ملكا عظيما يثبت ملكه الأبدي على الكون كله (موسوعة الكتاب المقدس، ص 294).

ويبدو أن فكرة المسيا المخلص قد ارتبطت في ذهن الشعب اليهودي منذ الأسر البابلي حيث إنهم كانوا ينتظرون من يخلصهم مما هم فيه من ذل واضطهاد.

وبقي خيال مسيا يصاحب اليهود أينما حلوا، فقد تحدثت عنه البروتوكولات ورأته خصما لعيسى بن مريم، ورآه شهود يهوه كامنا في الهيكل، اما اقطاب الصهيونية فقد رأوا أنفسهم نوابا عنه يهدون لقيام دولة له تستقبله، ورآه هيرتزل في منامه يقول: اعلن، اعلن، أني آت قريبا، وأما بن غوريون فانه رآه درعا يدفع عن اليهود المحن» (سنقرط، القوى الخفية لليهودية العالمية «الماسونية»، ص119).

عندما جاء المسيح عليه اسلام رأى أتباعه فيه أنه المسيا الذي بشرت فيه التوراة إلا أن اليهود رفضوا ذلك رفضا قاطعا واتهموا المسيح عليه السلام بالكذب وطاردوه وتأمروا عليه وحكم عليه مجلسهم (الستهدرين) بالموت شنقا على خشبة الصليب لولا أن الله تعالى نجاه منهم ورفعهم إليه: ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (النساء: 157-158).

وكان من الممكن لليهود ان يعدو نبينا محمداً [المسيا المخلص الذي بشر به أنبياءهم ولكنهم استمروا في غيهم وضلالهم وظلوا ينتظرون مسياهم الذي يبدو أنه المسيح الدجال الذي ورد ذكره في الاحاديث الصحيحة يقول ابن القيم رحمه الله «فالمسلمون يؤمنون بالمسيح الصادق الذي جاء من عند الله بالهدى ودين الحق الذي هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، والنصارى إنما تؤمن بمسيح دعا إلى عبادة نفسه وأمه وأنه ثالث ثلاثة وأنه الله أو ابن الله، وهذا هو أخو المسيح الكذاب لو كان له وجود . . . كما أن اليهود إنما ينتظرون خروج مسيح فعوضهم الشيطان من الايمان به بعد مجيئه انتظارا للمسيح الدجال . . . وهكذا كل من أعرض عن الحق يعوض عنه بالباطل» (الحاج، هداية الحباري في اجوبة اليهود والنصارى، ص342).

وقد ورد التصريح بيهودية المسيح الدجال في الأحاديث الصحيحة ومنها ما جاء في صحيح مسلم، عن أبي سعيد الخدري أن النبي [قال فيه «إنه يهودي وإنه لا يولد له ولد، وإنه لا يدخل المدينة ولا مكة» (صحيح مسلم/ كتاب الفتن 90/52).

ومع إنكار اليهود أن يكون المسيح المنتظر هو يسوع المسيح ورغم الحملة التي شنها التلمود اليهودي على المسيح عليه السلام وذكره أن المسيح ابن مريم وأمه موجودان في لجج الجحيم. ورغم ذلك كله إلا أن اليهود استطاعوا أن يجدوا لهم من بين صفوف النصارى الغربيين وبخاصة الأمريكيين من يؤمن بعدهم بفكرة المسيح المنتظر الموعود الذي لا بد من

ظهوره بعد خراب الهيكل الثالث، ومن هؤلاء جماعات شهود يهوه من النصارى الذين تهودوا وقدسوا السبت .

وفي التلمود توجد الصفات التي يعدها اليهود خاصة بمسيح اليهود فجاء فيه «سيأتي المسيح الحقيقي ويحصل النصر المنتظر ويقبل المسيح وقتئذ هدايا كل الشعوب وتكون الأمة اليهودية إذ ذاك في غاية الثروة لأنها تكون قد حصلت على جميع أموال العالم وحين يأتي المسيح تطرح الأرض فطيرا وملابس من الصوف وقمحا حبه بقدر كلاوي الثيران الكبيرة، وفي ذلك الزمن ترجع السلطة إلى اليهود وجميع الأمم تخدم ذلك المسيح وسوف يملك كل يهودي ألفين وثلاثمائة عبد لخدمته، ولن يأتي المسيح إلا بعد اندثار حكم الشعوب الخارجة عن دين بني إسرائيل (خان، التلمود: تاريخه وتعاليمه، ص 58) .

وعبر أجيال متتابعة كان في كل جيل يظهر من اليهود من يدعي أنه المسيح المنتظر، ولما وقعت أحداث الاضطهاد في بولونيا سنة 1648م قيل عنها إنها بشير لليهود بقرب مجيء المسيح، وقد ظهر شاب يهودي يدعى ساباتاي زيفي من ازمير بتركيا وادعى أنه المسيح المنتظر وتبعه عدد من اليهود المتحمسين، وقد ادعى هذا الإسلام وهو من أشهر دعاة حركة الدوغمه التي أطاحت بدولة الخلافة العثمانية (مصطفى، قبل أن يهدم الأقصى، ص 137) .

4.5 اليوم الآخر في الديانة اليهودية

أخي الدارس، أختي الدارسة

نستطيع القول أن عقيدة اليهود في اليوم الآخر على ضربين أو أن اليهود في مسألة الآخرة انقسموا إلى فريقين:

1.4.5 فريق يقر بالآخرة ويعترف بها .

2.4.5 فريق لا يعترف بها ويعدّ جنته في الأرض بما يلاقه من نعيم فيها .

وهذه بعض المعلومات عن كلا الفريقين:

1.4.5 الذين يؤمنون بالآخرة

لقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك - يعني وجود يوم آخر في نظر بعض اليهود - فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (البقرة: 111) . فالآية تشير إلى اعتراف بعض اليهود بالآخرة ثم بينت الآية الكريمة احتكارهم الجنة لأنفسهم دون غيرهم من البشر .

فهم أنانيون يرون أنفسهم فحسب انهم أهل النعيم وغيرهم من باقي الأمم هم أصحاب الجحيم .

ثم بين القرآن الكريم مدى حرصهم على الحياة الدنيا فقال سبحانه : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (٦) وَلَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿ (الجمعة : 6-7) .
فالآية تشير إلى ما يلي :

- أ . عدم صدق اليهود في ولايتهم لله .
 - ب . إن اليهود لا يستطيعون أن يطلبوا الموت لأنهم علموا ما قدمت أيديهم من فساد في الأرض ويدل هذا على أن عقيدتهم في الآخرة - وإن كانوا يؤمنون بوجودها - عقيدة فاسدة تضرهم ولا تنفعهم .
- أما مجمل ما يعتقدونه في الآخرة فهو ما ورد في التلمود على النحو التالي :-
- 1 . إنه لا يدخل الجنة إلا اليهود فقط وباقي الأمم في جهنم .
 - 2 . انهم يشربون الخمر الفاخرة في الجنة .
 - 3 . يرى بعض الحاخامات أنه لا أكل في الجنة ولا شرب ولا زواج ولا تناسل ولا تجارة ولا حقد ولا ضغينة وإنما يجلس الصالح وعلى رأسه تاج وسيتمتع برونق السكينة .
 - 4 . بعض الحاخامات قالوا: ان الإسرائيليين الذين اترفوا الذنوب سيذهبون مع الأجانِب إلى نار جهنم وسيمكثون فيها اثني عشر شهرا فقط .
 - 5 . وجاء في التلمود أن الجنة تكبر المعمورة بستين مرة والجحيم أكبر من الجنة بستين مرة .
 - 6 . أما عن جهنم فلها ثلاثة أبواب ، باب في البرية وباب في البحر وباب في أورشليم .
- (خان ، التلمود تاريخه وتعاليمه ، ص 78-79) .

2.4.5 الذين لا يؤمنون بالآخرة والبعث

ومنهم الصدوقيون الذين ينكرون البعث والحياة الأخرى والحساب والجنة والنار ويرون أن جزاء الإنسان يتم في الدنيا فالعمل الصالح يسبب لصاحبه الخير والبركة والعكس صحيح . يقول الدكتور دراز «إن الحقيقة التي أجمع عليها مؤرخو الأديان هي أنه ليس هناك مجموعة إنسانية بل أمة كبيرة عاشت ثم مضت دون ان تفكر في مبدأ الإنسان وفي مصيره

وفي تحليل ظواهر الكون وأحداثه» وهنا نجد ان القرآن الكريم يذكر انه ما من أمة إلا وأرسل الله إليها نبيا لينذرهم ويعلمهم تعاليم الله على رأسها وحدانية الله وعقيدة اليوم الآخر .
ولكننا نجد أن كثيرا من الأمم يعرض عندهم اليوم الآخر في صورة غير واضحة، وليست على الصورة التي جاء بها أنبياء الله إلى تلك الأمم، والسبب في ذلك أنه كان يحدث بعد كل رسالة ان ينحرف الناس عن استقامة العقيدة فيخلطوا بها أو شاباً من الوثنية وتصوراتها السابقة على الرسالات السماوية أو اللاحقة ومن هذه الاوشاب الخليعة كانت تتألف عقائد وثنية جديدة، وهذا ما يجده الدارس في كثير من الأصول العقائدية والأخلاقية التي أتت بها الرسالات السماوية هذه الأمم (عبد الباري، اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، ص 27-28) .
لقد كثر الحديث في العهد القديم عن جنات القصور في الدنيا ولم يرد الحديث عن جنة الله أو جنة الآخرة إلا ما أشار إليه سفر التكوين في حديثه عن قصة آدم عليه السلام وخروجه من الجنة «وغرس الرب الإله الجنة في عدن شرقاً، ووضع هناك آدم الذي جبله . . . وشجرة الحياة في وسط الجنة وكان نهر يخرج من عدن ليسقي الجنة» (التكوين/ 2:10-8) .
وما أشار إليه سفر حزقيال من تشبيه لأرز لبنان بجنة الله «الأرز في جنة الله لم يفقه السرو . . . كل الأشجار في جنة الله لم تشبهه في حسنه، جعلته جميلاً بكثرة قضبانه حتى حسدته كل أشجار عدن التي في جنة الله» (حزقيال/ 9-8-31) .

وإذا كان الفريسيون هم الفرقة الوحيدة التي تؤمن بالبعث والجزاء الأخروي فإن أشهر فرقها التي ركزت على هذا الموضوع وآمنت به بوضوح هي فرقة الحيسيديم الذين يرون أن هناك ثواباً وعقاباً بعد الموت حيث يعاقب المذنب على ما اقترفه من ذنوب ويثاب الصالح على ما عمل من خير . (حسن، اليهود الحيسيديم، ص 67-69) .

5.5 شعب الله المختار

أخي الدارس، أختي الدارسة:

وضع اليهود في توراتهم جذور العنصرية والتعصب والانعزالية ورسخ في أنفسهم أنهم شعب الله المختار وأنهم أفضل شعوب الأرض قاطبة، وأنهم أبناء الله وأحباؤه، بل وصل بهم الأمر أن يعدوا (يهوا) إليها خاصا بهم .

وملأوا توراتهم بوعود كثيرة أعطاها لأنبيائهم، وكلها تؤكد على امتيازات خاصة لشعب إسرائيل دون غيره من الأمم .

وتشكل هذه الوعود التي تكررت عشرات المرات في التوراة حجر الزاوية في الخلق اليهودي المريض ويبدأ سيل الوعود في التوراة من أيام إبراهيم الخليل عليه السلام يوم اجتاز الأرض إلى شكيم (نابلس) وكان يقطنها الكنعانيون «وظهر الرب لأبرام وقال: لنسلك أعطي هذه الأرض» (التكوين/ 12:7) «وقال الرب لأبرام: ارفع عينيك وانظر في الموضع الذي أنت فيه شمالا وجنوبا وشرقا وغربا لأن جميع الأرض التي أنت ترى لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد، واجعل نسلك كتراب الأرض» (التكوين/ 13:16-14).

«في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلاً: لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات» (التكوين/ 15/28).

ومن بعد إبراهيم عليه السلام إنهالت الوعود على ابنه اسحق «وظهر له الرب وقال: لا تنزل إلى مصر، اسكن في الأرض التي أقول لك . . . لأنني لك ولنسلك أعطي جميع هذه البلاد» (التكوين/ 26/2).

ومن بعد اسحق ابنه يعقوب «الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك» (التكوين/ 12/28). وتعطي التوراة وعودها المتلاحقة لموسى عليه السلام، فقال الرب: «إني رأيت مذلة شعبي الذي بمصر وسمعت صراخهم من أجل مسخريهم إني علمت أوجاعهم فنزلت لأنقذهم من أيدي المصريين وأصعدهم من تلك الأرض إلى أرض جيدة واسعة إلى أرض تفيض لبنا وعسلا» (الخروج/ 3:8-6).

ولم يكتب اليهود بهذه الوعود التي وضعوها بل وضعوا النصوص المباشرة التي تؤكد قدسية هذا الشعب حيث ورد في سفر التثنية «لأنك شعب مقدس للرب إلهك وقد اختارك لكي تكون له شعبا خاصا فوق جميع الشعوب التي على وجه الأرض» (التثنية/ 14/1).

ثم جاء التلمود فكانت حرية الشعب المختار القضية المركزية التي تمحور حولها ووضع كل الأنظمة والتشريعات المنبثقة عنها وزعم أنهم أبناء الله وأحباؤه «بنو إسرائيل أحباء الله لأنهم يدعون أبناؤه».

وأظهر التلمود فكرة الجويم (الأغيار) واقرنت كلمة (جوي) العبرية في عقولهم بالزراية والاحتقار والهمجية والبربرية.

ولم يكتب التلمود بصب لعناته على الجويم بل شملتهم تشريعاته التي تميز لليهود أن يفعلوا أبشع الفواحش والمنكرات من سرقة وزنا وقتل وكذب في التعامل معهم .

أما البروتوكولات فحدث ولا حرج عن عنصريتها وخطتها الجهنمية في الكيد للأغيار وتدمير أخلاقهم ومجتمعاتهم وسلب أموالهم وثوراتهم .

ان التراث اليهودي في التلمود والبروتوكولات يوصي بألوان من التعصب اليهودي ضد أمم العالم: ومن ذلك انهم يحرمون ان ترضع المرأة الإسرائيلية طفلاً من غير اليهود حتى إن تعرض للموت من الحرمان من الغذاء، وتنصح بعض هذه التعاليم الطيب اليهودي بالا يعالج مريضاً من الأمم الأخرى، بل تحرم على اليهودي كائناً من كان أن يصدق في النصيحة لغير اليهودي، بل جاء في التلمود (باب عيد الفصح: 2/49) أن أحد رهبانهم قال لتلاميذه إذا جاء عيد الغفران في يوم سبت فإنه يباح في ذلك اليوم تهشيم رؤوس أبناء الأمم الأخرى لقتلهم، فقال له تلاميذه: يا مولانا، قل بالأحرى إنه يباح ذبحهم فقال: لا لأن ذبحهم سيكلفنا ان نقرأ صلاة معينة» (ظاظا، أبحاث الفكر اليهودي، ص 119-120).

ولقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الفرية الكاذبة وهذا الإدعاء الباطل الذي ادعاه اليهود لأنفسهم وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ﴾ (المائدة: 18).

وقوله تعالى عنهم: ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾ (آل عمران: 75).

والمقصود بالأميين غير اليهود وهو ما يعبرون عنه بالجوييم (الاجيار).



أسئلة التقويم الذاتي (3)

1. من هم الفريسيون وما الفرق بينهم وبين الصدوقين؟
2. ما أبرز الأفكار التي يعتقدونها الأوثودكسيون اليهود؟
3. لماذا لم يتحصل الإجماع عند اليهود على تحديد اسم الإله عندهم، وما أهم الأسماء التي عرفها اليهود لإلههم؟

6. أهم الشرائع اليهودية

أخي الدارس ، أختي الدارسة

ينسب إلى موسى على السلام أنه أول من رسم لليهود السلطة التشريعية وقد جاءت أسس التشريع في التوراة التي جاء بها من عنده تحمل الوصايا الإلهية .
إلا أن اليهود لم يكتفوا بهذه الوصايا بل أضافوا إلى أسفار التوراة تشريعات صنعها كهنتهم يقررون بها حقوقا لأنفسهم وتقاليد لقومهم فكانت الشريعة اليهودية . وسنقدم إيجازا عن الوصايا العشر بالإضافة إلى تعرف بعض التشريعات المتعلقة بالصلاة والزنا والربا والقتال والمرأة ، والمواسم والأعياد عند اليهود .

1.6 الوصايا العشر

يقول الدكتور أحمد شلبي في كتابه اليهودية (ص 289): من مطالعة أسفار موسى الخمسة يتضح لنا أن الوصايا العشر وردت في صيغتين ، إحداهما أكثر اتصالا بالدين والعقيدة وقد جاءت في سفر الخروج ، والأخرى أكثر اتصالا بالعادات والتشريع وقد وردت في سفري الخروج والتثنية (الخروج/ 11-28:34 ، والتثنية/ 6-22:5) .
وهناك توافق في بعض الوصايا ثم اختلاف في البعض الآخر .

نص الصيغة الأولى كالآتي :

اصنع ما أنا موصيك به اليوم :-

1. لا تسجد لإله آخر لأن الرب اسمه غيور ، إله غيور .
2. لا تصنع لنفسك آلهة مسبوكة .
3. تحفظ عيد الفطير ، سبعة أيام تأكل فطيرا كما أمرتك في شهر أبيب ، لأنك في شهر أبيب خرجت من مصر .
4. لي كل فاتح رحم (أي أن البكرة يقدم قربانا) وكل بكر من بنيك تفديه ، وكذلك تفدي بكر الحمار .
5. أول أبكار الأرض تحضره إلى بيت الرب إلهك .
6. ستة أيام تعمل أما اليوم السابع فتسريح فيه .
7. اصنع لنفسك عيد الحصاد ، عند حصاد الحنطة وعند الجمع في آخر السنة .
8. لا تذبح على خمير دم ذبيحتي .

9. لا تبت إلى الغد ذبيحة عيد الفصح .

10. لا تطبخ جديا بلبن أمه .

هذه هي كلمات العهد، الكلمات العشر .

ونص الصيغة الثانية . كالآتي :-

1. أنا الرب إلهك الذي أخرجك من مصر، من بيت العبودية، لا يكن لك آلهة

أخرى أمامي، لا تصنع لك تماثلا منحوتا ولا صورة مما في الأرض ولا تسجد

لهن ولا تعبدهن لأنني أنا الرب إلهك اله غيور .

2. افتقد ذنوب الآباء في الأبناء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي، واصنع إحسانا

إلى ألوف من محبي وحافظي وصاياي .

3. لا تنطق باسم الرب إلهك باطلا لأن الرب لا يبرئ من نطق باسمه باطلا .

4. اذكر يوم السبت لتقدسه، ستة أيام تعمل وتصنع جميع عملك، وأما اليوم السابع ففيه

سبت للرب إلهك، لا تصنع عملا ما أنت وابنك وابنتك وعبدك وامتك وبهيمنتك

ونزيلك الذي دخل أبوابك، لأن في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض والبحر وكل

ما فيهما، واستراح في اليوم السابع، لذلك بارك الرب يوم السبت وقده .

5. أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك .

6. لا تقتل .

7. لا تزن .

8. لا تسرق .

9. لا تشهد على قريبك شهادة زور .

10. لا تشته بيت قريبك، لا تشته امرأة قريبك، ولا عبده ولا أمته ولا ثوره ولا حماره

ولا شيئا مما لقريبك .

2.6 الصلاة

أخي الدارس، أختي الدارسة

كان اليهود يتلون في دور عباداتهم الصلوات التي يضعها لهم أنبياءهم وكهنتهم

وكانت الصلاة انفرادية أو جماعية، وكان اليهود حين يشرعون في الصلاة يخلعون أحذيتهم

ويطأئون رؤوسهم ويحنون أجسادهم ويسجدون حتى تمس رؤوسهم الأرض (شودة،

المجتمع اليهودي، ص 210-212) .

وقد طلب الله السجود له إذ قال لموسى في سفر الخروج «اصعد إلى الرب أنت وهارون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل واسجدوا من بعيد» (الخروج/24:1) .
 وقال داود النبي : «اسجدوا للرب في زينة مقدسة» (أخبار الأيام الأول/16:29) .
 وكان اليهود في أثناء الصلاة يعصبون على جباههم أو سواعدهم اليسرى علبة صغيرة مكعبة الشكل من الجلد يسمونها العصابة، وتحتوي على قصاصات من الورق أو الجلد مكتوب عليها أربع آيات من التوراة هي : الخروج (2-10:12)، الخروج (11-21:13)، التثنية (4-6:9)، التثنية (18-21:11) .

وقد اعتقد اليهود ان الله أمرهم ان يفعلوا هذا حسب تفسيرهم الحرفي لما ورد في سفر الخروج اذ جاء فيه : «ويكون لك علامة على يدك وتذكاري بين عينيك لكي تكون شريعة الرب في فمك . فيكون علامة على يدك وعصابة بين عينيك» (الخروج/9-13:13) .
 وما ورد في سفر التثنية إذ جاء فيه : «لتكن هذه الكلمات أنا أوصيك بها اليوم على قلبك . . . واربطها علامة على يدك ولتكن عصائب بين عينيك» (التثنية/28:6) .

3.6 الزنا

إن تحريم الزنا والفواحش هو من أوامر التوراة الحقة، التي جاء بها موسى عليه السلام وإن اتهم الأنبياء بالزنا وارتكاب الموبقات والجرائم والفواحش كافة هو من أكاذيب الأخبار الذين كتبوا هذه الأسفار، وأضافوا إليها ما ليس منها، وجاءت العقوبات في التوراة مشددة على الزنا ونكاح المحارم واللواط ومضاجعة الحيوانات، وذلك لمنع انتشارها في بني إسرائيل . . . ومع ذلك انتشرت هذه الفواحش ولم يكن هناك من ينفذ أحكام الشريعة، بل وصل الأمر بالأخبار أن اتهموا الأنبياء بارتكاب الفواحش حتى سهل لهم ارتكابها.

4.6 الأحبار يغيرون الأحكام

أخي الدارس، أختي الدارسة

ان اليهود بطبيعة الحال مارسوا الزنا واللواط علنا في المعابد والهياكل ذاتها
 وقدسوا بصورة خاصة ما قامت الزانية (راحاب) والزانية (يهوديت) وجعلوا لها سفرا
 خاصا يمجد زناها والزانية (استير) وجعلوا لها سفرا وعيدا لذكرها هو (عيد الفوريم) أو (عيد الساخر) .

واما التلمود الذي كتبه الأحرار، ففيه ما يلي :-

- «اليهودي لا يخطئ إذا اعتدى على عرض الأجنبية لأن كل عقد نكاح عند الأجانب فاسد والمرأة غير اليهودية مثل البهيمة والعقد لا يوجد بين البهائم».
- «لليهودي الحق في اغتصاب النساء غير اليهوديات».
- «لليهودي أن يسلم نفسه للشهوات إذا لم يمكنه مقاومتها».
- «إن الزنا بغير اليهوديات واللواط بغير اليهود لا عقاب عليه لأن الأجانب من نسل الحيوانات».
- «ليس للمرأة اليهودية أن تبدي أي شكوى إذا زنا زوجها بأجنبية في المسكن المقيم فيه مع زوجته لأنه لم يزن إلا بحيوان لا كرامة له».
- «اللواط بالزوجة جائز لأن الزوجة مثل قطعة لحم اشتراها من الجزار ويمكنه أكلها مسلوقة أو مشوية حسب رغبته» (البار، المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم، ص72-78).

5.6 الربا

أخي الدارس، أختي الدارسة

لجأ اليهود من أجل سرقة مال الأغيار إلى وسيلة دنيئة غدت وقفا عليهم ورمزا لجشعهم فبرعوا فيها واتفقوا فيها ونجحوا في تخريب الحكومات والشعوب والأسر نتيجة ممارستها وتلك الوسيلة هي الربا.

وحين جاء الإسلام حاربهم في أعز ما لديهم في الحياة، حاربهم في جشعهم وحبهم لابتزاز مال غيرهم، حاربهم في الركن الأساسي الذي تقوم عليه أنظمة حياتهم الاقتصادية المبنية على استغلال جهد غيرهم في سبيل تأمين حياة رغده لشعب الله المختار!!! (التل، جذور البلاء، ص108). إن الذي يقرأ التلمود ويطلع على بروتوكولات حكماء صهيون يرى إلى أي مدى تصل النفسية اليهودية من الجشع والاستغلال.

ومما جاء في تلمود اليهود الذي يوجب الربا مع غير اليهود من الأميين، «اشترى الرابي صموئيل آنية ذهب من أجنبي كان يظنها البائع نحاسا ودفع ثمنها أربعة دراهم ثم سرق درهما منها» وفعل الرابي هذا ليؤكد لليهود في التلمود أن سرقة الأجنبي وغشه مباحان. «مارس الرابي كهان الغش بنفسه حين اشترى مرة مائة وعشرين برميلا من النبيذ ولم يدفع للأجنبي إلا ثمن مائة برميل فقط . . .

إن اليهود يجتمعون كل أسبوع يتفاخرون بما فعل كل منهم من أساليب الغش للمسيحيين ويتداولون في ابتكار أساليب جديدة تساعد على ابتزاز مال الكفار . . . غير مصرح لليهودي إقراض الأجنبي إلا بربا، والربا محرم بين اليهود ومباح تعاطيه مع غير اليهود» (التل، جذور البلاء، ص81).
 إن هدف أيديولوجية التلمود هو إقامة إمبراطورية الربا العالمية وإن الربا هو أس الأساس في بناء الأيديولوجية التلمودية . ولقد كان اليهود هم الذين حملوا لواء الربا على طول العصور، وكان المرابون اليهود وراء إقراض الأمم والملوك، وقد قامت الرأسمالية على الربا الفاحش وارتبط الاقتصاد العالمي بالربا، وارتبطت بالربا صناعة السينما وتجارة الرقيق والخمر والمخدرات، وكان للربا أثره في التركيز على بضائع معينة هي أدوات الترف والزينة وما وراءها وكان لا بد أن تخلق من ورائه فلسفة ونظريات تدعم الدعوة إليه، وتغري بها السذج ليستمر نحو نفوذ الربا وبذلك فرض الربا نفوذه وتأثيره على كل القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية (الجندي، الإسلام والدعوات الهدامة، ص92-93).

6.6 القتل

أخي الدارس، أختي الدارسة

جاء في الوصايا العشرة «لا تقتل» وجاء في سفر العدد «إن القاتل يقتل» على أن الشريعة فرقت بين القتل العمد والقتل غير العمد والقتل المباشر والقتل المشروع .
 وقد عدت القتل عمداً فيما إذا ضرب القاتل المجني عليه بأداة حديدية أو خشبية أو بحجر أو دفعه أو لكمه أو ألقى عليه شيئاً في عداوة فمات، فعقابه في هذه الحالة هو القتل، ولا تثبت جريمة القتل إلا بشهادة شاهدين أو أكثر، فلا تثبت بشهادة واحد (العدد/3/35).
 ولا يجوز في هذه الحالة افتداء القاتل بالمال، «لأن الدم يندس الأرض ولا يكفر لأجل الدم الذي سفك فيها إلا بدم سافكه». والذي يقتل القاتل في هذه الحالة هو «ولي الدم» أو «منتقم الدم» وهو أقرب الأقرباء إلى القاتل.

أما القتل غير العمد فيكون إذا ألقى القاتل على القاتل شيئاً أو أسقط عليه حجراً بغير عمد أو دفعه فجأة بغير عداوة أو بغير علم فمات، دون أن يكون قاصداً أذيته، أو كان يحتطب فأقلت الحديد من فأسه وأصاب القاتل بغير قصد فمات، وفي هذه الحالة سمحت الشريعة للقاتل بأن يهرب من ولي الدم إلى أحد مدن الملجأ التي حددتها لهذا الغرض، حتى تجري محاكمته، فإذا ثبتت براءته من القتل العمد أبيحت له الإقامة في مدينة الملجأ حتى يموت رئيس الكهنة القائم في ذلك الوقت، فعند موته يرجع إلى موطنه، فإذا خرج ولي

الدم وقتله قبل موت رئيس الكهنة ووجده ولي الدم وقتله ذهب دمه هدرا إذ لا يجب في هذه الحالة القصاص من قاتله (العدد/ 22-28: 35).

وحددت آخراً مدن الملجأ بست مدن ثلاث شرقي الأردن والأخرى غربي الأردن، أما القتل غير المباشر فيحدث إذا نطح ثور إنسان فمات وكان الثور معروفاً بأنه نطاح فيحتنذ يرحم الثور ويقتل صاحبه أو يدفع الفدية التي يفرضها ولي الدم، إلا إذا كان القتل عبداً فلا يقتل صاحب الثور وإنما يدفع لسيد العبد ثلاثين شاكل فضة.

أما إذا كان الثور غير معروف فإنه نطاح ونطح إنساناً فقتله فيرحم الثور ولا يؤكل لحمه ويكون صاحبه بريئاً (الخروج/ 28-31: 21).

وكذلك إذا أهمل إنسان بناء حائط بسطح بيته وسقط منه إنسان فمات كان صاحب البيت مسؤولاً عن موته مسؤولية القاتل (الثنية/ 22: 8).

وأما القتل المشروع فهو الذي يتم تنفيذاً للحكم بالموت، أو إذا خرج القاتل من مدينة الملجأ قبل موت رئيس الكهنة فوجده ولي الدم فقتله، أو إذا ضبط إنسان لصاً وهو ينقب بيته ليلاً فقتله ولكنه إذا قتله نهاراً يعاقب عقاب القاتل (الخروج/ 2-3: 22). وكما تقضي الشريعة بوجود قتل الأعداء في الحرب، (صموئيل الأول/ 15: 3).

أما في حالة ما إذا كان القاتل مجهولاً، فقد جاء في سفر الثنية «إذا وجد قتيل في الأرض التي يعطيك الرب إلهك لتملكها واقعا في الحقل لا يعلم من قتله، يخرج شيوخك وقضاةك ويقيسون إلى المدن التي حول القتل، فالمدينة الأقرب من القتل يأخذ شيوخ تلك المدينة عجلة من البقر لم يحرث عليها ولم تجر بالنير وينحدر شيوخ تلك المدينة بالعجلة إلى وادئ السيلان لم يحرث فيه ولم يزرع ويكسرون عن العجلة في الوادي ثم يتقدم الكهنة بني لاوي . . . ويباركون باسم الرب حسب قولهم تكون كل خصومة وكل ضربة، ويغسل جميع شيوخ تلك المدينة القريين من القتل أيديهم على العجلة المكسورة العنق في الوادي ويصرخون ويقولون: أيدينا لم تسفك هذا الدم واعيننا لم تبصر، اغفر لشعبك إسرائيل الذي فديت يا رب ولا تجعل دم برئ في وسط شعبك فيغفر لهم الدم (الثنية/ 9: 21-1، شودة، المجتمع اليهودي، ص 222-225).

7.6 الميراث

أخي الدارس، أختي الدارسة
أول من يرث الميت ولده الذكر، وإذا تعدد الذكور من الأولاد فللبكر حظ اثنين من أخوته، ولا فرق بين المولود بنكاح صحيح أو غير صحيح من الأولاد في الموارث،

فيعطى لكل منهم نصيبه بقطع النظر عن النكاح الذي ولد منه، ولا يحرم البكر من امتيازها بسبب كونه من نكاح غير شرعي، أما البنات فمن لم تبلغ منهن الثانية عشرة فلها النفقة والتربية حتى تبلغ هذه السن تماما، وليس لها شيء بعد ذلك، وإذا لم يكن للميت ولد ذكر فميراثه لابن ابنه، وإذا لم يكن له ابن انتقل الميراث إلى البنت فأولادها، وهكذا . . . ويرى القراءون أن يكون للبنت نصيب مع الولد، سهمان للولد وسهم للبنت، وإذا لم تكن له ذرية فميراثه لأصوله، وأحق الأصول بميراث الميت أبوه، وله كل التركة فإن لم يكن له أب فجدّه وإذا لم يكن له أصول انتقل الميراث إلى درجات الأقارب الفرعية من الذكور وإذا لم يكن للميت وارث من فروع أو أصول كانت أمواله مباحة يملكها أسبق الناس إلى حيازتها، وتظل وديعة في يد حائزها مدة ثلاث سنوات فإذا لم يظهر للميت وارث خلالها صارت ملكا تاما لحائزها. وعند اختلاف الدين يرث اليهودي أقاربه من غير اليهود ولا يرث غير اليهود اليهودي (شلي، اليهودية، ص 297-298).

8.6 المرأة

أخي الدارس، أختي الدارسة، فيما يلي أهم النقاط المتعلقة بنظرة التوراة للمرأة:

1. تنظر التوراة إلى المرأة على أنها مصدر شر لأنها تسببت في إخراج آدم من الجنة، ولولا ذلك لبقى الإنسان يتمتع في الجنان، فبعد أن خلق الله حواء من آدم ونهاهما عن الأكل من الشجرة غررت الحية بالمرأة فأكلت وأطعمت المرأة آدم فكان ما كان من العراء في الجنة. «هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك ألا تأكل منها فقال: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت، . . . فقال الرب الإله للحية ملعونة من جميع البهائم . . . قال للمرأة أكثر أتعب حبلك بالوجع تلدين أولاد وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك . . . وقال لآدم لأنك سمعت لقول امرأتك وأكلت من الشجرة . . . ملعونة الأرض بسببك بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك . . .».
2. بناء على ما مضى فإن السعيد من رزق الذكور وما أسوء حظ من رزق الإناث وإن كانت الأنثى لا بد منها للتناسل لكن الذكر كرائحة العطر الزكية والأنثى كرائحة الجلد الخبيثة فهل يستويان.
3. تعدد الزوجات جائز شرعاً دون حد ولم يرد في التوراة نهى عنه وحدده الربانيون بأربع، أما طائفة القرائين فلم يحدده.

4. المرأة عبارة عن صفقة تجارية فإذا تزوجت تعد مملوكة لزوجها .
 5. يعد عقد الزواج عبارة عن هدية أو خاتم يقدمه الزوج أمام شاهدين .
 6. إذا تزوجت المرأة فهي كالقاصر والصبي والمجنون لا تباع ولا تشتري .
 7. كل ما تملكه المرأة بعد زواجها يصبح ملك زوجها وليس لها إلا مؤخر الصداق تطالب به بعد موت الزوج أو عند طلاقها .
 8. استقرار الرأي بسبب كثرة الخلاف حول ما تملكه المرأة واستيلاء الزوج عليه ان يعمل بمشروع «وقف الزوجية» ومعناه ان ينتفع الزوج بالأموال دون بيعها أو رهنها فهو مالك للمنفعة وهي صاحبة رأس المال فإذا حصلت الفرقة عادت الأموال إليها .
 9. المرأة هي التي تقوم بأعمال البيت مهما كانت ثرية والأعمال هي الطحن والخبز وغسل الملابس والطبخ والرضاعة وتنظيف البيت وغزل الثياب وخباطتها .
 10. تعفى المرأة من بعض الخدمات وذلك كآلاتي :
 - أ. إذا أحضرت من بيت أبيها خادما تعفى من الطحن والخبز والغسيل .
 - ب. إذا أحضرت من بيت أبيها خادمين تعفى من الطبخ والرضاعة .
 - ج. إذا أحضرت من بيت أبيها ثلاثة تعفى من تنظيف البيت وتنظيمه .
 - د. إذا أحضرت من بيت أبيها أربعة تعفى من كل الأعمال .
- ولكن ربي يقول لو أحضرت مائة خادم لا بد أن تقوم بالغزل حتى لا تكون هناك بطالة فالبطالة تقود إلى الفساد .

11. لا تترث المرأة زوجها بعد الممات ولها الحق في المؤخر من الصداق ثم تمضي لشأنها أما إذا لم تطالب بصداقها المؤخر لها أن تعيش مع الورثة من مال التركة، وإذا كان الورثة بنات دون الثانية عشرة ينفق عليهن من مال التركة فإذا بلغن الثانية عشرة ليس لهن شئ بعد ذلك . (ابو الريش ومختار، إظهار الحق في الأديان والفرق، ص 48-74) .

9.6 الأعياد عند اليهود

- أخي الدارس، أختي الدارسة، يحتفل اليهود بعدد كبير من الأعياد ومن هذه الأعياد:
1. عيد الفصح: عيد قديم عرفه اليهود في البادية وهو احتفال بمناسبة الخروج من مصر بقيادة موسى عليه السلام وأهمية هذا العيد أن اليهود يعتقدون أن الرب قادهم بنفسه وأخرجهم من نير العبودية، ولأن الخروج كان بصورة اضطرارية إذ

أعجلهم الخوف من اللحاق بهم فقد أعدوا خبزهم على عجل فطيرا قبل أن يختمر ولهذا أصبح اليهود يأكلون الخبز الفطير في هذا العيد ومدة هذا العيد هو الأسبوع الثالث من شهر نيسان و يقيمون احتفالات مقدسة في بداية العيد ونهايته (السعدي، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود، ص 11-17).

2. عيد التفكير: ويكون في الشهر العاشر من السنة اليهودية وينقطع الشخص تسعة أيام يتعبد فيها ويصوم وتسمى أيام التوبة وفي اليوم العاشر الذي هو يوم التكفير لا يأكل فيه اليهودي ولا يشرب ويمضي وقته في العبادة، حيث تغفر سيئاته جميعها، ويستعد فيه لاستقبال عام جديد. (الموسوعة الميسرة في الأديان والفرق، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ص 570).
3. زيارة بيت المقدس: يتحتم على كل يهودي ذكر رشيد زيارة البيت المقدس مرتين كل عام يقضي أسبوعا، في كل مرة يشترك في احتفالات الكهنة لتكون الفرصة متاحة فيتعرف يهود العالم على بعضهم (حسين، اليهود واليهودية والمسيحية، ص 65-66).
4. الهلال الجديد: ويحتفل اليهود لميلاد كل هلال جديد حيث كانت تنفخ الابواق في البيت المقدس وتشعل النيران على جبال الزيتون لإعلام الآخرين ويتبارى اليهود في سرعة إخبار الكهنة برؤيته (الموسوعة الميسرة، الندوة العالمية، ص 570).
5. يوم السبت: لا يجوز لديهم الاشتغال في هذا اليوم تشبها بالرب الذي استراح حسب اعتقادهم في هذا اليوم بعد ان خلق السماوات والأرض في ستة أيام. ويرى ول ديورانت: ان اليهود تأثروا في هذا اليوم بالبابليين الذين كانوا يطلقون على يوم الصيام (شبتو) ويقدمونه (الموسوعة الميسرة، ص 66-67). والقرآن الكريم يرد على هذا الادعاء الباطل بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾، أي تعب (ق: 38).
6. عيد الحصاد: يعيد به بعد خمسين يوما من ثاني أيام عيد الفصح، ومن مناسكه انه يجب أن يقام في أرض يهوذا التي يعني فيها اليهود أرض فلسطين اليوم.
7. يوم الغفران: وهو اليوم العاشر من شهر اكتوبر «تشرين أول» ويبدأ قبيل غروب شمس يوم التاسع ويستمر إلى ما بعد غروب شمس يوم العاشر، ويعرف هذا العيد بالعبرية باسم كيبور.
8. عيد المظلة: مدته سبعة أيام وهو عبارة عن إحياء ذكرى خيمة السعفا التي آوت بين أبناء إسرائيل وفي العراء فهي تذكرهم في أيام التيه ويسمى عيد الجمع لأنه يأتي بعد جمع

- الغلال من الحبوب والعب والزيتون من البساتين (شودة، المجتمع اليهودي، ص275).
9. عيد الأنوار: يستمر ثمانية أيام من الخامس والعشرين من كانون الأول وهي نفس الفترة التي يحتفل فيه المسيحيين بعيد الميلاد.
10. عيد رأس السنة: يحتفل بهذا العيد أول وثاني يوم من تشرين الأول.
11. عيد السنة السابعة: وهو كيوم السبت مقدس أيضا عندهم وهي سنة راحة أو عطلة لأن الشريعة تقضي بعدم الزرع فيها (شودة، المجتمع اليهودي، ص262).
- ويرى الدكتور فؤاد حسنين «إن اليهود أخذوا عن الكنعانيين كثيرا من أعيادهم الزراعية وحاولوا إرجاعها إلى تاريخهم القديم ومن هذه الأعياد: عيد الشعير حيث يصنع فيه الفطير وبعد سبعة أيام نجد عيد الحصاد ثم عيد جمع العنب والفواكه ويسمى عيد المظال. وقد ارتبط بهذه الأعياد تقديس أبقار الحيوان والنبات والفواكه» وبعد السبي ظهر عيد الفوريم وكان ذلك في 14 و 15 آذار اعتمادا على القصة الواردة في سفر استير وهو احتفال بذكرى القضاء على أعداء اليهود في فارس أيام الملك احشويرش. وكذلك احتفلوا بذكرى انتصار المكابيين على اليونان وتطهير المعبد من الطقوس الوثنية وهذا العيد في 25 نوفمبر (حسني، اليهود واليهودية المسيحية، ص66-67).
12. عيد نوريم أو بوريم: والذي يسميه الأوروبيون الكرنفال اليهودي ويسميه القدامى من علماء المسلمين: عيد المسخرة وهو يقوم على أسطورة تنسب إلى فترة وجود اليهود في المنفى في بابل وبلاد فارس (ظاظا، أبحاث في الفكر اليهودي، ص106).
- والآن أخي الدارس، أختي الدارسة اجب عن التالي:



أسئلة التقويم الذاتي (7)

1. ما هما الصيغتان اللتان وردت بهما الوصايا العشر؟
2. وضح طبيعة الصلاة عند اليهود.
3. تعد إقامة إمبراطورية الربا الهدف الايديولوجي للتلمود. ناقش ذلك.
4. حدد نظرة التوراة للمرأة من النواحي الآتية:-
 - أ. تعدد الزوجات.
 - ب. أعمال البيت.
 - ج. ميراث الزوجة.

أخي الدارس ، أختي الدارسة ،

بعد أن درست هذه الوحدة واطلعت على محتواها أود أن أقدم لك خلاصة

تضع بين يديك أهم الأفكار الرئيسة التي وردت فيها وهي :

1. أطلقت على اليهود تسميات كثيرة كالعبرانيين وبني اسرائيل والساميين

والموسويين ، ولكل تسمية سببها ، وعلى الرغم من محاولة اليهود هدم

الفوارق والحدود بين هذه التسميات لإيهام العالم أنهم جميعاً من نسب

الأنبياء ومن شعب الله المختار إلا أن هذه التسميات وتعدد الأعراق فيهم

دليل واضح على أن اليهود ليسوا من جنس واحد أو عرق متميز كما

يدعون .

2. التاريخ اليهودي يتسم بالغموض وعدم الاستقرار على الثوابت الدينية

لأنه اختلطت فيه عوامل التاريخ الاجتماعي والسياسي مع معطيات

العقيدة الدينية ، واختزل فيه الدين ليكون خاصاً بشعب معين دون غيره .

3. مملكة اليهود في فلسطين التي يتبجح بها اليهود ويرسمون هالة كبيرة

حولها مملكة مؤقتة ابتدأت في عهد داود عليه السلام وانتهت مع نهاية

عهد ابنه سليمان عليه السلام ، ولم تشمل في يوم من الأيام أراضي فلسطين

جميعها . وبعد العودة من النفي البابلي لم يتمكن اليهود من إقامة دولة لهم

ولم يكونوا أكثر من جالية يهودية خاضعة للفرس أو الرومان أو اليونان ،

إلى أن قضى الامبراطور الروماني ثيطس على الكيان اليهودي في فلسطين

سنة 70م .

4. يعترف اليهود أن التوراة الأصلية قد ضاعت وأن عزرا الوراق أعاد كتابتها

بالهام من الله - كما يدعون - ، وقد ضخّم اليهود التوراة وأضافوا إليها أكبر

من حجمها وسجلوا فيها تاريخ ملوكهم وأنبيائهم وأخبار أيامهم وأناشيدهم

ومراثيمهم وأمثالهم ، وضمنوها كل ما يدور في خلدتهم وعقليتهم ونظرتهم

إلى الآخرين .

5. التلمود كتاب تعليم ديانة اليهود وضعه حاخاماتهم وتناقلوه براويات شفوية أضيفت لها شروح وزيادات، وهو تعبير دقيق للعقلية اليهودية التي تتميز بالأثنية والحقد والاستعلاء على الآخرين الذين سماهم الجويم أي الأغيار وأجاز لليهود ممارسة كل أنواع الشر والفساد معهم لأن البشر الحقيقيين هم اليهود فقط.
6. بروتوكولات حكماء صهيون ترجمة عملية للعقلية اليهودية وخطة لتنفيذ المخططات التلمودية وروح المؤامرة هي السمة المسيطرة على هذه البروتوكولات.
7. الفرق اليهودية القديمة والحديثة كثيرة ولعل للثقافات الأجنبية التي كانت تتزامن مع تهجير اليهود والسيطرة الأجنبية عليهم أثراً واضحاً في كثرة هذه الفرق وتعددتها.
8. الصورة التي تقدمها التوراة الحالية عن الله، صورة مشوهة تنسب لله تعالى كل مظاهر النقص البشري، كما صنع اليهود لأنفسهم إلهاً خاصاً يتسم بصفات الود والتعاطف مع اليهود والحقد والغضب على غيرهم.

8. لمحة مسبقة عن الوحدة الدراسية التالية

أخي الدارس، أختي الدارسة، بعد أن تعرّفت من خلال دراستك لهذه الوحدة الديانة اليهودية منشأً وتاريخاً واعتقاداً وتشريعاً، توجه معنا إلى الوحدة اللاحقة التي سنطلعك من خلالها على النصرانية وهي ديانة خرجت من البيئة اليهودية لتكون رسالة تصحيحية تعالج الخلل والانحراف الذي حصل في المجتمع اليهودي، لكنها غيرت مسارها وخرجت من بيئتها وصارت ديناً عالمياً له أتباعه اليوم في معظم بقاع الدنيا، وسنطلعك في هذه الوحدة على النصرانية مفهومها ونشأتها ومصادرها وأصولها القصائدية وأهم شرائعها وأبرز فرقها.

تدريب (1)

الدليل العملي الواقعي على بطلان هذا الادعاء هو واقع المجتمع اليهودي اليوم الذي يضم شعوباً وأعراقاً مختلفة من أمم الأرض جميعها بأشكال وألوان متعددة إذ نرى فيهم الأحمر والأبيض والأصفر والأسود، ومن المستحيل أن يكون هؤلاء جميعاً على اختلاف أشكالهم وألوانهم من نسل اسحق ويعقوب عليهما السلام.

تدريب (2)

هو عزرا الوراق الذي كان في زمن أرتخشستا ملك فارس وكان كاتباً ماهراً نال مكانة مرموقة عند اليهود ولقبوه بالكاهن والكاتب لأنه كان دارساً مجتهداً ومفسراً عميقاً لوحدة الله وعهده لبني اسرائيل، واصل هذه المكانة لأنهم يعتقدون أنه منقذ التوراة وكاتبها بعد ضياعها بالالهام من الله تعالى.

تدريب (3)

التوراه: كلمة عبرية بمعنى الشريعة أو الناموس مأخوذة من كلمة تورة العبرية التي تعنى الهدى أو الإرشاد، وهي في الأصل الكتاب الإلهي المنزل على موسى عليه السلام، وتتكون من الأسفار الخمسة وهي: سفر التكوين وسفر الخروج وسفر اللاويين وسفر العدد وسفر التثنية.

والتلمود: كلمة عبرية بمعنى التعليم، وهو كتاب تعليم الديانة اليهودية وضعه حاخامات اليهود وتناقلوه بروايات شفوية جيلاً عن جيل إلى أن جمعت في كتاب وأضيفت إليها شروح وزيادات ضمت كل عبارات الحقد اليهودي على البشرية. ويتألق التلمود من المشنا والجمارا، والمشنا هي المتن الأصل وتعني الشريعة المكررة، والجمارا بمعنى الإتمام والإكمال وتحوي الحواشي والشروحات التي وضعت على المشنا.

تدريب (4)

لقد عرف المجتمع اليهودي في تاريخه الطويل فرقا كثيرة ومذاهب متعددة وكان للثقافات الأجنبية التي غزت المجتمع اليهودي بفعل الهجرة أو السيطرة الأجنبية أثر واضح في تعدد هذه الفرق وكثرة هذه المذاهب إذ تفاوتت ردة الفعل اليهودية على هذه الأحداث؛ أحداث التهجير أو أحداث السيطرة عليهم، بين من يرى الثورة والتمرد والمجابهة ومن يرى قبول الذل والاستسلام على أنها قدر إلهي أو من يرى ضرورة استخدام أساليب المكر والخداع، فتشكلت بناء على ذلك فرق متباغضة تطلق كل فرقة الاتهامات للفرق الأخرى.

تدريب (5)

يعتقد الفريسيون بحشر الأجساد والبعث الجسماني يوم القيامة؛ أما الصدوقيون فإنهم ينكرون البعث والحياة الأخرى والجزاء الأخروي ويرون أن جزاء الإنسان يتم في الدنيا فالعمل الصالح ينتج الخير والبركة لصاحبه والعمل السيء ينتج لصاحبه الأزمات والمتاعب.

تدريب (6)

فرقة السامريين تؤمن بتوراة خاصة تتضمن الأسفار الخمسة وسفر يشوع، وتنكر كل ما يتضمه العهد القديم من أسفار أخرى. أما موقفهم من النبوة فإنهم يثبتون نبوة موسى وهارون ويوشع بن نون وينكرون من بعدهم من الأنبياء إلا نبي واحد موعود يأتي مصدقا لموسى عليه السلام وأما موقفهم من البعث فإنهم يؤمنون بالبعث ويسمون يوم الموقف العظيم.

تدريب (7)

مؤسس الملة الاصلاحية هو موسى مندلسون وهو أديب يهودي اكماني، وأهم الأفكار التي تدعو إليها هي:

1. إنكار نظرية المسيح المنتظر.

2. تغريب أو فرنجة الطقوس اليهودية.

3. إنكار نظرية بعث الأجساد.

4. إقامة الصلوات باللغات القومية .
5. تعديل قوانين الربانة المتعلقة بالزواج والطلاق .

تدريب (8)

لقد قدمت أسفار التوراة الحالية صورة مشوهة عن صفات الله تعالى ، فقد وصفته بكثير من صفات النقص التي تعتري البشر فهو يأكل ويشرب ويصارع التنين ويحزن ويندم ويبكي ويمرض ويتألم ويتلوى ويأتيه مخاض مثل مخاض الوالدة ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

10. مسرد المصطلحات

التملود: كلمة عبرية تعني التعليم ، وهو كتاب تعليم ديانة اليهود وضعه حاخاماتهم وتناقلوه بروايات شفوية جيلاً بعد جيل وأضافوا إليه الشروح والزيادات إلى أن جمعه في كتاب واحد احتوى كل أحقاد اليهود ونظرتهم إلى الشعوب الأخرى .

الجويميم: اسم يطلقه اليهود على غيرهم من البشر وهي بمعنى الأغيار أو الأميين وهو ما أشار إليه القرآن الكريم في حديثه عن اليهود بقوله سبحانه عنهم: ﴿ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ ﴾ (آل عمران: 75) .

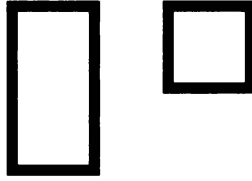
صندوق العهد: هو الصندوق الخشبي المغطى بالذهب الذي أشارت إليه أسفار اليهود وذكرت أنه كان يحوي الوصايا العشر وعصا هارون عليه السلام ، اتخذه اليهود رمزاً فكانوا يحملونه في معاركهم مع أعدائهم وقد وقع بيد الفلسطينيين واستعاده داود عليه السلام منهم . وقد أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ (البقرة: 248) .

العهد القديم: تسمية أطلقها النصارى على الجزء الأول من الكتاب المقدس والمتضمن أسفار التوراة وملحقاتها من كتب اليهود ويتألف من أسفار التوراة الخمسة وأسفار الأنبياء والمكتوبات .

1. القرآن الكريم .
2. ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار المعرفة للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، بيروت، 1395هـ.
3. ابن منظور، لسان العرب .
4. البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري (فتح الباري)، المكتبة السلفية .
5. البار، محمد علي، المدخل لدراسة التوراة في العهد القديم .
6. أبو الريش، موسى؛ ومحمد مختار، إظهار الحق في الأديان والفرق .
7. التل، عبدالله، جذور البلاء، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، 1978 .
8. التل، عبدالله، خطر اليهودية على الإسلام والمسيحية، الطبعة الثانية، دار القلم، بيروت، 1974 .
9. التونسي، محمد خليفة، الخطر اليهودي (بروتوكولات حكماء صهيون)، الطبعة الخامسة، دار الكتاب العربي، بيروت، 1980 .
10. الجندي، أنور، الإسلام والدعوات الهدامة، دار الكتاب اللبناني، بيروت .
11. الجندي، أنور، الإسلام والفلسفات القديمة، دار الاعتصام .
12. الحاج، محمد أحمد، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى لابن القيم (دراسة وتحقيق)، دار القلم، دمشق، والدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، 1996 .
13. حسن، جعفر هادي، اليهود الحيسديم، دار القلم، دمشق. ودار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، 1994 .
14. حسين، فؤاد، اليهود واليهودية والمسيحية، نشر: معهد الدراسات العربية، مطبعة النهضة الجديدة، القاهرة، 1968 .
15. خان، ظفر الإسلام، تاريخ فلسطين القديم .
16. خان، ظفر الإسلام، التلمود: تاريخه وتعاليمه .
17. ديب، سهيل، التوراة بين الوثنية والتوحيد، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، 1981 .

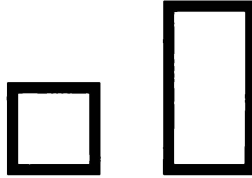
18. ديورانت، ول، قصة الحضارة، ترجمة زكي نجيب محفوظ ومحمد بدران، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1956.
19. الزحيلي، د. محمد؛ و د. يوسف العث، تاريخ الأديان، المطبعة التعاونية بدمشق، 1982. نشر جامعة دمشق.
20. سوسة، أحمد، العرب واليهود في التاريخ.
21. سنقرط، داود عبد العفو، القوى الخفية لليهودية العالمية (الماسونية)، دار الفرقان، عمان، الطبعة الأولى، 1983.
22. سنقرط، داود عبد العفو، جذور الفكر اليهودي، دار الفرقان، عمان، الطبعة الأولى، 1983.
23. السعدي، غازي، الأعياد والمناسبات والطقوس لدى اليهود.
24. الشريف، روجينا، الصهيونية غير اليهودية، ترجمة أحمد عبدالعزيز، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، مطابع الرسالة، 1982.
25. شنودة، زكي، تاريخ الأقباط، مطابع البلاغ، القاهرة، الطبعة الثانية، 1968.
26. الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم، الملل والنحل، مطبوع على هامش الفصل في الملل والنحل لابن حزم، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة، 1395هـ.
27. شنودة، زكي، المجتمع اليهودي.
28. شلبي، أحمد، مقارنة الأديان (اليهودية)، الطبعة السابعة، 1984، مكتبة النهضة المصرية.
29. طنطاوي، د. محمد، بنو إسرائيل في القرآن والسنة.
30. طعيمة، صبري، التاريخ اليهودي العام، دار الجليل، بيروت، الطبعة الثانية، 1983.
31. ظاظا، حسن، أبحاث في الفكر اليهودي، دار القلم، دمشق. ودار العلوم والثقافة، بيروت، الطبعة الأولى، 1987.
32. عبد الوهاب، أحمد، النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى، 1979.

33. عبد الرحمن حبنكة الميداني، العقيدة الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، 1979.
34. عبود، عبدالغني، اليهود واليهودية والإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1982.
35. عبدالباري، فرج، اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام.
36. عبدالعليم، مصطفى كمال، وراشد، سيد فرج، اليهود في العالم القديم، دار القلم، دمشق والدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى 1995.
37. عبدالملك، بطرس ورفاقه، قاموس الكتاب المقدس، الطبعة الثامنة، دار الثقافة، القاهرة.
38. الفاتح، زهدي، فضح التلمود، دار النفائس، الطبعة الأولى، بيروت، 1974.
39. الفاروقي، اسماعيل، الملل المعاصرة في الدين اليهودي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، 1988.
40. الكتاب المقدس، ترجمة من اللغات الأصلية، دار الكتاب المقدس في العالم العربي، 1976.
41. مصطفى، عبدالعزيز، قبل أن يهدم الأقصى، مطابع دار طيبة، الرياض، الطبعة الأولى، 1989.
42. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية بالرياض، 1980.
43. الندوة العالمية للشباب الإسلامي، الموسوعة الميسرة في الأديان والفرق.



الوحدة الرابعة

الديانة النصرانية



محتويات الوحدة

الصفحة	الموضوع
247	1 . المقدمة
247	1.1 تمهيد
247	2.1 أهداف الوحدة
247	3.1 أقسام الوحدة
248	4.1 القراءات المساعدة
248	5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة
249	2 . مفهوم النصرانية ونشأتها
249	1.2 مفهوم النصرانية
249	2.2 نشأة النصرانية
256	3 . مصادر النصرانية
256	1.3 العهد القديم
261	2.3 العهد الجديد
261	1.2.3 نشأته وحجيته
263	2.2.3 الأناجيل المتداولة بين نصارى اليوم
269	3.2.3 إبطال حجية الأناجيل المتداولة اليوم
269	4.2.3 نماذج من نصوص أناجيل نصارى اليوم
272	3.3 المجمع الكنسي
272	1.1.3 أقسام المجمع المسيحية
272	1.1.3.3 المجمع العامة
272	2.1.3.3 المجمع الخاصة
278	4 . الأصول الاعتقادية للنصرانية وموقف الإسلام منها
278	1.4 التثليث والأقانيم

286	2.4 الصلب والفداء
294	3.4 الدينونة التي يملكها المسيح عليه السلام
296	5. أهم الشرائع النصرانية
296	1.5 الأسرار السبعة
302	2.5 الصلاة والصيام عند النصارى
304	3.5 الرهبنة في النصرانية
310	6. الفرق النصرانية
310	1.6 فرقة اليعاقبة أو اليعقوبية
311	2.6 فرقة الملكانية
312	3.6 الطوائف الحالية للنصارى
312	1.3.6 الكاثوليكية
317	2.3.6 الأرثوذكسية
320	3.3.6 البروتستانتية
324	7. الخلاصة
324	8. إجابات التدريبات
327	9. مسرد المصطلحات
328	10. المراجع

1. المقدمة

1.1 تمهيد

أخي الدارس، أختي الدارسة، بعد أن تعرفت في الوحدة السابقة اليهودية ودرست نشأتها وتاريخها وفرقها وأهم أصولها الاعتقادية والتشريعية، فإنني انتقل بك الآن إلى وحدة أخرى تطلع من خلالها على النصرانية التي بدأت دعوة دينية خاصة بالمجتمع اليهودي ثم تطورت إلى ديانة عالمية منتشرة في آفاق الدنيا، وسأضع بين يديك معلومات تتناول التعريف بالنصرانية ونشأتها ومصادرها وفرقها وأهم أصولها الاعتقادية والتشريعية.

2.1 أهداف الوحدة

بعد دراستك لهذه الوحدة وقيامك بنشاطاتها وحلك لتدريباتها ستكون أخي الدارس، أختي الدارسة بإذن الله تعالى قادراً على أن:

1. توضح مفهوم النصرانية.
2. تتبع نشأة النصرانية وظهورها.
3. تبين مصادر النصرانية وحجيتها.
4. تتعرف على الكتب المقدسة لدى النصارى.
5. تحلل عدد من المواقف والنصوص الإنجيلية في دراسة نقدية فاحصة.
6. تتعرف أهم العقائد النصرانية وموقف الإسلام منها.
7. تبين أهم الشرائع النصرانية.
8. توضح أشهر الفرق النصرانية والطوائف المتفرعة عنها.

3.1 أقسام الوحدة

أخي الدارس، أختي الدارسة، تقسم هذه الوحدة إلى خمسة أقسام هي:
الأول: مفهوم النصرانية ونشأتها، ودراسة هذا القسم تحقق الهدفان (1، 2).
الثاني: مصادر النصرانية وحجيتها، العهد القديم، والعهد الجديد، والمجامع الكنسية، ودراسة هذا القسم تحقق الأهداف (3، 4، 5).

الثالث: الأصول الاعتقادية للنصرانية (التثليث، الصلب، الفداء) وموقف الإسلام منها ودراسة هذا القسم تحقق الهدف (6).

الرابع: أهم الشرائع النصرانية: التعميد، والعشاء الرباني، والرهبنة، والصلاة. ودراسة هذا القسم تحقق الهدف (7).

الخامس: الفرق النصرانية: نشأتها وأهم طوائفها ومعتقداتها (الكاثوليكية، والأرثوذكسية، والبروتستانتية). ودراسة هذا القسم تحقق الهدف (8).



4.1 القراءات المساعدة

أخي الدارس، أختي الدارسة، ستجد في هذه المادة التعليمية ما يلي حاجتك مما يتعلق بموضوعها الرئيس وهو دراسة النصرانية، وقد قدمت لك هذه المعلومات من مراجع مختلفة، ومع ذلك فإن إطلاعك علي بعض المراجع الإضافية ستزيد من حصيلتك العلمية المعرفية في هذا الموضوع ويوسع مداركك ويعزز قناعاتك وستجد في ثنايا الوحدة فعاليات نشاطية أمل أن تقوم بها، وأهم ثلاثة كتب أرجو أن تقرأها قراءة ذاتية هي:

1. شارل جيني بير، المسيحية: نشأتها وتطورها، ترجمة الأستاذ عبدالحليم محمود.
2. الشيخ محمد أبوزهرة، محاضرات في النصرانية.
3. د. محمد أحمد الحاج، النصرانية من التوحيد إلى التثليث.

5.1 ما تحتاج إليه لدراسة الوحدة

أخي الدارس، أختي الدارسة، أنت بحاجة إلى دراسة هذه الوحدة بعناية ثم الإجابة عن أسئلة التقييم الذاتي، ثم إنك مدعو إلى القيام بأنشطتها وتدريباتها والإطلاع على القراءات المساعدة فيها، فإن فعلت ذلك فإنك بعون الله ستكون مستوعباً تماماً لهذه المادة. مع تمنياتي لك بدراسة موفقة وعزيمة صادقة ونجاح محقق. ولا تتردد في الاتصال بمشرفك الأكاديمي كلما واجهتك معضلات أو مسائل مثيرة للأهتمام.

2. مفهوم النصرانية ونشأتها

1.2 مفهوم النصرانية

أخي الدارس، أختي الدارسة، تطلق النصرانية على الدين الذي أتى به عيسى الناصري ابن مريم عليهما السلام إلى بني إسرائيل منذ حوالي ألفي سنة، ثم تحول على يد بولس إلى دين عالمي يعد الآن أكبر ديانة في العالم من حيث عدد المنتسبين إليها.

وكلمة النصرانية إما أن تكون من النصر كما يفهم من قوله تعالى: ﴿ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ ﴾ (الصف: 14).

وإما أن تكون مأخوذة من الناصرة المدينة الفلسطينية التي عاش فيها المسيح عليه السلام. وقد أخذت النصرانية اسماً آخر هو المسيحية نسبة إلى المسيح عليه السلام وأطلق على أتباعها اسم المسيحيين.

والنصرانية هي التسمية التي استخدمها القرآن الكريم لأنها الأصوب والأدق فالدين لا ينسب إلى من يدعو إليه.

والنصارى اليوم يتبعون لثلاث كنائس هي الكنيسة الكاثوليكية (الغربية) ومركزها روما والفاتيكان.

والكنيسة الأرثوذكسية (الشرقية) ومركزها القسطنطينية والإسكندرية وهي تمثل الأقباط والحبشة والأرمن وكنيسة أنطاكية وتركيا وروسيا وصرية.

والكنيسة البروتستانتية الإنجيلية، وليس لها مركز محدد وتعد بريطانيا حاملة لواء البروتستانتية ومن بريطانيا انتشرت في أمريكا.

وتجتمع هذه الكنائس على فكرة التثليث والخطيئة الموروثة التي أدت إلى فكرة الصلب والفداء مع اختلافها في تحديد طبيعة المسيح عليه السلام.

2.2 نشأة النصرانية

كان القرن الثاني قبل الميلاد عصراً مضطرباً في تاريخ الرومان، كان ممتلئاً بالنزاع الداخلي، ولقد قضى الرومان قرناً من الثورات والفتن والاضطرابات قبل أن يتمكن (أوغسطس) 43 ق.م 14 م أن يجمع السلطة بين يديه.

وكذلك اشتد النزاع منذ مطلع القرن الثاني قبل الميلاد بين التقاليد الرومانية وبين

الفلسفة اليونانية الوافدة من أثينا إلى روما حيث كان الرومان قليلي الميل للتفكير النظري، وكان الدين أغلب على عواطفهم منه على عقولهم وكانت فائدته عندهم في التراص الاجتماعي والسياسي الذي كان يجمعهم في الوطن الروماني الأب الجامع للرومانيين (فروخ، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، ص 181).

وكان أبلغ المذاهب الفلسفية أثراً في حياة الرومانيين المذهب الأفغوري والمذهب الرواقي، وقد اتجه المذهب الأول (الأفغوري) نحو طلب اللذة ونحو المسالمة مما ساعد الرومانيين على شيء من الاطمئنان النفسي في عصر كثير الاضطراب، لكنه اكتسب في البيئة الرومانية طابعاً أكثر مادية فكان تعلق الرومانيين بظواهر دعوته إلى اللذة أكثر من إدراكهم لحقيقة مارمى إليه هذا المذهب من الاختيار بعد الموازنة بين السلوك الإنساني وبين ما يعقب ذلك السلوك من مقدار اللذة أو مقدار الألم.

أما المذهب الثاني وهو الرواقي فقد بدأ منذ نحو 150 ق.م ومع أن هذا المذهب له صلة بالواقع الإنساني إلا أنه كان أوثق صلة بالتقاليد الرومانية لأنه أكثر تمسكاً بالمبادئ وأقل احتفالاً بالممول العارضة، ومع شيوعه قويت النزعة الدينية وخاصة في عهد أغسطس الذي ولد في عهده عيسى بن مريم عليه السلام، في بيت لحم من أرض فلسطين، حيث كانت آنذاك جزء من الإمبراطورية الرومانية.

هذه هي البيئة العامّة التي ظهرت فيها المسيحية على يد مؤسسها وداعيتها الأول يسوع الناصري عيسى بن مريم.

أما البيئة الخاصة لهذه الدعوة فهي البيئة اليهودية فالمسيح ولد يهودياً، ثم نشأ في بيئة يهودية كما يقول الأستاذ شارل جيني بيرفي كتاب المسيحية (ص 30) بيد أن أمة إسرائيل لم تكن قد واصلت الانعزال عن العالم الخارجي، فقد تأثرت بصلاتها المستمرة بالفاتحين الاغريق، يضاف إلى هذا تأثير وفود الحجيج إلى القدس في المواسم والأعياد، كل ذلك أدى إلى تشرب بني إسرائيل بالكثير من الأفكار الخارجية خلال القرون الثلاثة السابقة للتاريخ المسيحي.

ويصف لنا (جيمس هاستنكز) هذه البيئة اليهودية التي نشأت فيها النصرانية فيقول: "إن هذا المجتمع بدأ يتفلسف من تطبيق القوانين والتشريعات التي جاءت بها التوراة، وأن طقوس المعبد قد قوطعت بواسطة الوثنيين غير اليهود المسيطرين، وإن المدينة المقدسة قد وقعت تحت حكم الأجنبي وانقطع الإحساس بالإنتماء إلى يهوه، هذا بالإضافة إلى أن

الكثيرين لازالوا يتطلعون إلى تلك الساعة التي تتحقق فيها الأحلام والرؤى القديمة ويعود إسرائيل ليأخذوا الإنصاف كشعب الله المختار وقيام مملكة الله المنتظرة !! . . . ثم يتابع هذا الكاتب في دائرة معارف الأديان والعقائد التي كتبها فيقول: " في هذه الظروف المختلطة من الإيمان العنيد والمرارة الروحية والسحق الاجتماعي والعمى الديني والخلقي والهزيمة السياسية والآمال المعتمدة على الأحلام والرؤى نشأ المسيح وترعرع " (د.الحاج، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص36) .

وهذا في الواقع وصف دقيق للمجتمع اليهودي الذي انحرف عن شريعة التوراة وابتعد عن تعاليمها السامية التي وصفها القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ﴾ (المائدة: 44) .

عندئذ أذن الله تعالى برسالة جديدة لمعالجة انحراف هذا المجتمع وردة إلى تعاليم ربه .
ويصف لنا الأستاذ شارل جيني بير البيئة اليهودية فيقول: " ومن الجدير بالذكر أن اليهودية في عصر هوريدوس الأكبر كانت غاية في التعقيد ظاهرها وحدة الجنس والعادات والتقاليد والدين وباطنها فرقة أصيلة في صفوف أهل فلسطين الذين انقسموا إلى شعبين مختلفين فكرياً وعقائدياً . . . وسبب هذا الانقسام سبي بابل 586ق.م فقد كان سبباً للعائلات المعروفة وظل أهل الريف وعمامة الشعب يمارسون دين إسرائيل القديم فظهر فرق واضح بينهم وبين أهل المهجر الذين تطوروا بسرعة وعندما عادوا لفلسطين جلبوا معهم هذه الروح الجديدة " . (بير، المسيحية، نشأتها وتطورها، ص32-33)

أخي الدارس، أختي الدارسة

وبعد هذا الوصف الموجز للبيئة اليهودية فإنه لا بد من تخصيص شيء من الحديث عن بيئة إقليم الجليل الذي ابتدأت فيه النصرانية، هذا الإقليم الذي يشكل الجزء الشمالي من أرض فلسطين، هذا الإقليم كما وصفه الأستاذ جيني بير (ص37) يمتاز بأمرين:

الأول: اهتمام أهله بالمسائل الدينية

الثاني: الأمل لدى شعبه بظهور المعجزة الباهرة التي سوف يثاب فيها اليهود على تقواهم وتجعلهم ملوكاً في الأرض .

لقد كان الجو في ذلك الإقليم مهيباً لظهور نبي جديد، فالشعب ينتظر المخلص، ولم يكن للأنبياء في ذلك العصر هناك سوى التبشير بقرب تحقيق الآمال فكان هذا الوضع مبدأً لقيام عيسى بالدعوة " .

أما رجال الدين في المجتمع اليهودي في تلك الفترة فقد شكلوا طبقتين: الأولى طبقة الأكليروس وهم خدمة المعبد القائمون عليه وهذه الطبقة تعمل على انتظام العبادة ولا تختص بدراسة أو تعليم شرع، والثانية طبقة الكتبة (فقهاء الشرع)، يتنافس أعضاؤها على تحليل أوجه الكتاب المقدس المختلفة ويكثر بينهم الجدل حتى في البيضة التي تضعها الدجاجة في يوم سبت هل تعد بيضة طاهرة أو لا .

وبالإضافة إلى أثر هذه الفرق على شردمة الشعب اليهودي فلا يجوز أن ننسى آثار المحن التي مرّ بها اليهود من ظلم الرومان لهم خلال القرون الأربعة التي سبقت ميلاد عيسى عليه السلام، فكان هذا الشعب يستقي من هذه المحن تأييداً لأمل قديم، إنه يترقب ويأمل بكل جوارحه مجيء المسيح الموعود الذي سوف تسترجع به أمة إسرائيل ما عرفته من مجد أيام داود . وعلى الرغم من فكرة الأمل في المسيح المنقذ المخلص المتغلغلة في أعماق التفكير اليهودي والمركزة على نبوءة أشعيا في العهد القديم: "ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدع اسمه عمانوئيل " ومعناها الله معنا (أشعي/ 7:14) .

على الرغم من ذلك فإن المسيح عليه السلام عندما أعلن دعوته لم يجد استجابة ولا ترحاباً في هذا المجتمع بل وقفت الأغلبية الساحقة تقاوم دعوته، يكيدون له إلى أن حكم عليه مجلسهم السفهدين بالموت . لولا أن الله نجاه منهم .

ولقد ظلت النصرانية أيام المسيح عليه السلام دعوة بسيطة واضحة مقتصرة على الشعب اليهودي تدعوهم إلى عبادة الله تعالى وحده وإلى إيقاف حالة الإغراق المادي التي انتشرت في المجتمع اليهودي فتدعوهم إلى الزهد والتواضع والتسامح والتطلع إلى ملكوت الله وطلب الأجر والثواب من الله تعالى يوم القيامة يتجول المسيح عليه السلام في أوساط الشعب اليهودي يعظهم ويخاطبهم "طوبى للودعاء فإنهم يرثون الأرض، طوبى للرحماء فإنهم يرحمون، طوبى لأتقياء القلوب، فإنهم يعاينون الله " (متى/ 4-1:5) .

كما يتصدى للانحرافات التي كان يمارسها أحبار اليهود ورهبانهم ممن تسلطوا على المؤسسات الدينية وراحوا يشرعون ما لم يأذن به الله فيخاطبهم "ويل لكم أيها الكتبة والفرسيون لأنكم تقلقون ملكوت السماوات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون " (متى/ 23:12) .

والتزم عيسى عليه السلام في دعوته القوم الذين بعث فيهم ونهى تلاميذه عن تغيير المسار "إلى طريق أمم لاتمضوا وإلى مدينة للسامريين لاتدخلوا بل اذهبوا بالبحري (كتابة

الأشياء الثمينة التي يحملونها) إلى خراف بيت إسرائيل الضالة " (متى/5-6:10). " لم أرسل
إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة " (متى/24:15).

هذه النصوص التي تؤكد خصوصية دعوة المسيح عليه السلام لشعب بني إسرائيل
دون غيره، يؤكدها كذلك القرآن الكريم حيث وصف المسيح عليه السلام بقوله: ﴿ وَرَسُولًا
إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (آل عمران: 49).

إلا أن الأمر لم يبق كذلك فسرعان مادخل بولس ليغيّر مسار النصرانية ويتحول بها
من دعوة سامية بسيطة، روحية خاصة ببني إسرائيل إلى فكرة فلسفية معقدة أرتحلت عن بني
إسرائيل وبيئتهم إلى بيئة غريبة هي البيئة الرومانية بفلسفتها اليونانية وتلاوينها المختلفة.
هذا الافتراق والخروج هو فكرة العالمية التي أدعاها بولس دون أن يستند على أي نص
إنجيلي بل صرح في رسالته يقول " لي أنا أصغر القديسين أوتيت لقمة التبشير بين الأمم "
(إنفسر / 8:3) وقد ذكر سفر الأعمال رؤيا بطرس التي رأى على أثرها أن يقبل المهتدين من
الوثنيين واليهود على السواء، " لأن موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضاً "
(الأعمال / 10:45).

علماً أن بولس هذا الذي وصل إلى مرتبة القديس في النصرانية، دخيل عليها وهو
يهودي روماني يدعى شاول كان من ألد أعداء المسيحية يضطهد دعائها إلا أنه ادعى اعتناقه
لها بعد قصة خيالية خارقة ذكرها سفر الأعمال (7:9/1).

ومن خلال تنازلاته الكثيرة وانحرافه بالنصرانية عن مسارها يتأكد لنا الهدف الخبيث من
اعتناقه للنصرانية لاحقاً لها وإنما محاولة لتخريبها من داخلها وفق خطة تلمودية مدروسة.
 ويفصل سفر الأعمال عن حياة بولس، وقد أخذت أعماله الجزء الأكبر من هذا السفر
فهو يتحدث فيه عن نفسه ويقول: " أنا رجل يهودي، ولدت في طرسوس كليكية، ولكن
ربيت في هذه المدينة مؤدباً عند رجلي غملائيل (الأعمال/2:23) وغملائيل من أحبار اليهود،
عرفت مدرسته في القرن الأول الميلادي في القدس.

ويصرح بولس بيهوديته أمام الجميع فيقول: " أنا فريسي ابن فريسي على رجاء قيامة
الأموات أنا أحاكم " .

وكان لبولس أثر كبير في تطور المسيحية وتغيير مسارها الذي وضعه المسيح عليه السلام.
يقول ول ديورانت " ولقد أنشأ بولس لاهوتاً لانهجده إلا أسانيد غامضة أشد الغموض
في أقوال المسيح، أما أسس هذا اللاهوت فأهمها إن كل ابن أنثى يزن خطيئة آدم، ولا شيء

ينجيه من العذاب الأبدي إلا موت ابن الله ليكفر بموته عن خطيئته " . (ول ديورانت، قصة الحضارة، 264/11).

وأدخل بولس إلى المسيحية طقوساً كثيرة وذلك تلاؤماً مع تلك البيئة التي لاتتصور ديناً دون طقوس .

ومن هذه الطقوس التي أضافها بولس للمسيحية فكرة التطهر ومفهوم التضحية فقد أصبحت فكرة التطهر بالتمعيد علامة الدخول بالمسيحية . وتضحية الرب بنفسه لأجل خطايا البشر توجد بين الأتباع وبين الهمم في نظرهم ، وتبين أنهم جسم واحد أمامه ومن هذه الطقوس أكل الخبز جماعة والشرب جماعة . يقول بولس في إحدى رسائله . " كأس البركة التي نباركها أليست هي تركة دم المسيح . الخبز الذي نكسره فإننا نحن الكثيرين خبز واحد جسد واحد لأننا جميعاً نشترك في الخبز الواحد " (كورنثوس الأولى : 10/16-17).

أخي الدارس ، أختي الدارسة

وفكرة الخطيئة الموروثة لم يكن اليهود يعرفونها وجاء بها بولس من الفلسفات الوثنية ونستطيع أن نجمل إضافات بولس إلى المسيحية بنقاط هي :

1. جعلها دعوة مفتوحة لجميع الأمم ولو أدى ذلك إلى تساهله في بعض التشريعات التي كانت تضايق الوثنيين كالحتان والسبت وتحريم الخنزير . فأبطل الحتان ونقل العيد الأسبوعي ليوم الأحد ليوافق يوم الشمس عند الوثنيين وأباح أكل لحم الخنزير .

2. إخراج المسيحية من البساطة اليهودية إلى تعقيدات الفكر اليوناني .

3. فكرة الخطيئة الموروثة (وهي أن كل إنسان مذنب منذ ولادته لأنه يعد وارثاً لخطيئة آدم، وقد أرسل الله ابنه الوحيد إلى العالم ليكفر عن خطيئة الناس بموته على الصليب فداءً لهم).

4. أدخل بولس عقيدة الكلمة (اللوجس) التي كان يقول بها فيلون اليهودي في الأسكندرية كما أدخل عقيدة التجسيد .

إلى غير ذلك من اصطلاحات وطقوس أدخلها (بولس) للمسيحية ويتضح تاريخها الوثني وممارسة الوثنية لما يماثلها من قبل . يقول صاحب قصة الحضارة : " إن المسيحية لم تقض على الوثنية بل تبنتها ، ذلك أن العقل اليوناني المحتضر عاد إلى الحياة في صورة جديدة في لاهوت الكنيسة وطقوسها " (ول ديورانت، قصة الحضارة : 275/11).

لقد استطاع بولس صاحب الدراية في السياسة والابتكار - تلك الصفة التي اكتسبها من يهوديته- أن يكون مسيحية جديدة على حساب عيسى عليه السلام وينشيء لها عقيدة لامت لعقيدة المسيح عليه السلام بصلة واستطاع أن يقنع الناس أن عيسى ابن الله .

يقول (بيرى Berry) في كتابه (الأديان العالمية): " لقد كون شاول المسيحية على حساب عيسى فهو في الحقيقة مؤسس المسيحية . وقد أدخل على ديانته بعض تعاليم اليهود ليجذب إليه العامة منهم وأدخل صوراً من فلسفة الأبيق ليجذب إليه أتباعاً من اليونان عيسى فاصبح ابن الله حملت به أمه العذراء حملاً غير طبيعي واحتلت صورة العذراء والمسيح مكاناً مقدساً احتلته قديماً صورتا (حورس) و (أوزيريس) ووضعت في كل الكنائس " (الجندي، الإسلام والفلسفات القديمة . ص 181) .

ألتشاركني أخي الدارس، أختي الدارسة: من خلال اطلاعك على هذه الأعمال الإضافية لبولس أن النصرانية قد نمت نمواً غير طبيعي، وأن كل مادخلها من أفكار التآليه والتثليث والنبوة والخطيئة والفداء إنما كانت شوائب غريبة دخلت إليها من بيئة غير بيئتها ومن الذين دخلوها ليشوهوا صورتها .



تدريب (1)

ما الإضافات التي وضعها بولس في المسيحية ؟

3. مصادر النصرانية

أخي الدارس، أختي الدارسة، نتحدث عن مصادر النصرانية وهي العهد القديم، والعهد الجديد، والمجامع الكنسيّة.

1.3 العهد القديم

سبق أن بينا لك أخي الدارس، أختي الدارسة في الوحدة السابقة ما يحتويه العهد القديم، وقلنا إنه يحتوي التوراة بأسفارها الخمسة كما يحوي أسفار الأنبياء الأولين والآخرين المتضمنة تاريخ بني إسرائيل وتقع في عشرين سفرًا كما يحوي العهد القديم ما يسمونه المكتوبات؛ وهي الكتب العظيمة من مزامير وأمثال والمجالات الخمس من أناشيد وقصص وأشعار وأخبار، وسبق لك أن عرفت كذلك أن الكنيسة الكاثوليكية ترى تقسيمًا آخر غير هذا التقسيم وتضيف إلى هذه الأسفار التسعة والثلاثين سبعة أسفار أخرى لتصبح أسفار العهد القديم عندهم ستة وأربعين سفرًا.

كما بينا أن السامريين لا يعترفون بالعهد القديم ولا بكل هذه التقسيمات ولا يؤمنون إلا بأسفار سبعة هي أسفار موسى الخمسة ومضاف إليها سفر يشوع وسفر القضاة. والعهد القديم من أهم المصادر التي ارتكز عليها علماء تاريخ الأديان في دراساتهم، فكان من أكثر الكتب التي لقيت الاهتمام وأجريت عليه الدراسات وكتبت فيه مئات الأبحاث. ولقد تناول الباحثون دراسته من جميع جوانبه: من حيث مصدره وتاريخ تدوينه أو على الأصح تاريخ تدوين كل سفر من أسفاره وتناولوا كذلك دراسة نصوصه وبينوا التناقضات الواضحة بين هذه النصوص.

لقد أطلق هؤلاء الباحثون تساؤلاتهم وهم يعلمون أن الإجابة الدقيقة عليها غير متيسرة فجاءت على شكل طعون وتشكيكات بصحة نسبة هذه النصوص إلى أصحابها. فنقرأ التساؤلات التي أطلقها الكاتب اليهودي المعروف ول ديورانت صاحب الموسوعة المعروفة " قصة الحضارة " حيث يقول " ترى ماذا كان كتاب شريعة موسى؟ كيف كتبت هذه الأسفار ومتى كتبت وأين كتبت؟ ذلك سؤال بريء ولكنه سؤال كتب فيه خمسون ألف مجلد، ثم يصل إلى القول بأن العلماء مجمعون على أن أقدم ما كتب عن أسفار التوراة هما القصتان المتشابهتان المنفصلة كل واحدة عن الأخرى في سفر التكوين تتحدث إحداهما عن الخالق باسم (يهوه) على حين تتحدث الأخرى عنه باسم (ألوهيم). . . . وسفر التثنية أكبر الظن أن كاتبه أو

كتابه غير كتاب الأسفار السابقة، ثم فصول أضافها الكهنة فيما بعد وكانت أساطير الجزيرة العربية هي المعين الغزير الذي أخذت منه قصصه " ويقرر ول ديورانت أن أسفار العهد القديم جمعت لأول مرة في بابل وظهرت في القرن الخامس عشر من قبل الميلاد ويظهر اسم الكاتب عزرا مرتبطاً بتدوين التوراة (ول ديورانت، قصة الحضارة، 2:336 وما بعدها)

وقد أقر الدكتور بري (وهو يهودي) في كتابه أديان العالم الكبرى أن هناك عقائد دخيلة انسابت إلى اليهودية عن فارس وبابل والإغريق لاستبدالها في اليهودية بالذات (الجندي، الإسلام والفلسفات القديمة، ص39) والسؤال الذي اختاره الدكتور موريس بوكاي ليكون مقدمة دراسته عن العهد القديم هو: من هو مؤلف العهد القديم؟ ويجيب عليه قائلاً: كم من قارئ للعهد القديم يلقي عليه هذا السؤال فلا يجد جواباً إلا مردداً ما قرأه في مدخل التوراة بأن مؤلف هذه الكتب كلها هو الله وأن الذين كتبوها هم بشر من الذين أوحى الروح القدس إليهم!!! (بوكاي، التوراة والانجيل والقرآن والعلم، ص15) ويبدأ موريس بوكاي عبارة التسكيت هذه التي يبين أنها لن تصمد أمام البحث العلمي، فيقول " ولقد كانت هناك نحو القرن الثالث قبل ميلاد المسيح ثلاثة أشكال لنص التوراة العبري على الأقل، نص الشارحين اليهود، والنص المستخدم في جزء من الترجمة اليونانية، ونص الأسفار السامرية الخمسة، وظل الأمر على ذلك إلى القرن الأول بعد الميلاد حتى أصبح نص التوراة موحداً (بوكاي، ص16) وهذا يعني أن التاريخ اليهودي لم يشهد نسخة واحدة للعهد القديم معروفة ومتداولة بينهم، ولقد ظل الأمر قروناً لا يزيد على كون التوراة أناشيد وقصص وروايات يتناقلونها ثم بدأت مرحلة الجمع التي ابتدأت في القرن الأول الميلادي ولم تنته إلا في القرن التاسع الميلادي .

ينقل الدكتور بوكاي عن عالم الأديان ادموند جاكوب في دراساته عن العهد القديم أنه حتى القرن الثالث قبل الميلاد تقريباً لم يكن هناك نص واحد للتوراة، بل كان هناك ثلاث مدونات على الأقل للنص العبري وهي :

أولاً: النص المحقق (الباسوري)

ثانياً: والنص الذي استخدم جزئياً على الأقل في الترجمة اليونانية

ثالثاً: والنص المعروف بالساموري

لقد امتدت يد العتب اليهودية إلى النصوص والوصايا والأناشيد المحفوظة لتضيف إليها وتحرفها وتنسج منها هذه الأسفار الكثيرة التي تضمنتها ما ينفذ من صدور اليهود من

حقد على الشعوب، ونزعة السيطرة والاستعلاء عليهم وفي هذا المعنى يقول الدكتور أحمد شلبي في كتابه (اليهودية/ص251) " وحقيقة القول أن اليهود بعد أن انحرقت اعتقاداتهم وطباعهم تخلصوا من أسفار موسى الحقيقية لأنها كانت تختلف عما أرادوا من طباع وخلق وكتبوا سواها مما يتناسب مع ما يريدون من تاريخ وعقيدة " .

وشبيه هذا التفصيل من نسخ التوراة ما قرره الجويني إمام الحرمين في رسالته " شفاء العليل " فقد ذكر النسخ الثلاثة: العبرانية وهي التي بيد اليهود اليوم، والنسخة اليونانية أو السبعينية وهي التي بيد النصارى الآن، ثم النسخة السامرية التي بيد السامرة (الجويني، شفاء العليل، تحقيق الشعار، ص27) .

ولكن أخي الدارس، أختي الدارسة، ما النتيجة التي توصل إليها الباحثون؟
والنتيجة التي توصل إليها كل هؤلاء الباحثين هي:

1. ليست كل نصوص العهد القديم من كلام الله، ولا يستطيع أحد من اليهود والنصارى أن يدعي ذلك .

يقول الدكتور علي عبدالواحد " ويبدو من الدراسة الفاحصة أن الوحي ليس من المصدر الحقيقي لأسفار العهد القديم، فهي من صنع أجيال متعددة وأن فترة التدوين بدأت منذ الأسر البابلي لبني إسرائيل، وأن الكهنة والأخبار كانوا يعتمدون على ما سمعوه من أخبار وأساطير وأقوال . وكثيراً ما كان الكهنة يكتبون ما يجيش في صدورهم أو ما يأملون على أنه حقيقة واقعة " (وافي، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، ص12) .

2. ليس لأي سفر منها سند متصل يصحح نسبة ذلك السفر إلى من نسب إليه من الأنبياء أو غيرهم، وفق طريقة علمية بعيدة عن التقليد والتعصب . (حنكة، العقيدة الإسلامية وأسسها، ص576) .

3. لم يكتب في عصر واحد وقد سجل لأحداث وقعت عبر عصور متباعدة .
يقول الدكتور موريس بوكاي - وهو طبيب فرنسي تعمق في دراساته اللاهوتية - " ويتكون العهد القديم من مجموعة أسفار لا تتساوى في الطول وتختلف في النوع كتبت على مدى يربو على تسعة قرون وبلغات مختلفة واعتماداً على التراث المنقول شفويّاً، وقد صححت وأكملت هذه الأسفار بسبب أحداث وقعت أو بسبب ضرورات خاصة وفي عصور متباعدة " (بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص20) .

4. وجود نسبة كبيرة من الأغلط والأخطاء التاريخية، والتناقضات بين النصوص، والمتناقضات مع العلم الحديث والاستمالات العقلية .
وكان من أكثر من بين هذه المسألة وكشف هذه التناقضات والأخطاء الدكتور موريس بوكاي في كتابه المشهور، والشيخ رحمة الله الهندي في كتابه إظهار الحق .



نشاط (1)

أخي الدارس أختي الدارسة . . . إرجع إلى الكتابين المذكورين للوقوف على عشرات النصوص المتناقضة ومئات الأخطاء العلمية والتاريخية في نصوص العهد القديم .
فمن كتاب د . بوكاي التوراة والانجيل والقرآن والعلم، اقرأ من صفحة 33 (ملاحظات في العهد القديم) إلى صفحة 55 .
ومن كتاب رحمة الله الهندي، إظهار الحق، الجزء الأول 147-160 ومن 200-229 .
حدد النصوص المتناقضة وناقشها مع زملائك ومشرّفك الأكاديمي .

5. اعتراف اليهود أن التوراة الأصلية قد فقدت عند السبي البابلي، ويزعمون أن(عزرا) قد أعاد كتابتها بالإلهام بعد الرجوع من السبي، ويؤيد هذا القول ما قرره الفيلسوف اليهودي سبينوزا في كتابه (رسالة اللاهوت والساسة) من أن موسى لم يكتب هذه التوراة، وأن عزرا كتبها في بابل . . ثم نقل عن السامريين هذا القول (الطهطاوي، الميزان في مقارنة الأديان، ص71) .

6. هناك فرق واضح بين الرواية أو النسخة التي يتداولها اليهود اليوم للعهد القديم وبين الرواية التي يتداولها النصارى للعهد القديم والاختلاف بينهما جذري في بعض الأحيان وليس في الترتيب أو التقديم والتأخير للنصوص فحسب . وهذا الاختلاف إذا ما أضيف إلى اختلاف رواية الكنيسة الكاثوليكية عن البروتستانتية والأرثوذكسية والأسفار السبعة التي أضافتها الكنيسة الكاثوليكية، وإلى اختلاف رواية التوراة السامرية التي تقتصر على الأسفار السبعة التي ذكرناها مع اختلافها حتى في هذه الأسفار عن روايتها التي يعترف بها اليهود من غير السامريين .
هذا الاختلاف كله بين الروايات يشكل قناعة واضحة أن التوراة التي أنزلت على موسى عليه السلام قد ضاعت، وأن الكتب المنسوبة لأنبياء بأسمائهم لا تمت بصلة

حقيقية إليهم . وأنه لا وجود لنسخة محددة للعهد القديم يمكن أن نعدّها الكتاب المقدس الذي يؤمن به الجميع - كما هو الحال بالنسبة للقرآن الكريم الذي يجمع المسلمون عليه -

7. إن العلة في نصوص العهد القديم ليست في السند فحسب بل تتعدى ذلك إلى المتن فبالإضافة إلى الأغلط التاريخية والمغالطات العلمية والعقلية الموجودة في نصوصه نرى فيه نصوصاً في وصف الذات الإلهية أو وصف الأنبياء لا يقبلها عاقل لأنها تتناقض تماماً مع تنزيه الخالق جل وعلا كما تتناقض مع أبسط قواعد الأدب والاحترام لرسول الله عليهم الصلاة والسلام . ولا شك أنك -أخي الدارس ، أختي الدارسة- قد اطلعت في أثناء دراستك للوحدة السابقة للتصور الذي تعطيه نصوص العهد القديم عن الألوهية وما تصفه به من صفات النقص كالتعب والألم والمرض والندم والضعف ، والتصور الذي أعطته للأنبياء وما وصفتهم به من صفات الرذيلة التي يستحي المرء أن يطلقها على سقط الناس وأراذلهم .

إن الكتاب الذي يحوي مثل هذه النصوص لا يمكن أن يكون مما أوحى الله تعالى به لأنبيائه أو مما قبل الأنبياء أن يقرأوه ويبلغوا به أقوامهم ولا أدري كيف يمكن أن يوصف مثل هذا الكلام بالقداسة - لهذه الأسباب كلها أو بعضها نستطيع أن نثبت بالبحث العلمي المتجرد أنه لا تصح الثقة العلمية بأي نص من نصوص العهد القديم لأن الطعن إذا ثبت عى الجزء فإنه ينال الكل مع علمنا أنه لا بد أن تكون هناك نصوص فيه مما تناقله الناس عن الأنبياء لكن أحداً لا يستطيع أن يحددها بالضبط .
والآن أخي الدارس ، أختي الدارسة ، أجب عن التالي :



تدريب (2)

إن العلة في نصوص العهد القديم لا تتوقف على السند بل تتعداه إلى المتن ، وضح ذلك .

2.3 العهد الجديد

1.2.3 نشأته وحجيته

العهد الجديد مصطلح أطلقه النصارى على الشطر الثاني للكتاب المقدس ، ويضم الأناجيل الأربعة (متى ، ومرقص ، ولوقا ، ويوحنا) ورسائل بولس ورسائل نسبت إلى بعض تلاميذ المسيح .

ويمكن أن يوصف العهد الجديد بأنه تسجيل كتب في فترات لاحقة لسيرة المسيح عليه السلام ودعوته ، قام بكتابته بعض تلامذة المسيح ومن جاء بعدهم من تلاميذهم ويشمل العهد الجديد حسب ما استقر عليه رأي النصارى في أواخر القرن الرابع الميلادي على اعتماد سبعة وعشرين سفرًا من أسفارهم وقرروا أنها هي وحدها الأسفار المقدسة .

وتصنف أسفار العهد الجديد إلى ثلاث مجموعات وسفرين فالمجموعات هي :
(مجموعة الأناجيل وعددها أربعة . ومجموعة رسائل بولس وعددها أربع عشرة رسالة . ومجموعة الرسائل الكاثوليكية وعددها سبع رسائل . وأما السفران فهما : سفر أعمال الرسل وسفر رؤيا يوحنا) .

وينقسم العهد الجديد من حيث محتوياته إلى قسمين :

الأول : الأسفار التاريخية

الثاني : الأسفار التعليمية

أما الأسفار التاريخية فتشمل ما يلي : الأناجيل الأربعة (إنجيل متى ، وإنجيل لوقا ، وإنجيل مرقص ، وإنجيل يوحنا) ، بالإضافة إلى رسالة أعمال الرسل وأما الأسفار التعليمية فتشمل اثنتين وعشرين رسالة . وقد قام بتأليف أكثرها بولس الذي لا يمت بصلة إلى عيسى عليه السلام ولا إلى الحواريين . وأغلب عقائد النصارى تعتمد على رسائله ؟
ولا يستطيع أحد أن يدعي أن هذه الأناجيل أو أي واحد منها هو الإنجيل الذي أنزله الله تعالى على عيسى عليه السلام وحيًا ، وهو الذي ذكره القرآن الكريم .

فأين ذهب هذا الإنجيل ؟ وماذا كان مصيره ؟ وهل في كتابات الباحثين من النصارى ما يدل على ثبوت هذا الإنجيل وإن كنا لانجده ؟

إن كلمة إنجيل التي تعني البشارة وردت في بعض نصوص الأناجيل الحالية ففي إنجيل مرقس " وبعدهما أسلم يوحنا ، جاء يسوع إلى الجليل يركز ببشارة ملكوت الله ويقول : لقد

كامل الزمان ، واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل " (مرقس/ 14-15: 1).
وفي رسالة بولس إلى أهل رومية " فإن الذي أعبدته بروحي في إنجيل ابنه شاهد
لي " (رومية/ 9: 1).

ف نجد كلمة إنجيل أو كلمة بشارة مضافة إلى ملكوت الله كما في إنجيل متى ومرقس
وإنجيل الابن كما في رسالة بولس إلى أهل رومية ، وكلمة الإنجيل من غير إضافة كما في
إنجيل مرقس - ولا شك أن الإنجيل المذكور في كل هذا ليس واحداً من هذه الأناجيل ،
فالمسيح قد وعظ بهذا كما جاء في عبارة متى ، ولم يكن واحد من هذه الأناجيل قد وجد في
عهده بالاتفاق وليس من المعقول أن يعظ بأقوال تلاميذه .

لهذا كله نقول : ليس هذا الإنجيل واحداً منها كما تقتضي بذلك طبيعة السياق وكما
يقتضي بذلك العقل ، وإذا كان الأمر كذلك فهل لنا أن نفهم أن هناك إنجيلاً أصيلاً نزل
على عيسى عليه السلام وركز (بشر) به ووعظ . كما أن لبعض كتاب النصارى أقوال في
إنجيل عيسى ، من ذلك ما قاله نارتن في كتاب له " إنه كان في ابتداء الملة المسيحية في بيان
أحوال المسيح رسالة مختصرة يجوز أن يقال إنها الإنجيل الأصلي ، والغالب أن هذا الإنجيل
كان للمريدين الذين كانوا لم يسمعو أقوال المسيح بأذانهم ولم يروا أحواله بأعينهم وكان
هذا الإنجيل بمنزلة القلب وما كانت الأحوال المسيحية مكتوبة فيه على الترتيب " . (أبو زهرة ،
محاضرات في النصرانية ، ص 60-61).

يقول المستشرق الفرنسي (إيتين دينيه) " إن نصوص الإنجيل تبعث في النفس الشك
في صحة تلك الأناجيل التي بين أيدينا ، لأن الإنجيل الموحى به من عند الله إلى المسيح بلغته
ولغة قومه ضاع واندرثر ولم يبق له أثر " .

لقد عرفت في تاريخ النصرانية أناجيل كثيرة وصلت إلى أكثر من سبعين إنجيلاً وعددها
البعض إلى مئة كتاب وكان من نتيجة ذلك ظهور الفرق الكثيرة في التاريخ المسيحي ، فعند كل
من أصحاب مرقيون وأصحاب ديسان يخالف الأناجيل الأربعة المتداولة وهو الصحيح في
زعمهم ، وهناك إنجيل اشتهر باسم التذكرة ، وإنجيل سرن تهس . . . ثم أرادت الكنيسة في
آخر القرن الثاني الميلادي وأوائل القرن الرابع أن تحافظ على الأناجيل الصادقة - في اعتقادها -
فاختارت هذه الأناجيل الأربعة من الأناجيل الرائجة آنذاك " (أبو زهرة ، النصرانية ، ص 43)

إن العالم بقي حتى نهاية الربع الأول من القرن الرابع الميلادي من غير كتاب مقدس
معتمد أي حتى انعقاد مجمع نيقية سنة 235 ميلادي ، بل كان هناك شتات من الكتب

والرسائل المختلفة من فتات النصارى الكثيرة وطوائفهم المختلفة، وهناك في مدينة نيقية بعد طرد أنصار التوحيد من المؤتمر وعلى رأسهم آريوس، وقد كانوا أغلبية، تم انتخاب أربعة كتب أطلقوا على كل واحد منها إسم إنجيل، كما تم انتخاب الرسائل المعتمدة لديهم حالياً وضموها إلى الكتب الأربعة الأخرى.

وقد ورد في دائرة المعارف الفرنسية أن الأناجيل الأربعة المعتمدة لدى النصارى ما ظهرت إلا بعد ثلاثة قرون من تاريخ المسيح وهي متعارضة متناقضة مجهولة الأصل والتاريخ بل وقع الخلاف بينهم في مؤلفيها واللغات التي ألفوا بها وأن نسخها الأصلية فقدت (الطهطاوي، الميزان في مقارنة الأديان، ص 116).

2.2.3 الاناجيل المتداولة بين نصارى اليوم

أخي الدارس، أختي الدراسة بعد أن عرفت أن هذه الأناجيل المتداولة بين النصارى اليوم لم يكتبها المسيح ولم يملها على أحد من تلامذته وأنها ليست مما أوحاه الله تعالى إليه، وقد كتبت من بعده بقرون، فإنني أود أن أقدم لك عبر جولة سريعة مع هذه الأناجيل إيجازاً عن كل إنجيل منها يبين تاريخ تدوينه ويعرف بمؤلفه وأول هذه الأناجيل إنجيل متى.

أ. إنجيل متى

ومتى واحد من رسل المسيح الإثني عشر (أي تلامذته الذين أرسلهم للتبشير بدعوته)، كاتب الإنجيل الأول، يدعى أيضاً لاوي، كان عشاراً (جابي ضرائب) قبلما دعاه المسيح كي يتبعه " (موسوعة الكتاب المقدس، ص 281).

أما إنجيله الذي يحمل اسمه، فقد كتب لليهود خصوصاً بالدرجة الأولى . . . وقد كتب ما بين السنتين 50 و 70 م . . . ويستهل إنجيل متى بنسب يسوع وولادته، وجزء كبير منه يشغله تعليم المسيح وبشارته في الجليل ثم مواعظ المسيح وتعليماته لتلاميذه، ثم كلام المسيح عن سقوط أورشليم (القدس) ونهاية هذا الدهر، ثم يصف ارتحال المسيح من الجليل إلى القدس ووقائع أسبوعه الأخير فيها وأخيراً أخبار الصلب وقيامته حياً من الموت. (موسوعة الكتاب المقدس، ص 282).

أما اللغة التي كتب فيها هذا الإنجيل فالمرجح عند النصارى أنها العبرية لأنه كتبه لليهود قال (جيروم): " إن متى كتب الإنجيل باللسان العبري " (أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص 46).

لكن هذه النسخة العبرية مفقودة وما عرف هو النسخة المترجمة إلى اليونانية ولم يعرف بالضبط من الذي قام بترجمتها . وقد ذكر ابن البطريق أن الذي ترجمه (يوحنا) ويقول في ذلك : " في عصر قلوديوس كتب متى إنجيله بالعبرانية في بيت المقدس وفسره من العبرانية إلى اليونانية يوحنا صاحب الإنجيل . . . "

وينقل الأستاذ محمد أبو زهرة عن صاحب كتاب ذخيرة الألباب قوله " إن القديس متى كتب إنجيله سنة 41 ميلادية ، ثم ترجم هذا الإنجيل إلى اليونانية ، ثم تغلب استعمال الترجمة على الأصل الذي لعبت به أيدي النساخ ونسخته بحيث أضحي ذلك الأصل خاملاً بل فقيداً " وخالف الدكتور بوست في قاموس الكتاب المقدس هذه الآراء وذكر أن متى كتبه أصلاً باليونانية ، وأنه كتب قبل خراب أورشليم .

ثم يقول الأستاذ أبو زهرة " والحق أن باب الاختلاف في شأن تاريخ تدوينه لا يمكن سده ولا يمكن ترجيح رواية على أخرى ولا جعل تاريخ أولى من تاريخ بالإتباع ولا شك أن جهل تاريخ التدوين و جهل النسخة الأصلية التي كانت بالعبرية و جهل المترجم وحاله من صلاح أو غيره وعلم بالدين واللغتين التي ترجم عنها والتي ترجم إليها كل هذا يؤدي إلى فقد حلقات في البحث العلمي " (أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص 47-48) .

وبناء على ما تقدم في وصف حال هذا الإنجيل فإن لأي قارئ لهذه المعلومات أن يتساءل : كيف يمكن الاحتجاج بمثل هذا النص ، وكيف يمكن اعتماده كتاباً سماوياً مقدساً وهو مقطوع السند مجهول المترجم لاتعرف اللغة التي كتب فيها على سبيل الجزم ، والنسخة الأصلية منه قد ضاعت والزمن الذي كتب فيه غير محدد .

والآن أخي الدارس ، أختي الدارسة ، أجب عن السؤال التالي :-



تدريب (3)

ما الطعون التي يمكنك أن تقدمها على إنجيل متى ؟

ب. إنجيل مرقس

فهو أقصر الأناجيل الأربعة وأقدمها وفيه ستة عشر إصحاحاً ، وينسب إلى مرقس واسمه الحقيقي يوحنا .

وهو ليس من تلامذة المسيح الإثني العشر، فهذا الإنجيل كتاب رسول وكل مافيه انه كتاب محرر من تلميذ رسول (بركاي، ص 66).

ويذكر عن سفر الأعمال أنه كان مقرباً من تلامذة المسيح وأن الرسل بعد صعود السيد المسيح كانوا يجتمعون في بيته (أو بيت أمه مريم) (أعمال الرسل 12/12).

وقد جاء في كتاب مروج الأخبار في تراجم الأبرار أن مرقس كان ينكر ألوهية المسيح هو وأستاذه بطرس الحواري، وقد جاء في ذلك الكتاب أن مرقس صنف إنجيله بطلب من أهالي رومية وكان ينكر ألوهية المسيح، (أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص 49).

أما اللغة التي كتب فيها هذا الإنجيل فهي اليونانية كما يقول الدكتور بوست في قاموسه.

أما تاريخ تدوينه فغير معروف على سبيل الحصر، فقيل إنه كتب في عهد الإمبراطور نيرون وقد ذكر ابن البطريق أن بطرس رئيس الحواريين هو الذي كتب هذا الإنجيل ونسبه إلى مرقس، وقيل إن مرقس كتبه بعد وفاة بطرس وبولس.

والحق أن ذلك الاختلاف وإن كان زمنياً في ظاهره فهو في معناه ولبه اختلاف في شخص المحرر لهذا الإنجيل ونجدهم أيضاً قد اختلفوا في تاريخ كتابة هذا الإنجيل وقد قال (هورن) " ألف الإنجيل الثاني سنة 56م وما بعدها إلى سنة 65م والأغلب أنه ألف سنة 60م أو سنة 63م ويقول صاحب كتاب رشد الطالبين أنه كتب سنة 61م " (أبو زهرة، محاضرات النصرانية، ص 50).

وعلى الرغم من قصر هذا الإنجيل إلا أن هناك نصوصاً فيه مختلف في صحتها أو كونها جزءاً من هذا الإنجيل، فالقسم الأخير فيه (16/20.9) يعده الكتاب المحدثون عملاً مضافاً، وتشير إلى هذا الترجمة المسلوونية إشارة قاطعة، فهذا القسم الأخير غير موجود في المخطوطين الكاملين للأنجيل والذين هما أكثر قدماً وهما مجموعة الفاتيكان ومجموعة سيناء اللذين يرجعان إلى القرن الرابع، وقد كتب (كولمان) بهذا الصدد يقول: إن المخطوطات اليونانية الأكثر حداثة أضافت إلى هذا القسم خلاصة رؤى ليست لمرقس بل هي مأخوذة من أناجيل أخرى

ويفسر ألب كينغر هذه الخاتمة بقوله " لقد صار الاضطراب إلى حذف هذه الآيات الأخيرة في أثناء التناول الرسمي لؤلفه في الجماعة التي ضمته ولقد خلص بعد زمن متأخر وبعد أن انتشرت الكتابات المتقاربة لمتى ومرقص ولوقا إلى نتيجة هامة عن مرقس بأنه يأخذ المواد من ميمين وشمال لدى الإنجيليين الآخرين

يقول الدكتور بوكاي بعد سرده لهذه المعلومات " فيا له من اعتراف لا عوج فيه عن وجود الممارسة البشرية في نصوص الكتابات المقدسة تقدمه لنا هذه الأفكار من عالم كبير في اللاهوت (بوكاي، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ص68).

وقد تضمن هذا الإنجيل مقدمة قصيرة ليوحنا المعمدان ومعمودية المسيح وتجربته وتتناول الإصحاحات التسعة الأولى أخبار الشفاء والتعليم في الجليل، وتصف الإصحاحات 11-15 أسبوع المسيح الأخير في بيت المقدس تعقبها أخبار تتعلق بقيامة المسيح من الأموات حياً

ولما كانت الخاتمة (9-16/20) غير موجودة في بعض النسخ القديمة فقد اعتقد بعضهم أنها أضيفت قديماً لجعل نهاية الإنجيل غير فجائية . (موسوعة الكتاب المقدس / ص292).

ج. إنجيل لوقا.

وينسب هذا الإنجيل إلى طبيب صاحب بولس في حله وترحاله وأعماله ورد ذكره في أكثر من موضع من رسائل بولس، في رسالته إلى أهل تيموثاوس يقول: " لوقا وحده معي " (تيموثاوس الأولى / 4:11) وفي رسالته إلى كولوسي يقول: " ويسلم عليكم لوقا الطبيب الحبيب " (كولوسي / 14/4).

قيل إنه أنطاكي وأنكر جورج بوست ذلك فقال: " ظن بعضهم أن لوقا مولود في أنطاكية إلا أن ذلك ناتج من اشتباهه بولوكيوس، وزعم بوست أنه كان رومانياً نشأ بإيطاليا " (أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص5).

ولغة تدوين هذا الإنجيل هي اليونانية، أما تاريخ تدوينه فمن الصعب تحديده، فقد قال هورن: أُلّف الإنجيل الثالث سنة 53 أو سنة 63 أو سنة 64.

يقول الدكتور بوست " لقد كتب هذا الإنجيل قبل خراب بيت المقدس وقبل الأعمال، ويرجح أنه كتب في قيصرية في فلسطين مدة أسر بولس سنة 58-60 ميلادية.

والواقع أن باب الخلاف في تاريخ تدوين هذا الإنجيل أوسع من ذلك. ثم هناك مسألة أخرى هي: لمن كتب هذا الإنجيل؟ فقد ابتداء لوقا إنجيله بقوله " إذ كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا . . . رأيت أنا أن أكتب إليك أيها العزيز ثاو فيلس " (لوقا / 1-3:1).

وثاوفيلوس هذا من عظماء الروم كما يقول ابن البطريق، وهناك من يقول إنه مصري.

ويختلفون أيضاً في الذين كتب لهم هذا الإنجيل فالقس إبراهيم سعيد يقول: " إنه كتب لليونان، وإنجيل متى كتب لليهود وإنجيل مرقس كتب للرومان وإنجيل يوحنا كتب للكنيسة العامة " (أبوزهرة، محاضرات في النصرانية، ص52).

ومن خلال هذه المعلومات التي نقلها إلينا الأستاذ أبوزهرة عن هؤلاء الباحثين يبرز للباحث في هذا الإنجيل عدة نقاط لها أهميتها عند الدراسة ومنها:

1. اتفق العلماء المسيحيون على أن لوقا كتب إنجيله باليونانية وعلى أنه ليس من تلاميذ السيد المسيح.

2. اختلف الباحثون في شخصية لوقا وجنسيته وصفته بين طبيب أو مصور، والقوم الذين كتب لهم هذا الإنجيل وتاريخ تدوينه.

وهذا الاختلاف لا شك أنه يؤدي إلى نتيجة واضحة هي أنه لا يمكن الاحتجاج بمثل هذا الإنجيل ولا يستطيع أحد وفق المنهج العلمي أن يثبت أن نصوص هذا الإنجيل قطعية الثبوت أو أنها من كلام الله.

د. إنجيل يوحنا

وهو أكثر الأناجيل التي دار حولها الجدل والخلاف في صاحبه وتاريخه ونصوصه، وينسبه النصارى إلى يوحنا بن زبدي صائد السمك وكان تلميذاً ليوحنا المعمدان (يحيى عليه السلام (قبل أن يصبح تلميذاً ليسوع المسيح). (موسوعة الكتاب المقدس، ص353-345).

وإنجيل يوحنا مختلف تماماً عن الأناجيل الثلاثة السابقة في حجمه ونسقه وأسلوبه وموضوعاته.

يقول الدكتور بوكاي " يختلف إنجيل يوحنا عن الثلاثة الأخر إلى درجة أن الأب روجيه قال عنه في كتابه مدخل إلى الإنجيل " إنه عالم آخر " (بوكاي / ص71).

إن كتاب المسيحية يعترفون أن كتابة هذا الإنجيل كانت متأخرة عن الأناجيل الثلاثة ويحددها الدكتور يوسف في سنة 95 أو 96 أو 98 ميلادية ولكن الحقيقة أنها متأخرة أكثر من ذلك بكثير. وأن بعض ما ورد فيه من نصوص لا يمكن أن يكون مما عرفه يوحنا بن زبدي أو أي أحد في القرن الأول الميلادي.

ولكن كل شيء يوحى بأنه كان للنص المنتشر حالياً كتاب عديدون وأن من المرجح أن هذا الإنجيل نشره تلاميذ الكاتب الذين أضافوا بعض الفصول والحواشي والأخبار.

وهناك باحثون مسيحيون أنكروا نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا بن زبدي ، بل كتبه يوحنا آخر لا يمت إلى هذا بصلة ونقل الأستاذ أبو زهرة عن أحد هؤلاء الباحثين وهو ستاولين قوله " إن إنجيل يوحنا كافة تصنيف طالب من طلبة مدرسة الاسكندرية ، ولقد كانت فرقة ألوجين في القرن الثاني تنكر هذا الإنجيل وجميع ما أسند إلى يوحنا " .

كما جاء في دائرة المعارف البريطانية التي اشترك في تأليفها خمسمائة من علماء النصراني ما نصّه " أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور أراد صاحبه معاندة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض وهما متى ويوحنا وقد ادعى هذا الكاتب المزور أنه هو الحواري الذي يحبه المسيح فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري ووضعت اسمه على الكتاب نصّاً مع أن صاحبه غير يوحنا يقيناً وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون منتهى جهدهم ليربطوا ولو بأوهى رابطة ذلك الرجل الفلسفي الذي ألف هذا الكتاب في الجيل الثاني بالحواري يوحنا الصياد الجليل ، فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى " (أبو زهرة، محاضرات في النصرانية ، ص 54) .

وأهم ما يتميز به هذا الإنجيل أنه أتى بما لم تأت به الأوائل فهو الإنجيل الوحيد الذي يتحدث بصراحة عن ألوهية المسيح عليه السلام ، والكلمة الأزلية وجعل ذلك أول نص في إنجيله " في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله " (يوحنا / 1:1) .

وهذا يدل على أن هذا الإنجيل ما كتب إلا لهذا الغرض ومن أجل هذه الإضافة بالذات ، وهذا ما يعترف به كتاب النصراني أنفسهم حيث يقول يوسف الدبس الخوري في مقدمة تفسيره (من تحفة الجيل): إن يوحنا صنف إنجيله في آخر حياته بطلب من أساقفة كنائس آسيا وغيرها والسبب أنه كانت هناك طوائف تنكر لاهوت المسيح فطلبوا منه إثباته وذكر ما أهمله متى ومرقس ولوقا في أنجيلهم .

يقول الأستاذ أبو زهرة تعليقا على هذه الأقوال " من هذه النقول يستفاد أن كتاب النصراني يجمعون أو يكادون على أن هذا الإنجيل المنسوب إلى يوحنا كتب لإثبات ألوهية المسيح التي اختلفوا في نشأتها لعدم وجود نص في الأناجيل الثلاثة بعينها وهنا لا يسع القارئ لتلك النصوص إلا أن يستنبط أمرين :

أحدهما : صريح وهو أن الأناجيل الثلاثة الأولى ليس فيها ما يدل على ألوهية المسيح وأن النصراني مكثت أنجيلهم نحو قرن من الزمان ليس فيها نص ألوهية المسيح .
وثانيهما : أن الأساقفة اعتنقوا ألوهية المسيح قبل وجود الإنجيل الذي يدل عليها

ويصرح بها . . . وهذا ينبنى على أن الاعتقاد بألوهية المسيح سابق لوجود نص في الكتب وإلا ما اضطروا اضطراباً إلى إنجيل جديد طلبوه فافتقدوه فلما لم يجدوه طلبوا من يوحنا أن يكتبه . (أبوزهرة، محاضرات في النصرانية، ص 57-58)

3.2.3 إبطال حجية الأناجيل المتداولة اليوم

أخي الدارس، أختي الدارسة: أرأيت كيف تطمس الحقائق وتدخل الأباطيل وتنقلب الموازين ويعمى على عوام الناس فيسلم بما لا يقبله العقل ولا يؤيده البحث العلمي .

تلك الأناجيل الأربعة هي المصدر الأول التاريخي للديانة المسيحية والملاحظات عليها كثيرة، وكل ملاحظة منها تبطل حجيتها وأهم هذه الملاحظات:

1. أنها ليست مما كتبه المسيح عليه السلام أو مما أملاه على تلاميذه، أو مما كتب في زمانه فأقرها .
2. كاتبوها ليسوا على مستوى الأهلية ليكونوا علماء دين لأنهم مجهولو النسب أو الصنعة .
3. أنها كتبت لرغبات خاصة أملتها عدة بينات مختلفة .
4. أن أصولها معترف بضياعها من أولها وأن ترجمة بعضها غير موثوق فيه لضياع الأصل أو لجهل المترجم، أو حتى اللغة التي كتب فيها .
5. أنها لا تحمل صفة الرواية حتى في أقل صورها التي يجب أن تتوافر لكتاب سماوي أو تعاليم نبي .
6. تحتوي هذه الأناجيل نصوصاً فيها من المغالطات والمستحيلات العقلية والتناقضات فيما بينها مما يؤكد أنها لا يمكن أن تكون من كلام الله ولا من كتابة كتاب مهرة، وقد قبلت على علاقتها طيلة هذه العصور .



تدريب (4)

ما أهم الملاحظات التي توصل من خلالها الباحثون إلى القول بعدم حجية نصوص العهد الجديد؟

4.2.3 نماذج من نصوص أناجيل النصارى اليوم

وسأقدم لك أخي الدارس، أختي الدارسة، نماذج على سبيل المثال فقط .
أولاً: نصوص باطلة في محتواها، من ذلك ماورد في إنجيل لوقا من أقوال

تدعو إلى التفريق والبغض " جئت لألقي ناراً على الأرض، فماذا أريد لو اضطرمت، ولي صبغة أصطبغها وكيف انحصر حتى تكمل، أتظنون أنني جئت لأعطي سلاماً على الأرض كلا، بل انقساماً، لأنه يكون من الآن خمسة في بيت واحد منقسمين ثلاثة على اثنين واثنان على ثلاثة، ينقسم الأب على الابن والابن على الأب والأم على البنت والبنت على الأم والحماة على كتتها والكنة على حماتها " (لوقا/ 12: 49-53).

وهذا النص بالإضافة إلى كونه يدعو إلى إشاعة البغضاء بين الناس حتى داخل الأسرة الواحدة فإنه يتناقض مع نصوص أخرى جاءت تدعو إلى التسامح والمحبة.

ومن ذلك ماورد في إنجيل يوحنا من إساءة لمريم العذراء واتهامها " وفي اليوم الثالث كان عرس في قانا الجليل وكانت أم يسوع هناك ودعا أيضاً يسوع تلاميذه إلى العرس ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له: ليس لهم خمر، قال يسوع مالي ومالك يا امرأة " (يوحنا / 1-3: 2).

ثانياً: نصوص متضاربة في الأمر الواحد.

وقد ذكر رحمة الله الهندي في إظهار الحق (1: 160) بعض هذه النصوص المتعارضة،

وذكر ستة أوجه للخلاف بين إنجيل متى ولوقا في مسألة نسب المسيح عليه السلام هي:

1. في متى أن يوسف بن يعقوب وفي لوقا أنه ابن هالي.
2. يُعلم من متى أن عيسى من أولاد سليمان من داود عليه السلام ومن لوقا أنه من أولاد ناثان بن داود.
3. يُعلم من متى أن جميع آباء المسيح من داود إلى جلاء بابل سلاطين مشهورون ومن لوقا أنهم ليسوا بسلاطين ولا مشهورين غير داود وناثان.
4. في متى سلتائيل بن يكيئا وفي لوقا أنه ابن نيري.
5. اسم ابن زروبابل في متى أبيهود وفي لوقا اسمه ريسا والعجب أن أسماء بني زروبابل مكتوبة في سفر أخبار الأيام، وليس فيها أبيهود ولا ريسا.
6. من داود إلى المسيح عليه السلام ستة وعشرون جيلاً في متى، وواحد وأربعون جيلاً عند لوقا.



أخي الدارس، أختي الدارسة إذا أردت الاطلاع على المزيد من هذه الأمثلة من النصوص المتضاربة في العهد الجديد فارجع إلى كتاب إظهار الحق لمؤلفه العلامة رحمة الله الهندي الجزء الأول من صفحة 160-271. وضح على أثر ذلك أوجه التضارب وناقشها مع زملائك ومشرفك الأكاديمي.

أما عن التضارب للنسخ الثلاث للكتاب المقدس (وهي العبرية المعتمدة عند اليهود والبروتستانت، واليونانية المعتمدة عند الكاثوليك والسامرية المعتمدة عند السامريين) فإنه تضارب كبير أقل ما يدل عليه هو الشك فيها جميعاً وأكتفي من ذلك بمثال واحد مما ذكره الشيخ رحمة الله الهندي (338-339: 1). وهو يتعلق بالمدة أو الزمان من خلق آدم إلى طوفان نوح عليه السلام، ففي النسخة العبرانية ألف وستمائة وست وخمسون سنة، وفي النسخة اليونانية ألفان ومائتان واثنان وستون سنة، وفي السامرية ألف وثلاثمائة وسبع سنين.

وتجد هذا الخلاف في المدة الزمنية عند أسماء كثيرة.

وإذا تجاوزنا الأناجيل الأربعة إلى بقية العهد الجديد من رسالة الأعمال إلى رسائل بولس المختلفة، فإن أول ما يتبادر إلى الذهن أن هذه الرسائل لا يجوز أن تضاف إلى كتاب مقدس بأي شكل من الأشكال، لا للمتناقضات الموجودة فيها فحسب، بل لأنها أصلاً ليست من كلام الله ولا من كلام المسيح عليه السلام.



أخي الدارس، أختي الدارسة، لقد أجرى الداعية المعروف أحمد ديدات مناظرات عدة مع قسيسين ومختصين من النصارى كان أشهرها المناظرة التي جرت بينه وبين سويجارت حول موضوع هل الإنجيل كلمة الله؟ وهي مسجلة على شريط فيديو فابحث عنه واستمع إليه ولخص ما ورد فيه، وناقش نتائج هذه المناظرة مع زملائك ومشرفك الأكاديمي.

3.3 المجامع الكنسيّة

أخي الدارس، أختي الدارسة، جاء حديثنا عن المجامع الكنسية ضمن مدارس النصرانية لأن جملة كبيرة من العقائد المسيحية ليس لها مستند عند النصارى من العهد القديم أو الجديد؛ وإنما اعتمدوا في تبنيها واعتقادها على قرارات هذه المجامع فما هي هذه المجامع وكيف نشأت فكرتها وكيف صارت قراراتها حجة يعتمد عليها وما هي أهم المعتقدات والآراء التي انبثقت عنها؟ هذا ما سنوضحه في هذا الفصل .

المجمع الكنسي هو التجمع الذي تعقده الكنيسة لرجال الدين المسيحي للنظر في المسائل المتعلقة بأية قضايا اعتقادية أو تشريعية تخص الدين .

1.3.3 أقسام المجامع المسيحية

تنقسم المجامع المسيحية إلى قسمين هما :-

1.1.3.3 المجامع العامة الشاملة لكل الكنائس و الطوائف والمذاهب .

2.1.3.3 المجامع الخاصة تنقسم إلى قسمين :

أ . المجامع المليّة الخاصة بملة واحدة أو طائفة واحدة من طوائف النصارى .

ب . المجامع الإقليمية التي تجمع مذاهب وملل منطقة محددة .

هذه المجامع تنعقد بإشراف الكنيسة مع أن الخلافات التي نشأت عن هذه المجامع هي التي أدت إلى انقسام الكنيسة إلى شرقية وغربية .

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن مؤسسة الكنيسة أصلاً لم تكن موجودة في زمن المسيح أو حواريه، وفي هذا يقول الأستاذ شارل جيني بيير أستاذ تاريخ المسيحية في جامعة باريس " إن المسيح لم ينشئ الكنيسة لم يرتادها وإذا قلنا أن المسيح صرح للحواريين بسلطة ما وهذا محل جدل حتى اليوم فمما لاشك فيه أن الأمر لم يتعد منحهم بعض ما أوتي هو من سلطان في التبشير بالتوبة، ولم يصنع منهم قساوسة حيث لم يكن بحاجة إلى ذلك، وعلى أي حال فإننا عندما ندرس أعمال الحواريين لا نجد أنهم فكروا في إنشاء كنيسة (بيير، المسيحية: نشأتها وتطورها، ص130) ويشير المؤرخون إلى أن أقدم كنيسة هي كنيسة بطرس في روما وقد افتقرت الكنائس تبعاً لافتراق النصارى وكل فرقة من الفرق الثلاثة المعروفة اليوم كنيسة (الكاثوليكية، والأرثوذكسية، والبروتستانتية) .

ويبدو أن أول مجمع عقد برعاية بولس لمعالجة آراء برنابا التي خالف فيها بولس وقد ذكر هذا المجمع سفر الأعمال في إصحاحه الخامس عشر .

ونعود إلى المجامع التي تنعقد تحت إشراف هذه الكنائس لنؤكد بعد استعراض هذه المجامع والموضوعات التي انعقدت من أجلها أن كل مجمع منها ما عقد إلا لمعالجة مشكلة أو مناقشة قضية كثر فيها الجدل واحتدم فيها الصراع بين رجال الكنيسة أنفسهم، ومناقشة قضية كثر فيها الجدل ثم ينتهي هذا المجمع عن قرارات يرضى عنها من يرضى ويغضب من يغضب ثم سرعان ما تفرض هذه القرارات بقوة سلطان الكنيسة الديني أو بقوة سلطان الدولة في بعض الأحيان.

وأخطر ما في هذه المجامع أنها لم تقتصر على معالجة القضايا الشكلية أو الإجرائية لتنظيم الكنيسة وأعمالها وإنما عاجلت في كثير من الأحيان قضايا جوهرية ذات علاقة بأصول المعتقدات المسيحية كالتثليث وطبيعة السيد المسيح وما إلى ذلك.

وإليك أخي الدارس، أختي الدارسة نبذة سريعة عن بعض هذه المجامع.

أولاً: مجمع نيقية سنة 325م

وقد عقد هذا المجمع في مدينة نيقية قرب القسطنطينية تحت رعاية الإمبراطور قسطنطين بناءً على اقتراح تقدم به أسقف إسبانية، الذي أرسله الإمبراطور لحل قضية خلافية عمت أرجاء الدولة الرومانية بين آريوس ورئيسه بطيريك الإسكندرية، وكان آريوس يتبنى رأي الموحدين بينما يتبنى إلكسندروس بطيريك الإسكندرية رأي المؤلفين لعيسى عليه السلام، فكان الاختلاف في طبيعة المسيح عليه السلام والسبب في انعقاد هذا المجمع.

لقد كان الإمبراطور قسطنطين حريصاً على وحدة المسيحية لتأثير ذلك المباشر على وحدة الدولة الرومانية، ولذلك فإن المنطلقات السياسية هي التي دفعت بالإمبراطور إلى التدخل لعقد المؤتمر، وهي التي أثرت على سير أعمال المؤتمر والقرارات الناتجة عنه.

لقد كان للإمبراطور دور بارز في توجيه المؤتمر إلى ما يتلاءم مع مصلحته السياسية واعتقاداته الوثنية، وهو الذي لم يكن قد مضى على اعتناقه الشكلي للمسيحية إلا بضع سنوات مع معرفة الدوافع السياسية من وراء هذا الاعتناق.

لقد سمع الإمبراطور هذه الآراء الخلافية حول طبيعة السيد المسيح وعالج القضية من وجهتين: الأولى: أن همه الرئيس إزالة الخلاف الذي يهدد أمن الإمبراطورية.

الثانية: إرضاء غالبية شعب الإمبراطورية من الوثنيين إضافة إلى أن فكره لازال وثنياً.

وبناءً على ذلك فقد رجح رأي القائلين بألوهية المسيح (الحاج، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص 187).

وعلى الرغم من أن الذين حضروا هذا المؤتمر في بدايته كانوا حوالي ألفين وثمانية وأربعين فإن من بقي منهم إلى نهاية المؤتمر ثلاثمائة وثمانية عشر عضواً فقط، وهؤلاء كما يقول ابن البطريق جعل لهم الإمبراطور مجلساً خاصاً وجلس في وسطه وقال لهم: لقد سلطتكم اليوم على مملكتي لتصنعوا ما ينبغي لكم أن تصنعوه مما هو قوام الدين وصلاح المؤمنين، فباركوا الملك وقلدوه سيفه وقالوا له: أظهر دين النصرانية (أبوزهرة، محاضرات في النصرانية، ص 139).

وبينما خرجت الأغلبية محتجة على طريقة سير أعمال المؤتمر والإرهاب الفكري الذي مورس فيه فإن الأقلية قد مكنت من أن تصدر قرارات المؤتمر وأهمها:

1. الكنيسة الرسولية تحرم القول بأن الزمن قد خلا من ابن الله بتاتا.
2. طرد كل من يخرج على هذه العقيدة.

وقد حكم المجمع على آريوس ومن تبعه باللعنة والحرمان، وصدر مرسوم إمبراطوري يأمر بحرق كتب آريوس جميعها ويجعل إخفاء أي كتاب منها جريمة يعاقب عليها بالإعدام (ول ديورانت، قصة الحضارة، 396: 11).



نشاط (4)

أخي الدارس، أختي الدارسة، لا بد أن شخصية آريوس قد استوقفتك فإذا أردت أن تتعرف شخصية آريوس ومعتقداته ومصيره ومصير حركته فارجع إلى كتاب النصرانية من التوحيد إلى التثليث للدكتور محمد الحاج من صفحة 167-183 ومن ص 188-191. ناقش ما تقرأه مع زملائك ومشرفك الأكاديمي.

ثم صدر قانون الإيمان النيقاوي الذي اكتمل فيما بعد في مجمع القسطنطينية سنة 381م، ونص على الإيمان بالأقانيم الثلاثة الأب والابن والروح القدس. ومما يلاحظ على هذا المجمع:

- أ. اتخذ المجمع قراره بأقلية مغلوب على أمرها.
- ب. كان للملك قسطنطين اليد الأولى في ترجيح مذهب المؤلهين الذي انتهى إليه المجمع.
- ج. كيف يؤخذ برأي قسطنطين في ترجيح مسألة في العقيدة مع ملاحظة أنه ليس قديساً ولا قسيساً ولا حتى مسيحياً إلا بالاسم.

د. ما سلطة المجمع الدينية لتحل أو تحرم من غير الرجوع إلى النصوص الإنجيلية (شلي، أضواء على المسيحية، ص 99).

ثانياً: مجمع القسطنطينية الأول سنة 381م

وهذا المجمع من المجامع المهمة عند النصارى لأنه كان مكماً لمجمع نيقية الذي أقر ألوهية المسيح وأنه ابن الله لكنه لم يبحث علاقة الألوهية بالروح القدس حيث أقر هذا المجمع ألوهية الروح القدس ليتم الثالوث المسيحي.

ويبدو أن هناك أفكاراً قد ظهرت في مسألة التآليه التي فرضت على المجتمع المسيحي، ومن ذلك فكرة حملها القسيس مكدونوس ملخصها أن الروح القدس ليس بإله وإنما هو مخلوق، وشاعت في المجتمع فتقبلها الموحدون وخالفها المؤلهون وعلى رأسهم بطريرك الإسكندرية فانعقد هذا المؤتمر من أجل ذلك وكان عدد المجتمعين فيه لا يزيد عن مائة وخمسين أسقفاً وقرر ما يلي:

1. إثبات أن الروح القدس هو روح الله وهي حياته فهي من اللاهوت الإلهي، وإضافة ذلك إلى قانون الإيمان النيقاوي.

2. لعنة مكدونوس وأتباعه وكل من يخالف هذا القرار

والآن أخي الدارس، أختي الدارسة، أجب عن السؤال التالي :-



تدريب (5)

ماذا تعرف عن مجمع القسطنطينية الأول، من حيث موضوعه وقراراته؟

ثالثاً: مجمع أفسس الأول سنة 431م

والغرض من عقد هذا المجمع كما يقول صاحب تاريخ الأقباط محاكمة أصحاب البدع التي ظهرت في ذلك الحين، ومنهم بيلاجيوس ونسطور، أما الأول فيعتقد أن خطيئة آدم قاصرة عليه، وبذلك أنكر قضية الخلاص والفداء فناقشه المجمع ثم حرمه وأسقطه من رتبته.

وأما نسطور فقد كان أسقفاً على القسطنطينية ما لبث أن نادى بأن طبيعة المسيح اللاهوتية منفصلة عن طبيعته الناسوتية. وعلى الرغم أن نسطور قد حضر إلى المجمع ومعه أربعون أسقفاً من أتباعه إلا أن المجمع حرمه وأسقطه من رتبته وفرزه من كل خدمة كنسية.

ونسطور وإن كان يعتقد أن المسيح فوق البشر إلا أنه أنكر ألوهيته وقد جاء في تاريخ الأمة القبطية عن نحلته ما نصّه :

(أما هرطقة نسطور هذه فلم تكن كغيرها، نشأت عن اختلاف في العقائد التي وضعها الآباء والأحبار بل هي جوهرية، ذلك أن نسطور ذهب إلى أن ربنا يسوع المسيح لم يكن إلهاً في حد ذاته، بل هو إنسان مملوء من البركة والنعمة أو هو ملهم من الله لم يرتكب خطيئة) أما أهم قرارات المجمع فهو تأليه مريم العذراء، وذلك رداً على نسطور الذي قال بأن مريم لم تلد الإله.

وقد بلغ عدد أعضائه نحو مائتين من الأساقفة وقرروا كما ذكر ابن البطريق : «أم مريم العذراء والدة الله ، وأن المسيح إله حق وإنسان، معروف بطبيعتين متوحد بالأقنوم» . ومع نفي نسطور وطرده فقد انتشر مذهبه، يقول ابن البطريق : تكاثرت النسطورية في المشرق والعراق والموصل والفرات والجزيرة وطبيعي أن ينتشر هذا المذهب ، لأن الناس في ذلك الوقت لم يكونوا على اقتناع بألوهية المسيح . (الحاج، النصرانية، ص185) . وقد زاد هذا المجمع على فكرة ألوهية المسيح بقوله بالطبيعتين الإلهية والناسوتية للمسيح .

رابعاً: مجمع أفسس الثاني سنة 451م

حكم ببراءة أوطافي الذي كان رئيساً لدير بالقرب من القسطنطينية تطرف في تعبيره في مجال الجدل مع الأريوسيين، فحكم عليه أسقف القسطنطينية بقطعه في مجمع مكاني (محلي) فعقد هذا المجمع استئفاً للحكم . فحكم ببراءته بعد اعترافه بتمسكه بالإيمان النيقاوي . وأهم ما نلمسه من هذا المجمع أن رجال الكنيسة المؤيدين للتثليث يقفون بالمرصاد لحرمان كل مخالف، وبذلك انتشرت آراؤهم بالقوة والرهبة . (الحاج، النصرانية، ص185) .

خامساً: مجمع خلقيدونية سنة 451م

وموضوع هذا المجمع يتعلق بطبيعة السيد المسيح وقد كان هذا المجمع حاداً فقد تعددت فيه الآراء والاختلافات، وقد طرد منه بطريرك الإسكندرية ديسفورس بالقوة فكان هذا المجمع أساس الانشقاق بين الكنائس .

وقد حضره كما يروي صاحب تاريخ الأنباط أساقفة روما، وحضره البابا ديسفوروس بطريرك الإسكندرية ومعه أساقفته واشتد الخلاف بين أساقفة روما وأساقفة الإسكندرية حول طبيعة السيد المسيح، وقد منع ديسفورس وأساقفته من حضور الجلسة في اليوم التالي، وحكموا بعزل ديسفورس ونفيه ونادوا بعقيدة الطبقتين والمشيئتين مخالفين بذلك

قانون الإيمان وقد رفض ديسفورس أمر الإمبراطور فأمر بنفيه ومات، وظلت الكنيسة القبطية محافظة على الإيمان الذي استشهد في سبيله، لذلك فإن الكنيسة القبطية لاتعترف بهذا المجمع ولابقراراته (شودة، تاريخ الأقباط، 1:179). وقد نتج عنه ظهور مذهب اليعاقبة وخالف هذا المجمع قرارات مجمع نيقية ومجمع إفسس الثاني وتم فيه لعن نسطورس وديسكورس وكل من يشايهم في مقالاتهم بالطبيعة الإلهية الواحدة للمسيح عليه السلام.

والجو الذي ساد اجتماعات هذا المجمع كان عنيفاً غير مهذب البروتوكول إلى درجة أن رجال الحكومة وجهوا إنذاراً إلى الأساقفة جاء فيه: إنه لايجدر بالأساقفة وأئمة الدين أن يأتوا بمثل هذه الأعمال الشائنة من صياح وصراخ وسب وضرب وقذف ولكم « شلي، أعضاء على المسيحية، ص106).

هذه هي أخطر المجامع في تاريخ المسيحية ومن المعلوم أن مجامع كثيرة قد انعقدت. وقد ذكر صاحب كتاب سوسنة سليمان أنه قد أحصى المجامع العامة من القرون الأولى للمسيحية حتى سنة 1869م فكانت عشرين مجمعاً. (أبوزهرة، محاضرات في النصرانية، ص123). وكان آخر مجمع عام عقده النصارى سنة 1964م وهو الذي أقروا فيه وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح.

وأخيراً أن لك أخي الدارس، أختي الدراسة، أن تتساءل هل هذه المجامع الكنسية التي يلعن بعضها بعضاً وتحل المشاكل بقرارات الطرد واللعن وتنتهي بخلافات أكثر مما بدأت به، ولاتستند في قراراتها لوحى أو نص سماوي، هل هذه المجامع تصلح أن تكون مصدراً تشريعياً يحتج به ويُعتدُّ برأيه؟ اعتقد أن أي منصف لايقبل ذلك مطلقاً.



أسئلة التقويم الذاتي (1)

1. ما الإضافات التي أضافها بولس للمسيحية؟
2. ما الملاحظات التي يمكن يستدل بها قاريء الأناجيل على بطلان حجيتها؟
3. متى عقد مجمع نيقية، وما قراراته؟ .

4. الأصول الاعتقادية للنصرانية وموقف الإسلام منها

أخي الدارس، أختي الدارسة، ليس في المسيحية أصول اعتقادية اتفق عليه منذ عهد المسيح عليه السلام واستمرت دون خلاف حولها في عصور التاريخ المسيحي، ونعني بالأصول العقديّة هنا تلك القضايا التي استقر عليها أمر الخلاف واتفقت عليها الكنائس الرسمية للنصرانية مع اختلاف مفهوم الكنائس لبعض القضايا المتعلقة بها.

فمن المعلوم أن النصراني اليوم على اختلاف كنائسهم يؤمنون بأصول ثلاثة هي:

1.4 التثليث والأقانيم.

2.4 الصلب والفداء.

3.4 الدينونة التي يملكها المسيح عليه السلام.

ولا بأس أن نقدم بين يديك أخي الدارس، أختي الدارسة، إيجازاً عن كل واحد من هذه الأصول مبينين الموقف الإسلامي منها والأدلة على بطلانها نقلاً و عقلاً.

1.4 التثليث والأقانيم

التثليث عقيدة طارئة دخيلة على المسيحية بذرتها الأولى ظهور فكرة ألوهية المسيح عليه السلام التي بدأ بها بولس وحمل لواءها بطريرك الإسكندرية المتأثر بالأفلاطونية الحديثة وأفكارها الفلسفية التي عرفت التثليث من قبل.

على الرغم من الاعتراض على الفكرة منذ منشئها، ورفضها منذ البداية من قبل دعاة المسيحية من الجيل الأول إلا أن الفكرة في النهاية قد سادت وكسبت الجانب الرسمي وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من العقيدة النصرانية.

إن المتتبع لمراحل تسرب عقيدة التثليث إلى النصرانية تأخذ الدهشة، ويتساءل بكل استغراب كيف تمكنت هذه الفكرة الدخيلة من فرض نفسها وتحولت من فكرة غريبة مستهجنة إلى ركن من أركان العقيدة المسيحية اكتملت في مجمع القسطنطينية سنة 381م.

إن التوحيد هو عقيدة كل الرسالات السماوية دون استثناء فدين الله واحد يقوم على عبادة الله الواحد: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (الشورى: 13) ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ (الأنبياء: 25).

والتوحيد ضارب في أعماق الزمن، بدأ مع أبي البشر آدم عليه السلام، وقد أخذه الله تعالى ميثاقاً وعهداً من بني آدم من ظهورهم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ (الاعراف: 172).

وما من رسول جاءه قومه إلا ودعاهم إلى توحيد ربهم: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل: 36) ولقد أكد القرآن الكريم على هذه الحقيقة عند حديثه عن كل نبي مرسل مبيناً أن التوحيد والدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده هي المهمة الأساسية التي بعثه الله تعالى من أجلها، وعند الحديث عن عيسى عليه السلام جاء التأكيد على هذه الحقيقة على لسان عيسى نفسه في معرض استجواب إلهي مباشر لعيسى عليه السلام حول ما أثير حوله من أقاويل هو منها براء: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ آأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنْكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتَ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ (المائدة: 116-117).

ومع كل ما وقع على العهدين القديم والجديد من تحريف فإن حقيقة التوحيد لا زالت موجودة في نصوص كثيرة في كلا العهدين ففي العهد القديم «اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا واحد، فلتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل قوتك، ولتكن هذه الكلمات التي أنا أوصيها بك اليوم على قلبك وقصها على أولادك، وتكلم بها حين تجلس في بيتك وحين تمشي في الطريق، وحين تنام، وحين تقوم...» (التثنية: 4/6-9).

وهذا ما تؤكد الآيات القرآنية: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلْهَكَ وَإِلْهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلْهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: 133) والعهد الجديد كذلك على الرغم مما لحقه من تحريف وبخاصة في مسألة التوحيد ظل يحتفظ بعبارات تدعو إلى التوحيد وعبادة الله تعالى وحده، ففي إنجيل متى أن إبليس طلب من يسوع المسيح أن يسجد له من دون الله فقال له يسوع «اذهب يا شيطان، لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد» (متى / 4:10).

وفي إنجيل مرقس: جاء أحد الكتبة يسأل يسوع عن أول وصية في الناموس فأجابه يسوع: أن أول كل الوصايا هي اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد» (مرقس / 12:29).

وفي إنجيل لوقا يناجي المسيح ربه فيقول: « أحمذك أيها الرب رب السماء والأرض
» (لوقا / 10:21).

وكذلك الحال في إنجيل يوحنا فإن المسيح يرفع عينيه نحو السماء فيقول: « وهذه الحياة
الأبدية أن يوفوك أنت الإله الحقيقي وحده ويسوع المسيح الذي أرسلته » (يوحنا / 17:3).
وفي رسالة يعقوب « أنت تؤمن أن الله واحد، حسناً تفعل » (يعقوب / 2:19) والسؤال الذي
يقفز إلى ذهنك -أخي الدارس، أختي الدارسة- وإلى كل من يطلع على هذه النصوص الصريحة
في دعوتها إلى توحيد الله تعالى هو من أين جاءت فكرة التثليث؟ وكيف حصل هذا التحول في
النصرانية عن التوحيد؟ ومن كان وراء ذلك؟ وما هي العوامل التي ساعدت على هذا التحول؟
وهل كان هذا التحول طبيعياً ذاتياً أم أن هناك أيادي خفية كانت من وراء هذا التحول؟



نشاط (5)

أخي الدارس، أختي الدارسة، إن الحديث في الإجابة عن هذه التساؤلات طويل
وبإمكانك أن تجد إجاباتها في كتاب د. محمد الحاج (النصرانية من التوحيد إلى التثليث)
الفصل الثاني (ص 95-195). ناقش ما تقرأه مع زملائك ومشرفك الأكاديمي.

أخي الدارس، أختي الدارسة: لقد وجد الباحثون عن الحقيقة الساعون إلى معرفة
سر هذا التحول العجيب معلومات ووثائق واعترافات كثيرة تؤكد كلها وجود التدخل
الخارجي، وتبين بكل يقين وجزم أن مصطلحات من مثل: الثالث، الأقانيم، البنوة، الخطيئة
الموروثة، وما نتج عنها من أفكار الخلاص والفداء والصلب كل ذلك لم يكن له وجود أيام
المسيح عليه السلام ولم يعرفه أو يؤمن به لا هو ولا أحد من حواريه.

ولقد وجد هؤلاء الباحثون الذين بحثوا هذه المسائل بتجرد ونزاهة وعلمية وموضوعية
أن التثليث بالذات كان مستورداً تسرب إلى المسيحية عبر قنوات ما فتحت إلا من أجل تخريب
المسيحية من داخلها.

لقد كان التثليث عقيدة وثنية سابقة للمسيحية عرفها وآمن بها الوثنيون من قدماء
المصريين والهنود، وعرفته فلسفات وثنية مختلفة وعلى رأسها الفلسفة الإغريقية القديمة منها
والحدیثة، وحاول بعض الفلاسفة (مثل أفلوطين المتوفى سنة 270م) باسم التوفيق بين النصرانية
وفلسفة أفلاطون اليونانية أن يبلور مفهوم الثالث المسيحي على هذا الأساس الفلسفي.

يقول الأستاذ شارل جيني بير « ولقد ظل الفكر اليوناني خميرة لكل نظريات علم اللاهوت الذي نما نمواً سريعاً، فالمسيحيون ينهلون من ذلك النبع الدافق للأفكار الميتافيزيقية سواء في طريقة مباشرة من كتب الفلاسفة الأفلاطونيين أو غير مباشرة في كتب أوريجين (185-254م) . . . ووسط هذه المعمعة الحامية الوطيس نجد الصراع يدور حول العلاقة بين الأب والابن في نطاق الثالث « (بير، المسيحية، ص 183) .

إن الباحث لا يستطيع أن يتجاهل دور اليهود في هذا التحول من التوحيد إلى التثليث أو بعبارة أخرى هذا العمل التخريبي، ولقد كانت لهم مصلحة في إفساد الدعوة التي جاء بها عيسى عليه السلام وهو الذي فتح الأعين على إفسادهم وخروجهم على شريعة موسى عليه السلام وراح يخاطبهم « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون . . . » « ويل لكم أيها الفريسيون العميان . . . » « يا أبناء الحيات والأفاعي . . . » .

فكانت مصلحتهم أن يحولوا مسار دعوته عنهم فكانت بدعة بولس بعالمية الدعوة، وكانت مصلحتهم أن لا تظلوا محسوبين على اليهودية وبني إسرائيل فصنعوا لهم ديناً خاصاً تسوده الوثنية وأفكارها .

ولا يستطيع أحد أن ينكر دور بولس اليهودي، وقد عرفنا موقفه المعادي للمسيحية أصلاً وقصة تحوله المثيرة للجدل والتساؤل، لقد كان دوره بارزاً بإضافاته الكثيرة وأفكاره اللاهوتية الفلسفية الخاصة وتنازلاته العديدة للوثنيين على حساب الدين والعقيدة .

لقد تدخل اليهود في تحريف كتب النصارى قديماً وحديثاً وقلبو المسيحية سافلها عاليها، وقد نقل لنا الأستاذ زهدي الفاتح في كتابه (اليهود) وثائق تدل على ذلك منها ذلك الخطاب اليهودي المفتوح إلى نصارى العالم الذي نشرته مجلة Century (القرن) الأمريكية في عدد كانون ثاني - شباط سنة 1928 بقلم الكاتب اليهودي ماركوس رافاح ومما جاء فيه « إنكم أيها المسيحيون لا تنتقمون على اليهود لأنهم صلبوا المسيح بل لأنهم أنجبوه . . . إن نزاعكم الحقيقي مع اليهود ليس لأنهم لم يتقبلوا المسيحية، بل لأنهم فرضوها عليكم . . . إنكم أيها المسيحيون تتهموننا بإشعال الثورة البلشفية التي لاتعدو أن تكون نقطة في بحر الثورة التي أشعلها بولس اليهودي في روما . . . لم تتساؤون منا وقد وضعنا العوائق في طريقكم وفرضنا عليكم كتاباً وديناً غريبين عنكم لا تستطيعون هضمهما وبلعهما » (الفاتح، اليهود، ص 150-154) .

لقد وصل الحد باليهود الذين تغلغلوا في الأوساط الدينية المسيحية أن حصلوا على وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح من أعلى مرجعية دينية في المسيحية وهي المجمع المسكوني أو

المؤتمر الديني العالمي للكنيسة الكاثوليكية المنعقد في الفاتيكان سنة 1962 حيث شهد البابا بنفسه أن الشعب اليهودي غير مدان بقضية الصلب على الرغم من أن كل الأناجيل التي يقدسونها تثبتها. والذي يقرأ نص وثيقة التبرئة هذه يجد فيها إشارة التذكير بجهود بولس وتعاليمه ووصاياه التي يحن فيها على آباء اليهود (الحاج، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص 161).

أما العامل السياسي الذي كان له دور مباشر في عملية التحول إلى التثليث فقد لعبته الدولة الرومانية التي تحولت على يد الإمبراطور قسطنطين إلى النصرانية بناءً على مصالح أملت الظروف السياسية لتلك الدولة، وما أن انتهى عهد الاضطهاد الروماني للنصارى حتى بدأ عهد التحول والانحراف عند النصارى أنفسهم وكانت النتيجة ان تأثير الوثنية الرومانية على النصرانية أكبر بكثير من تأثير النصرانية على الدولة الرومانية، وهذا ما أثبتته الباحثون الذين تابعوا تلك العلاقة بين النصرانية والدولة الرومانية وما أنتجت من إفرزات.

إن النصرانية لم تنتصر في المعركة التي دارت بينها وبين الوثنية، وإن كان النصارى يعدون اعتناق الدولة الرومانية للنصرانية انتصاراً باهراً، بل إنهم كما يقول الأستاذ جيني بير «دفعوا ثمن الانتصار غالياً، بحيث تستطيع القول في شيء من الجزم بأن مؤمني عصر الحوارين لم يكونوا لينظروا إلى هذا الانتصار لو قدر لهم ذلك إلا على أنه نكبة كبرى» (بير، المسيحية، ص 182).

إن النصرانية التي اعتنقتها الدولة الرومانية وفرضها قسطنطين في مجمع نيقية ليست هي النصرانية التي جاء بها عيسى عليه السلام، ولذلك كان قول جيني بير دقيقاً حين قال «إن الغربيين لم يكونوا قط مسيحيين في يوم من الأيام» (بير، المسيحية، ص 29).

وهذا هو نفس المعنى وذات الحقيقة التي توصل إليها الباحثون المسلمون من قبلها هو القاضي عبدالجبار الهمداني يقول بعد دراسته لهذا الموضوع: «إذا تبينت الأمر وجدت النصارى تروموا ولم تجد الروم تنصروا» (الهمداني، تثبيت دلائل النبوة، ص 1:158). نعم إن الواقع قد أثبت أن الروم لم يتنصروا ولكن النصرانية ترومت.



تدريب (6)

أخي الدارس، أختي الدارسة، ماذا تعرف عن وثيقة التبرئة من حيث فحواها وأثرها على اليهود؟

ونعود الآن أخي الدارس، أختي الدارسة، إلى التثليث ماذا يعني وكيف يفهمه
النصارى؟ وما أدلة بطلانه؟

عقيدة التثليث عند النصارى تعني إيمانهم بإله مثلث الأقانيم، والأقنوم كلمة يونانية
تعني الكائن المستقل، بدأت بفكرة تأليه المسيح عليه السلام وأن فيه جزءاً من الألوهية لأنه ابن
الله، فصار عندهم الأب والابن ولكل منهما صفاته، وهذا ما أفرزه مجمع نيقية سنة 325م
حيث صدرت عنه وثيقة الإيمان وفيها: نؤمن بإله واحد أب ضابط الكل خالق كل ما يرى
وما لا يرى، ورب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور نور
من نور إله الحق من إله حق مولود غير مخلوق مساو للأب في الجوهر... نزل من السماء
وتجسد من الروح القدس ومن مريم العذراء، وتأنس وصلب وتألم وقبر... وصعد إلى
السماء وجلس عن يمين الرب، وأيضاً يأتي بمجد ليدين الأحياء والأموات...»

ثم أضاف مجمع القسطنطينية الأول سنة 381م «ونؤمن بالروح القدس الرب المحي
المنبثق من الأب الذي مع الأب والابن مسجود له...».

والكنائس الثلاثة اليوم تؤمن بهذا القانون وتعدّه أساس عقيدتها. مع اختلافها في
طبيعة المسيح الابن هل هو نفس الأب بطبيعة إلهية واحدة أم أنه يحمل طبيعتين الأولى
لاهوتية والثانية ناسوتية، وهل هو ثلاثة في واحد كما تؤمن الكنيسة الكاثوليكية صاحبة
القول بالطبيعتين أو أنه واحد في ثلاثة أي إله واحد بثلاثة أقانيم وله طبيعة إلهية واحدة كما
ذهبت الكنيسة الأرثوذكسية.

ولقد رد القرآن الكريم على الاتجاهين، فقد قال سبحانه رداً على القائلين
بالطبيعتين ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ (المائدة: 73)
وعلى القائلين بالطبيعة الواحدة بقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ
ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (المائدة: 72).

ويمثل النصارى الأب بشيخ هرم قد جلله الشيب عابس الوجه على وشك الانتقام
والابن بشاب وديع يقدم نفسه ضحية للأب، والروح القدس بحمامة بيضاء على كليهما
(دائرة معارف القرن العشرين 198/10).

وما يلفت النظر أن النصارى أنفسهم لا يفهمون عقيدة التثليث ولم يستطيعوا هضمها، ذلك
لأنها عقيدة فلسفية غامضة لا يقبلها العقل ولا يستطيع استيعابها وحل رموزها.

اسمع ما يقوله الأب زكي شنودة « وهذه حقيقة تفوق الإدراك البشري الذي لا يفهم إلا أن الطبيعة الواحدة إنما تتضمن أقنوماً واحداً أي ذاتاً واحدة » (تاريخ الأقباط / 1:237).

ويقول الأستاذ عوض سمعان « لقد حاول كثيرون من رجال الفلسفة توضيح إعلانات الكتاب المقدس عن ذات الله أو بالأحرى عن ثالوث وحدانيته فلم يستطيعوا إلى ذلك سبيلاً » (مرجان، الله واحد أم ثالوث، ص 70-71).

وهنا يتساءل مرجان قائلاً « ترى إذا كان الفلاسفة والعلماء قد عجزوا عن فهم الثالوث فمن يا ترى يستطيع فهمه؟ وما موقف البسطاء والعامّة إذا ما حاولوا الفهم، وإذا لم نستطع إدراك عقائدنا بعقولنا وأفهامنا فبماذا يمكن إدراكها » (مرجان، الله واحد أم ثالوث، ص 71).

إن عقيدة الثالوث عقيدة باطلة لا تقوم على أي مستند نقلي أو عقلي.

فالكتاب المقدس بشقيه القديم والجديد لم يعرف مصطلح الثالوث ولا الأقانيم، ولم يرد على لسان يسوع المسيح أنه ذكر مثل ذلك لتلاميذه، والعبارة الوحيدة التي يفهم منها التثليث هي تلك العبارة التي جاءت في ختام إنجيل متى « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم باسم الأب والابن والروح القدس » (متى / 3:16).

وهي عبارة دار حولها جدل طويل من الباحثين في صحة نسبتها لإنجيل متى والأدلة على أنها عبارة دخيلة غريبة عن إنجيل متى سنداً وامتناً فقد جاءت نافرة عن السياق لا تتلاءم معه، ودخلت فجأة بمصطلح غريب لم يرد في غيرها.

وقد ورد في دائرة المعارف الفرنسية حولها « نعم إن العادة في التعميد كانت أن يذكروا عليه اسم الأب والابن والروح القدس ولكننا سنريك أن هذه الكلمات الثلاث كان لها مدلول غير ما يفهم منه نصارى اليوم، وأن تلاميذ المسيح الأولين الذين عرفوا شخصه وسمعوا قوله كانوا أبعد الناس عن اعتقاد أنه أحد الأركان الثلاثة المكونة لذات الخالق، وما كان بطرس (حواري المسيح) يعده أكثر من رجل يوحى إليه من عند الله. وقد ذهب نقدة التاريخ في أوروبا إلى أن عقيدة التثليث لم يجرى بها الإنجيل ولم يكن الحواريون يعرفونها، فلما نشأ بولس المتوفى سنة 69م أدخل هذه العقيدة إلى الديانة النصرانية ونشرها في كتبه ورسائله » (وجدى، دائرة معارف القرن العشرين، 10:201).

وبالتالي فإن عقيدة التثليث اجتهادية، مصدرها فهم بعض رؤساء الدين ولا يصح في منطق العقل أو الشرع أن تكون أمور العقائد من وضع البشر المنقطعين عن الوحي فأمر العقيدة يقررها الله تعالى أو الرسل الذين يتلقون الوحي عنه.

وعلى فرض ثبوت عبارة التعميد هذه في إنجيل متى فإنها لا تعني التثليث فالأب فيها هو الله سبحانه وتعالى وهو أب ورب لكل الأنبياء والقديسين بل وللبشر أجمعين ولعل عبارة « أبانا الذي في السموات » تدل على هذا المعنى الشمولي . وكذلك الابن هو المسيح عليه السلام وليس شرطاً أن تكون البنوة على حقيقتها وقد أطلقها العهد القديم على إسرائيل وآدم وداود وسليمان، وعلى كل صالح، وأما روح القدس فهو جبريل ملك الوحي الذي ينزل على المسيح وعلى غيره من الرسل عليهم السلام .

وقد ناقش ابن تيمية رحمه الله هذه العبارة وفسرها وفق هذا التفسير ثم قال : والمراد بعبارة التعميد مروا الناس أن يؤمنوا بالله وبنبيه الذي أرسله وبالملاك الذي أنزل عليه الوحي فيكون ذلك أمراً لهم بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، وهذا هو الحق الذي يدل عليه صريح المعقول وصحيح المنقول « (ابن تيمية، الجواب الصحيح، 2:98) .

وإذا كانت عقيدة التثليث قد فشلت في أن تجد لها مستنداً نقلياً من نصوص الكتاب المقدس تعتمد عليه فإنها ستكون فاشلة أكثر إذا ما حاولت أن تعود إلى أي مستند عقلي . إن العقل لا يمكن أن يفهم، الواحد هو نفسه ثلاثة وأن كل واحد من الثلاثة هو نفسه الواحد، وحين حاول بعض رجال الكنيسة تبسيط المسألة وإعطاء الأمثلة وجدنا سذاجة أقوالهم . فقد راح بعضهم يشبه الثالوث بالتفاحة حيث إن لها ذاتاً وطعماً ورائحة ويمكن التمييز بين هذه العناصر ولو أنها تفاحة واحدة، وشبهه آخرون بالشمس لها جرم وشعاع وحرارة والكل شمس واحدة (مرجان، الله واحد أم ثالوث، ص16) . ولا أظن أن مثل هذه التفسيرات تحتاج إلى تعليق، لأن مسألة الذات الواحدة التي يمكن أن تحمل هناك صفات كثيرة فهي تختلف عن موضوع التثليث الذي تقول به طوائف النصراني .

ويكفي بعد ذلك أن نقول ما قاله الخزرجي في كتابه مقامع الصلبان حيث يطرح هذا التساؤل : « إذا كان المسيح عليه السلام أحد الأقانيم الثلاثة ومعروف أنه تلحقه الأعراض البشرية كالجوع والعطش والشبع والأكل وغير ذلك من صفات خلقية بينما الأب والروح القدس لا يلحقهما شيء من هذا، فكيف يكون واحداً من تلك الثلاثة ويلحقه ما ليس يلحقهما، فإن قلت أن نصفه إله تام والنصف الآخر ليس الإله يلزمكم إذا دعوتوه أن تقولوا : يانصف الله ارحمنا، وإن قبل لكم من إلهكم، فقولوا هو نصف المسيح فيكون نصفه خالقاً و نصفه معبوداً لنصفه وليس باله تام . . .

وإذا جعلتموه كله إلهاً فأنتم تعبدون غير الله ، ولا فرق عندكم بين الله وبين مخلوقاته (الحاج، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، ص 243) .

2.4 الصلب والفداء

أخي الدارس، أختي الدارسة، تعد مسألة الصلب والفداء مرتبطة بفكرة الخطيئة الموروثة التي عرفتها الفلسفة اليونانية وبعض الفلسفات الهندية الوثنية البدائية. يقول (ويلز): إن فكرة أن المسيح ابن الله نزل إلى الأرض ليقدم نفسه قرباناً ويصلب تكفيراً عن خطيئة البشر، وهذا المفهوم كان معروفاً في الحضارات البدائية وأنه شبيه بسمات الضحايا القديمة من الآلهة من أجل خلاص البشرية (الجندي، الإسلام والفلسفات القديمة، ص 197) .

وخلاصة هذه الفكرة أن آدم عليه السلام عندما عصى ربه وأكل من الشجرة التي نهى عنها ارتكب بذلك خطيئة لم تغفر له، ولم تقتصر عليه وحده بل ظلت هذه الخطيئة تسري في أبنائه تحملها أجيال بني آدم جيلاً بعد جيل تشكل عندهم عقدة الذنب الجبري الموروث ومن هذه الفكرة الخاطئة التي بين القرآن الكريم بطلانها وأنها تتنافى مع أبسط قواعد العدل الإلهي فأدم عليه السلام صحيح أنه نسي العهد وعصى ربه، وأغواه إبليس اللعين فأكل من الشجرة التي نهاه الله تعالى عنها لكنه أدرك خطأه واستغفر ربه وتاب من ذنبه فتاب الله عليه وغفر له ذنبه .

بهذا الوضوح وهذه السهولة وهذا اليسر أنهى القرآن الكريم هذه المشكلة ولم يتركها عقدة ذنب دائمة تطارد الجاني وتطارذ ذريته من بعده فتقرأ في سورة البقرة: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (٣٥) فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ (٣٦) فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ (البقرة: 35-37) .

ثم إن آدم هو الذي ارتكب الخطأ فما علاقة ذريته بذلك حتى يعيشوا عقدة الذنب الذي أذنبه أبوهم قبل آلاف السنين، والله تعالى يقول: ﴿ أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ (٣٧) أَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ (٣٨) وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ (٣٩) وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ (٤٠) ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الْأَوْفَىٰ ﴾ (النجم: 36-41) فالعدل الإلهي

يقتضي أن يحاسب كل إنسان بذنبه، ويجزى بإحسانه ولا يتحمل ذنوب غيره حتى لو كان أقرب المقرين إليه إذا لم يكن له دور في ذلك. ولقد ذكر العهد القديم قصة آدم بصورة مقاربة لما ذكره القرآن الكريم، ولم يذكر فيه شيء عن هذه الخطيئة الموروثة بل ورد فيه ما ينافيها بل نص على أنه لا يقتل الأولاد من الآباء ولا الآباء من الأبناء، كل إنسان بخطيئته يقتل، (الثنية/ 24:16).

جاء بولس ليصنع من هذه الفكرة الخاطئة فلسفة خاصة وعقيدة جديدة أضافها ضمن التصورات التي أدخلها على المسيحية، خلاصة هذه الفلسفة أن الله تعالى نظراً لمحبته لعباده ورحمته بهم أراد أن يخلصهم من هذه الخطيئة الموروثة واختار أن تكون طريقة الخلاص بالتضحية والفداء فأرسل ابنه الوحيد ليقم بين البشر يفديهم بنفسه، يتألم فداءً عنهم ويموت من أجل خلاصهم ويقبل أن يلقي عليه القبض كاللصوص و المجرمين ويقاد إلى خشبة الصليب يدق به المسامير ويوضع تاج الشوك استهزاءً على رأسه ويبصق في وجهه ويتلقى من الإهانات الكثير ويستصرخ قائلاً «إيلي إيلي لم شقيتني» أي إلهي إلهي لماذا تركتني. كل هذا (وقد ذكرنا أناجيل النصارى) يقبله الله تعالى ويقبله ابنه فداءً للبشر وخلاصاً لهم من عقدة الذنب التي ارتكبتها أبوهم آدم.

يقول كاتب مسيحي «إن خطيئة آدم عصيان ضد الله وشروط عن الصلة به ومعصية ضد قداسته تعالى، وأعلن أن يسوع وهو على الصليب أن الله قد تنازل ليجدد الصلة التي قطعت خطيئتنا أو أصرها، ويتخطى الشقة التي أحدثها بيننا وبينه اعوجاجنا وزيفنا» (شليبي، المسيحية، ص 161).

ويعيد الأب بولس إلياس الخوري الحق إلى نصابه حينما يعلن في جراءة أن بولس هو مبتدع هذه الفكرة، وقد حمل هو وتلميذه الحبيب لوقا لواء الدعاية لها، وفيما يلي كلمات هذا الباحث المسيحي: «وما لاريب فيه أن الفكرة الأساسية التي ملكت على بولس مشاعره فعبّر عنها في رسائله بأساليب مختلفة هي فكرة رفق الله بالبشر وهذا الرفق هو الذي حمّله على إقالتهم عثراتهم فأرسل إليهم ابنه الوحيد ليفتديهم على الصليب» (شليبي، المسيحية، ص 161).

أخي الدارس، أختي الدارسة، أرجو أن تفتح معي عقلك لنعرض هذه المسألة على العقل ونطرح هذه التساؤلات !!
أولاً: أي رحمة وأي عدل في تعذيب غير مذنب وصلبه وإهانته وتركه يموت وهو يستصرخ؟

ثانياً: إذا كان الله تعالى غاضباً من بني آدم منذ أن ارتكب أبوهم خطيئته رافضاً أن يتجاوز عن هذه الخطيئة محملاً وزرها للجميع عبر الأجيال والقرون على الرغم أنهم لم يرتكبوها، فلا أدري كيف يغفرها لهم ويمحوها عنهم ويخلصهم منها إذا ارتكبوها جريمة أخرى هي الاعتداء على ابنه الوحيد الذي أرسله إليهم، ألا ترى أن هذه الفعل المشينة التي نسبتها الأناجيل إلى بني البشر أو إلى اليهود بالذات تستدعي زيادة غضب الله على بني البشر وهل تقتضي إهانة الابن وصلبه محبة الله ورضاه أم أنها تقتضي زيادة سخطه؟

لا أخال عاقلاً يقبل هذه الفلسفة ويرضى بهذه النتيجة التي أدت إليها تلك المقدمة .
ثالثاً: لقد نص إنجيل يوحنا (11/19) على أن الذي أسلمه يتحمل خطيئة عظيمة فكيف يقال إن المسيح صلب فداء لخطيئة البشر في الوقت الذي يحمل الرجل الذي سلمه الذنب العظيم؟

رابعاً: إذا كان المسيح ابن الله فأين كانت عاطفة الأبوة وأين كانت الرحمة حينما كان الابن الوحيد يلاقي دون ذنب ألوان التعذيب والسخرية ثم الصلب بعد دق المسامير في يديه .

خامساً: إذا كان صلب المسيح عملاً تمثيلاً على هذا الوضع فما ذنب اليهود ولماذا يكرههم المسيحيون ويرونهم آثمين معتدين على السيد المسيح (مع أنني أعتقد أن مثل هذه الفلسفة التي اختارها بولس لمسألة الصلب كان يقصد منها تخفيف المسؤولية عن اليهود) .

سادساً: هل ظلت هذه الخطيئة تسري ويتحملها الأنبياء الذين سبقوا عيسى عليه السلام ولم يتنبهوا إلى ضرورة تكفيرها وتخليص البشر منها، وهل كان هؤلاء الأنبياء خطاة مدنسين بتلك الخطيئة؟

وهذا ما أثاره عبد الأحد داود صاحب الإنجيل والصليب وقد ذكر في كتابه « أن مما حمله على ترك المسيحية هو هذه المسألة وظهور بطلانها لأن الكنيسة أمرته بأوامر لم يستشفها عقله وهي أن نوع البشر مذنب بصورة قطعية ويستحق الهلاك الأبدي وأن الله لا يخلص أحداً من هؤلاء المذنبين من النار الأبدية المستحقة عليهم دون شفيع وأن الشفيع لا بد أن يكون إلهاً تاماً وبشراً تاماً » (شلي، المسيحية، ص 166) .

هذه التصورات غير المعقولة هي التي وقفت بهذا الكاتب المسيحي الذي استعمل عقله ولم يسمح أن يبقى عقله معطلاً ومن الضالين، إلى أن يعلن إسلامه ويتخلص من هذه المعتقدات الزائفة .

سابعاً: السؤال الأخير هو لماذا هذا التباين والاختلاف بين الأناجيل الأربعة المعتمدة لدى النصارى في هذه المسألة على الرغم أنها مسألة في صلب العقيدة، ومن أمثلة هذا التباين والتضاد ما يلي:

أ. ورد في إنجيل متى أنه في ليلة القبض على يسوع قال لتلاميذه: اجلسوا هاهنا حتى أمضي وأصلي هناك ثم أخذ معه بطرس وابن زبدي وابتدأ يحزن ويكتب وقال لهم نفسي حزينة جداً حتى الموت أمكثوا هاهنا واسهروا معي ثم تقدم قليلاً وخر على وجهه وكان يصلي قائلاً يا أبته إن أمكن فلتعبر عني هذا الكأس . . . ثم جاء إلى تلاميذه فوجدهم نياماً فقال بطرس: أهكذا ما قدرتم أن تسألوا معي ساعة واحدة، اسهروا وصلوا . . . فمضى ثانية . . . ثم جاء فوجدهم نياماً إذ كانت أعينهم ثقيلة، فتركهم ومضى أيضاً وصلى ثالثة، ثم جاء إلى تلاميذه وقال لهم ناموا الآن واستريحوا هوذا الساعة قد اقتربت وابن الإنسان يسلم إلى الخطاة قوموا انطلق هوذا الذي يسلمني قد اقترب .»

قصة هذه الليلة القاسية وردت في مرقس موافقة في المعنى لما ورد في متى لكنها في لوقا مختلفة فقد زاد لوقا أن ملكاً نزل من السماء إلى المسيح يقويه وهو يصلي كما زاد أنه كان يصلي بأشد حاجة وصار عرقه كقطرات الدم نازلة على الأرض (لوقا، 22:45-44).
وأما في يوحنا فقد أسقط ذلك كله ولم يذكر شيئاً منه، وهو دليل على عدم شيء من ذلك، علماً بأن يوحنا وهو ابن زبدي كان معه هو وأخوه كما أشار إنجيل متى (متى، 39/26). والبقية ظلوا نائمين ولم يعرفوا شيئاً مما حصل.

ب. ورد في متى أن الذين أمسكوا يسوع مضوا به إلى (قيانا) رئيس الكهنة حيث اجتمع الكتبة والشيوخ (48/26) ووافق على ذلك مرقس (44/14).
وفي لوقا لم يذكر اسم رئيس الكهنة بل اكتفى بقوله « فأخذه وساقوه وأدخلوه إلى بيت رئيس الكهنة » (54/22).

أما يوحنا فقال إنهم ذهبوا به إلى (حنان) حمو (قيافا) مخالفاً بذلك ما ذهب إليه أصحاب الأناجيل الثلاثة (يوحنا / 18:13).

ج. ذكر متى أن رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب والجمع كله كانوا يطلبون شهادة زور على يسوع لكي يقتلوه فلم يجدوا ومع أنه جاء شهود زور كثيرون (متى / 26:60-59) وهذا كلام واضح في تناقضه إذ كيف أنهم لم يجدوا شاهد زور مع أن في الجمع شهود زور كثيرون؟

ولذلك جاءت العبارة في مرقس أكثر اتزاناً إذ قال : «وكان رؤساء الكهنة والجمع كله يقبلون شهادة على يسوع ليقتلوه فلم يجدوا لأن كثيرين شهدوا عليه زوراً ولم تتفق شهادتهم (مرقس/ 55-56: 14) .

والفهوم من عبارة كل من متى و مرقس أن المناقشة والمحاكمة بين الكهنة ورئيسهم من جهة وبين يسوع من جهة أخرى كانت ليلاً عقب القبض عليه ووصوله إلى دار رئيس الكهنة، ولكن لوقا ويوحنا جعلوا المحاكمة صباحاً فقد ورد في لوقا (22-66) ولما كان النهار اجتمعت مشيخة الشعب رؤساء الكهنة والكتبة وأصدروه إلى مجمعهم .
وقال يوحنا : «أنهم اقتادوه إلى دار حنان، وكان حنان قد أرسله موثقاً إلى قيانا رئيس الكهنة» (يوحنا/ 24 : 18) .

ولا أريد أخي الدارس، أختي الدارسة، أن أذكر لك أكثر من ذلك فما هي إلا نماذج والأمثلة كثيرة جداً، وهي إن دلت على شيء فإنما تدل على أن عبارات الأناجيل في مسألة الصلب قد جاءت متناقضة وشهادتها لاتصلح أن تكون مستنداً يثبت أمر به من الأهمية مثل ما لمسألة صلب المسيح التي يدعيها المسيحيون ويجعلونها أساس إيمانهم . (النجار، قصص الأنبياء، ص 437) .



نشاط (6)

أخي الدارس، أختي الدارسة، إذا أردت الاطلاع على مزيد من هذه التناقضات فبإمكانك أن ترجع إلى الأناجيل نفسها فالفصل الأخير في كل من الأناجيل الثلاثة الأولى، والفصول الثلاثة الأخيرة من إنجيل يوحنا تحدثت عن قصة الصلب .
وبإمكانك كذلك أن ترجع إلى كتاب قصص الأنبياء لعبدالوهاب النجار وتقرأ الصفحات من 433-452 .

أخي الدارس، أختي الدارسة، هذه عقيدة الصلب والفداء عند النصارى قامت على أساسين واهيين :

الأول : أساس النقل، وقد لاحظنا سذاجة هذه النصوص التي نقلتها لنا هذه الأناجيل الثلاثة والتناقضات القائمة بينها مما يجعلها لا تنهض إلى مرتبة الدليل الذي يمكن أن يستند إليه، بل إننا نجد في نص الأناجيل نفسها على الرغم من التحريف الذي أصابها ما

يدل على أن عيسى عليه السلام لم يصلب فقد جاء في إنجيل لوقا (29-30 / 4) ما نصه «فقاموا وأخرجوه خارج المدينة وجاؤوا به إلى حافة الجبل الذي كانت مدينتهم مبنية عليه حتى يطرحوه إلى أسفل، أما هو فجازف في وسطهم ومضى» وفي إنجيل يوحنا (8:59): « فرفعوا حجارة ليرجموه، أما يسوع فاختمى وخرج من الهيكل مجتازاً في وسطهم ومضى».

وكذلك في يوحنا (39/10) «فطلبوا أيضاً أن يمسكوه فخرج من بين أيديهم». ونصوص كثيرة من مثل ذلك في الأناجيل كافة.

الثاني: أساس العقل وأعني فلسفة التكفير العقلية التي سبق أن بينها، وقد ذكرنا أن فداء البشر من خطيئة أبيهم بهذه الطريقة غير معقولة.

والقائلون بالصلب تخطوا فاليهود حين أرادوا قتل المسيح لم يكونوا متحققين من شخصيته حتى استأجروا من يدلهم عليه، وازداد شكهم بعد القبض عليه حتى استحلفه رئيس الكهنة في جمع سائلاً: أنت المسيح ابن المبارك، فقال يسوع: أنا هو (مرقس / 14:11).

«أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح، قال له يسوع: أنت قلت» (متى / 26:63).

وفي إنجيل لوقا (67-68 / 22) سألوه: إن كنت أنت المسيح فقل لنا، فقال لهم: إن قلت لكم لا تصدقوني وإن سألت لا تجيبوني ولا تطلقوني. (شليبي، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، ص 298).

كما أن بعض الرسائل في العهد الجديد لم تشر إلى مسألة الصلب ومنها رسائل بطرس ويوحنا ويعقوب وهؤلاء كلهم من الحواريين وأكثر الناس معرفة بأحوال ومآل معلمهم المسيح عليه السلام.

وقد أنكرت الصلب عقول مسيحية متحررة، وقد ذكر الكاتب المسيحي عوض سمعان في كتابه (قضية الغفران في المسيحية) بعض هذه الأسماء مثل: مرقيون ورينان وهولدزمان وكلهم ينكرون مسألة الصلب. وقد ذكر أنه ظهر في القرن الثاني للميلاد فلاسفة أطلقوا على أنفسهم اسم الغنوصيين (أهل العلم والمعرفة) أقبلوا على فحص تعاليم المسيحية فأنكروا صلب المسيح وقالوا إن شمعان القيرواني رضي أن يصلب عن المسيح لذلك جعل الله هيئته مثل هيئة المسيح وترك شمعان ليصلب عوضاً عنه.

وقال الدوكيون إن المسيح لم يصلب مطلقاً إنما تراءى للناس أنهم صلبوه وقد أطلقوا على أنفسهم اسمهم هذا لأنه مشتق من فعل يوناني معناه (يظهر) أو (يتراءى) للدلالة على عقيدتهم هذه.

وإذا رجعنا إلى التاريخ وجدنا أن فكرة عدم صلب المسيح لم تندثر كما اندثر غيرها من أفكار الفلاسفة التي ظهرت في القرون الأولى للمسيحية بل كانت تظهر من وقت إلى آخر في بلدان متعددة بواسطة أشخاص كانوا يدعون العلم والمعرفة ففي سنة 175م قام فريق من نسل كهنة طيبة الورعين الذين اعتنقوا المسيحية وقالوا «حاشا للمسيح من الصلب، بل إنه رفع إلى السماء سالماً».

وفي سنة 370م ظهرت طائفة الهرموسيين وفريق منهم أخذ برأي الغنوصيين وأنكر صلب المسيح، وقال: إنه لم يصلب ولكن شبه للناظرين أنهم صلبوه.

وفي سنة 520م هرب «ساويروس» أسقف سوريا إلى الاسكندرية فوجد فيها قوماً من الفلاسفة ينادون بأن المسيح لم يصلب بل شبه للناس أنهم صلبوه.

وفي سنة 560م ظهر راهب يدعى «تيودوروس» وأنكر بشرية المسيح وبالتالي أنكر صلبه.

وفي سنة 610م نادى الأسقف يوحنا ابن حاكم قبرص بأن المسيح لم يصلب بل شبه للناظرين أنهم صلبوه. (الشريف، الأديان في القرآن، ص 212-213).

والآن أخي الدارس، أختي الدارسة أجب عن السؤال التالي :-



تدريب (7)

لقد اعتمد النصراني في عقيدة الصلب على أساسين، ماهما؟ وما درجة الاعتماد عليهما في اعتقادهم؟

أخي الدارس، أختي الدارسة، وقبل أن نغادر هذا الموضوع لا بد أن نضع بين يديك موقف الإسلام من مسألة الصلب وقد سبق أن بينا لك موقف الإسلام من مسألة الخطيئة الموروثة التي انبثقت أساساً منها فكرة الفداء والصلب.

إن نظرة الإسلام للأنبياء بشكل عام هي نظرة التكريم والتقدير وقصص الأنبياء في القرآن الكريم تميز بأدبه الجم عند الحديث عن الأنبياء جميعاً لأنهم رسل الله تلقوا الوحي

عن ربهم، فكان لابد أن يكونوا من المصطفين الأخيار، والاصطفاء الإلهي لا يقع إلا على صفوة البشر وخيارهم « الله يصطفى من الملائكة رسلاً ومن الناس. ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (آل عمران: 33).

وعلى أساس التكريم هذا كانت نظرة الإسلام إلى المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، فهو رسول من رسل الله خلاصة عقيدتنا فيه ما قال الله تبارك وتعالى فيه: ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ (المائدة: 75).

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ (النساء: 171).

أما في مسألة الصلب فكانت الصورة التي قدمها القرآن الكريم هي الصورة المشرقة التي تليق بكلمة الله ورسوله، فلم يجعل نهايته تلك النهاية المؤلمة التي جاءت في أناجيل النصارى حيث الإهانة والافتقار مع اللصوص وأخيراً الصلب ودق المسامير في رأسه وتركه مصلوباً معلقاً إلى أن يموت وهو يستصرخ دون أن يجد له نصيراً.

لقد بين القرآن الكريم أن أعداء اليهود حاولوا إيذاءه وقتله، ولكن رعاية الله بحبيبه ورسوله تآبى أن تسمح لهذه الأيدي الأثيمة المعتدية أن تنال منه فألقى بشبهه على من تآمر عليه ودل القوم عليه فكان هو المصلوب وليس المسيح عليه السلام، أما المسيح فقد أكرمه الله تعالى ورفعته إليه منزلة وجسداً (على الرأي الراجح عند المسلمين).

اسمع قول الله تعالى في ذلك إذ يقول سبحانه: ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَىٰ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ (آل عمران: 55).

واسمع إليه سبحانه وهو يرد على القائلين بصلبه من النصارى الذين حرفهم بولس عن منهجه حيث يقول سبحانه: ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ (النساء: 157-158).

أجل هذا هو الذي حصل للمسيح عليه السلام فقد نجاه الله من أعدائه وأكرمه أيما تكريم.

والغريب أن النصرارى على الرغم من أنهم يقرأون في العهد الجديد أن المسيح كان يدعو ربه طالباً النجدة ويقرأون أن الله تعالى قبل دعائه ومع ذلك فإنهم يعتقدون أن الصلب والموت قد وقع عليه .

إنك تجد في إنجيل لوقا (22: 44) «إن يسوعاً كان قد تضرع إلى الأب المحب في السماء طلباً للنجدة مع البكاء بالدموع» .

وإذ كان في جهاد كان يصلي بأشد حاجة وصار عرقه كقطرات دم نازلة على الأرض «ويؤكد بولس في رسالته للعبرانيين (7: 5) أن الدعاء لم يقع على أذان صماء» إذ قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت وسمع له من أجل تقواه» .
هذه نصوصهم تؤكد أن الله استجاب لدعائه ثم يصرون أنه قد مات على خشبة الصليب .
وماذا يعني قوله «وسمع له» يعني أن الله قد قبل دعائه، إن الله جلت قدرته هو السميع دوماً لقد سمع (استجاب) لدعوات يسوع كما سمع واستجاب لدعوات أبيه إبراهيم عليه السلام . (الجوهري ، مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء ، ص 74) .

3.4 الدينونة التي يملكها المسيح عليه السلام

هذا هو الأساس الثالث من أسس العقيدة المسيحية، وهو ما يعتقدونه من أن الأب أعطى سلطان الحساب للابن وذلك لأن الابن بالإضافة إلى ألوهيته وأبديته (كما يدعون) هو أيضاً ابن الإنسان فهو أولى بمحاسبة الإنسان .

ويعتقدون أنه بعد أن ارتفع إلى السماء جلس بجوار الأب على كرسيه استعداداً لاستقبال الناس يوم الحشر ليدينهم على ما فعلوا، وقد جاء في رسالة بولس الثانية إلى أهل « كورنثوس » لا بد أننا جميعاً نظهر أمام كرسي المسيح لينال كل منا ما كان بالجسد بحسب ما صنع ، خيراً كان أو شراً « (كورنثوس الثانية / 5: 10) .

وجاء في رسالة بولس إلى أهل أفسس (1: 22) قوله : « أقام الله المسيح من الأموات وأجلسه عن يمينه في السموات فوق كل رئاسة وسلطان وقوة وسيادة، وأخضع كل شيء تحت قدميه » .

وفي إنجيل يوحنا (22: 5) « الأب لا يدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن» .
إن هذا الاعتقاد بإعطاء دينونة العباد ومحاسبتهم ليسوع المسيح عليه السلام هي فكرة باطلة بنيت على فكرة باطلة أصلاً هي القول بألوهية المسيح عليه السلام إذ أن الحساب

والجزاء والثواب والعقاب في اليوم الآخر هو لله تعالى وحده، في جميع الديانات، ولكن النصارى الذين ضلوا أساساً في طبيعة السيد المسيح عليه السلام وغلوا في دينهم ولذلك خاطبهم القرآن الكريم مستنكراً عليهم هذا الغلو حيث يقول سبحانه: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ (المائدة: 77)

لقد جعلت العقيدة الإسلامية الرسل شهوداً أمام الله على أنهم بلغوا الرسالة، أما الحكم النهائي فهو لله تعالى « إن الحكم إلا لله » « والله يحكم لا معقب لحكمه ». إن الذي يحاسب الناس على كل ما فعلوه لا بد ان يكون أزلياً أبدياً يعلم ما في السموات والأرض ولا بد أن يكون حياً لا يموت، وهنا نريد أن نتساءل هل يعلم يسوع المسيح كل ما حصل قبل وجوده وما فعل كل العباد قبله؟ ثم إنه في أثناء معاناته وصلبه - كما يدعون - من كان يراقب العباد ويسجل أعمالهم ليحاسبهم عليها يوم القيامة؟



أسئلة التقويم الذاتي (2)

1. بين علاقة عقيدة الصلب عند النصارى بفكرة الخطيئة الموروثة.
2. بين العامل السياسي الذي كان له دور واضح في مسألة التحول إلى التثليث عند النصارى.

5. أهم الشرائع النصرانية

أخي الدارس، أختي الدارسة، نتحدث في هذا القسم من الوحدة عن أهم الشرائع النصرانية، فالحق أن عيسى عليه السلام لم يأت بشريعة خاصة، فقد كانت شريعة موسى شريعته، وكثيراً ما تذكر هذه الحقيقة في الأناجيل الحالية حيث يعبر عن شريعة موسى عليه السلام بالناموس. وكل ما جاء به عيسى عليه السلام إنما هو دعوة روحية سامية جاءت تصحيحاً للانحراف الذي يعم مجتمع اليهود.

لكن بولس الذي أصر على الانفصال عن اليهودية الأم، وصنع ديانة جديدة لا تمت إلى الأصل ولا إلى رسول هذه الديانة بصلة، كان لابد له أن يضع لها عقائدها وشرائعها وطقوسها وأسرارها فكانت مسيحية بولس الذي نجد اليوم كل ما فيها شرائع وشعائر وعبادات وطقوس غريباً مصطنعاً لا أصل له في الشريعة الأم شريعة موسى عليه السلام.

1.5 الأسرار السبعة

أخي الدارس، أختي الدارسة، تقوم الشرائع المسيحية على مجموعة من الطقوس والأسرار، حيث عرف عند النصارى ما يسمى بالأسرار الكهنوتية السبعة وهي:

1.1.5 سر التعميد

والتعميد يكون برش الماء على الجبهة، أو غمس أي جزء من الجسم في الماء، والغالب تغطيس الجسم كله في الماء، ويقوم بذلك الكاهن، والكنيسة القبطية تشترط التغطيس ولا تجيز الرش إلا للضرورة، كما تشترط أن يكون ثلاث مرات الأولى باسم الأب، والثانية باسم الابن، والثالثة باسم الروح القدس «(شودة، تاريخ الأقباط، 1:8)».

وكان نهر الأردن الذي عمد فيه المسيح عليه السلام على يد يوحنا الذي سمي لذلك بالمعمدان (وهو يحيى عليه السلام).

وينقل الأستاذ أحمد شلبي عن كتاب الأصول والفروع للقس بوط قوله: التعميد فريضة مقدسة يشار فيها بالغسل بالماء باسم الأب والابن وروح القدس إلى تطهير النفس من أدران الخطيئة بدم يسوع المسيح «(شلبي، المسيحية، ص169)».

كما نجد في رسالة بولس إلى غلاطية تفسيراً لهذا التعميد إذ يقول «لأن كلكم الذين اعتمدتم المسيح قد كسبتم المسيح» (غلاطية / 3:27).

وهذا يعني أن المسيحي بالتعميد يتحد بالمسيح، وكما قال الأستاذ شارل جينيبيير « فبالتمديد يرتدي المسيحي المسيح، كما يرتدي اللباس المقدس المنجي، وهو ينزل رمزياً إلى عالم الأموات بغطوسه في النهر أو في إناء التعميد، فإذا ما خرج بعد غطسات ثلاث (كما خرج المسيح من القبر بعد أيام ثلاثة) أيقن بأنه سوف يجد يوماً إن أراد الله له ذلك كما مجد المسيح » (بير، المسيحية، نشأتها وتطورها، ص 110).

وهذه طقوس وثنية أدخلها بولص إلى النصرانية، عرفتها فلسفات وثنية سابقة للنصرانية وسر التعميد كذلك مرتبط بفكرة الخطيئة الموروثة إذ أن هذا المولود يولد وهو يحمل من هذه الخطيئة فلا بد أن يتدخل الكاهن ليغطسه بالماء أو يرش عليه على الأقل لتكون المغفرة والتطهير من الذنوب.

2.1.5 سر الاعتراف

وهو من أخطر الطقوس التي تجربها الكنيسة ويتحكم من خلالها رجالها ورهبانها بالناس ويطلعون من خلالها على أسرارهم ليتخذوها وسيلة من وسائل الابتزاز على اختلاف أشكاله. ويكون سر الاعتراف بمثابة المذنب بين يدي الكاهن معترفاً بكل ما اقترف طالباً المغفرة، حيث يعتقدون أن التوبة تنقل عبر الكاهن إلى الرب وتعود إلى صاحبها عبر الكاهن أيضاً فيغفر له ذنبه.

وعن هذا السر نشأ ما يسمى في العصور الوسطى بصكوك الغفران، ولا يعترف البروتستانت بهذا السر. (الحاج، هداية الحيارى لابن القيم، دراسة، ص 173).

3.1.5 سر الدهن بالميرون المقدس

وهو سر ينال به المعتمد ختم موهبة الروح القدس والثبات في الإيمان ودونه تكون المعمودية ناقصة، ومصدره أن الرسل حفظوا ما كان من الحنوط على جسد السيد المسيح حين دفنه مع الحنوط الذي أحضرته النسوة ثم أذابوه في زيت الزيتون وقدسوه في عليّة صهيون وجعلوا منه دهناً مقدساً خاتماً للمعمودية (شليبي، يا أهل الكتاب، ص 259) وهذا الدهن في نظرهم يعني حلول روح القدس في الإنسان الذي نال المعمودية. ولا أدري من أين جاؤوا بهذه الطقوس إذ يخلو العهد الجديد من أي ذكر لكلمة ميرون وحلول روح القدس، وهذه كلها ليست إلا مما تسرب من الوثنية إلى المسيحية.

4.1.5 المسح على المريض

وهو سر يمسخ الكاهن بمقتضاه المريض بزيت مقدس ويستمد له الشفاء من الله روحياً وجسدياً .

ومصدره ما ورد في إنجيل مرقس أن الرسل قد خرجوا وصاروا يكرزون (يشرون) الناس أن يتوبوا، وأخرجوا شياطين كثيرة ودهنوا بزيت مرضى كثيرين فشفوهم (مرقس 13-21: 6) فأخذ رجال الكنيسة هذه المقولة وصنعوا منها سرأ يقومون به ويشعوذون به على الناس لابتزازهم وأخذ أموالهم .

5.1.5 سر الزواج

وهو ربط الزوجين برباط مقدس ، وقد جعلوا الزواج فوق كونه ناموساً طبيعياً سرأ من أسرار الكنيسة ، ويعتمدون في ذلك على ما ورد في إنجيل متى (6/19) « الذي جمعه الله لا يفرقه إنسان » وتجري مراسيم الزواج على يد القسيس في الكنيسة حيث تتلى تراويل معينة وبذلك يصبح زواجاً مقدساً بمباركة هذا القسيس .

6.1.5 سر الكهنوت

ويستخدم هذا السر عند التنصيب لأي منصب ديني في الكنيسة .
وسر الكهنوت عمل مقدس به يضع الأسقف يده على رأس الشخص المنتخب ويطلب من أجله فينال النعمة الإلهية التي ترفعه إلى درجات الكهنوت من أسقفية أو قسيسية أو شماسية أو أي منصب آخر .

ومصدر هذا السر أن السيد المسيح كما يقولون قد وضع أساس الكهنوت إذ اختار إثني عشر رسولاً ثم اختار السبعين الآخرين وأعطاهم سلطان الكهنوت ومنها التعميد وتقديس القربان وغفران الخطايا ، وقد انتقلت هذه المواهب من الرسل إلى خلفائهم ، وقد قال بولس الرسول إلى تلميذه تيموثاوس « لا تهمل الموهبة التي فيك المعطاة لك بالنبوة مع وضع أيدي المشيخية » (تيموثاوس الأولى / 4: 14) وقبلها ورد كذلك « لأنه يقدر بكلمة الله والصلاة إن فكرت الأخوة بهذا تكون خادماً صالحاً ليسوع المسيح متربياً بالإيمان والتعليم الحسن الذي نتبعه » (تيموثاوس الأولى / 4: 5-6) .

7.1.5 تناول أو القربان المقدس التابع لفكرة العشاء الرباني أو العشاء الأخير

وسر تناول هذا هو سر جسد يسوع ودمه تحت عوارض الخبز والخمر إذ يعتقدون ما يسمونه بالإستحالة وهو تحول الخبز إلى جسد المسيح والخمر إلى دم المسيح ، فمن أكل

في ذلك اليوم خبزاً فقد امتزج جسده بجسد المسيح ومن شرب خمراً فكأنما امتزج دمه بدم المسيح ويتم هذا السر إحياءً لذكرى ذبيحة الصليب، في أعياد الفصح .
ولا بد لإيضاح هذا السر من إعطاء إيجاز مبسط عن فكرة العشاء الرباني او ما يسمونه بالعشاء الأخير للسيد المسيح .

وأصل هذه الفكرة ما ورد في إنجيل لوقا أن يسوع قد أخذ خبزاً وشكر وكسر وأعطاهم قائلاً هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم، اصنعوا هذه لذكرى، وكذلك أخذ الكأس أيضاً بعد العشاء قائلاً: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي الذي يسفك عنكم» (لوقا/ 19-21/ 22) .
فالخبز يرمز إلى جسد المسيح الذي كسر لنجاة البشرية أما الخمر فيرمز إلى دمه الذي سفك لهذا الغرض وهذا ما أوضحته رسالة بولس إلى أهالي كورنثوس « لأنني تسلمت من الرب ما سلمتكم أيضاً إن الرب يسوع في الليلة التي أسلم فيها أخذ خبزاً وشكر فكسر وقال: خذوا كلوا هذا هو جسدي المكسور لأجلكم، اصنعوا هذا لذكرى أخذ الكأس أيضاً بعد العشاء قائلاً: هذه الكأس هي العهد الجديد بدمي، اصنعوا هذا لكما شربتم لذكرى فإنكم كلما أكلتم هذا الخبز وشربتم هذا الكأس تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء .
(كورنثوس الأولى 23-26: 11) .

وهذا ماتعبر عنه الكنيسة الكاثوليكية الرومانية بالاستحالة، أي تحويل الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه الجوهريين عندما يلفظ الكاهن بكلمات التقديس الموهوم، مع أنه قد يظهر لكل الحواس الخمسة أن الخبز والخمر باقيان على جوهرهما لم يتغيرا .
ويحاول عوض سمعان أن يبين العلاقة بين الخبز وجسد المسيح فيقول: «إن الخبز مثال للمسيح من ناحيتين رئيسيتين، فالخبز قوام الحياة الجسدية، والمسيح قوام الحياة الروحية، والخبز اجتاز في النار حتى أصبح طعامنا الجسدي والمسيح احتمل نار دينونة الخطيئة عوضاً عنا، لكي يكون طعامنا الروحي الذي يهبنا حياتنا إلى الأبد» . (الحاج، هداية الحيارى لابن القيم، ص174) .

ولا شك أن هذا التوفيق يبقى عاجزاً عن أي اقتناع أو دليل معقول والتكلف ظاهر فيه .
أما الخمر فعلاقته بدم المسيح كما يقول عوض سمعان: إنه أقرب مثال للدم من ناحيتين فكلاهما أحمر اللون وكلاهما حياة الجسد الذي يجري فيه، فالخمر هي حياة الكرمة والدم هو حياة الجسد» .

ويقول عوض سمعان عن هذه الخمر: «ولم تكن الخمر التي تستعمل في عيد الفصح من النوع الذي يسكر، لأنه لم يكن مسموحاً بوجود أي نوع من الخمر في هذا العيد، إذ أنها كما يقول المؤرخون - كانت عصير العنب الطازج». (هداية الحيارى، ص174).

ومع ذلك فإن النصارى اليوم خالفوا ذلك ويشربون الخمر المسكر بحجة أن بولس أباح لهم أن يشربوا أي شيء، وكل ما يدخل الفم فليس بنجس - كما يقولون - ويستدل الشيخ رحمة الله الهندي على بطلان هذه الخرافة بوجوه كثيرة منها:

أ. أن الكنيسة الرومانية تزعم أن الخبز وحده يتحول إلى جسد المسيح ويصير مسيحاً كاملاً، وبذلك فلا بد أن تشاهد فيه عوارض الجسم ويوجد فيه الجلد والعظام، والحقيقة أن الخبز يبقى خبزاً تشاهد فيه عوارض الخبز لا عوارض الجسم، بدليل أنه إذا ذاقه أحد أو لمسه أو نظر إليه لا يحس فيه شيئاً غير الخبز، وإذا حفظه يطرأ عليه الفساد الذي يظهر على الخبز.

ب. لو فرضنا أن ملايين الكهنة في العالم قدسوا في آن واحد واستحالت تقدسُهُ، كل إلى المسيح الذي تولد من العذراء، فلا تخلو إما أن يكون كل من هؤلاء المسيحيين الحادثين عين الآخر، أو غيره، والثاني باطل على زعمهم، والأول باطل في نفس الأمر، لأن مادة كل غير مادة الآخر.

ج. إذا تحول هذا الخبز مسيحاً كاملاً تحت يدي الكاهن فكسر هذا الكاهن هذا الخبز كسرات كثيرة، فلا يخلو إما أن يتقطع المسيح على عدد الكسرات أو تتحول كل كسرة مسيحاً كاملاً.

د. لو صح ما ادعوه لزم أن يكونوا أخبر من اليهود، لأن اليهود ما ألموه إلا مرة واحدة وتركوه، وما أكلوا لحمه، وهؤلاء يؤلمونه، ويذبحونه في كل يوم في أمكنة غير محصورة. هذه الأوجه وغيرها تدل على أن مسألة الاستحالة هذه مسألة غير معقولة، ولا متصورة، ومن هنا فقد اختلفت طوائف النصارى في تفسيرها، وهل الاستحالة حقيقة أو غير حقيقة؟

ولا بد لنا من الإشارة إلى أن هذا المفهوم الجديد للنصرانية والذي يعد من إضافات القديس لها - إنما هو من المفهومات التي تعود في أصولها إلى جذور وثنية.

يقول الأستاذ جيني بير: « ولم يكن قد قدر لأي طقس من طقوس أسرار الوثنية أن يذخر بمعان وفيرة، وبآمال جذابة بمثل ما ذخرت به الطقوس الخاصة بالاستحالة لدى

بولس، غير أنها كانت من عائلة الطقوس الوثنية، ولم تكن نابعة من روح الدين اليهودي، ولقد أدخلت في كنيسة الحوارين قطعة من الوثنية ولكن المسيحيين تقبلوها أيضاً بصدر رحب لأنها أضافت إلى إيمانهم درجة أخرى من التسامي». (بير، المسيحية، نشأتها وتطورها، ص110).



تدريب (8)

ما ملخص فكرة العشاء الرباني، وما تأصيلها عند النصارى في الكتاب المقدس؟ .

أخي الدارس، أختي الدارسة:

بالإضافة إلى هذه الأسرار الكنسية السبعة التي تلتقي كلها في أن تجعل لرجال الكنيسة شأنًا خاصاً يجعل الناس بحاجة إلى تدخلهم وبركتهم، فإنه لا بد أن نضع بين يديك إيجازاً عن موضوعات أخرى تعد جزءاً من شعائر النصرانية وطقوسها وسأقتصر على موضوعات ثلاثة هي: تقديس الصليب، الرهبة، الصلاة.

تقديس الصليب

حمل الصليب وتقديسه أصبح شعيرة دينية عند النصارى، وواجباً دينياً على كل نصراني، يطوقون به أعناقهم ويرفعونه في كنائسهم وبيوتهم ومدارسهم وتقديس الصليب عند النصارى يأتي من زاويتين:

الأولى: تعود إلى كلام المسيح ووصاياه. والثانية تعود إلى عملية صلب المسيح نفسها تخليداً لذكرى التضحية والفداء والتكفير عن خطايا البشر.

والأولى سابقة لعملية الصلب فقد ورد في إنجيل لوقا (23/9) عن المسيح قوله: «إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه وليحمل صليبه ويتبعني».

وعلى هذا يكون حمل الصليب كما يقول كتابهم إشعاراً بإنكار النفس، واقتفاء أثر المسيح في هذا الإنكار والسير وراء مخلصهم وفاديتهم.

وجاء في شرح بشارة لوقا للقس إبراهيم سعيد «إن آثار قدمي المعلم تعين طريق خطوات التلاميذ لأنه وإن كان المسيح قد صلب، لكننا قد أصبحنا بحكم صلبه تحت التزام شرعي لأن نكون شركاء المسيح المتألم، إن شركتنا الشرعية مع المسيح المصلوب ينبغي أن ترافقها وتدعمها شركة اختيارية فعلية معه. إن صلب المسيح معناه أنه مات عنا، ولكن صليب كل مؤمن معناه موت النفس عن الأنانية وحب الذات. . . إن من أوجب واجبات

كل مسيحي أن يحمل صليبه مختاراً طائعاً لأن التعبير بحمل صليبه مستعار من العدة التي قضت بها الأنظمة الرومانية على المحكوم عليه بالصلب أن يحمله كل يوم» (أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص 121-122)

وعلى الرغم من أن ذكرى الصلب يجب أن تكون ذكرى مؤلمة لأنها تذكر بامتداد الأيدي الآثمة اللثيمة على المسيح لإهائته وتعذيبه ثم صلبه - كما يقولون - إلا أن مسيحية بولس قد حولت الجريمة إلى فلسفة للتضحية والفداء وحولت آلة الجريمة التي نصبت ليموت عليها المسيح وهي خشبة الصليب إلى آلة مقدسة أوجبت المسيحية على أتباعها أن يحملوها ويقدموها !! ويقولون في هذه الفلسفة «لا بد إذن لحمل الصليب من خطوة تسبقه خطوة تعقبه، أما السابقة فهي إنكار النفس، بمعنى أن يقول تلميذ المسيح لنفسه الأمانة بالسوء» (لأن حمل الصليب هو حمل العار مضافاً إلى عمل الموت وهذا عمل يستلزم إنكار النفس لأن الرومان لم ينفروا من الصليب فقط بل فزعوا من ظله، كذلك كان شعور اليهود بأن حمل الصليب هو حمل اللعنة لأنه مكتوب في ناموسهم «ملعون كل من علق على خشبة»، والخطوة اللاحقة لحمل الصليب هي اقتفاء آثار المسيح حيث يمضي».

فحمل الصليب عندهم ليس غاية وليس مقصوداً لذاته ولكنه مقصود لغاية أسمى هي اقتفاء خطوات المسيح في إنكار الذات والرضا بالفداء في زعمهم واتباع تعاليمه. (أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص 122).

2.5 الصلاة والصيام عند النصارى

أخي الدارس، أختي الدارسة:

للنصارى عبادتان واحدة واجبة على سبيل الإيجاب وهي الصلاة والثانية على سبيل الاختيار وهي الصيام.

والصلاة عندهم لها شرطان أساسيان:

الشرط الأول: أن تقدم باسم يسوع المسيح، فقد جاء في إنجيل يوحنا (16): الحق أقول لكم إن كل ما طلبتم من الأب باسمي يعطيكم، إلى الآن لم تطلبوا شيئاً باسمي، اطلبوا ليكون فرحكم كاملاً».

الشرط الثاني: الإيمان بما عندهم فقد ورد في إنجيل مرقس كل ما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم «وينقل الأستاذ أحمد شلبي عن صاحب كتاب الأصول

والفروع قوله: للصلاة باسم المسيح معنى أدق من ذلك، وهو أن الاسم يمثل دائماً المسمى، فتكون صلاتنا باسم المسيح تمثل وحدته معنا، بحيث تكون طلباتنا طلباته، وصلاحتنا صلاحه، وحياتنا حياته، وبالجملة كأنه يحيى فينا ولأجلنا» (أبو زهرة، محاضرات في النصرانية، ص 123).

والصحيح أن هذا الفهم للصلاة ليس أكثر من تصور فلسفي ليس فيه معنى لعبادة الله تعالى والتضرع إليه وما قيمة العبادة إن لم تكن تذلاً لله تعالى الخالق رب العالمين، وماذا يعني قوله في إنجيل يوحنا إلى الآن لم تطلبوا باسمي شيئاً؟ هل يعني أن كل الصالحين قبل المسيح لم يطلبوا من ربهم شيئاً؟ فأين دعوات الأنبياء وتضرع الصالحين؟ أو أنهم كانوا يطلبون من الله تعالى وحده مباشرة دون تدخل الأرباب والوسطاء: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (البقرة: 186) فهذه والله دعوات الصالحين الصادقة الصحيحة فالله تعالى خالق السموات والأرض ومن فيهن ليس بحاجة إلى من يدعى بواسطته أو يتدخل بين يديه لإجابته.

والصلاة عند النصارى ليست عبارات مخصوصة، بل ترك لهم أن يتلوا العبارات التي يختارونها شريطة أن لا تخرج عن قاعدة الصلاة التي علمهم إياها المسيح، لكي يصلوا على منوالها وهي المسماة بالصلاة الربانية وهي الواردة في إنجيل متى حيث تجد فيه وصية للصلاة «وأما أنت فمتى صليت فادخل إلى مخدعك واغلق بابك وصل إلى أبيك الذي في الخفاء، فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك علانية، وحينما تصلون لا تكثرون الكلام باطلاً كالأمم، فإنهم يظنون أنهم بكثرة كلامهم يستجاب لهم. . . فصلوا أنتم هكذا: أبانا الذي في السموات، ليقدس اسمك، ليأت ملكوتك، لتكن مشيئتك كما في السماء كذلك على الأرض، خبزنا كفاحنا أعطنا اليوم، واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين إلينا، ولا تدخلنا في تجربة، ولكن نجنا من الشرير لأن لك الملك والقوة والمجد إلى الأبد آمين (متى / 6: 13-6).

وليس على النصارى عدد معين من الصلوات كل يوم، كما أنه ليس لها مواقيت معلومة بل ذلك موكل لنشاط المصلين ورغبتهم في العبادة وإن كان الغالب أنهم يختارون وقت الصباح ووقت المساء للصلاة كما هو الحال عند اليهود. فذهبوا إلى أن الوجوب لصلاتين، الأولى أول النهار والثانية آخره، وما عدا ذلك فهي صلوات مستحبة لا يعملها إلا القلة النادرة.

وقد ذكر صاحب الأجوبة الفاخرة مجموعة من أدعية الصلوات مختلفة منها صلاة السحر ويسمونها الفجر، أو صلوات الساعة الأولى، ثم ذكر دعوات الصلاة الثانية والسادسة والتاسعة، ثم دعوات صلاة المغرب وصلاة النوم وصلاة نصف الليل (القراني، الأجوبة الفاخرة، ص 137-140).

وبالإضافة إلى هذه الصلوات اليومية يقيم النصارى قداس الأحد صباح يوم الأحد من كل أسبوع في كنائسهم وهي عبارة عن تراتيل وأدعية ومواعظ يقرؤها القسيس على مسامعهم ثم يؤمنون على ما يسمعون. وكانت قبل ثورة الإصلاح تتلى بلغات قديمة لا يفهمها العامة.

أما بالنسبة للصوم عند النصارى فهو عبادة اختيارية يستحب فعلها، وقد ورد الحديث عن الصوم في إنجيل متى بما نصه: «ومتى صمتتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين، فإنهم يفترون وجوههم لكي يظهروا للناس صائمين الحق أقول لكم إنهم قد استوفوا أجرهم، وأما أنت فمتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك، لكي لا تظهر للناس صائماً بل لأبيك الذي في الخفاء، فأبوك الذي يراك يجازيك علانية» (متى / 16-18: 6).

والنص واضح في عدم استحباب إظهار الصوم للناس خوفاً من الرياء. والصيام عند النصارى ليس امتناعاً كاملاً عن الطعام والشراب وسائر المفطرات في وقت معين كما هو الحال عند المسلمين ولكنه امتناع عن بعض الأطعمة وخاصة المنتجات الحيوانية طيلة أربعين يوماً قبل عيد الفصح.

3.5 الرهبنة في النصرانية

أخي الدارس، أختي الدارسة، الرهبنة عند النصارى تعني الابتعاد عن ضجيج الحياة، والحرمان من لذيذ العيش، وتعذيب الجسم بالجوع والعطش، ولبس خشن الثياب والتبتل والامتناع عن الزواج والعكوف على العبادة تمثلاً بالمسيح الذي بذل نفسه من أجل البشر.

والنصارى يصلون لهذه الرهبنة من مصادرهم الدينية، ويعدون أساس الرهبنة هو القول المنسوب للمسيح عليه السلام الوارد في إنجيل متى: «لأنه يوجد خصيان ولدوا هكذا من بطون أمهاتهم ويوجد خصيان خصاهم الناس ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات، من استطاع أن يقبل فليقبل» (متى / 19: 12).

وعندما سأل أحد الأولاد يسوع عن العمل الصالح قائلاً أيها المعلم الصالح أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية فقال له : لماذا تدعوني صالحاً ليس أحد صالحاً إلا واحد هو الله» (متى / 19:17) ثم ذكر له الوصايا وقال له : إن أردت أن تكون كاملاً فاهب ومع أملاكك وأعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني» (متى / 19: 18-22).

أما اللجوء إلى الجبال والبراري فمقتبسة أيضاً من السيد المسيح فقد كان يصعد إلى الجبل حين يريد أن يصلي أو يعلم الجموع ، ومن يوحنا المعمدان الذي كان يعيش في البرية ويكرز (يبشر) فيها « (شليبي، المسيحية . ص246).

ولقد مرت الرهبنة في النصرانية بمراحل حيث كانت في المرحلة الأولى هروباً من الناس وبعداً عن المدن والقرى الزاخرة بالأدناس ، وانطلاقاً في الصحاري والبراري والتجاء إلى الكهوف بقصد محاربة الجسد والإكثار من العبادة والتأمل مع المحافظة على الوحدة والعزلة ، ثم تطور الأمر إلى بناء الأديرة لهؤلاء الرهبان والمنقطعين عن الدنيا ، وأخذت هذه الأديرة مواقعها في المناطق النائية ورؤوس الجبال ، وتميزت بارتفاع أسوارها وأبوابها المحكمة وسراديبها الكثيرة ، واتخذت لها أنظمة صعبة للانضمام لها لا يستطيعها إلا القلة من الناس .

لكن هذه الأديرة لم تحقق الهدف الذي وجدت من أجله وهو الانقطاع للعبادة والزهد في الدنيا ومتاعها وحرمان الجسد من شهواته ، بل تحولت إلى مضارب للعشق والمجون وصارت مضرب مثل لذلك وألفت كتب في فساد هذه الأديرة وقيلت فيها قصائد وأشعار غزلية تتغنى فيما في هذه الأديرة من لقاءات وجلسات أنس مع الحسان فيها . وأهم كتاب ألف في ذلك هو كتاب الديارات للشابوشتي المتوفى سنة 998م وقد حققه الباحث المسيحي كوركيس عواد ، ثم حصل المحقق على معلومات إضافية من البطريك مار أرناطيوس نشرها في ذيل الكتاب .

وقد تحدث المحقق في مقدمته عن أن الأديرة كانت مجالات للأنس والطرب ومواطن النزهة واللهو ، وأن كل دير من الديارات كان محصناً بسور مكين شاهق يدفع عنه شر الهجمات ويكفيه غائلة المتعدين عليه ، وربما جاز لنا أن نقول أن هذه الأسوار كانت تخفي ما يدور بداخل الديارات من انحراف وأسرار . (شليبي، المسيحية ، ص248).

وقد تحدث صاحب كتاب الديارات عن ثلاثة وخمسين ديراً أكثرها في العراق وبعضها في الشام ومصر والجزيرة وقد شملها الانحراف جميعاً مما يدل على أن الانحراف كان جزءاً

مهماً من أعمالها وأنشطتها .

ويكفي أن نقل ما ذكره صاحب الكتاب عن دير يسمى دير الثعالب حيث يقول فيه :
إنه لا يخلو من أهل البطالات والطرب واللذات فمواطنه أبداً معمورة وبقاعة المنتزهين
مشحونة، ويروي بعض ما قيل من أشعار فيها :

دير الثعالب مآلف الضلال ومحل كل غزالة وغزال
كم ليلة أحييتها ومنادمي فيها أبجّ مقطع الأوصال
سمح بوجود بروحه فإذا قضى ومضى سمحت له وجدت بمالي
ومنعم دين ابن مريم دينه غنج يشوب مجونه بدلال

ثم ذكر عن دير العذارى وما كان القس يفعله بهن . تلك هي الأديرة هنا وهناك كما
تحدث عنها الشابوشتي وقد وضحت مجلة الحياة المسيحية أن الأديرة لاتزال في العصر
الحديث تمارس ما مارسته في الماضي (شليبي، المسيحية، ص252).

والمطلع على فساد هذه الأديرة لا يستغرب ما آلت إليه لأن نظامها في الأصل
يصطدم مع الفطرة، وهل يمكن أن يلتقي رجال ونساء في عزلة كهذه دون أن يحصل بينهم
انحراف؟

وعلى الرغم من كل هذا الفساد وما صاحبه من لهو وانحراف عن الرهينة نفسها
إلا أن عدداً كبيراً من الرهبان اتخذوا الرهينة فلسفة حقيقية لحياتهم، فنقرأ عن أحدهم
أنه مكث سنوات طويلة لم ير فيها أنثى قط، وحدثوا عن الراهب كاربوس أنه نام ستة
أشهر في مستنقع ليقصر الذباب السم جسمه العاري وكان يحمل دائماً نحو قنطار من
الحديد، وقد تعبد الراهب يوحنا ثلاث سنين قائماً على رجل واحدة لم ينم ولم يقصد
فإذا تعب جداً أسند ظهره إلى صخرة، وبعض الرهبان لا يكتسبون وإنما يستترون بشعرهم
الطويل ويمشون على أيديهم وأرجلهم كالأنعام وبعضهم سكنوا المغارات مع السباع و
المقابر يأكلون الكلاً والحشيش .

وكانوا يعدون طهارة الجسم منافية لنقاء الروح ويتأثمون من غسل الأعضاء، وأزهد
الناس عندهم أكثرهم نجاسة وقذارة، وينقلون عن الراهب أنتون أنه لم يقترف إثم غسل
الرجلين طول عمره، وكان الراهب ابراهام لا يمس وجهه ولا رجليه بالماء واستمر على ذلك
خمسين سنة . (طهطاوي، الميزان في مقارنة الأديان، ص301-302).

وكانت نتيجة هذه الرهينة التي انتشرت في العصور الوسطى بشكل واسع، أن أصبح هؤلاء الرهبان يشكلون عبئاً على المجتمع نفسه فلا هم استطاعوا أن ينشروا الأجواء الروحية على تلك المجتمعات المادية ولا هم انخرطوا في هذه المجتمعات يعملون ويتتجون، حتى أنهم صاروا يتجولون في البلاد ويخطفون الأطفال ويهربونهم إلى الصحراء والأديرة ويربونهم تربية رهبانية .

إن النتيجة كانت على عكس ما تهدف إليه هذه الرهينة، «فقد زهد الناس بالبشاشة وخفة الروح والصراحة والسماحة والشجاعة والجرأة وهجروها . وكان من أهم نتائجها أن تزلزلت الحياة المنزلية، وعم الكنود والقسوة» (الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص 241).

نعم لم تستطع الرهبانية تعديل المادية الرومانية الجامحة بل أدت إلى نتائج عكسية، وفي ذلك يقول الأستاذ الندوي: «ولا يتوهم أحد أن هذه الرهبانية الغالية قد عدلت من شره المادية الرومية وكبحت من جماحها وغلوائها في البهيمية والشهوات، فإن هذا لم يكن ولا يكون في الغالب وتآباه الفطرة الإنسانية ويكذبه التاريخ فإن الذي يوجد الاعتدال ويخفض من المادية الجامحة ويجعل منها حياة معتدلة هو النظام الروحي الديني الخلقى الحكيم الذي يوافق الفطرة الإنسانية السليمة، والذي لا يتعدى لأنه يزيل الفطرة الإنسانية بل يوجهها توجيهاً نافعاً» (الندوي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص 242)

والآن نتساءل أخي الدارس، أختي الدارسة

ما موقف الإسلام من الرهينة؟

حين أشار القرآن الكريم إلى نظام الرهينة عند النصارى أشار إليه في معرض الذم لا المدح وقد ورد ذلك في موضع واحد من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٢٧﴾ (الحديد: 27) لقد بينت الآية الكريمة أن الرهبانية من ابتداء النصارى ما كتبها الله عليهم ولا شرعها لهم وإنما التزموها من تلقاء أنفسهم قاصدين رضوان الله بزعمهم فما رعوها حق رعايتها .

قال ابن كثير: وهذا ذم لهم من وجهين أحدهما الابتداع في دين الله مما لم يأمر به

الله . والثاني في عدم قيامهم بما التزموه مما زعموا أنه قرينة يقربهم إلى الله عز وجل » (ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 4: 315).

ويقول المرحوم سيد قطب: الراجح في تفسير هذه الآية أن هذه الرهبانية التي عرفتها المسيحية كانت اختياراً من بعض اتباع المسيح عليه السلام، ابتدعوها من عند أنفسهم ابتغاء رضوان الله وابتعاداً عن أوضاع الحياة ولم يكتبها الله عليهم ابتداءً ولكنهم حين اختاروها وأوجبوها على أنفسهم صاروا مرتبطين أمام الله بأن يرعوا حقوقها ويحافظوا على مقتضياتها من تطهر وترفع وقناعة وعفة وذكر وعبادة، مما يحقق في أنفسهم حقيقة التجرد لله التي قصدوا إليها بهذه الرهبانية التي ابتدعوها، ولكنها انتهت إلى أن تصبح في الغالب شعائر وطقوساً خالية من الروح، وأن يتخذها الكثيرون مظهراً عارياً من الحقيقة فلا يصبر على تكاليفها إلا عدد قليل منهم فما رعوها حق رعايتها» (قطب، في ظلال القرآن، 6: 3496) لقد جاءت شريعة الإسلام تحمل في تكاليفها خصيصة اليسر ورفع الحرج وإزالة العنت ووصفت نبيها في الكتب السابقة التي بشرت به بأنه جاء ليضع عن البشرية التي أرسل إليها كل القيود والأغلال: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾ (الأعراف: 157).

فكل تلك القيود والتكاليف الثقيلة التي تسبب الحرج والمشقة مما ابتدعته الديانات السابقة أو مما فرضه الله تعالى عليهم عقوبة لهم، جاء محمد [، وهو رسول الإنسانية كلها ليقيم شريعته على أساس اليسر ورفع الحرج بعيداً عن كل هذه الأغلال.

والقرآن الكريم يذكر دائماً بهذه الحقيقة عند تكاليفه لعباده فيقول سبحانه في ختام آية الطهارة: ﴿ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهَّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (المائدة: 6).

ويقول في بيانه لرسالة هذه الأمة ﴿ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ (الحج: 78).

وفي ختام آية الصوم يقول سبحانه: ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ (البقرة: 185).

ومن أقواله [«إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا»

وإذا كانت وجهة الإسلام هي التبشير فكل مسلم يبغى التشديد والتعنت إنما يعاند روح الإسلام، ولهذا وقف رسول الله [في وجه المعتنين والمتشددين وأخبر بهلكتهم ومالهم وقال: « هلك المنتطعون، (قالها ثلاثاً) » (صحيح مسلم/ كتاب العلم/ 2670) ، ولم يكرر الكلمة ثلاثاً إلا لعظم خطر مضمونها . (القرضاوي، العبادة في الإسلام، 189)

ومثلما نهى القرآن الكريم أهل الكتاب عن الغلو في الدين فقد نهى رسول الله [عن الغلو «إياكم والغلو، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو» (صحيح مسلم) وكان [يقول: خذوا من العمل ما تطيقون فوالله لا يسأم الله حتى تسأموا» (صحيح مسلم)
وحض الإسلام على العمل وطلب الرزق: ﴿ فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ ﴾ (الملك: 15) .

وكما وضع الإسلام أساس التوازن في قوله سبحانه: ﴿ وَأَبْنَعُ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ (القصص: 77) .



تدريب (9)

ما مفهوم الرهبة عند النصارى؟ وما مراحلها؟ وما موقف الإسلام منها؟ .

6. الفرق النصرانية

أخي الدارس، أختي الدارسة، مع بداية الخلاف حول طبيعة المسيح عليه السلام بين النصارى نشأت فرق وطوائف كثيرة اتخذت كل فرقة منها مذهباً خاصاً في هذه المسألة، وتشكلت هذه الآراء بداية على شكل آراء فردية لبعض رجال الكنيسة سرعان ما تحولت إلى مذاهب واتجاهات، وتعصب كل أصحاب إتجاه لرأيهم حتى أصبحوا فرقة سميت باسم صاحب هذا الرأي.

وعند حديثنا عن المجمع الكنسية لاحظنا كيف تسببت هذه المجمع - وبخاصة مجمع خلقدونية - بنشوء الانقسامات الحادة بين رجال الكنيسة حتى لم تعد هناك كنيسة واحدة بل كنيسة، الشرقية الأرثوذكسية والغربية الرومانية الكاثوليكية.

ثم جاءت حركة الإصلاح الديني في أوروبا لتنشأ عنها كنيسة ثالثة هي الكنيسة البروتستانتية الإنجيلية.

وصار لكل كنيسة من هذه الكنائس الثلاثة نظامها ومتعقداتها وطوائفها المنتمية إليها. وقبل الحديث عن هذه الكنائس الثلاث لا بد من الحديث عن الفرق القديمة التي تشكلت حول طبيعة المسيح عليه السلام والتي تعد الطوائف الحديثة امتداداً لها.

وسأقتصر في حديثي على أهم فرقتين عرفتا في التاريخ النصراني ونشأت عنهما الكنيسة الشرقية والغربية.

1.6 فرقة اليعاقبة أو اليعقوبية

وهم أصحاب يعقوب الباذعي او البردعاني المتوفى سنة 578م وهو أنشط الدعاة إلى هذا المذهب ولم يكن المؤسس الأول له، وأول من أعلنه بطريرك الإسكندرية في القرن الخامس الميلادي، قال الشهرستاني في هذه الفرقة: وزعم أكثر اليعقوبية أن المسيح جوهر واحد إلا أنه من جوهرين وربما قالوا طبيعة واحدة من طبيعتين، فجوهر الإله القديم وجوهر الإنسان الحديث تركبا كما تركبت النفس والبدن فصارا جوهرًا واحداً أو أقنوماً واحداً وهو إنسان كله وإله كله، فيقال: الإنسان صار إلهاً ولا ينعكس، كالفحمة تطرح في النار فيقال صارت الفحمة ناراً ولا يقال صار النار فحمة . . .

وكان هذا الرأي وهو القول بالصيغة الواحدة سائداً في كنائس المشرق فلما عقد مجمع خلقدونية سنة 451م قرر ما يخالف هذه العقيدة وكان ذلك سبب انفصال الكنيسة القبطية عن الكنيسة الرومانية.

والكنيسة الأرثوذكسية اليوم امتداد في رأيها لما ذهبت إليه هذه الفرقة وستحدث عنها بشيء من التفصيل فيما بعد .

2.6 فرقة الملكانية

ويسمىها الشهرستاني بالملكائية (الشهرستاني، الملل والنحل، 62/2).

وهي مذهب جميع ملوك النصارى وأهل ممالكهم حيث كانوا حاشا الحبشة والنوبة (ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، 48: 1)

أما رأي الفرقة في طبيعة المسيح فقد قالوا: إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح وتدرعت بناسوته ويعنون بالكلمة أقنوم العلم وبروح القدس أقنوم الحياة (الشهرستاني، الملل والنحل، 62: 2). وقالوا: بأن الله تعالى عبارة عن ثلاثة أشياء أب وابن وروح قدس كلها لم تنزل وأن عيسى عليه السلام إله تام وإنسان تام كله ليس أحدهما غير الآخر، وأن الإنسان منه وهو الذي قتل، وأن الإله منه لم ينله شيء من ذلك وأن مريم ولدت الإله والإنسان وأنهما معاً شيء واحد ابن الله. (ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، 49/2).

ويفهم من هذا أن الملكانية تقول بأن للمسيح عليه السلام طبيعتين: لاهوتية وناسوتية، وهذا مذهب الكاثوليك الذين يعتقدون أن الآلهة ثلاثة متميزون ومنفصلون: الأب والابن والروح القدس.

وينقل لنا الدكتور السقا قول الكاثوليك في شرح الآية الأولى من إنجيل يوحنا عند قوله «والكلمة كان عند الله» يعني أن الكلمة متميز عن ولده فالأب غير الابن والابن غير الأب ومع ذلك فهما شيء واحد في الطبيعة والذات» (السقا، أقانيم النصارى، ص 68). وهذا هو الذي يفهم من قانون الإيمان النيقاوي الذي وضعوه فهو يفصل بين الأقانيم الثلاثة ويجعل كل أقنوم منها متميزاً عن الآخر.

أخي الدارس، أختي الدارسة، وقبل الحديث عن الطوائف المسيحية التي آلت إليها الكنيسة المسيحية لا بد من الإشارة إلى أن عهد المسيحية الأول الذي يسميه الأستاذ أبو زهرة عهد التوحيد أو ما يمكن أن نسميه عهد استقلال المسيحية الفكري عن الدولة الرومانية، في هذا العهد قد عرف فرقا كثيرة، وصار بينها نزاعات حول طبيعة المسيح عليه السلام هل هو إنسان أوحى الله إليه أو أن فيها جزء من الألوهية، فمن الموحدن القائلين ببشرية المسيح ظهرت فرق مثل الأريوسية أتباع أريوس الذي انعقد مجمع نيقية سنة 325م من أجله

ومثل البولفانيين أتباع بولس الشمشاطي بطريك أنطاكية وكان يقول بصراحة إن عيسى عليه السلام ورسوله كأحد الأنبياء عليهم السلام (ابن حزم، الفصل في الملل والأهواء والنحل، 1: 48).

ومن المؤلفين: المرقونيون أتباع مرقيون الذي كان يقول أن الآلهة ثلاثة صالح وطالح وعدل بينهما وزعموا أن مرقيون رئيس الحواريين وأنكروا بطرس (شليبي، أضواء على المسيحية، ص 98).

والبربانية: ويقولون أن عيسى وأمه إلهان من دون الله عزوجل (ابن حزم، الفصل، 1: 48).

وقد انقرضت هذه الفرق وانقرضت فرق أخرى ظهرت بعد ذلك مثل أتباع مقدنيوس الذي أنكر أن يكون روح القدس إلهاً والنسطورية أتباع نسطور الذي أنكر أن تكون مريم ولدت الإله بل الإنسان.

3.6 الطوائف الحالية للنصارى

أخي الدارس، أختي الدارسة، توجد طوائف عدة للنصارى في أيامنا هذه ومن أشهرها ما يلي:

1.3.6 الكاثوليكية

نتحدث عن هذه الطائفة من حيث مفهومها، ونشأتها، ونظامها، وأشهر عقائدها، والطوائف المتفرعة منها.

أولاً: مفهوم الكاثوليكية

الكاثوليكية كلمة لاتينية تعني العامة، لأنها تدعى أم الكنائس ومعلمتها ولأنها وحدها التي تنشر المسيحية في العالم.

وقد أطلقت على الكنيسة الكاثوليكية أسماء مختلفة مثل الكنيسة الرومانية الغربية، والكنيسة البطرسية أو الرسولية، أو الكنيسة اللاتينية، ورئيسها البابا في الفاتيكان بروما.

وقد سميت غربية أو لاتينية لامتداد نفوذها إلى الغرب اللاتين وبخاصة إلى بلاد إيطاليا وبلجيكا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال وإن كان لها أتباع فيما عدا ذلك من البلدان.

وسميت الكنيسة البطرسية أو الرسولية لأن أتباعها يدعون أن مؤسسها هو بطرس كبير الحواريين ورئيسهم والبابوات في روما خلفاؤه. (شليبي، المسيحية، ص 138-139).

ثانياً: نشأة الكنيسة الكاثوليكية

ذكرنا من قبل أن المذهب الكاثوليكي هو امتداد لمذهب الملكانية الذي كان يرى أن المسيح عليه السلام يتكون من طبيعتين أو مشيئتين، وكانت الكنائس الغربية تتبنى هذا الرأي

بعكس ما كانت تبناه الكنيسة القبطية وكثير من الكنائس الشرقية من القول بالطبيعة الواحدة للمسيح عليه السلام وهي الطبيعة الإلهية .

وظل الأمر مجرد آراء وخلافات نظرية حتى كان مجمع خلقيدونية سنة 431م حيث كان قرار هذا المجمع موافقاً لما عليه الكنائس الغربية وبخلاف رأي ديسفورس بطريك الإسكندرية القائل بالطبيعة الواحدة، فقرر المجمع طرد ديسفورس ولعنه مما أثار غضب المصريين الذين تعصبوا لبطريكهم فكان الانفصال بين الكنيستين الشرقية الأرثوذكسية والغربية الكاثوليكية .

وقد ذكر الأستاذ أحمد شلبي مجموعة أسباب لانقسام الكنيسة إلى شرقية وغربية منها أسباب سياسية تعود إلى التقسيم الذي حصل على الإمبراطورية الرومانية إلى غربية عاصمتها روما وشرقية عاصمتها القسطنطينية وصار لكل إمبراطور قسم خاص، وهذا التقسيم أتاح للمسيحية مركزين للسلطة والنفوذ. ومنها أسباب دينية خلاصتها أن منطقة الإمبراطور الشرقية متصلة بأرض الديانات فتأثرت كنيسة روما بالدم الألماني ونشر المسيحية بين الوثنيين، أما كنائس الشرق فقد تأثرت بالتفكير الشرقي ونشر المسيحية بين قوم قديمي العهد بالأديان، وقد بدأ الخلاف بين الكنيستين ثم أخذ ينمو ويزداد حينما تساهلت كنيسة روما لتجذب إليها الجرمان واللاديين فأحلت أكل دم المخنوق وأباحت للربان أكل دهن الخنزير وغير ذلك مما لم تفعله الكنائس الشرقية. هذا بالإضافة إلى الخلاف الذي ذكرته حول طبيعة المسيح عليه السلام .

وقد لعبت الكنيسة الكاثوليكية طوال القرون الماضية دوراً هاماً في حياة أوروبا، ففي حركة التاريخ الكنسي كانت الكاثوليكية تناهض حكومات أوروبا وأحياناً تتغلب قوى الكنيسة وأحياناً تتغلب قوة الدولة وكان الصراع بين القوتين بين مد وجزر محل نزاع بين مثقفي أوروبا حول من هو صاحب السلطة الأعلى؟ . هل الدولة يجب أن تخضع للكنيسة أو أنه لا بد من الفصل بينهما (شلبي، التفكير الديني في العالم قبل الإسلام، ص447).

ثالثاً: نظام الكنيسة الكاثوليكية

والنظام الذي تتبعه الكنيسة الكاثوليكية هو النظام الباباوي والذي يرأسه البابا والكرادلة (جمع كاردينال) وهم أصحاب الحق في تنظيم الكنيسة، إذ يتكون منهم المجمع الكنائسي الذي يصدر إرادات بابوية سامية هي إرادات إلهية لأن البابا هو تلميذ المسيح الأكبر على الأرض فهو ممثل الله، ومن هنا كانت إرادته لاتقبل الجدل والمناقشة (شلبي، المسيحية، ص239).

وعندما يموت البابا ينتخب واحداً خلفاً له عن طريق الكرادلة، وبعد انتخابه يكون صاحب الحق في إبرام قوانين لها صفة الإلزام والطاعة من الشعب الكاثوليكي. وهكذا تبدو سلطة البابا واسعة وعظيمة إلى درجة أنه يحدد الكتاب الذي يجوز أن يقرأ والكتاب الذي لايجوز لأحد أن يقرأه. وكانت العاقبة لهذا التصرف أنه في القرون الوسطى التي كانت سلطة للبابا الكاثوليكي كانت أوروبا تعيش في الظلمات ولضيق ساحة الحركة في أوروبا كثر الأشخاص الذين يخرجون على أوامر البابا الكاثوليكي ومعنى الخروج على البابا يعني الحكم على الخارج وقد يكون الحكم بالموت بطريقة غاية في الفظاعة وكلما كثر المحكوم عليهم من الكنيسة الكاثوليكية بهذه الطريقة الفظة للإنسانية، كلما قويت المعارضة المثقفة واستعصت على سلطان الكاثوليكية الأوروبية وقوانينها وأوامرها.

وأوجدت الكاثوليكية حركة تنصير جبرية فأوجبت على كل شخص أن يكون كاثوليكياً ومن لم يعتنق الكاثوليكية سوف يعذب حتى الموت. (شلي، التفكير الديني في العالم قبل الإسلام، ص448).

ومارست الكنيسة الكاثوليكية أبشع أنواع الاضطهاد الديني ضد معارضيه. ومحاكم التفتيش جزءاً من هذه الحملة الكاثوليكية الشرسة على معارضيه سواء كانوا مسيحيين أم غير مسيحيين.



تدريب (10)

ما النظام الذي تتبعه الكنيسة الكاثوليكية وما الفرق بينها وبين النظام الذي تتبعه الكنيسة الأرثوذكسية؟

رابعاً: أشهر عقائد الكاثوليكية

يعتقد الكاثوليك بما كان يعتقد الملكانيون من قبل بأن الأقانيم الثلاثة متميزة ومنفصلة فالأب غير الابن، والابن غير الأب، والروح القدس غيرهما، ويفهمون من النص الوارد في بداية إنجيل يوحنا والكلمة كان عند الله أن الكلمة متميز عن ولدته ومع هذا فهما شيء واحد في الطبيعة والذات والحكمة.

والعقيدة التي يتمسك بها الكاثوليك هي القانون الذي نادى به أثناسيوس (وكان يمثل أكبر المتحمسين لفكرة تأليه المسيح وهو الذي تصدى لآريوس في مؤتمر نيقية وناظره).

صورة هذا القانون يعرضها القس إلياس قصار بالنقاط التالية :

1. إن كل من ابتغى الخلاص ، وجب عليه قبل كل شيء أن يتمسك بالإيمان الكاثوليكي أي الإيمان الجامع العام للمسيحية .
2. الإيمان الكاثوليكي هو أن نعبد إلهاً واحداً في تثليث ، وثالثاً في توحيد .
3. لاتتمزج الأقانيم ولانفصل الجوهر .
4. إن الأب أقنوم على حدة ، والابن أقنوم على حدة ، وللروح القدس أقنوماً آخر .
5. ولكن الأب والابن والروح القدس لاهوت واحد ، ومجد متساو ، وجلال أبدي معاً .
6. الأب غير مخلوق ، والابن غير مخلوق ، والروح القدس غير مخلوق .
7. الأب غير محدد ، والابن غير محدد ، والروح القدس غير محدد .
8. الأب سرمد والابن سرمد والروح القدس سرمد ولكن ليسوا ثلاثة سرمديين بل سرمد واحد .
9. وكذلك ليسوا ثلاثة غير مخلوقين ولاثلاثة غير محددين ، بل واحد غير مخلوق ، وواحد غير محدد .
10. وكذلك الأب ضابط الكل والابن ضابط الكل والروح القدس ضابط الكل ولكن ليسوا ثلاثة ضابطي الكل بل واحد ضابط الكل .
11. وهكذا الأب إله والابن إله والروح القدس إله ولكن ليسوا ثلاثة آلهة بل إله واحد .
12. وكما أن الحق المسيحي يكلفنا أن نعترف بأن كلاً من هذه الأقانيم بذاته إله ورب ، فإن الدين الكاثوليكي ينهانا عن أن نقول بوجود ثلاثة آلهة وثلاثة أرباب .
13. فالأب غير مصنوع من أحد ولا مخلوق ولا مولود وكذلك الابن وحده ، وروح القدس وحده .
14. أب واحد لاثلاثة آباء وابن واحد لاثلاثة أبناء وروح قدس واحد لاثلاثة أرواح قدس .
15. يجب أن نعبد الواحدانية في ثلاثو والثالث في وحدانية .
16. من أراد أن يلزم له الخلاص فعليه أن يؤمن بهذا الثلاثو وبتجسد يسوع المسيح .
17. الإيمان المستقيم هو أن نؤمن ونقر بأن يسوع المسيح ابن الله هو إله إنسان ، وأنه إله من جوهر الأب ومولود قبل الدهور وإنسان من جوهر أمه مولود في هذا الدهر . إله تام وإنسان تام كائن بنفس ناطقة وجسد بشري .

- 18 . والابن مساو للأب بحسب لاهوته ودونه الأب بحسب ناسوته وهو وإن يكن إلهاً وإنساناً، فإنما هو مسيح واحد لا اثنان .
- 19 . المسيح تألم لأجل خلاصنا، ونزل إلى الجحيم (أي عالم الأموات) وقام أيضاً في اليوم الثالث من بين الأموات . ثم صعد إلى السماء، وهو جالس عن يمين الرب .
- 20 . ومن هناك يأتي ليدين الأحياء والأموات، الذي عند مجيئه يقوم أيضاً جميع البشر بأجسادهم ويؤدون حساباً عن أعمالهم الخاصة، فالذين فعلوا الصالحات يدخلون الحياة الأبدية والذين عملوا السيئات يدخلون النار الأبدية .
- 21 . هذا هو الإيمان الكاثوليكي الذي لا يقدر الإنسان أن يخلص من دون أن يؤمن به بأمانة ويقين .

هذه خلاصة العقيدة الكاثوليكية كما نقلها الدكتور أحمد حجازي السقا عن كتاب إيماني أو قضايا المسيحية الكبرى للقس إياس قصار . (السقا، أغانيم النصارى، ص 69-72) .

وترى أخي الدارس، أختي الدارسة، من خلال هذه الأصول الإيمانية تناقضاً واضحاً وكلاماً غير مفهوم لا يستطيع العقل الإنساني أن يجمع بينه إذ كيف للعقل أن يفهم أن المسيح عليه السلام إله تام في نفس الوقت الذي يكون فيه إنساناً تاماً، وكيف يمكن لنا أن نستوعب أن كل أقنوم إله تام بذاته وهو غير الآخر في الوقت الذي يقول فيه الكاثوليك إنهم لا يؤمنون بثلاثة آلهة بل بإله واحد!!

إن العقل لا يستطيع أن يستوعب هذه التناقضات، والنصارى يعترفون بذلك ويقرون بأن العقل عاجز عن فهم كنه الثالث لكن علينا أن نؤمن بذلك سواء استوعبت عقولنا أم لم نستوعب، والعقل يستطيع أن يدحض هذه العقيدة تماماً لأن وجود الله داخل بطن مريم تسعة أشهر يستلزم منه أن يكون غافلاً عن شؤون العالم في هذه المدة، ووجوده مقتولاً مصلوباً يستلزم منه أن يكون عاجزاً عن حماية نفسه فضلاً عن حماية غيره .

إن التصور الإسلامي لطبيعة المسيح عليه السلام هو التصور الذي يستطيع العقل أن يفهمه، فالمسيح عليه السلام بشر مولود من مريم العذراء، ولو لم يكن من أب بشري فهو كلمة الله وهي كلمة ألقاها إلى مريم البتول العذراء فحملت به وولدتها ولادة طبيعية بشرية وكان صبيّاً ترعرع ونما نمواً طبيعياً وصار شاباً ثم أوحى الله تعالى إليه ليكون رسولاً لبني إسرائيل، وهم به اليهود ليقتلوه ويصلبوه إلا أن الله تعالى نجاه منهم وألقى شبهه يهوذا الإسخريوطي، وأكرمه الله تعالى فرفعه إليه ومع كل هذه الرفعة وكل هذا التكريم فإنه عبد

الله تعالى لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة والمقربون .
هذه عقيدة المسلمين في المسيح عليه السلام واضحة مفهومة معقولة لا لغز فيها
ولأحاج ولا تناقض فيها ولا تمويه .

أما بالنسبة لمعتقداتهم في غير قضية المسيح عليه السلام فإن الكنيسة الكاثوليكية تعتقد
بأنه يوجد بعد الموت مكان ثالث يسمى المطهر تعتقل فيها النفوس التي لم تصل إلى درجة
النقاوة كما تعتقد أن المغفرة حق من حقوق الكنيسة ورجالها . وتحرم الكاثوليكية الزواج
على رجال الكنيسة . وتحرم الطلاق على جميع النصارى حتى عند الخيانة الزوجية .

خامساً : الطوائف التابعة للكاثوليكية

هناك طوائف تتبع الكنيسة الكاثوليكية وإن كانت تخالفها في اعتقادها بطبيعة المسيح
ومشيئته ومن هذه الطوائف .

أ . المارونية

ومقر هذه الطائفة لبنان، وتنسب إلى القديس يوحنا مارون الذي أعلن سنة 667م أن
المسيح ذو طبيعتين، ولكنه ذو إرادة واحدة أو مشيئة واحدة، ولم تقبل الكنائس المسيحية هذا
الرأي لذلك اجتمع المجمع السادس في القسطنطينية سنة 680م وقرّر رفض نحلة مارون وحرمانه
ولعنه وتكفير كل من يذهب إليه، وقد نزلت بأتباع يوحنا مارون الإضطهادات وصنوف الأذى
فلم يجدوا أمامهم إلا الفرار والاعتصام بجمال لبنان . وقد تحيلت الكنيسة الكاثوليكية وقربتهم
إليها فأعلنوا لها الطاعة والولاء والاتحاد معها سنة 1182م على أن يبقوا على رأيهم وبطريركهم
الخاص بهم وإن كان يقر الرئاسة لبابا روما (أبوزهرة، محاضرات في النصرانية، ص177) .

ب . السريان

وهم طوائف من المسيحيين يقولون بالطبيعة الواحدة للمسيح عليه السلام مثل اليعاقبة
والأرثوذكس لكنهم يعترفون برئاسة الكنيسة الكاثوليكية بروما مع أن لهم بطريكتهم الخاص
بهم وتعد الرها ونصيبين ودمشق مراكز رئيسة لهم .

2.3.6 الأرثوذكسية

أولاً : مفهوم الأرثوذكسية

الأرثوذكسية كلمة لاتينية تعني المتشددون أو المتعصبون .
وتسمى كنيستهم كنيسة الروم الأرثوذكس أو الكنيسة الشرقية أو اليونانية، لأن

أكثر أتباعها من الروم الشرقيين ومن البلاد الشرقية على العموم كروسيا والبلقان واليونان ومقرها الأصلي القسطنطينية، وقد فصلت عن الكنيسة الكاثوليكية الغربية أيام ميخائيل كارولاريوس بطريك الإسكندرية سنة 1054م. وهي الآن مؤلفة من عدة كنائس مستقلة. (شليبي، المسيحية، ص239).

والكنيسة الأرثوذكسية تتبع نظام الأكليروس وليس البابوية، ويبدأ نظام الإكليروس من البطريك ويليه مرتبة المطران ثم الأسقف ثم القس المتميز ويسمى القمص ثم القس العادي وهؤلاء جميعاً أصحاب الرأي والكلمة في كل ما يدور حول الكنيسة (شليبي، المسيحية، ص241).

ولا يعترف الأرثوذكس بالبابا في روما، وليس للأرثوذكسية مقر رئيس مثل الكاثوليكية وإن كانت القسطنطينية المركز الأول لهم، وتعد الآن أثينا والإسكندرية وروسيا أيام القياصرة، مراكز رئيسية لها.

ثانياً: عقيدة الأرثوذكس

يعتقد الأرثوذكس أن الله واحد في ثلاثة أقانيم ويقولون: إن الله (عز وجل) نزل من السماء واختبأ في بطن مريم العذراء تسعة أشهر، وكان لما دخل بطنها نطفة ثم علقه ثم مضغه ثم أصبح جنيناً كاملاً ثم خرج طفلاً كاملاً إسمه عيسى أو يسوع، وغما كما ينمو الأطفال ولما بلغ سن الثلاثين بلغ الرسالة وبعد سنتين وأشهرًا قتله اليهود وصلبوه ثم دفن في القبر ثلاثة أيام، ونزل إلى الجحيم وهو في القبر، ثم خرج في اليوم الثالث وصعد إلى السموات، و يسمى الأب قبل التجسد ثم الابن بعد التجسد ويسمى الروح القدس الاسم الذي كان عليه قبل إنشاء العالم، أي أن عيسى هو الله خالق السماء والأرض والله هو عيسى ويستدلون على مذهبهم هذا بقول القديس بولس «الله ظهر في الجسد، تبرر في الروح، تراءى للملائكة، كرز به بين الأمم أو من به في العالم، رفع في المجد» (تيمائوس الأولى / 3: 16).

والقضية الأساسية التي تميزت من أجلها الكنيسة الأرثوذكسية وانفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية هي قضية طبيعة المسيح عليه السلام وقد بينا لك أخي الدارس، أختي الدارسة، أن مجمع خلقيدونية سنة 451م قد انعقد لبحث هذه المسألة وخرج بقرارات تخالف مذهب إليه القائلون بالطبيعة الواحدة من الأرثوذكس وقرر المجمع كذلك طرد بطريك الإسكندرية ولعنه فكانت ردة الفعل هي ذلك الانقسام الذي أدى إلى انفصال الكنيسة الشرقية عن الغربية فالأرثوذكس يقولون بالطبيعة الواحدة للمسيح في أقانيمه الثلاثة.

ولتوضيح ذلك يقول حبيب جرجس وإن فادينا العظيم قد تنازل عن سماء مجده وقبل أن يتحد بالإنسان باتخاذها جسداً حقيقياً بنفس عاقلة ناطقة تم الحبل به في بطن القديسة الطاهرة مريم العذراء .

وقد مثل آباء الكنيسة اتحاد اللاهوت بالناسوت بأن الإنسان مركب من جزأين أحدهما: الجسد الكثيف المأخوذ من التراب، وثانيهما النفس العاقلة الناطقة، ومع وجود هذين الشئين واتحادهما دون اختلاط ولا امتزاج يصيران شخصاً واحداً ذا طبيعة واحدة، فاللاهوت هو الجزء البسيط والناسوت هو الجزء الكثيف من النفس الناطقة، وبتحادهما معاً دون اختلاط ولا امتزاج صار المسيح ذاتاً واحدة، جوهرأً واحداً، وطبيعة واحدة، ومشئة واحدة» (السقا، أقانيم النصارى، ص68).

ويمكن أن نوجز أهم الأصول الاعتقادية للأرثوذكس بمايلي :

1. المسيح له طبيعة واحدة ومشئة واحدة في أقانيمه الثلاثة فهو في كل أقنوم منها يحمل هذه الطبيعة الإلهية، ولذلك كان الرد القرآني على أصحاب هذا المذهب بقوله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ (المائدة، 17).
2. روح القدس نشأ عن الإله الأب فقط.
3. يفهم من نصوصهم أفضلية الأب عن الابن.
4. رفض الأرثوذكس مازهدت إليه الكنيسة الكاثوليكية من جواز أكل دم المخنوق ومن إباحة أكل لحم الخنزير للرهبان.

ثالثاً: أشهر الطوائف التابعة للكنيسة الشرقية الأرثوذكسية

أ. الكنيسة القبطية المصرية

حيث يعتقد الأقباط أنهم أساس نشأة الكنيسة الأرثوذكسية، ومقر هذه الكنيسة كانت الإسكندرية ثم أصبحت القاهرة مقر بطريرك هذه الكنيسة وهو الآن الأب شنودة، ويطلق عليه بابا الإسكندرية ورئيس الأفرقة المسيحيين، ويتبعه في هذه الرئاسة بالإضافة إلى الأقباط المصريين، الأحباش المسيحيون حيث يعين لهم أسقفأً يرعى شؤونهم الدينية. وتحمل الكنيسة القبطية لب اعتقاد الأرثوذكس في الطبيعة الواحدة للسيد المسيح. وللأقباط في مصر تاريخ عريق يعتزون به ويلتفون حوله، وهم متعصبون لكنيستهم ومعتقداتها، ويعتز أقباط مصر بحوادث أربعة هي :

1. قدوم العائلة المقدسة إلى مصر هرباً من اضطهاد ملك اليهود الذي كان يريد قتل

الطفل يسوع حيث ورد في إنجيل متى «وبعدما انصرفوا إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف (ويعني هنا يوسف النجار) في حلم قائلاً وخذ الصبي وأمه واهرب إلى مصر وكن هناك حتى أقول لك، لأن هيرودس مزعم أن يطلب الصبي ليهلكه فقام وأخذ الصبي وأمه ليلاً وانصرف إلى مصر» (متى / 13-14: 2).

2. تأسيس كنيسة الإسكندرية على يد الرسول مرقس .

3. النشاط الفكري لمدرسة الإسكندرية .

4. تأسيس الرهبنة التي وجدت في أرض مصر .

ويبين الدكتور جورج قنواتي أن الأقباط في مصر كانت ثقافتهم تابعة للثقافة الإغريقية إلى أن فتح عمرو بن العاص مصر في القرن السابع الميلادي حيث تحولت إلى الثقافة العربية، ويمكننا أن نقسم العصر القبطي لمصر على النحو الآتي :

1. عصر سيادة الثقافة الإغريقية

2. مرحلة استقرار المسيحية وسيادة الثقافة القبطية .

3. مرحلة سيادة الثقافة العربية وفيها أخذت القبطية تتلاشى تدريجياً وأصبحت الكنيسة تتمثل اللغة العربية فتمكن علماءها من التعبير بلغة عربية فصيحة عن العقيدة المسيحية وتعاليمها وتدوين قوانينها وتاريخها (القنواتي، المسيحية والحضارة العربية، ص33).

ب. الأرمن

وهم طوائف من المسيحيين موطنهم الأصلي أرمنية وهم اليوم أقليات متناثرة موجودة في مصر والأردن وسوريا وتركيا ولبنان. يعتقدون في المسيح اعتقادات الكنيسة القبطية لكن لهم طقوسهم وتقاليدهم الدينية الخاصة بهم كما أن لهم بطاركة مستقلون بهم لا يتبعون الكنائس الأخرى ولا يندمجون معها .

وفي الختام لابد من الإشارة إلى أن ثقل الأرثوذكسية يتمركز بعد مصر، في روسيا واليونان وبلاد البلقان وأكثر الشعوب تعصباً للأرثوذكسية هم الصرب، ولذلك رأينا تعاطفاً واضحاً من الروس واليونان للصرب رغم احتجاج العالم على وحشيتهم ضد المسلمين في البوسنة .

3.3.6 البروتستانتية

أولاً: مفهومها ونشأتها: البروتستانتية كلمة لاتينية تعني (المحتجون).

وهي فرقة نشأت نتيجة حركة الإصلاح الديني التي تزعمها مارتن لوثر وتلميذه جون

كلفن في أوروبا ضد ممارسات الكنيسة الكاثوليكية وتسلط رجال الدين في أوروبا وطغيانهم باسم الدين، ومآلت إليه أمور الكنيسة من ابتداء صكوك الغفران واحتكار الدين عليهم فقط وعدم جواز اطلاع العامة على الكتاب المقدس الذي كان بلغات قديمة لا يفهمها عامة الناس واضطهاد المعارضين وتعذيبهم. كل هذا وغيره قاد إلى بروز حركة احتجاجية واسعة في أوروبا ضد الكنيسة سميت بحركة الإصلاح الديني أو حركة المحتجين أدت إلى بروز البروتستانت الذين أنشأوا الكنيسة الخاصة بهم أضيفت إلى الكنيستين السابقتين ولها أصولها وطقوسها الخاصة. وتسمى كنيستهم الكنيسة البروتستانتية أو الإنجيلية إشارة منهم إلى أن الإنجيل هو المصدر الوحيد لفهم المسيحية بعيداً عن تفسيرات رجال الكنيسة وإلهاماتهم وإضافاتهم التي تسلطوا من خلالها على الناس بحجة أنها تعاليم شفوية للبابوات. وتنتشر البروتستانتية في ألمانيا وإنجلترا والدانمارك وهولندا وسويسرا والنرويج وأمريكا الشمالية.

ولكن الإنجليز اعتقدوا أن حركة الإصلاح الديني حركة عادلة رشيدة، وأنها هي الأصل فيما يجب أن تكون عليه الكنيسة الكاثوليكية فاستبقى الإنجليز استعمال كلمة الكنيسة الكاثوليكية على الكنائس التابعة لحركة الإصلاح الديني دون أن يطلقوا عليها البروتستانتية، وللتفريق بين الكنائس الإنجليزية والإنجيلية والكنيسة الكاثوليكية الأصلية أطلقوا على كنيسة روما وأتباعها اسم الكنيسة الرومانية الكاثوليكية. (شلي، المسيحية، ص 242).

وعندما انطلقت حركة الإصلاح الديني في أوروبا وبداية في ألمانيا وجدت آذان صاغية وتأييداً شعبياً واضحاً نتيجة الظلم والابتزاز الذي مارسته الكنيسة ورجالها. وقد ساعد هذه الحركة بعض الآراء من النبلاء والأشراف الذين كانوا يحسون بأنهم متضررون جداً من سلطان الكنيسة وطغيانها.

ولم ينبثق فجر القرن السادس عشر حتى انبثقت عنه أصوات قوية جريئة تدعو إلى إصلاح الكنيسة وتنقد حالها وتندد بأعمالها وتشر عيوب القوامين عليها عساهم يصلحون أمرهم. وقد بدأت حركة الإصلاح هادئة في البداية وعلى مراحل طويلة حتى أن بعضهم يرى أنها بدأت في القرن العاشر حيث قام (جيرارد) بإنشاء كنيسة في اللورين سنة 914م تبنت إصلاح فساد الكنيسة واستمرت موجات الإصلاح للكنيسة تثرى في كل جيل وقرن حتى ظهرت حركتا الكاترين والوالدنيين في جنوب فرنسا، ولكن البابوية تمكنت من القضاء عليهما. . . ثم ظهرت هيئة الفرير (الرهبان أو الإخوان في حركة الإخوان الفرنسيين)

والدومينيكان في القرن الثالث عشر وكانت تهدف إلى حياة البساطة وحماية الكنيسة من الهرطقة . . . ثم ظهر حنا وكلف) الذي عكف على وضع الحلول للعلاقة بين السلطتين العلمانية والكنيسة، ووصل إلى أن الأب وحده هو ملك السموات والأرض، وأن الصالحين جميعاً لهم حق في ملكية الأرض وهي حق مشاع بينهم لأن الملكية الفردية جاءت نتيجة لخطيئة آدم وعلى ذلك لا يصح أن تقع الكنيسة في هذه الخطيئة، وكانت عاقبته الطرد هو وأتباعه من أكسفورد وتوفي سنة 1383م.

ثم كان (حنا هس) الذي هاجم صكوك الغفران وقال بأن أوامر البابا تعد ملغاة لأنها تتعارض مع تعاليم المسيح إلا أن مجمع كونستانس سنة 1415م حكم عليه بالإعدام حرقاً. ثم دعا آرزم إلى قراءة الكتب المقدسة من مصادرها وكان آخر المعارضين الهادئين توماس مور وهو إنجليزي نائر على طقوس الكنيسة وقد أعلن أن سيادة البابا واجبة مع وجوب إصلاح الكنيسة.

أما مارتن لوثر فيعد أول من أدخل حركة الإصلاح إلى مرحلة الثورة والتمرد على نظام الكنيسة فكان ينادي بأعلى صوته أن صكوك الغفران دجل، وأن الذنب لا يغفر إلا بالندم والإقلاع عن المعاصي وطالب الكنيسة بإلغاء صكوك الغفران وقد طلبه البابا ليحاكمه أمام محاكم التفتيش فرفض وحكم غيابياً بالحرمان.

ومن مبادئه التي دعا إليها أن البابا ليس خليفة المسيح وأن زواج القساوسة أمر ضروري لإصلاح نفسية رجال الأكليروس، وأن كل مسيحي له الحق في فهم الكتاب المقدس ونادى بإنكار مبدأ الاستحالة في العشاء الرباني.

وهاجم الرهينة وقال بعدم جواز استعمال الصور والتماثيل وعلى هذه المبادئ قامت الكنيسة المعارضة أو البروتستانتية ويعد كلفن من أشهر من ساعد لوثر في نشر مبادئ البروتستانت في فرنسا (شلي، يأهل الكتاب، ص 267-270).

ثانياً: أشهر عقائد البروتستانت

الحقيقة التي لا بد من بيانها أن ثورة الإصلاح الديني رغم أنها كانت ثورة شاملة زلزلت أركان الكنيسة الغربية وخرجت على نظامها وحدت من طغيانها وطاعة الناس العمياء لها، إلا أنها لم تكن إصلاحاً عقائدياً دخل في عمق جوهر الفساد العقائدي الذي طرأ على المسيحية. فلم يبطل البروتستانت أصلاً من أصول المسيحية، ولم تتطرق للموضوعات العقائدية المهمة كالتثليث وقرارات المجامع المتلاحقة المتناقضة التي كان يلعن بعضها بعضاً

ولم تتعرض لمسألة طبيعة المسيح عليه السلام ومادار حولها من جدل طويل وخلاف حاد وانقسام بين الكنائس ، ولم تتعرض إلى مسألة الصلب التي اعتقدها النصارى ومالحقها من عقائد الفداء والتكفير والتضحية .

لقد اقتصررت حركة الإصلاح على الشكليات والممارسات الخاطئة لرجال الكنيسة ونستطيع أن نقول إن حركة الإصلاح لم تكن إصلاحاً للمسيحية وإنما كانت إصلاحاً للكنيسة .

ولذلك فإن المعتقدات الإيمانية للكنيسة البروتستانتية بما في ذلك اعتقادهم بطبيعة المسيح عليه السلام لا تختلف عن معتقدات الكاثوليك . واكتفوا بمعارضة تسلط الكنيسة وطغيان رجالها ، ودعوا الى إبطال عبادة الصور والتماثيل ، ودعوا كذلك إلى إبطال فكرة الاستحالة وهي تحول الخبز والخمر في عيد الفصح إلى جسد المسيح ودمه ، وأبطلوا صكوك الغفران والحرمان .

كما أن الكنيسة البروتستانتية لا تؤمن بنظام الكهنة ولا بالبخور في الهيكل ، ولا تتقيد إلا بالكتاب المقدس ، ولا تؤمن بالأسرار السبعة التي تؤمن بها الكنيسة الكاثوليكية . كما أنها لا تؤمن بالصوم كفريضة ولا بالأعياد التي تقيمها الكنائس الأخرى . ولا تؤمن بنظام الرهبة وأخيراً فإن الكنيسة البروتستانتية لا تؤمن بالأسفار السبعة التي أضافها الكاثوليك للكتاب المقدس . (شلي، ي أهل الكتاب ، ص 262) .
والآن أخي الدارس ، أختي الدارسة ، أجب عن الآتي :-



أسئلة التقويم الذاتي (3)

- 1 . تحدث عن البيئة الدينية التي ساعدت في تقبل فكرة الاصلاح الديني في أوروبا .
- 2 . ما معنى الأورثوذكسية وما هي الكنائس التابعة لها وما أبرز معتقداتها .
- 3 . ما هي الأسرار الكهنوتية السبعة؟ وما المقصود بسر الاعتراف؟

أخي الدارس ، أختي الدارسة ، إن ما نخلص إليه من دراستنا للنصرانية والمتبع لنشأتها وتاريخها وتطور معتقداتها وذاك التحول الكبير في هذه المعتقدات هو أن النصرانية أكثر الأديان تغييراً في تاريخ الأديان كلها . والملاحظ أن هذا التغيير لم يقتصر على الأساليب والوسائل أو القضايا الثانوية بل تناول الأصول الاعتقادية وآمل أن تكون ، قد اطلعت على مجموعة العوامل التي ساهمت في هذا التحول والذي أصاب المسيحية وانتقل بها من التوحيد الذي جاء به المسيح عليه السلام إلى التثليث الذي آلت إليه المسيحية .

8. إجابات التدريبات

تدريب (1)

الإضافات التي وضعها ابولس في المسيحية هي :

1. عالمية المسيحية والتنازل عن كثير من التشريعات في سبيل تقبل الأمم الأخرى لها .
2. اخراج المسيحية من البساطة اليهودية إلى تعقيدات الفكر اليوناني .
3. فكرة الخطيئة الموروثة .
4. عقيدة الكلمة « اللوغوس » .

تدريب (2)

العلة في نصوص العهد القديم لم تتوقف عند السند بل تعدته إلى المتن ذلك أن المتمعن في نصوص العهد القديم يجد أمامه نصوصاً تحوي اغلاطاً تاريخية ومغالطات علمية ، ذكر فيه صفات ذكرت لله تعالى أو للأنبياء عليهم السلام لا يقبلها عاقل ؛ لتناقضها مع تنزيه الخالق سبحانه كما تتناقض مع أبسط قواعد الأدب والاحترام لرسول الله عليهم الصلاة والسلام .

تدريب (3)

أهم الطعون التي قدمها الباحثون في الدراسات الانجيلية على انجيل متى هي :

1. النسخة العبرية الأصلية مفقودة، والموجود هو النسخة اليونانية المترجمة ومترجمها مجهول.
2. تاريخ كتابة الانجيل مختلف فيه.

تدريب (4)

أهم الملاحظات هي :

1. أنها ليست مما كتبه المسيح عليه السلام أو مما أملاه على تلاميذه أو كتب في زمانه.
2. كاتبها مجهولون ومن عرف منهم مجهول في صفته ليس فيهم مختص مؤهل.
3. كتبت لرغبات خاصة أملتها ظروف معينة.
4. أصولها ضائعة.
5. لا تحمل صفة الرواية المسندة التي يجب أن تتوافر في الكتاب السماوي.
6. اشتمالها على عدد من المغالطات والتناقضات.

تدريب (5)

موضوع مجمع القسطنطينية هو علاقة الألوهية بالروح القدس وأهم قراراته هي :

1. إثبات أن الروح القدس هو روح الله وهي من اللاهوت الإلهي وإضافة ذلك لقانون الإيمان النيقاوي.
2. لعنة مقدونيوس وأتباعه وكل من يخالف هذا القرار.

تدريب (6)

فحوى وثيقة التبرئة أن اليهود الحاليين ليسوا مسؤولين عن قضية الصلب.

واليهود استفادوا كثيراً من هذه الوثيقة حيث سهلت عليهم التغلغل في الأوساط المسيحية، وبخاصة البروتستانتية حيث خفت روح العداة والحقد المتوارثة عن النصارى على اليهود.

تدريب (7)

الأساسان هما :

- 1 . الأساس النقلى والنصوص الانجيلية الواردة فيه .
 - 2 . الأساس العقلى الفلسفى المعتمد على فلسفة فكرة الخطيئة الموروثة وحل مشكلتها بالصلب فداء للبشر وخلصاً لهم من خطيئة أبيهم آدم .
- والأساس الأول جاء في نصوص متناقضة مبهمة والأساس الثانى يرفضه العقل نفسه لأن البشر الذين أقدموا على صلب ابن الله لا يستحقون مقابل ذلك المغفرة بل أضافوا معصية إلى معصيتهم .

تدريب (8)

فكرة العشاء الربانى تقوم على أسطورة أن المسيح عليه السلام فى العشاء الأخير الذى شهده مع تلاميذه قبل أن يصلب - كما يزعمون - تناول خبزاً وخبزاً وقال لتلاميذه كلوا من هذا الخبز فهو جسدى واشربوا من هذا الخمر فهو دمي فاختلط دمهم ولحمهم بجسد المسيح ودمه وهذه القصة ذكرها إنجيل لوقا .

تدريب (9)

مفهوم الرهبة عند النصارى يقوم على الابتعاد عن ضجيج الحياة والحرمان من لذيذ العيش وتعذيب الجسم بالجوع والعطش ولبس خشن الثياب والامتناع عن الزواج .
ومراحلها التى مرت بها هي :

- 1 . مرحلة الهروب من الناس والبعد عن المدن والقرى الزاخرة بالأدناس إلى الصحارى والبراري والكهوف .
- 2 . مرحلة اتخاذ الأديرة التى بنوها فى المناطق الجبلية والناثية والأنظمة التى وضعت لهذه الأديرة .

أما موقف الإسلام من الرهبة، فقد أشار القرآن الكريم إلى ما توصل إليه النصارى من نظام الرهبة على أنه انحراف عن الدين الأصلي وابتداع جاؤوا به من عند أنفسهم لم يأمرهم به الله تعالى . كما نهى الإسلام عن التبتل والانقطاع عن طلب الرزق ونهى عن الغلو فى الدين وغيره كما قال رسول الله [«ياكم والغلو قائماً أهلك من كان قبلكم الغلو» .

ونهى رسول الله [عن التنطع أي التعنت والتشدد في الدين، وحث الاسلام على العمل وطلب الرزق ووضع الاسلام أساس التوازن في قوله تعالى: ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ (القصص، 77) . .

تدريب (10)

النظام الذي تتبعه الكنيسة الكاثوليكية هو النظام البابوي الذي يرأسه البابا في روما والكرادلة من حوله ومنهم يتألف المجمع الكنائسي الذي يصدر إرادات بابوية سامية لأن البابا هو تلميذ المسيح الأكبر على الأرض فهو ممثل لله ومن هنا كانت إرادته لا تقبل الجدل .

أما الكنيسة الأورثوذكسية فلا تتبع نظام البابوية بل نظام الاكليروس، وهو المجمع الذي يضم رجال الدين من مختلف الدرجات من البطريك إلى القس العادي، مروراً بالمطران ثم القس المتميز المسمى بالقمص وهؤلاء جميعاً أصحاب الرأي والكلمة في إدارة شؤون الكنيسة الأورثوذكسية .

9. مسرد المصطلحات

الأقنوم: هو الكائن أو الجوهر المستقل القائم بذاته وهو مصطلح يطلقه النصارى على المسيح عليه السلام باقانيمه الثلاثة الأب والابن والروح القدس وكل واحد منها أقنوم جوهر ذات قائم بنفسه .

العهد الجديد: مصطلح أطلقه النصارى على الشطر الثاني من الكتاب المقدس ويضم الأنجيل الأربعة ورسائل بولس الأربعة عشر ورسائل نسبت إلى بعض تلاميذ المسيح .

الإنجيل: كلمة تعني البشارة ورد ذكرها كمصطلح للكتاب الذي جاء به عيسى عليه السلام .

التكريز: كرز يكرز لفظ يستخدمه النصارى بمعنى التبشير بالإنجيل بين الناس .

قانون الإيمان أو الأمانة: هو مجمل القرارات التي خرج بها مجمع نيقية سنة 325م، حيث صنفت هذه القرارات على شكل قانون اعتقادي تضمن أصول الإيمان على الشكل الذي توصل إليه المؤتمر حيث أقرت ألوهية الأب والابن ثم اكتمل هذا القانون في مجمع القسطنطينية الأول ليضيف ألوهية الروح القدس .

المجمع الكنائسي أو الكنسي: هو التجمع الذي تعقده الكنيسة لرجال الدين للنظر في المسائل الاعتقادية أو التشريعية. وقد عرفت المسيحية في تاريخها مجامع كثيرة أقرت فيها معظم العقائد المسيحية.

10. المراجع

1. القرآن الكريم .
2. ابن تيمية، أحمد عبدالحليم، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، مطابع المجد التجارية، الرياض .
3. ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، دار المعرفة للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، بيروت، 1395هـ .
4. ابن كثير أبو الفداء، تفسير القرآن العظيم، دار الفكر، مطبعة عيسى البابي الحلبي .
5. أبو زهرة، محمد، محاضرات في النصرانية، الطبعة الثالثة، مطبعة المدني، 1966 .
6. بير، شارل جيني، المسيحية نشأتها وتطورها، ترجمة عبدالحليم محمود، المكتبة .
7. بوكاي، موريس، التوراة والإنجيل والقرآن والعلم، ترجمة نخبة من الدعاة، دار الكندي، بيروت، الطبعة الأولى، 1978 .
8. الجندي، أنور، الإسلام والفلسفات القديمة، دار الاعتصام، 1977 .
9. الحاج، د. محمد أحمد، النصرانية من التوحيد إلى التثليث، دار القلم، دمشق، ودار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، 1992 .
10. الحاج، د. محمد أحمد، هداية الحيارى لابن القيم، دراسة وتحقيق، دار القلم بدمشق، الطبعة الأولى، 1996 .

11. ديدات، أحمد، مسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء، ترجمة على الجوهري، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1989.
12. ديورانت، ول، قصة الحضارة، ترجمة د. زكي نجيب محفوظ ومحمد بدران، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1956.
13. السقا، د. أحمد حجازي، أقانيم النصارى، دار الأنصار، القاهرة، الطبعة الأولى، 1977.
14. شلبي، أحمد، مقارنة الأديان (المسيحية)، الطبعة السابعة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة السابعة، 1984.
15. الشهرستاني، أبو الفتح، الملل والنحل، مطبوع على هامش الفصل لابن حزم.
16. شلبي، د. رؤوف، التفكير الديني في العالم قبل الإسلام، (مطالعة في كتب علماء الملايو) دار الثقافة، الدوحة.
17. شلبي، د. رؤوف، يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء، دار الاعتصام، القاهرة، الطبعة الثانية، 1980.
18. شنودة، زكي، تاريخ الأقباط، مطابع البلاغ، القاهرة، الطبعة الثانية، 1968.
19. شلبي، متولي، أضواء على المسيحية، الدار الكويتية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1973.
20. الشريف، د. محمود بن، الأديان في القرآن، دار عكاظ للطباعة والنشر، الرياض، الطبعة الرابعة، 1979.
21. الطهطاوي، محمد عزت، الميزان في مقارنة الأديان، دار القلم، دمشق، دار الشامية، بيروت، 1993.
22. الفاتح، زهدي، اليهود. د. ت.
23. فروخ، عمر، تاريخ الفكر العربي إلى أيام ابن خلدون، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، 1981.
24. الفتواتي، د. جورج شحاته، المسيحية والحضارة الغربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
25. قطب، سيد، في ظلال القرآن، دار الشروق، الطبعة السادسة، 1978.

26. القرافي أحمد بن إدريس المالكي، الأجوبة الفاخرة، دار الباز للنشر والتوزيع - مكة المكرمة، دارالكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1986 .
27. القرضاوي، يوسف، العبادة في الإسلام، مؤسسة الرسالة، الطبعة السادسة، 1979 .
28. الكتاب المقدس، ترجمة من اللغات الأصلية، دار الكتاب المقدس في العالم العربي، 1976 .
29. موسوعة الكتاب المقدس، دار منهل الحياة، 1993، منصورية المتن، لبنان، ودار الكتاب المقدس، نيوروضة، لبنان
30. الميداني، عبدالرحمن حبنكة، العقيدة الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية، 1979 .
31. مرجان، محمد مجدي، الله واحد أم ثالث، دار النهضة العربية، القاهرة .
32. الندوي، أبو الحسن، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، نشر الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، 1978 .
33. النجار، عبدالوهاب، قصص الأنبياء، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة .
34. الهندي، رحمة الله، إظهار الحق، إخراج وتحقيق عمر الدسوقي، مراجعة عبدالله الأنصاري، طبع على نفقة الشؤون الدينية بقطر .
35. النيسابوري، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية بالرياض 1980 .
36. الهمذاني، عبدالجبار، تثبيت دلائل النبوة، تحقيق د. عبدالكريم عثمان، دار العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1386 هـ .
37. وافي، علي عبدالواحد، الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، مكتبة نهضة مصر .
38. وجدي، محمد فريد، دائرة معارف القرن العشرين، مجلد 10، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثالثة .